الوزراء

أو

تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء

لأبي الحسن الهلال بن المحسن الصابي

تحقيق

عبد الستار أحمد فراج

الناشر

مكتبة الأعيان

الوُزَراءُ

أو

تُحفةُ الأمراء في تاريخ الوزراء

لأبي الحسين الهلال بن المحسن الصابي

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد ، فإن أول ما افتُتِح به القولُ فأفلحت مصادره ، وأُعمل به النطقُ فأنجحت [1] مقاصده ، وتُوُخِّيَ به الخيرُ فأصابت مواضعهُ ، وتُرُجِّي فيه الحظُّ فأربحت بضائعهُ ، حمدُ اللهِ ذى الحوْل القاهر ، والطَّوْل الباهر ، والنعمة السابغة والحجة البالغة ، الذى ابتدأ الصنعة وأحكمها ، وابتدع الحكمة وعلّمها ، وخصّ الإنسان منها بما عَرَف به مسالكَ حظِّه ورشده ، ومواقعَ خيره وشرّه ، فصار معه محجوجا [2] فى أسباب فعله ، ومحجوباً عن البوّاب عذْرُه ، مخيَّراً فى مجارى سعيه ، ومُخَلّى مع دواعى نفسه .

وصلى الله على من اصْطَفَى من خلقه ، وارتضى لإقامة حقه ، محمد ذى الأصل الشامخ ، والفخر الباذخ ، والقول الناصح ، والعمل الصالح ، الذى هدانا من الضلالة بما أوردَنا من الدّلالة ، وأنقذنا من الجهالة بما بلّغنا من الرسالة ، فقال له ربُّه تبارك وتعالى اسمه : ﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَىٰ ٱللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً ﴾ [3] .

ولما رأيت المتقدمين من أهل المعرفة قد أشركوا مَن بعدهم فيما وصلوا إليه من الفائدة بعلوم أدركوها قبلهم ، فخلفوها بالجمع والتأليف لهم ، وأحاديث سمعوها

---

(١) أنجحت : صارت ذات نجاح

(٢) المحجوج : المغلوب بالحجة .

(٣) الأحزاب ٤٥ ، ٤٦ .

عمّن تقدمهم ، فخلّدوها بالتسطير والتصنيف لمن لحقهم ، وجدتُ ذلك من أفضل ما اقتفاه المقتفون ، واقتداه المقتدون ، إذ لولا هذه الطريقة لما عُرفَتْ فضائلُ الأخلاق فاستُحْسِنت ، ورذائل الأفعال فا ستُهْجِنَتْ ، وعوائدُ الخير فطُلِبت ، وعواقب الشرِّ فاجتُنِبت ، وأيُّ حديثٍ أوقع ، وذكرٍ أنفع ، من الإخبار بمجارى الأمور التى ما زال أرباب الهمم الشريفة يتطلعون إلى أمثالها ليجعلوها لَقَاحًا لآدابهم ، وصفاء لأذهانهم ، وتذكرة لقلوبهم ، ورياضة لعقولهم ، فمعلوم أنه لا وجدان أقرب ، ولا إدراك أطيب ، من أن يأخذ الإنسان عَفْوَ[1] ما كدَّت الفِطَن فى استخراجه ، وبعثت القرائح لاستنباطه ، ويعلم — على سلامة من الخِطار[2] ، وأمن من العِثار — ما بان الخطأُ والصوابُ من مجاريه ، واستتر القبيح والجميل فى مَطَاويه ، فيهتدى بذلك مهتد ، ويقتدى مقتد ، ويستفيد مستفيد ، ويستزيد مستزيد .

وكان أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى[3] جمع من أخبار الوزراء ما وقف فيه عند أبى أحمد العباس بن الحسن[4] ، وصنع أبو بكر محمد بن يحيى الصولى[5] فى مثل ذلك كتابا رأيت منه ما كان إلى آخر أيام القاسم بن عبيد الله[6] ، لكنه ملأه بالحشو الزائد ، وكَسَفه بشِعره البارد ، ولم أر أحدا بعدهما تمم ابتداءهما ولا همَّ به ، فكان ذلك مما بُخِسَتْ فيه حظوظُ مَنْ قَطَعا قَبل عصره ، ووقفا قبل ذِكْره ، وما فى أكثرهم إلَّا من له الفضائلُ المذكورة . والمناقبُ المأثورة ، والآثارُ المشهودة

---

(١) العفو من معانيه : خيار الشيء وأطيبه ، والفضل .

(٢) الخطار : المخاطرة .

(٣) توفى سنة ٣٣١ راجع ترجمة له فى مقدمة كتابه الوزراء والكتاب تحقيق السقا والابيارى .

(٤) قتل سنة ٢٩٦ هـ وزر للمكتفى والمقتدر .

(٥) راجع ترجمة له فى ابن خلكان توفى سنة ٣٣٥ .

(٦) توفى سنة ٢٩١ وزر للمعتضد ثم المكتفى، له ترجمة فى المنتظم ٤٦/٦ .

والأفعال المشهورة : من مثل أبى الحسن علىّ بن محمد بن الفرات ، وأبى الحسن علىّ ابن عيسى بن داود بن الجراح ، وأبى على محمد بن على بن مقلة [١] ومن بعدهم من وزراء الدولة العباسية ، ومثل أبى محمد الحسن بن محمد [٢] المهلّبى ، وأبى الفضل محمد ابن الحسين بن العميد [٣] ، وأبى القاسم إسماعيل بن عباد [٤] ، وأبى غالب محمد ابن علىّ بن خلف [٥] ، ومن قعد مقعدَهم بالعراق وفارس والرّىّ من كُتّاب الأيام الديلمية ، ومثل السيد الأجل الأوحد العادل أبى منصور بهرام بن مافنّه [٦] ، حرس الله مدته ، وواصل سعادته ، الذى تأخر عنهم عصرُه ، وأَبرَّ عليهم [٧] فضلُه ، وصَلَّى [٨] بعدهم عهدُه ، وفات جُهْدَهم عَفْوُه [٩] . ثم نقول : إنه لو كان التأخُّر مُقْعِدا عن ذُرْوة فى الخير باسقة ، وغَلْوة [١٠] فى الفخر سابقة ، ورُتبة فى الجِدّ مبلوغة ، وغاية فى المجد مرفوعة ، لما جعل الله محمدا صلى الله عليه آخرَ المرسلين أوانًا ، وأَذْكَرَهم زمانًا ، وأظهرهم فى معجزاته حُجَّة ، وأعلاهم فى جنَّاته درجة ، وأجراهم إلى طاعته خُطوة ، وأولاهم بكرامته حِظوة ، ثم نسخ به ما شرعوا ، وفسخ به ما وَضَعوا ، ونقض ما بنَوْا ، ودَحَض ما قرّروا ، حتى صار دينُه المرفوع ، وشرعه المتبوع ، وعَقْدُه الشديد ، وبناؤه المشيد ، وقال تبارك اسمه فى ذاك : ﴿هُوَ ٱلَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ

---

(١) توفى سنة ٣٢٨ راجع ترجمة له فى ابن خلكان والمنتظم ٦/٣٠٩ وراجع توليه الوزارات وما نكب به فى حوادث التاريخ من ٣١٦–٣٢٨ .

(٢) توفى سنة ٣٥١–٣٥٢ راجع ترجمة له فى معجم الأدباء وابن خلكان.

(٣) توفى سنة ٣٥٩–٣٦٠ راجع ترجمة له فى ابن خلكان ومعجم الأدباء .

(٤) توفى سنة ٣٨٥ راجع ترجمة له فى معجم الأدباء .

(٥) قتل سنة ٤٠٧ راجع ترجمة له فى معجم الأدباء .

(٦) توفى سنة ٤٣٣ انظر ابن الأثير حوادث سنة ٤٣٣ .

(٧) أبر عليهم : غلبهم وفاقهم .

(٨) صلى ، معناها هنا : جاء تاليا .

(٩) عفوه : فضله ومعروفه .

(١٠) غلوة : غاية .

وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [1] . وإنما يَبين مواضعُ الفضل، ويقومُ معالم العدل، بالموازنة والقياس . والتطبيق بين الناس والناس ، وإلا فالنوع شامل ، والجنس متشاكل ، والأزمان متقاربة ، والأوقات متناسبة ، وما جعل الله الفضيلة محجوزة عن قوم دون قوم ، محجوبة لأن بابها ممنوع ، ورائدها مدفوع ، وطريق منالها مسدود ، وعقد مرامها مشدود ، بل لأن التَّطَلُّب متعِب ، والمَسلَك مُتوَعِّر ، ولذاك قال الأعرابى [2] :

لا تَحْسَبِ المجد تمراً أنت آكله لن تبلغَ المجدَ حتى تلعَقَ الصَّبِرا

ولولا خشونة المُمْتَطَى ، وحُزونة المُرْتَقَى [3] ، وأن ركوب الصعاب أسهلُ من اكتساب الآداب ، وتكلّف المشاق أخفّ من تهذيب الأخلاق ، لما قَلَّ الفاضل وكَثُر المفضول ، ودَقّ العقل وجَلّ المرسوم . ومع كون الحال فى هذه الصورة وتصرّفها على هذه الصفة ، فالمقدور بين ذلك ولُوجٌ ودخول ، وللتوفيق وقُوع وحُلول ، فكم من رامٍ مُجيد أخطأ مرماه ، ورائمٍ مجداً ضلّ مسعاه ، وباغٍ حريصٍ أُقعِد مبغاه [4] ، ورائدٍ مُشيح [5] أعجزه منتحاه [6] ، وما تختلف الهمم فى اللَّهَج بذاك والصَّبابة ، وتتفاوت المُنَن [7] فى الإدراك والإصابة ، إلا لأن الهمة الشريفة تُحلِّق عُلُوًّا للصُّعود ، والمُنة الضعيفة تُسِفّ دُنُوًّا للقصور . وما زال الفضل زينة رافعة ، والنقص سِمَةً واضعة . ومن المعلوم السليم من اعتراضات المعترضين، البعيدِ من مناقضات

---

(١) التوبة ٣٣

(٢) هو فى الحماسة ٢/١٧٧ والمضنون به على غير أهله ٤٧٢ ونسب لرجل من بنى أسد .

(٣) حزونة : غلظ .

(٤) أقعد : لم يقدر على النهوض .

(٥) المشيح هنا : الجاد والحذر .

(٦) منتحاه : مقصده .

(٧) المنن جمع منة : القوى .

المناقضين ، أن الله تعالى خلق الحيوانات كلّها على اختلاف الفِطَر والأوضاع ، وتباين الصّور والأنواع ، خلقاً واحدا فى الأشخاص والأشباح ، والأفئدة والأرواح ، ثم خَصَّ الإنسان من بينها بالعقل الذى أرشده به إلى معرفته ، وما أراده له من عبادته ، وأوجب له من الطاعة وشُكْرِ المِنَّة مزيداً حاضرا ، وثوابا منتظرا ، وأوجب عليه عن المخالفة وكفر النعمة انتقاما عاجلا ، وعذابا آجلا : ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [1] . وجعل عطاء الإفضال أكثر ، وعطاء العقل أقلّ ، لأن مادة الإفضال غزيرة ، ومادة العقل عزيزة .

وقد اخْتُلِفَ فى كيفية العقل . فقال قوم : نور من الله مُقتَبَس ، وقال آخرون : خلْقٌ مُسْتخلص ، واستشهدوا بالحدث الذى ترويه العامة « من أن الله تعالى قال للعقل وقد خلقه : أقبِلْ . فأقبَلَ . وأدبرْ ، فأدبرَ . فلما فعل ذاك قال : وَعزَّتى وجلالى وعظمتى ما خلقتُ خلقاً أحسن منك ، بك آخذ وبك أعطى » ، وقال أهل الكلام : هو معارف يجمعها الله تعالى فى قلب عبده إذا أخذه بالتكليف يُحَسِّن له بها الحسن ويقبّح القبيح . وإنما سمى عقلا لأنه يَعْقِلُ عن القبيح ، أى يحبس كعِقال الناقة الذى يمنعها أن تَسرَح . وليس تكليف العقلاء كتكليف الجهلاء ، ولا آلة الفريقين فى الأفعال متوازية ، ولا مؤاخذتهما بالأعمال متساوية ، ولذلك قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَاءُ ﴾ [2] ، ولو أُوخذ الجاهلون كما يؤاخذ العالمون لكان ذلك جَوْراً فى القضاء ، وحَيفاً فى الجزاء ، لأن الله تعالى كلَّف كل نفس بحَسَبِ قوّتها ، وأخذها بما جعله فى قُدْرتها . ولو أن أحداً

---

(١) الأنفال ٤٢ .   (٢) فاطر ٢٨ .

غَلِطَ غلطاً جاهلاً بحكمه ، وأخطأ خطأ خارجا عن علمه ، لما تعيَّن عليه حُكْمٌ ، ولا تعلَّق به حَدٌّ . وعلى ذلك ، فمتى كان علم الإنسان أكثرَ من عقله كان حَتفه فى علمه ، أو عقله أكثرَ من علمه أمكنه به جَبْرُ عجزه وإتمام نقصه ؛ وما دبَّر العقلُ شيئاً إلا أقام أَوَدَه وعدل ميْده [1] ، ولا دخل الجهل أمرا إلا حَلَّ نظامه وأحال التئامه .

فقد ثبت أن الفضل فَرْعٌ أصله العقل . ثم تدعو الحاجة مع وجود هذا الأصل إلى بأنٍ يُعْلِي أساسَه ، ويسقى غِرَاسه ، من أدب يُقتبس ، وعلم يُكْتسب ، ورياضة تُصْلِح ، وتوفيق يَلْحق ، فإذا التقى من ذينك فرع وأصل ، واقترن أدب وعقل ، اجتمع بهما قُوَى العقل، ولمع بينهما نور الحزم ، وأمكن رافعَ البناء أن يرتقى ذُروته ، وغارسَ الغرس أن يجتنى ثمرَته . وقد أعطى الله مولانا من العقل البارع ، والفضل الرائع ، بالشاهد الشائع ، والدليل الناصع ، من أخلاق الرِّئاسة المجتمعة فيه ، ومجارى السياسة السائرة عنه ، ما جعل النعمة مقتسمة بين خاصٍّ له بحقِّ الانفراد بها، وعامٍّ لمن سواه بحكم الاشتراك فيها ، لا جرم أنها تَصْغُر على الذِّكر ، وتكبرُ على الفكر ، وتقلّ على الإخبار ، وتجل مع الاختبار ، وتدعو فى تصرف الأحوال إلى الشكر ما بَلَّ ريقٌ فما ، وعلَتْ ساق قدما . فإنه ــ أدام الله تمكينه ــ جَدَّد معالم من الخير دارسة ، وأعاد معاهد من المكرم طامسة ، وردَّ رسوما من العدل دائرة ، وأنهض أقداما من الأمل عاثرة ، وأرانا على العِيان والوِجْدان ما عدمناه على مرِّ الأيام والأزمان ، فقد تعلق به ــ أطال الله بقاءه ــ أهلُ القول بالتناسخ إذْ حَلَّ فيه كلُّ روحٍ زكية ، ونفسٍ كريمة ، وخليقة طاهرة ، وفضيلة ظاهرة ،

---

(١) الأود : العوج . والميد : الميل .

وجُمِعَ به ما كان متفرقا فى الأشخاص المفقودة ، من مناقب مذكورة ، ومحاسن مأثورة ، ومساعٍ مشكورة ، ومعَالٍ منشورة :

هنيئاً لك الفخرُ الذى قد مَلَكْتَهُ ... وما لكَ فيـه من قديمٍ وحادثِ

فأنت بما استأنفت أفضلُ كاسبٍ ... وأنت بمـا قدّمت أكرمُ وارثِ

فالحمد لله على أن جعله غُرَّةً للدهر لائحة فى جبينه ، ولُمْعَةً [1] قائمة بتزيينه ، وجُنَّة واقية من صَرْفِه [2] ، وعصمة مانعة من قَصْدِه ، حتى دعاه الداعون دونه فأجابهم ولبَّاهم ، واستجاره المستجيرون منه فأجارهم وآواهم ، وعَرَّض له المُعَرِّضون فَرَفَدَهم [3] وأغناهم ، ولوَّح له الملوِّحون فأعطاهم وأوفاهم ، فطنةً ثاقبة فى المكارم ، وصَرِيمة [4] ماضية فى العزائم ، وإلْفاً لاستعمال الجميل صار عادة ثابتة ، واستمراراً على اصطناع المعروف عاد طبيعة ثانية ، وإيّاه أسأل أن يُسبغ عليه ظِلاً من الحراسة شاملا ، ويُسَوِّغَه فضلا من السعادة كاملا ، ويتولاه فى كل ما أعطاه وأولاه ، بدوام لا ينقطع مَدَدُه ، وتَرَامٍ لا يقف أمده ، بجوده ومجده .

ولما كانت العلوم تُجْلَب إلى أسواقها بحَسَب ما يوجد فيها من نَفاقها ، وتُعْرَض على خُطَّابها بقَدْر ما يلوح فيهم من قَبُولها . وكان هـذا الكتاب الذى شرعنا فى تأليفه وعَملنا على تصنيفه ، محتاجاً إلى كُفءٍ كريم يُزَفُّ إليه زِفاف العروس ، ويُخَلِّدُ ذكره فى بطون الطُّروس ، أدَّانا فَضْلُ الارتيـاد ، وفَرْط الاجتهاد ، إلى الحضرة العالية الكريمة الأحساب ، الراغبة فى أمثال هذه الأسباب ، فهديناه [5]

---

(١) اللمعة من الجسد : بريق لونه .

(٢) الجنة : ما وقى من السلاح . والصرف : النوائب .

(٣) رفدهم : أعطاهم .

(٤) الصريمة : العزيمة .

(٥) هديناه : زففناه .

إليها ، ورجونا نَفاقَهُ عليها ، ومن الله تعالى نستمد التوفيق والتسديد ، وحُسْنَ المعونة والتأييد .

ونحن نبدأ فيما نورده بأخبار أبي الحسن عليّ بن محمد بن الفرات ، لأنه تلا أبا أحمدَ العباس بن الحسن ، ونجعل ذِكر وزاراته الثلاث متَّصلاً غير منقطع ، ومجتمعاً غير مُتقطع ، ونجرى على هذا المثال فى الوزراء الذين تكررت ولاياتُهم ، إذ كان الغرضُ سياقَةَ أخبارهم ومجارى أمورهم إلى غاية مُدَدهم وانقضاء أيامهم ، لا ترتيبَ خُلفائهم وأمرائهم وأوقاتهم وأزمانهم .

على بن محمد بن موسى بن الفرات

أبو الحسن علىّ بن محمد بن موسى بن الفرات ، مولده فى يوم الثلاثاء لخمس ليال خلون من رجب سنة إحدى وأربعين ومائتين ، والطالع [1] القوس ياو ، والزهرة فيه ياو ، والقمر فى الدلو ح بن ، وسهم السعادة فيه ، كد لب ، وزحل راجع فى السرطان ب لح ، والذنب فيه يزمو ، والشمس فى العقرب كه لح ، والمشترى فيه وكا ، وعطارد فيه ح مو ، والمريخ فيه يح يه .

وبنو الفرات من قرية تدعى بابلىّ صَرِيفين ، من النهروان الأعلى ، وكان لهم بها

---

(١) يقسم الفلكيون القدامى وأصحاب الطالع الأبراج إلى اثنى عشر برجا والكواكب إلى سبعة فالكواكب هى : زحل والمشترى والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر . أما الأبراج فهى : الأسد والثور والجدى والجوزاء والحمل والحوت والدلو والسرطان والسنبلة والعقرب والقوس والميزان . ثم يرمزون إلى الدرجات والدقائق بحروف تعادل أرقاما . والقسم الأول منها يعادل الدرجات ، والقسم الثانى يعادل الدقائق . ولهم من وراء ذلك حساب يزعمون أنهم يعرفون به الحظوظ والأحداث . ونجد فى هذا الكلام عشرة رموز توضيحها كما يأتى على التوالى ١١ درجة ٦ دقائق ، ١١ـ٦ ، ٨ـ٥٢ ، ٢٤ـ٣٢ ، ٢ـ٣٨ ، ١٧ـ٤٦ ، ٢٥ـ٣٨ ، ٦ـ٢١ ، ٨ـ٤٦ ، ١٨ ـ ١٥ ـ هذا وحروف الهجاء فى حساب الجمل مرتبة هكذا ا ب ج د ه و ز ح ط ى ك ل م ن س ع ف ص ق ر ش ت ث خ ذ ض ظ غ : تتوالى الآحاد فالعشرات فالمئات على هذا الترتيب ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ ٧ ـ ٨ ـ ٩ ـ ١٠ ـ ٢٠ ـ ٣٠ ـ ٤٠ ـ ٥٠ ـ ٦٠ ـ ٧٠ ـ ٨٠ ـ ٩٠ ـ ١٠٠ ـ ٢٠٠ ـ ٣٠٠ ـ ٤٠٠ ـ ٥٠٠ ـ ٦٠٠ ـ ٧٠٠ ـ ٨٠٠ ـ ٩٠٠ ـ ١٠٠٠ فالألف تقابل الواحد والياء تقابل العشرة والكاف تقابل العشرين والقاف تقابل المائة والراء تقابل المائتين . والغين تقابل الألف ، هذا وبعض الفلكيين الحديثين يسمون برج السنبلة برج العذراء . ويسمون برج الجوزاء برج التوأمين . وزمن البروج فى السنة الشمسية فى النظام الحديث كما يأتى : برج الجدى ١٢/٢٣ ـ ١/٢٠ . برج الدلو ١/٢١ ـ ١٩ ـ ٢ . برج الحوت ٢/٢٠ ـ ٣/٢١ . برج الحمل ٣/٢٢ ـ ٤/٢٠ . برج الثور ٤/٢١ ـ ٥/٢١ . برج الجوزاء أو التوأمين ٥/٢٢ ـ ٢١ ـ ٦ . برج السرطان ٦/٢٢ ـ ٧/٢٣ برج . الأسد ٧/٢٤ ـ ٨/٢٣ برج السنبلة أو العذراء ٨/٢٤ ـ ٢٣ ـ ٩ برج الميزان ٩/٢٤ ـ ١٠/٢٣ برج العقرب ١٠/٢٤ ـ ١١/٢٢ برج القوس ١١/٢٣ ـ ١٢/٢٢ .

أقارب يزيدون على ثلاثمائة نفس . وأول من ساد منهم أبو العباس أحمد بن محمد ابن موسى بن الفرات ، وكان حسن الكتابة ، ظاهر الكفاية خبيراً بالحساب والأعمال، متقدما على أهل زمانه فى هذه الأحوال . فحدث محمد بن أحمد بن أبى الأصبغ قال : ورد علىّ من أبى العباس بن بسطام كتابٌ بالترجمة احتجت إلى عرضه على أبى القاسم عبيد الله بن سليمان [(١)] ، وهو إذ ذاك وزير المعتضد بالله رحمةُ الله عليه ، فحضرت مجلسه ، وفيه أبو أحمد بن يزداد وجعفر بن محمد بن حفص ، وعرضت عليه ما كان ورد ، وأمرنى فى جوابه بما رسم لى كَتْبَه فى مجلسه . فاستدعيتُ دواتى وجلست وراء مِسْنَدِه وتشاغل بمسألة أبى أحمد وابن حفص عن أمور الأعمال والعمال والأموال، فما فيهما من أجابه بما شفاه، فطلب أبا الحسن علىَّ بن محمدٍ بن الفرات وهو محبوس يومئذ مع أبى العباس أحمد أخيه ، وقد لحقتْهما مكاره ، وعُلِّق أبو العباس بحبال فى يديه بقيت آثارها فيهما مدةَ حياته ،وصودر على مائةٍ وعشرين ألف دينار صَحَّ منها ستون ، فجىء به من محبسه يَرْسُفُ فى قيوده ، وعليه جُبَّةٌ دَنِسة وشَعرُه طويل ، فلما مَثُلَ بين يديه قال : اللهَ اللهَ أيها الوزير . وجعل يشكو ما أصابه وأصاب أبا العباس أخاه من المكاره . وفرائصُه تُرْعَد ، فسكَّنه عبيدُ الله بن سليمان وقرّبه ، وأجلسه وخاطبه بما أزال به رَوْعَه وخوفه . ثم خاطبه فى المسألة عن أمر الأعمال والعمال ، فانبسط أبو الحسن انبساط رجلٍ جالسٍ فى الصَّدْر ، وأخذ يقول : « ناحيةُ كذا مَبْلَغُ مالِها كذا ، وقد حُمِل منه كذا وبقى كذا وعاملُها مستقيمُ الطريقةِ ، وناحيةُ كذا على صورة كذا ، وعاملها غيرُ مُضْطَلِعٍ بها وينبغى أن يُسْتَبْدل به فيها . وناحيةُ كذا على حال كذا ، وعاملها ضعيف وينبغى أن يُشَدَّ بمشارِكٍ أو مشارف [(٢)] » .

---

(١) توفى سنة ٢٨٨ انظر الطبرى وابن الأثير حوادث سنة ٢٨٨ .
(٢) المشارف : من يطلع على الأمور من علو أو قرب .

حتى أتى على أمور الدنيا . قال ابن أبى الأصبغ : فاطّلعت فرأيت وجه عبيد الله يتهلّلُ ، ثم قال له : اعتزل واعمل لنا عملا يشتمل على جميع ما ذكرته لى مخاطبةً . واعتزل معه أبو عيسى محمد بن سعيد الدينارى وأملى عليه ذلك وأحضره الثَّبَتَ به[١] . ثم سأله فى أمره وأمر أبى العباس أخيه ، وذكر له عظيمَ ما حَلَّ بهما ونيل منهما ، فتقدَّم بفكِّ قيودهما والتوسعةِ عليهما ، ووعده بمسألة المعتضد بالله فى بابهما والتلطُّف فى استخلاصهما ، وصَرَفَه إلى موضعه . وقال لأبى أحمد بن يزداد وجعفر بن محمد ابن حفص : قوما إلى دواوينكما . والتفت إلى من كان بين يديه وقال : أرأيتم مثل ابن الفرات ومثل كُتَّابى الذين صرفوه ؟ ! والله لأخاطبنَّ الخليفة فى العفو عن أبى الحسن وأبى العباس وأستعينَنَّ بهما ، فإنه لا عِوض للسلطان عنهما .

ومضت أيام وخاطب فى معناها واستوهبهما واستعملهما .

وحدث أبو الفضل بن عبد الحميد الكاتب قال : لما تَوَلَّى أبو القاسم عبيد الله ابن سليمان وزارة المعتضد بالله رحمة الله عليه ــ والدنيا مُنْغلِقة[٢] بالخوارج ، والأطماع مستحكمة من جميع الجوانب ، والموادُّ قاصرة ، والأموال معدومة ، وقد استخرج إسماعيل بن بُلْبُل خراج السَّوادِ لسنتين فى سنة ، وليس فى الخزائن موجودٌ من مالٍ ولا صِيَاغة ــ احتاج فى كل يوم إلى ما لا بُدَّ منه من النفقات إلى سبعة آلاف دينار ، وتعذّر عليه قيامُ وجْهِها ، وقال لى يوما وهو فى مجلسه من دار المعتضد بالله : يا أبا الفضل قد وردْنا على دنيا خرابٍ مُسْتغْلِقة ، وبيوت مالٍ فارغة ، وابتداء عَقْدِ لخليفةٍ جديدِ الأمْرِ ، وبيننا وبين الافتتاح مُدَّة ، ولا بدّ لى فى كل يوم من سبعة آلاف دينار لنفقات الحضْرة على غاية الاقتصار والتجزئة ،

---

(١) الثبت : الحجة والبرهان .

(٢) منغلقة ، يكنى بها عن عسرها .

فإن كنتَ تعرف وجْهاً تُعينني به فأُحِبُّ أن ترشدنى إليه ـ وكنت أعرف منها وجوها بالنِّصْف ـ فقلت وأنا أحب تخليص بنى الفرات : إن أردتَ أن أُحَصِّل لك ذلك وزيادةً فأطلِقْ ابنَى الفرات واستعملهما . قال : فنهض ودخل على المعتضد بالله وعرَّفه الصورة وقال : أنا بعيدُ العهد بالعمل ، وابنا الفرات قد خَبَرَا الأعمال ووجوهَ الأموال ، وعندهما من عِلْمِ ذاك ما يُحْتاج إليهما فيه. فقال له المعتضد : وكيف تَصْلُحُ لنا نِيّاتُهما وقد استفسدناهما وأسأنا إليهما وصادَرْناهما ؟ فقال له : إذا أردت أن تصطنعهما وتستصلحهما صَلَحَا ونَصَحَا . فقال له المعتضد : ربما اجتمعا عليك وأفسدا بينى وبينك ، والأمر فى حبسهما وإطلاقهما إليك . فخرج وعرَّفنى ما جرى ، وأحضر أبا العباس وأدناه وقال له : قد استوهبتك وعَمِلت على اصطناعك والاستعانةِ بك ، فكيف تكون ؟ قال : أَبْذُلُ وُسعى فى كل ما قَضَى حَقَّكَ وخفَّف عنك .

وخرج إليه عبيدُ الله بما هو فيه ، وقصَّ عليه أمره فيما يعانيه ، فقال له : يتقدَّمُ الوزير بإحضار أحمد بن محمدٍ الطائىِّ وعلىِّ بن محمد أخِى ـ يعنى أبا الحسن ـ وتُفرِدُنى وإياهما . ففعل عبيد الله ذلك ، واعتزل أبو العباس وأبو الحسن وخاطبا الطائىَّ على أن يُضَمِّناه أعمالَ الكوفة والقصر وباروسْما الأعلى والأسفل وما يجرى مع ذلك ، وقرَّرا معه الضَّمانَ على أن يحمل من ماله فى كلِّ يوم سبعةَ آلاف دينارٍ ، وفى كلِّ شهر ستةَ آلافِ دينار ، وأخذا خطَّه بالتزام الضمان وتصحيح المال على ما تقرَّر من أوقاته ، واستقبلا به فى المياومة يومَهُما ، وفى المشاهرة غدَهُما ، وجاءا إلى عبيد الله فسلَّما إليه الخطّ . فلما وقف عليه استُطِيرَ سرورا ، ودخل إلى المعتضد وعرَّفه ما جرى ، فقال له : قد كنتَ يا عبيدَ الله أعلَمَ منى بهما ، وما يجب إضاعةُ مثلهما .

ووجدت عملا يشتمل على ذِكْرِ أحمد بن محمد الطائيّ وما ضَمِنَه من الأعمال ، وشَرَطه على نفسه من حَمْل مال الضمان مُياوِمةً إلى بيت المال ، وقد شرح فيه وجوهَ خَرْجِ المياومة ، وكانت نُسْخَتُه :

أصلُ ضمان أحمد بن محمد الطائى فى أول أيام المعتضد بالله ـ رحمةُ الله عليه ـ أعمال سَقْى الفُرات ودِجلة وجُوخَى وواسِط وكَسْكَرَ وطَساسِيج نهر بُوق والذِّبَين وكَلْواذَى ونهر بين والرّاذانَين وطريق خُراسان مما شُرِط عليه أداؤه مُيَاوَماً فى بيت المال من الْعَين .

ألفى [١] ألف وخمسمائة ألف وعشرين ألف دينار .

قسط كل شهر من ذلك ـ مائتى ألف وعشرةِ آلاف دينار .

وكل يوم سبعة آلاف دينار .

تفصيل وجوه خَرْج المياومة مما شُرِط فيه ما قرّره المعتضد بالله ـ رحمة الله عليه ـ منه :

أرزاقَ [٢] أصحاب النَّوْبة من الرَّجّالة ومن بِرَسْمهم من البوّابين ومن يجرى مَجْراهم ـ من جُملة ثلاثين ألف دينار فى الشهر ـ ألف دينار . من ذلك البيضان من الجنّابيِّين والبصريِّين وأصحاب المصافِّ بباب العامّة ، ومن على أبواب القوّاد المُفْلِحيّة والديالمة والطَّبَرِيّة والمغاربة ـ ويُفْتَتَح الإعطاء فى مجلسهم بنحو مائة رجل من البوابين ـ سبعمائة دينار .

---

(١) مجرور على أنه بدل من الضمير فى أداؤه ، وهكذا كل ما يأتى فهو بدل منه حتى يتفق ذلك مع كل ما أتى فى الأصل بالجر أى أداء ألفى ألف وأداء قسط كل شهر من ذلك أداء مائتى ألف .

(٢) نصب على أنه بدل من الضمير الذى فى محل نصب فى قرره ، أى قرر أرزاق أصحاب النوبة . . . ألف دينار .

السودان ــ وأكثرهم مماليك الناصر رحمه الله من زَغاوة ونُوبة ابتيعوا من مصر ومكة . ومنهم الزنج العجم المستأمنة من عسكر الخارجى بالبصرة ممن كان صبر معه وألقى نفسه عليه عند قتاله ، وهم غُتْمٌ [(١)] قُحٌّ يأكلون لحوم الناس والبهائم الميتة ، وقد عوقبوا على ذلك فلم يرجعوا ، وكانوا منفردين لا يختلطون بالبيضان . ومن رَسْمُهم أن ينوبوا فى مصافٍّ باب الخاصة وحوالى القصر ، ولهم وظيفة خُبْز يميزون بها لقلة رزقهم ــ فى اليوم ثلاثمائة دينار .

أرزاق الغلمان الذين أعتقهم الناصر رحمه الله ــ ويعرفون بالغِلْمان الخاصَّة ، وقد كان أضافهم فى الجريد [(٢)] إلى الأحرار الذين أيام شهرهم خمسون يوما ليكونوا مختلطين بالقُوَّاد والموالى ، فلا يُقَدِّرون أنهم مُفَضَّلون عليهم فى زيادةِ رِزْقٍ أو نقصان مدةٍ ، وكانت أيامُ شهرهم فى القديم أربعين يوما فأساءوا الأدب فى بعض الأوقات فى مطالبةٍ كانت منهم ، فحلَفَ أن يجعل أيام شهرهم خمسين يوما ، وفعل وجرى الأمر على ذلك . فلما قام المعتضد بالله نقَلهم إلى جملة الأحرار وجعل أيام شهرهم ستين يوما ، وفيهم حاجبه وخلفاء الحجاب وعدَّتهم خمسةٌ وعشرون رجلا ، خمسة ملازمون وعشرون نوبتيّون [(٣)] . فإذا وقع سفر قريب أو بعيد أمر جميعهم بالملازمة الدائمة فى المَضْرِب [(٤)] والمَوْكِب ، وكان لهم دوابٌّ فى الإصطبل فأُسقطت عُلوفتها من مال الطَّمَع [(٥)] من جملة ستين ألف دينار فى الشهر ــ ألف دينار [(٦)] .

---

(١) الغتم جمع أغتم وهو من فيه عجمة ولا يفصح فى كلامه .
(٢) الجريد جمع جريدة وهى هنا الصحيفة التى يكتب عليها
(٣) نسبة الى النوبة بمعنى أنهم يتناوبون . والنسبة غير قياسية
(٤) يراد بالمضرب هنا موضع الإقامة (٥) الطمع من معانيه رزق الجند
(٦) يلاحظ أن شهرهم مدته ستون يوما فى كل يوم ألف فهو ستون ألفا والمراد بشهرهم هو المدة التى يعطون فيها مرتبهم .

فأما مماليك المعتضد بالله فإنه رتّب أمرهم على المُقام فى القصر والحُجَر تحت مراعاة الخدم الأُستاذين ، وسمّاهم الحُجْرِيّة ومنعهم من الخروج والركوب إلا مع خلفاء الأُستاذين .

أرزاق الفرسان من الأحرار والمميَّزين الذين كانت أيام شهرهم خمسين فجعلت تسعين [(١)] — ونسبوا عند ذلك إلى التسعينية . وكان المعتضد بالله عرض جمهور الجند فى الميدان الصغير الذى فيه دار الأزَج [(٢)] والأربعينى والمقاصير والسجون ، وجلس لذاك فى مجالس وخَوَرْنَقَات [(٣)] على ظهور المجالس والأَروقة التى تلى بركة السباع ، ويُرْتَقى إليها من درجة فى حجرة كانت هناك للوضوء ، ولم يكن بدخل الدار الحسنيّة يومئذ إلا الخدمُ برَسْم الخدمة ، وعبيد الله بن سليمان وبدْر وراشد ومَنْ رَسْمه أن يُغْلِق أبواب البستان فى الصَّحْن الحسنىّ ، ويقف القواد والغلمان بين يديه فى الميدان ، ويجلس كُتّاب العطاء أسْفَلَ بحيث لا يراهم ، ويتقدّم القائد ومعه جَريدةٌ بأسماء أصحابه وأرزاقهم فيأخذها خادمٌ منه ويَصْعد بها إلى المعتضد بالله ، ويدعو عُبَيْدُ الله بن سليمانَ بواحدٍ واحد ممن فيها ، فيدخُل الميدان ويُمْتحن على البِرْجاس [(٤)] ، فإن كان يَرْمى رمياً جيّدا . وهو مُتَمكّن من نفسه ، ومستقرٌّ فى سَرْجه ومصيبٌ أو مقاربٌ فى رميه ، عُلِّم على اسمه ج وهى علامة الجيد ، ومن كان دون ذلك عُلِّم على اسمه ط وهى علامة المتوسط ، ومن كان متخلفًا لا يُحْسن أن يَرْكبَ فرسه أو يرمىَ هَدَفه عُلِّم على اسمه د وهى علامة الدُّون . ثم يُحْمَلُ بعد

---

(١) تكملة الكلام . تأتى وهى : قسط كل يوم من تسعين يوما ألف وخمسمائة دينار .
(٢) الأزج : البيت يبنى طولا ، ولعله يريد بذلك أن هذا الميدان به بيت مستطيل .
(٣) الخورنق من معانيه : المجلس الذى يأكل فيه الملك ويشرب .
(٤) البرجاس . ضرب من أنواع الفروسية يكون على ظهور الخيل .

العَرْضِ والامتحانِ إلى كُتَّابِ الجيش ليتأمّلوا حِلْيَتَه ، ويُقابلوا بها ماعندهم من صِفَتِه، لئلا يكون دَخيلا أو بَديلا ، فإذا تكامل عَرْضُ أصحابِ القائد دُفِعتْ جريدَتُه التى فيها العلاماتُ بخطِّ المعتضد بالله إلى عبيد الله بن سليمان ليدفعَها من وقتها إلى الكاتب، ويميزَ مافيها من أرباب العلامات ، ويُفرِدَ لكلّ صِنْفٍ منهم جريدةً ، وإذا عمل الكاتبُ من ذاك مايعمله ، قابل عليه بنفسه لئلا يَتِمّ على عبيد الله مغالطةٌ فيه ثم أخَذَ الجرائدَ المبيَّضاتِ المُجَرَّداتِ وسَلَّمَ إلى عبيد الله ذاتَ العلاماتِ ، وكلُّ هذا من غير أن يَعْلَمَ القائدُ وأصحابُه بما يَجْرِى منه ، ثم يُخْرِج كلَّ جريدة إلى مجلس قد أُفرِد لذلك الصنف ، وجَعَلَ شهر الذين ارتضاهم وأمضاهم تسعين يوماً ، وسماهم عسكرَ الخاصة . وضم المتوسطين إلى بدر ليكونوا فى شِحْنَة[١] طريق خُراسان والأنبار وزاذانَ وَدَقُوقا وخانيجار ، ودعاهم عسكر الخِدْمة ، وجعل أيام شهرهم مائةً وعشرين يوماً ، وأمر عبيدَ الله بن سليمان بأن يَرْسِمَ الطبقةَ الدُّونَ بالخروج إلى أعمالِ الخَرَاج للاستحْثَاثِ على حَمْلِ الأموال بعد أن يُسْقِط منهم الرَّاضَة[٢] والأثبات[٣] المشاكلين للرَّعِيَّة ، وأن يُسَبِّبَ[٤] أموالهم على النواحى فى دفعتين من السنة ، ويوفِّر عليهم مَرَافِقَ المُسْقَطين ومنافعهم ومكاسبهم ، ويجعل منهم من يكون مع أصحاب المعاون[٥] ببغداد وواسط والكوفة ، وأمضى من أرزاق التسعينية المختارين ما كان لهم فى أيام الناصر ، وأسقط ثمن قَضِيم[٦] دوابهم وعلوفتهم ، وهو للدابة فى كل خمسة

---

(١) الشحنة : من أقامهم الملك بضبط المكان

(٢) الراضة جمع رائض وهو من يذلل الخيل ويعلمها السير

(٣) الأثبات : الموثوق بهم

(٤) سبب الأمر كان سبباً له وفى الأصل بأموالهم . ويراد أن يجعل أرزاقهم مفروضة على الجهات التى يذهبون إليها بحيث تكون على دفعتين فى السنة

(٥) أصحاب المعاون هم المرتبون لتقويم أمور العامة أو من يساعدون القضاة والحكام .

(٦) القضيم يراد به الشعير .

وثلاثين يوماً أربعةُ دنانير ، وللبغـل ثلاثةُ دنانير ونصفٌ ، وللحمار برسم الرَّجّالة ديناران ، وأسقط من ثمن جِراياتهم ووظائفهم نصفَ وربْعَ دينـار فى كل شهر ، فبلغ مال من أمضى من هؤلاء التسعينية مائةً وخمسةً وثلاثين ألف دينـار فى كُلِّ طَمَعٍ — قِسْطُ كل يوم من تسعين يوماً ألفٌ وخمسُمائةِ دينار .

أرزاق المختارين الذين انتخبهم من كل قيادة ، وكان عَرَفهم بالشهامة والشجاعة من المماليك الناصِرية[1] والبُغَائية والمَسْرورية والبَـكْجُوريَّة واليانِسِيَّة والمفلِحِيَّة والأزكوتـكينِيَّةِ والـكيغلغيَّـة والـكُنْدَاجِيَّـة واستخلصهم لمواكبه وملازمةِ داره ، والدخولِ أوقاتَ جلوسه ، والمُقَامِ من أول النهـار إلى آخره ، ورسم رشيقا القارئ لمراعاة أمورهم وتَنَجُّزِ حوائجهم واستخدامِهم ، وجعـل أيام شهرهم سبعين يوماً من جملة مال طَمَعِهم ، وهو اثنان وأربعون ألف دينار ، بقسطِ كلِّ يوم ستمائةِ دينار .

أرزاق الفرسان المثبتين فى أيامه ، والمميَّزين ممن ضمَّ إلى بدرٍ من عسكر الخدمة على ماتقدم من ذكره ، وأيامُ شهرِهم مائةٌ وعشرون يوماً بحسب ما كان أوجبه ابنُ أبى دُلَف وصاحِبُ أذربيجان للجبليِّين ، ومالُ طَمَعِهم ستُّون ألف دينار ولـكلِّ يومٍ خمسُمائةِ دينار .

أرزاق سبعـةَ عشرَ صِنْفاً من المرسومين بخدمة الدار والرسائلِ الخاصَّة والقراء وأصحاب الأخبار والمُؤَذِّنين والمَنَجِّمين والفنجاميين والفُرانقيين[2] والأنصار والحرس والمـكوس[3] ، والشيعة والسند وأصحاب الأعلام والبوقِيِّين[4] والمُخَرِّفين والمُضحكين والطبّالين ممن كان برسم النوبة ، فنُقِل إلى المشاهرة التى أيام

---

(١) كل هؤلاء منسوبون إلى أشخاص من المماليك الـكبار السابقين

(٢) الفرانقيون الذين يسعون بالرسائل (٣) الـكلمة غير واضحة النقط

(٤) نسبة إلى البوق أى من ينفخون فى الأبواق .

كل شهر منها ثلاثون يوماً من جملة ثلاثة آلاف وثلثمائة دينار بقسط كلِّ يوم مائةٌ وعشرةُ دنانير .

المرتزقةَ برسم الشُّرطة بمدينة السلام، والخلفاء عليهم، وأصحابَ الأرباعِ والمصالحِ ، والأعوانَ والسجانينَ وأصحابَ الطَّوْفِ والماصرين [١] ، ومن فى جملتهم من الفرسان الذين مُيِّزوا وأُلحقوا بطبقة الدون من المشايخ والمترفين ، ومَنْ هذه سَبيله من الرجَّالة الموكّلين بأبواب المدينة ، وأيامُ شهرهم مائةٌ وعشرون يوماً من جملة ستة آلاف دينار فى المشاهرة ، خمسين ديناراً .

أثمانَ أنزال [٢] الغلمان المماليك الستينية المقدّم ذكرهم مما كان يطلق للخدم الأستاذين [الذين] كانوا عليهم ، والقوادِ المضمومِ بعضهم إليهم ليُقيم كلٌّ متقدِّمٍ الخبزَ واللحمَ لمن فى ناحيته ، ويُوَكِّلَ عليه من يستجيد الإقامةَ لهم ويُطَالب بإدرارها عليهم ، من جملة تسعة آلاف دينار فى الشهر ، ثلاثمائة دينار .

نفقاتِ المطابخ الخاصة والعامة والمخابزِ وأَنزال الحرَم والحشم ومخابز السودان ، من جملة عشرةِ آلاف دينار فى الشهر ، ثلاثمائة وثلاثةً وثلاثين ديناراً وثلثاً ، من ذلك الخاصة ثمانين دينارا ، العامة والأَنْزل مائتين وثلاثةً وخمسين دينارا وثلثاً .

ثمن وظائف شراب الخاصة والعامة وآلاته ونفقات خزائن الكُسْوَةِ والخِلَعِ والطيب وحوائج الوضوء والحمام ، ونفقاتِ خزائن السلاح وما يُرَمُّ من الجواشن [٣] والدروع ويُتخذ من النُّشَّاب والأعلام والمطارد [٤] ، ونفقات خزانة السروج

---

(١) فى الأصل الماصرين هذا والماصر . الحاجزين الشيئين ولعله يريد بهم من يفضون المشاجرات .
(٢) الأنزال جمع نزل وهو ما هيئ للضيف من طعام .
(٣) الجواشن جمع جوشن : زرد يلبس على الصدر
(٤) المطارد جمع مطرد وهو الرمح القصير .

وما يُجدَّد منها ويُصلَح ، ونفقات خزائن الفرش وثمن الخيش والربخ [١] والحصر والستائر والسرادقات وأجور الحمالين والأعوان للسرير وغير ذلك على ما ثبت من تفصيله فى ديوان النفقات ، ويتولى إنفاق جميعهِ المنفقون المرتزقون من جملة ثلاثة آلاف دينار فى الشهر ، ليومٍ مائة دينار .

أرزاق السقائين بالقِرَب فى القصر والخزائن والمطابخ والمخابز والدور والحُجر ، والخدم ، [فى] داخل وفى الرحاب ، ولوضوء الخاصّ ، ومن يعمل بالرَّوَايا [٢] على البغال من الاصطبلات الحُرَم والبوابين فى دار العامَّة من جملة مائة وعشرين دينارا فى الشهر ، ليومٍ أربعة دنانير .

أرزاقَ الخاصة ومن يجرى مجراهم من الغلمان والمماليك دون الأكابر الأحرار ، ومن أضيف إليهم من الحشَم القدماء الذين أُقِرُّوا فى دار رَجَاء ، وأَمر مؤنسٌ الخادمُ بألّا يُسْتَخْدَموا فى خدم الدار لئلا يُدِلُّوا [٣] على الغلمان المتعلقين بالناصر رحمه الله بقديم حُرْمتهم ، ولأنه لا معرفة لهم برسوم الخلافة ، وأُجروا فى المشاهرة على خمسة وأربعين يوما على ما قرره الناصر عنايةً بهم ورعاية لهم ، ولما ابتاع المعتضد بالله الأتراكَ العجمَ ورتَّبهم فى الحجَر لم يُلْحِقهم بهم ، بل جعل أيام شهرهم خمسين يوما ، ورسم للأصاغر خمسةَ دنانير وللأكابر عشرة دنانير ، وزادهم بعد سنتين دينارين فسموا الاثنى عشريّة . فلما تقلّد المكتفى بالله وأشفق من أن يميلوا إلى بَدْرٍ ، وكان إذ ذاك بفارس ، ألحق من كان له سبعةُ دنانير بالاثنى عشرية ، وقرّر مالَ الأكابر على ستةَ عشرَ دينارا وجرى الأمر على ذلك إلى آخر أيامه ، فلما تفرد الوزراء

(١) فى الأصل الربخ ، هذا والربيخ واحد الربخ وهو القتب الضخم ، ويرى أميد روز : أنه الدبخ .

(٢) الروايا جمع الراوية ومن معانيها : المزادة تكون من ثلاثة جلود يحمل فيها الماء .

(٣) لئلا يدلوا أى لئلا يظهروا الدلال ويجترئوا عليهم .

بالتدبير صار قسط كل يوم من مال الخدم مائة وسبعة وستين دينارا .

أرزاق الحشم الذين شهرُهم خمسون يوما من المستخدمين فى شراب العامة وخزائن الكسوة ، والصُنَّاع من الصاغة والخياطين والقصّارين [١] والأساكفة والحدادين والرفائين والفرائين والمُطرِّزين والنجّادين والورّاقين والعطّارين والمشهّرين [٢] والنجارين والخراطين والأسفاطيين [٣] وغيرهم ، ومن فى خزانة السلاح من الخُزّان والصُنّاع وفى خزانة السُروج من مثل ذلك — ولكلٍّ خِزانة وطائفةٍ صَكٌّ مُفرد يكتب من الديوان — من جملة ثلاثة آلاف دينار فى الشهر ، ليومٍ مائة دينار .

أرزاق الحُرَم صانهُنَّ الله من جملة ثلاثة آلاف دينار ، ليومٍ مائة دينار .

ثمنَ عُلُوفة الكُراع [٤] فى الإصطبلات الخمسة وهى : إصطبل الخاص و يشتمل على الخيل والحجورة [٥] والشّهارى والبراذين و بغال السروج والقباب والهوادج والفردات والحمير . و إصطبل العامة وفيه دواب الخدم والغلمان والتفاريق والبازياريين . و إصطبل الدواب والحمليّات وما يَرِد من المروج من المهارةِ المحرّمة و يبتاع و يهدى ، وفيه يُرْتبط ما يحتاج إلى العلاج والمراعاة ، وما يرد من الأسفار وفيه عَقْرٌ وغَمْزٌ . و إصطبل لبغال الأثقال وحَمْل العلُوفات . و إصطبل بقصر الطين فى الشّمّاسيّة لِمبَارِكَ الإبل والجمّازات [٦] — وكان المعتضد بالله يعرض ما فى هذه

(١) القصارون هم محورو الثياب ومبيضوها .
(٢) لعلها محرفة أيضاً عن المجمرين أى المبخرين بالطيب أو لعلها تكون المبخرين .
(٣) نسبة إلى جمع السفط وهو ما يعبأ فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء .
(٤) الكراع من معانيه أنه يطلق على الخيل والبغال والحمير .
(٥) الحجورة : جمع حجر وهى الأنثى من الخيل . والشهارى نوع من البرازين .
(٦) الجماز هو السريع الجرى ويوصف به الحمار .

الإصطبلات فى كل شهر – إلا ما كان من الخاص فإنه جعله قريبا منه ومشدودا فى الأواخى [1] بين يديه – وفى الميدان والرياضة والكدّ متّصلاً عليه ، ومتى أحْمَدَ قيام من يقلّده شيئا من ذاك زاده فى رزقه ، ومن اطّلع منه على تقصيرٍ أو إضاعة صرَفه واستبدل به . ثم جمع النظر فى هذه الإصطبلات للنوشجانىّ لكفايته وثقته – وأثمانَ كسوة الدواب وآلاتها وأدويتها وعلاجاتها وأجور الساسة والمُكاريّة والرّاضة والبياطرة والوكلاء وغيرهم ، من جملة اثنى عشرَ ألف دينار فى الشهر ، ليومٍ أربعمائة دينار .

ما يصرف فى ثمن الكُرَاع والإبل وما يبتاع من الخيل الموصوفة فى أحياء العرب ويستبدل به إذا عَطِب فى العمل من جملة ألفى دينار فى الشهر ، ليومٍ ستةً وستين دينارا وثلثى دينار .

أرزاقَ المطبخيّين فى كل شهر أيّامه خمسون يوما من جملة ألفٍ وخمسمائة دينار فى الشهر ، ليوم ثلاثين دينارا .

أرزاقَ الفراشين والمجلسيّين وخُزّان الفرش وخزان الشمع وأجرةَ الأعوان والحمالين فيها ، فى كل شهر أيامه خمسون يوما ، من جملة ألف وخمسمائة دينار ، ثلاثين دينارا .

ثمن الشمع والزيت من جملة مائتى دينار فى الشهر ، ليومٍ ستة دنانير وثلثى دينار .

أرزاقَ أصحاب الرِّكَاب [2] والجنائب والسروج ومن يخدم فى دوابِّ البريد من جملة مائة وخمسين دينارا فى الشهر ، ليومٍ خمسة دنانير .

---

(١) الأواخى جمع أخية وهو حبل يدفن فى الأرض مثنيا فيبرز منه شبه حلقة تشد فيها الدابة .
(٢) الركاب هى الإبل .

أرزاقَ الجلساء وأكابر المُلْهين ومن كان يجرى مَجْراهم فى الجلوس إذا حضر ، مثل أبى العلاء القاسم بن زَرْزَرَ وَوَرَّاد وأبى عيسى ، وأيامُ شهرهم خمسةٌ وأربعون يوما أسوةً بالخدم ، من جملة ألفى دينار ، ليوم أربعة وأربعين دينارا وثلثا .

أرزاقَ جماعة من رؤساء المُتَطَبِّبين وتلامِذَتِهم الملازمين ، مع ثلاثين ديناراً لثمن الأدوية فى خِزَانة تكون فى القصر ، من جملةِ سبعمائة دينار ، ليوم ثلاثةً وعشرين دينارا وثلثا .

أرزاق أصحاب الصيد من البازياريين [(١)] والفهَّادين والكلاَّبين والصقَّارين والصيادين ، وثمن الطُّعم والعلاج للجوارح وأصحاب الحراب والسبَّاعين وأصحاب الشِّباك واللبابيد والفخَّالين ومن معهم من الأعوان والحمالين وأصحاب المرور وغيرهم ، فى كل شهر أيامه خمسةٌ وثلاثون يوما من جملة ألفين وخمسمائة دينار فى الشهر ، ومع القسط من خمسين دينارا لتجديد آلاتها ، سبعين دينارا .

أرزاقَ المَلَّاحين فى الطَّيارَات [(٢)] والشذاءات والشُّمَيْرِيَّاتِ والحرَّاقات والزَّلالات وزواريق المعابر ، من جملةِ خمسمائة دينارٍ فى كل شهر ، ستة عشر ديناراً وثلثى دينار .

ثمن النِّفط والمُشَاقَة [(٣)] للنَّفاطَات [(٤)] والمشاعل ، وأجرة الرجال فى خدمتها ، من جملة مائة وعشرين ديناراً ، أربعة دنانير .

الصدقةَ التى تُحْضر فى كل يوم عند صلاةِ الصبح فى خِرْقةٍ سوداء ، على ما كان الناصر رحمه الله رَسمه . وأمر المعتضدُ بالله ، رحمه الله ، بعده بتفرقته على من

---

(١) هم حملة البزاة .
(٢) هى ومابعدها أنواع من السفن
(٣) المشاقة : القطعة من القطن ونحوه
(٤) النفاطة بتشديد الفاء وتخفيفها : نوع من السرج يستضاء به .

فى قصر الرُّصافة من الحُرَم المحتاجات من قيمة مائتى درهمٍ مُحَدَّداً ، فى كل يوم خمسة عشر ديناراً .

جاريَ أولادِ المتوكل على الله وأولادِهم رجالًا ونساء من جملة ألف دينار فى الشهر ، ثلاثةً وثلاثين ديناراً وثلث دينار .

جاريَ ولد الواثق والمهتدى بالله والمستعين وسائر أولاد الخلفاء ، ومن فى قصر أم حبيب ، من جملة خمسمائة دينار فى الشهر ، ستةَ عشر ديناراً وثلثى دينار .

جاريَ ولدالناصر رحمه الله عبدِالواحد وأخواتِه من جملة خمسمائة دينار فى الشهر ، ستةَ عشر ديناراً وثلثى دينار .

أرزاقَ مشايخ الهاشميين وأصحاب المراتب والخطباء فى المساجد الجامعة بمدينة السلام خاصّة من جملةِ ستمائة دينار فى الشهر ، عشرين ديناراً .

جاريَ جُمهورِ بنى هاشمٍ من العباسيين والطالبيِّين مما كان الناصرُ رحمه الله قرَّره لهم من ذلك ، وأوجبه لكلٍّ من أولادهم ذكورهم وإناثهم حساباً لكل واحد فى كلِّ شهر دينارٌ ، وأمر بإطلاقه من ارتفاعَ[1] ضيعته المعروفة بنهر الموفَّق ، واقتصر المعتضد بالله — رحمه الله — بهم منه على ربع دينار فى كل شهر ، وكانت عِدَّتهم بالحضرة أربعة آلاف نفس ، من جملة ألف دينار فى كل شهر ، ليومٍ ثلاثةً وثلاثين ديناراً وثلثاً .

أرزاقَ عبيد الله بن سليمان مع خمسمائة دينار للقاسم ابنهِ برسم العَرْض بالحضرة وكتابةِ بدرٍ على الجيش من جملة ألف وخمسمائة دينار مشاهرةً ، ليوم ثلاثةً وثلاثين ديناراً وثلثاً وقَبَضَ ذلك سنتين إلى أن عَمُرَتْ ضيعته المردودة عليه ثم وَفَّرَه

(١) يراد بالارتفاع الإيراد والضريبة .

وحَمَل من فاضل ارتفاع الضيعة مائتى ألف دينار فى كل سنة .

أرزاقَ أكابر الكتاب وأصحاب الدواوين والخُزّان والبوابين والمُديرين والأعوان وسائر من فى الدواوين ؛ وثمن الصحف والقراطيس والكاغِد ـ سوى كُتَّاب دواوين الإعطاء وخُلفائهم على مجالس التَّفرِقة وأصحابِهم وأعوانهم وخُزَّانِ بيت المال ، فإنهم يأخذون أرزاقهم بما يوفرونه من أموال الساقطين وغُرْم المُخلِّين بدوابِّهم ، من جملة أربعة آلاف دينار وسبعمائة فى الشهر ، مائةً وستةً وخمسين ديناراً وثلثين .

جارىَ إسحاق بن إبراهيم القاضى وخليفته يوسفَ بن يعقوب والدِ أبى عُمر وأولادِهما وعشرة نفرٍ من الفقهاء ، من جملةِ خمسمائةِ دينارٍ فى الشهر ، ليومٍ ستةَ عشر ديناراً وثلثى دينار .

جارىَ المؤذنين فى المسجدَيْن الجامعين والمكبِّرين والقُوّام والأئمة والبوّابين وثمن الزيت للمصابيح والحصْر والبوَارِى[1] والماء والخلوق[2] ، وثمن الستائر فى الصيف والحِبَاب[3] والخزف والعِمارة فى شهر رمضان من جملة مائة دينار فى كل شهر ، ثلاثةَ دنانير وثلثاً .

نفقاتِ السجون وثمن أوقاتِ المُحَبَّسين ومائهم وسائرِ مُؤنهم فى جملة ألف دينار وخمسمائة دينار فى الشهر ، خمسين ديناراً .

نفقات الجِسْرَيْن وثمنَ مايُبدل من سفنهما والقُلوس[4] وأرزاق الجسّارين من جملة ثلثمائة دينار فى الشهر ، عشرة دنانير .

نفقاتِ البيمارستان الصاعدى ـ ولم يكن يومئذ غيرُه ـ وأرزاق المتطبِّبين

---

(١) البوارى تشبه الحصر (٢) الخلوق مايتطيب به
(٣) الحباب جمع حب وهو الجرة الكبيرة. (٤) القلوس جمع قلس وهو حبل للسفينة ضخم.

والمَثَّانين [١] والـكحَّالين ومن يخـدم المغلوبين على عقولهم والبوابين والخبَّازين وغيرهم وأثمان الطعام والأشربة من جمـلة أربعمائة وخمسين ديناراً فى الشهر ، خمسةَ عشر ديناراً .

فتلك النفقةُ كلَّ يومٍ على ما بُيِّن من وجوهها سبعةُ آلاف دينار .

وأجرى الأمر على هذا سنتين . ثم أمرَ عبيدَ الله بن سليمان وبدراً بألَّا يحضُرا ولا أحدٌ من القواد والأولياء الدارَ فى يَوْمى الجمعة والثلاثاء لحاجة الناس فى وسط الأسبوع إلى الراحة والنظر فى أمورهم والتشاغل بمـا يخصهم ، ولأن يومَ الجمعة يوم صلاة وكان يُحبُّه لأن مؤدِّبَه كان يصرفه فيه عن مكتبه . وتقدم إلى عبيد الله بأن يجلس فى يوم الجمعة للمظالم العامة ، وإلى بَدْر بأن يجلس للمظالم الخاصة ، ومنع من أن يُفتحَ فى هذين اليومين ديوانٌ أو يُخْرَج شىءٌ إلى مجلس التفرقة على الجيش خاصّة ، فوفر من مالها أربعةَ آلاف دينارٍ وسبعمائة دينار وسبعين دينارا ، منها : مال النوبة ألف دينار ، المماليك ألف دينار ، التسعينية ألف وخمسمائة دينار ، المختارين ستمائة دينار ، الجبليين خمسمائة دينار ، أصناف خدم الدار مائة وعشرين دينارا ، شحنة الشرطة خمسين دينارا ، يكون ذلك لثمانيـة أيام فى كل شهر ثمانيـة وثلاثين ألفاً ومائةً وستين ديناراً ، ولسنة أربعمائة وسبعةً وخمسين ألف دينـار ، وتسعمائة وعشرين دينارا .

وَرَسَم أن يُحمل هـذا المُوَفَّر إلى مؤنس الخادمِ ليجعله فى بيت مال الخاصة ليُصْرَف فيما يُحتاج إليه من نفقات الموسم وَمن يخرج فى الغزوات الصائفة ونفقات الأبنية والمَرَمَّات والحوادث والمُلِمَّات والرسل الواردين والفِداء .

(١) من يقومون على مؤنتهم .

[وزارة أبى الحسن الأولى]

وكان أبو الحسن بن الفرات يدّبّر أبا العباس أخاه وينوب عنه إلى أن توفى أبو العباس فتقلّد الأعمال رياسةً . وولى الوزارة ثلاث دفعات فى أيام المقتدر بالله ، فالأولى[1] منها بعد قتل العباس بن الحسن وزوال فتنة عبد الله بن المعتز .

قال أبو الحسن ثابت بن سنان فيما أرّخه من الأخبار .

لما زالت فتنة عبد الله بن المعتز قلّد المقتدرُ بالله مؤنساً الخادمَ الشرطةَ بالحضْرَة مكان ابن عَمْرَوَيه ، وأنفذه إلى أبى الحسن على بن محمد بن الفرات بخاتمه ليُحضِره ويُقلّدَه وزارته ، وكان أبو الحسن مُستتراً عند بعض التُّجّار من جيران داره بِسُوق العَطَش ، فظهر لمؤنسٍ وركب معه إلى دار السلطان، ووصل إلى المقتدر بالله — رحمة الله عليه — فى يوم الأحد لعشرٍ بَقِين من شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين ومائتين ، فخاطبه بما سكّن منه وأعلمه تَعويله فى تدبير الأمور عليه ، وخلع عليه من غدٍ خِلَع الوزارة ، وركب وفى موكبه أبو القاسم غريبُ الخَالُ والحُجّابُ والأمراء والقُوّاد والغلمان وسائرُ الناس حتى صار إلى داره بسوق العطش ، ونظر فى الأمور ورتّب مؤنساً فى المعُونة ، وأمَر جماعةً من القوّاد بِطوْف البلد ليلًا والإيقاع بأهل الدّعَارة ومن يرَوْنه متعرّضاً لنهبِ دارٍ وأخذِ مال ، لأن أصاغرَ الجندِ والعوامّ قد كانوا قصدوا دار العباس ابن الحسن ودوراً اتصلَتْ بها ونَهبوها .

وانتقل أبو الحسن بن الفرات من بعد ذلك إلى ما أقطعه المقتدر بالله إياه من دار سليمان بن وهب بباب المُخَرّم على دِجلة ، وما يجاورها من دار إبراهيم بن سليمان ،

---

(١) انظر كتب التاريخ حوادث ٢٩٦ .

والإصطبلِ الذى كان للسلطان ، والدورِ التى كانت فى يد دَاية المكتفى بالله ، ومساحةُ ذلك مائةُ ألفٍ وثلاثةٌ وسبعون ألفاً وثلثُمائة وستةٌ وأربعون ذراعاً ، وغيَّر ذلك وجدَّده وأنشأ المجالس الجليلة والأبنية الحسنة وعمل للدار مُسنَّاة[١] مشرفة على دجلة ، وأقطعه المقتدر بالله أيضاً الضِّياع التى كان المكتفى بالله أقطعها العباسَ بن الحسن وارتفاعها خمسون ألف دينار ، وأجرى له خمسة آلاف دينار فى كلِّ شهر ، وللمحسِّن والحسينِ والفضلِ أولادِه ألفاً وخمسمائة دينار أثلاثاً بينهم . وسلم إليه عليَّ بن عيسى ومحمَّدَ بن عبدون فاعتقلهما فى دار بذْرٍ اللَّانى ، وقرّر عليهما مصادرةً خفَّفها عن على بن عيسى ، وثقَّلها على محمد بن عَبدون لعداوةٍ كانت بينهما . ثم تكفَّل بتخليصهما وإبعادهما عن الحضرة وقال للمقتدر : إنهما لم يَدْخُلا فى أمر عبدالله بن المعتز ولا حَضَرا داره وقت البَيْعة إلا عن ضرورة ، وأخرج محمد بن عبدون إلى الأهواز ، وعليَّ بن عيسى إلى واسطَ بعد أن أعطى سَوْسناً الحاجبَ خمسة آلاف دينارٍ كَفَّه بها عن ذِكْرِ عليٍّ بن عيسى والإغراء به ، وكتب إلى وكيله بواسط بخِدْمته وإقامةِ ما يحتاج إليه لنفقته ، وأنفذ معه حافظاً من جهته ، ومع محمد بن عبدون خادماً من خَدَم المقتدر بالله ، ووافقه على منعه من مكاتبة أحد أو قراءة كتابه . وجرت أمور أبى الحسن ، والأمورُ فى نظره[٢] ما ليس غرضنا استيفاءه على سياقته ، وإنما نورد أطرافاً منه وما كان منشوراً مما لم تتضمَّن التواريخُ ذِكْرَه .

وكان محمد[٣] بن داود بن الجرّاح قد وَزَرَ لعبد الله بن المعتز ودبّره . فلما انتَقَض أمرُه استتر وأخفى شخصَه . وذكر أبو الحسن بن سنان أن موسى

---

(١) المسناة : مايبنى فى وجه السيل أو تحبس به المياه

(٢) لعله يريد : والأمور — فى إشرافه عليها — شىء ليس غرضنا استيفاءه .

(٣) انظر تجارب الأمم ٥/١٠ .

ابن عيسى كاتبَ مؤنسٍ الخازن عرض على أبى الحسن بن الفرات رقعة من محمد ابن داود ، فلما قرأها قال : تقول له الاستتار صِناعة وجُرْمُك عظيم ، وأمرك بَعْدُ طَرِىّ . فتوقَّفْ إلى أن تَخْلَقَ القصة ، ثم دعنى فإنى أسوق الأمر إلى أخذ أمان الخليفة لك بخطه والإشهاد عليه فى الوفاء به و إظهارك و بلوغ إيثارك . فلما عاد موسى ابن عيسى إلى محمد بن داود بذلك ارتاب بقول ابن الفرات ، وشك فيه ، وقدَّر أنه على وجه المغالطة والمدافعة ليستمر عليه الاستتارُ والنكبةُ فقال : أى ذنب لى أحتاج معه إلى زيادة فى الاستظهار ومطاولة الانتظار ؟ ! ومضى إلى سوسنٍ الحاجب ، فلما استُؤذن عليه لم يُصَدِّق ، وظَنَّ أنه رسول منـه ، واستثبت حاجبه واستفهمه ، فخرج وعاد وقال : قد حضر هو بنفسه . فعجب من ذلك وأدخله ، وأنهى خبره إلى المقتدر بالله ، فأمره بتسليمه إلى مؤنس الخازن ، فسلّمه إليه ، فقتله وطرحه على باب سقاية حتى أخذه أهلُه ودفنوه ، وعرف أبو الحسن بن الفرات خبره فغمَّه أمره وقال : كان على عداوته لى فاضلا راجحا ومتقدِّما فى الصناعة بارعا ، وقد جرى عليه من القتل صَبراً أمر عظيم .

وحدث [1] أبو عبـد الله زنجى قال : كنت بحضرة أبى الحسن بن الفرات فى أول ما وَزَر إذ كتب إليه صاحب الخبر بحضور رجل يقول : إن عنده نصيحةً لا يذكرها إلا للوزير فاستدعاه وسأله عما عنده ، فأسرَّ إليه بما لم نَقِفْ عليه ، وتقدم إلى العباس الفَرْغانى حاجبِه بأن يُجلسه فى دار العامّة إلى أن يطلبه منه ، ثم أمره بجمع الرجال الذين بِرَسْمه ، ودعا أبا بشر بن فُرجويه وقال له : قد حضر هـذا الرجل المتنصِّح ، وذكر أنه يعرف موضع محمد بن داود ، وأنه بات البارحة عنده ،

(١) تجارب الأمم ٥/١٠ .

والتمس أن يُنْفَذَ معه من يَدُلُّه عليه و يسلمه إليه ، وقد بذلت له ألف دينار عند صحة قوله ، أو نيْلَه بالعقوبة إن كان كاذبا فيه ، فرضى بذلك . فاكتُبْ إلى محمد الساعة أن ينتقل عن موضعه أين كان ، فإننى على إنفاد من يَكْبِسُه و يطلبه . ولم يزل ابن الفرات يحثّ العباس الحاجب فى جَمْع الرجال ، وهو يذكر إنفاذ من يجمعهم على اختلافِ وتباعدِ منازلهم ، و يدفع بالأمر ، إلى أن عاد جوابُ محمد إلى أبى بشر يشكر ما فعله ، و بأنه قد تحوّل من مكانه إلى غيره . فسأل حينئذ العباسَ عمن اجتمع من الرجال فقال : خمسمائة نفر . وأمره بأخذ الرجل وأخذهم وقَصْدِ الموضع الذى يذكره والاحتياطِ عليه من سطوحه وجوانبه ، وكبسه بعد ذلك وتفتيشه ، والقبض على محمد بن داود إن وجده وحَمْله ، و إن لم يجده رَدَّ الرجل معه . فمضى العباس ، وعمل ما رسمه له ابن الفرات ، فلم يصادف أحدا ، وعاد والرجل معه ، وأمر ابنُ الفرات بضربه مائتى سوط على باب العامة ، وشَهْرِه على جمل والنداء عليه [(١)] .
وطالع المقتدر بالله بما فعله فاستصابه . ولما خُلِّيَ الرجل الساعى بمحمد بن داود بعد ما لحقه أعطاه ابن الفرات مائتى دينار وحَذَرَه إلى البصرة وقال لابن فرجويه : ما كذب الرجل فى قوله و إنما عاقبناه على شره .

وكان سوسن [(٢)] الحاجب يدخل مع العباس بن الحسن فى التدبير ، فلما وَزَرَ أبو الحسن بن الفرات لم يجر هذا المجرى ، فثقل عليه ذلك ، وشاع الحديثُ بأن سوسنا قد عَمِل على قتل ابن الفرات فى دار الخلافة وَوَاقَفَ عليه جماعة من الغلمان الْحُجْرِيَّة ، وأشار على المقتدر بالله بإحضار محمد بن عبدون وتقليده الوزارة ، وضَمِنَ عنه استخراج أموالٍ كثيرة من ابن الفرات ، وَنفَذَ بُنَيُّ بن نفيس إلى الأهواز

---

(١) فى تجارب الأمم ٥/١١ أنه نودى عليه : هذا جزاء من يسعى بالباطل .
(٢) تجارب الأمم ٥/١٢ .

على ظاهر يخالف هذا الباطن . وعرف أبو الحسن بن الفرات الصورة بعد حصول نُبَيٍّ بن نفيس بواسط . فتوصّل إلى أن قرر فى نفس المقتدر بالله أن سوسناً كان من أكبر أعضاد عبد الله بن المعتز والداخلين معه فى التدبير عليه ، وإنما قَعَدَ أخيراً عنه لما استحجب عبدُ الله بن المعتز غيره . وأودع صدرَه فيه ما أَذِن له معه بالقبض عليه ، فقبض عليه وقتله سرًّا فى يومه ، وأنفذ إلى محمد بن عبدون من قبض عليه فى طريقه وحمله إلى الحضرة ، فصادره مصادرة مُجَدَّدة ثم سلّمه إلى مؤنس الخادم فقتله .

وعرف أبو الحسن [1] علىٌّ بن عيسى وهو بواسط ما جرى فى أمر محمد ابن عبدون ، فأقلقه وأزعجه ، وكتب إلى ابن الفرات كتاباً يحلف فيه [أنه] على قديم عداوته لمحمد بن عبدون ، إلا أنه مع ذلك لا يدع الصدق عن حاله [2] ، ويقول : إنه لم يكن يسعى على دم نفسه بضمان الوزارة ، وقد كان راضيا بالسلامة بعد فتنة عبد الله بن المعتز ، وإن سوسناً أسماه وذكره بغير معرفته ولا موافقته . وخرج من ذلك إلى أن سأله الإذن له فى المضىِّ إلى مكة ليسلم من الظِّنَّةِ وينسى السلطانُ ذِكْره . فأجابه إلى ما طلبه ، وأخرجه من واسط إلى مكة على طريق البصرة مُرَفَّهاً محروسا . وكان غرضُ على بن عيسى – فيما ذكر محمدَ بن عبدون به – حِراسة نفسه ، فوصَل كتابُه وقد مضى لسبيله .

وكان [3] من جملة الداخلين فى فتنة عبد الله بن المعتز أبو عُمَر محمد بن يوسف القاضى فأُخِذ فيمن أُخِذ وحبس ، وحضر أبوه يوسف وهو شيخ كبير مجلسَ أبى الحسن بن الفرات ، وبكى بين يديه بكاء شديدا ، رقَّ له منه وسأله حراسةَ

---

(١) تجارب الأمم ٥/١٣ . (٢) فى تجارب الأمم : من فعله .
(٣) انظر الفرج بعد الشدة ١/١٠٧ وقصة الإفراج عن أبى عمر القاضى .

نَفْسِ ولده أبى عُمَر والتصدُّقَ عليه به . فقال أبو الحسن : الجنايةُ عظيمة ، ولا يمكنُ تَخْلِيتُه إلا بمـال جليل يُطْمِع الخليفة فيه من جهته . فبذل يوسفُ أن يُفْقِر نفسه وابنـه طلبا لبقائه . وتلطّف ابن الفرات فيما قاله المقتدر بالله وقرّر أمر أبى عمر على مائة ألف دينار ، فأدى منها تسعين ألفا ، من جملتها خمسة وأربعون ألفا كانت عنده للعباس بن الحسن ، وأمره ابن الفرات بعـد ذلك بملازمة داره وألا يخرجَ منهـا لئلا يُجْعَلَ له حديث مجدد .

وكان أبو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد مُدِلًّا على أبى الحسن بن الفرات بمودة بين أسلافه وبين أبى جعفر والد أبى الحسن وأبى العباس عمه ، وباختصاصه هو به ، فوجَّه أبو الحسن الـكتب إلى أصحاب المُعَاوِن فى البيعة لعبد الله بن المعتز بخطه ، فلم يُظْهِر ذلك للمقتدر بالله ولا ذكره ، واعتمد التقـديم له والتنويه به ، وكان [1] سليمان قد تقلد لعلى بن عيسى مجلسَ العامة فى ديوان الخاصة . فقـلده ابن الفرات هـذا الديوان رئاسة . ثم إن سليمان شرع لأبى الحسن بن عبد الحميد فى الوزارة ، وعمل فى ذلك نُسخةً بخطه عن نفسه إلى المقتـدر بالله يسعى فيهـا بابن الفرات وكُتَّابه وضِياعه وأمواله ، وقام ليصلى صلاة المغرب مع جماعة من الـكتاب فسقطت من كمه ، فأخذها الصقر بن محمد الـكاتب ، وكان إلى جانبه ، فحملها إلى ابن الفرات من وقته ، فلما وقف عليها قبض عليه وحدَره فى زورق مُطبق إلى واسط ، وقد أوردنا مستأنفا ما فعله معه بعد ذلك .

ومضى لأبى الحسن بن الفرات فى وزارته هـذه ثلاث سنين وثمانيـة أشهر

---

(١) انظر ابن الأثير حوادث ٢٩٦ وتجارب الأمم ٥/١٥ والفرج بعـد الشدة ١ / ١١٠ ونشوار المحاضرة ٨/١١٥ .

وأربعة عشر يوما ، اختلفت عليه الأمور فيها ، وحدثت الحوادث فى متصرفاتها ومجاريها وحضر عيدُ النَّحْر من سنة تسع وتسعين ومائتين فاحتيج فيه من النفقات إلى ماجرت العادة به ، وكانت المواد قد قَصَّرَت ، والمُؤَن قد تضاعفت ، وطلب من المقتدر بالله أن يُعطيه من بيت مال الخاصة ما يصرفه فى نفقات هـذا العيد ، فمنعه ذلك ، وألزمه القيامَ به من جهته ، فأقام على أنه لا وجه له إلا مما يُمَان به ، ووجد بذلك أعداؤه الطريق إلى الوقيعة فيه .

وركب فى يوم الأربعاء لأربع خلون من ذى الحجة إلى دار الخلافة وهو على غاية السكون والطمأنينة ، وجلس فى الموضع الذى كان يجلس فيه قبل الوصول إلى السلطان ، فقُبِض عليه وعلى محمد بن أحمد الكلوذانى — وكان يكتب بين يديه — وعلى محمود بن صالح وكان معه من أصحابه ، ومضى القواد للقبض على أسبابه [1] وكُتَّابه فقبضوا على عبد الله وأبى نوح ابنى جُبير ، وموسى بن خلف وكان من خواصّه . وصار مؤنس الخادم إلى دار الوزارة فوكّل بها [2] ، وأنفذ يلبقَ إلى دار ابن الفرات بسوق العطش فأحاط عليها . وتَسَرّع الجند والعوام إلى دور أولاده وأهله فنهبوها وأخربوها وأخـذوا ساجَها وسقفوها ، وعظُم الأمر فى النهب حتى ركب أبو القاسم الخالُ بعـد العصر فى القوّاد والغلمان وطَلَبَ النَّهّابة ، وعاقب قوماً منهم ، فقامت الهيبة ، وسكنت الفتنة .

وأُحْضِر أبو على محمد بن عبيـد الله بن خاقان واستُوزِر ، وقَبضَ ما كان لأبى الحسن من الضِّياع والإقطاع والأملاك والعقَار والأموال والغلاَّت ، وصحّ له ما مقـداره ألفُ ألفِ دينارٍ عيناً وستُّمائة ألف دينار سوى الأثاث والرَّحْل

---

(١) أسبابه يراد بهم أتباعه والمتصلون به . (٢) انظر ابن الأثير حوادث ٢٩٩ .

والـكُرَاع [١] والجمال ، ولم يؤخذ من أحد من الوزراء قبله ولا بعده مثلُ ذلك .

ومما حَدَث[٢] قبل القبض عليه أن طَلَع فى شهر رمضان من السنة المذكورة كوكبٌ ذو ذؤابة ، فطلع آخرُ مثلُه فى شوال فى مطلع الهلال ، وطلع ثالثٌ فى ذى القعدة فى مطلع الشمس ، وأكثر الناسُ القولَ فى ذلك وما يحدثه من حادث ، فـكان زوالُ أمر ابن الفرات .

وزارة أبى الحسن الثانية [٣]

لما قُبِض عليه فى اليوم المقدَّم ذِكْرُه من سنة تسع وتسعين ومائتين اعتقل فى بعض الحُجَر من دار الخلافة ، ولم يزل معروف الخبر إلى جمادى الآخرة سنة ثلاثمائة ، فإنه نُقل إلى بعض المواضع المستورة ، وخَفِيَ أمرُه على الناس عامَّة حتى رَجَمت الظُّنون فيه . ثم أُخْرِج تابوت فيه هارون الشارى ـ وقد مات ـ على أنه تابوته ، فزال الشكُّ فى موته ، وصلى عليه أبو الحسن علىُّ بن عيسى ، وظهر بعد ذلك بقاؤه وحياته .

وكان أبو بشر [٤] عبد الله بن فرجويه قد سلم من النـكبة عند القبض على ابن الفرات فى الوزارة الأولى ، وقام على الاستتار مدة وزارة أبى علىّ الخاقانى ووزارة أبى الحسن على بن عيسى . وواصل مكاتبة أبى الحسن بن الفرات فى محبسه على يد سَوْمنة الطبيب [٥] وتعريفه الأمور ، وترددت جواباته إليه بما رسمه له من مكاتبةِ المقتدر بالله عن نفسه بالطعن على أبى الحسن على بن عيسى ووقوفِ الأمر على يده ،

---

(١) الـكراع من معانيه أنه يطلق على الخيل والبغال والحمير .

(٢) المنتظم ٦/١٠٩ وابن الأثير حوادث ٢٩٩ .

(٣) ابن الأثير حوادث ٣٠٤ وتجارب الأمم ٥/٤١ والمنتظم ٦/١٣٨ ، وصلة عريب ٣٢

(٤) راجع تجارب الأمم ٥/٤٣ .

(٥) فى تجارب الأمم على يد عيسى المتطبب .

وتأخُّر أرزاق الجند والحواشي في نَظَره . وكانت رِقاعُه تصل إلى المقتدر بالله فيقفُ عليها ابنَ الفرات فيقرر عنــده صحة ما يذكُرُه ويُورِده ، وَيَهُمُّ [المقتدر] بِصَرْف على بن عيسى ، فإذا شاور مؤنساً فيه منعه منه ، ووصفه بالأمانة والكفاية عنده ، إلى أن أُخْرِجَ مؤنس إلى مصر لمحاربة العَلَوىِّ ، فقام غريبٌ الخال ونصرٌ الحاجب بأمر ابن الفرات [1] قياماً تَمَّ عَلَى علىٍّ بن عيسى الصَّرْفُ معــه . ثم كتب ابن فرجويه رقعة يقول فيها : متى صُرِف علىٌّ بن عيسى وَرُدَّ ابن الفرات أطلق للولَدِ والحُرَم والخدم ومَنْ بالحضرة من الفرسان برسم التفاريق مِثْلَ ما كان يُطْلقه فى وزارته الأولى تماما وإدرارا ، وحمل إلى المقتــدر بالله فى كل يوم ألف دينار وإلى السيدة والأمراء خَمْسمائة دينار . والتمس وقوف ابن الفرات على رقعته وتَعَرُّفَ ما عنده على ما بذله عنه ، فعرضها المقتدرُ بالله عليه فالتزم القيامَ بذلك والوفاء بجميعه وكتب له خَطَّهُ واستقرَّ أمره . وأُطلق فى اليوم الذى قُبض فيه على علىٍّ بن عيسى ، ووصل إلى المقتدر بالله وخاطبه بالجميل ، وقلده النظر فى الأمور ، وخلع عليه خلع الوزارة ، وركب ومعه أبو القاسم غريبٌ الخال وبين يديه الحجابُ والقواد والغلمان ، ونزل فى دار سليمان بن وهب وحضره الناسُ على طبقاتهم للسلام والتهنئة .

وحمل إليه المقتدر مالا وثيابا وطيبا وطعاما وأشربة وثلجا وكذلك السيدة . وأقام فى هــذه الدار ثم نقل الدواوين إليها ، وكتب إلى الأمراء والعمال بخبره وإقرارِهم على أعمالهم . وردَّ المقتدر بالله عليه ما كان قبض عنه وعن أهله وكتابه وأسبابه من الضياع والأملاك ، فارتجع ما كان حصل فى أيدى النــاس القواد

---

(١) فى تجارب الأمم وكان غريب الخال ونصر الحاجب يدفعان عن على بن عيسى لما غاب مؤنس ، فلما تبين لابن فرجويه دفع غريب ونصر عن على بن عيسى كتب رقعــة بخطه إلى المقتدر . . .

وخواص المقتدر من ذاك ، ووقّع بأن يُوغَر [١] حقُّ بيت المال فى جميعه بألف درهم فى كل سنة على استقبال سنة أربع وثلثمائة ، وَوَفَّر جاريَ [٢] الوزارة ولم يأخذه ، وتقدم بِرَدِّ جارى أصحاب الدواوين وكُتَّابهم وكُتَّابه إلى ما كان عليه فى أيامه الأولى فأضعف ذاك ، وصار جارى صاحب ديوان السواد وكتابه مع ثمن الكاغد والقراطيس نحو سبعة آلاف دينار فى كل شهر . وأقطع زيدان التى كانت مُوكَّلة به ضِيَاعاً بنواحى كَسْكر ومستغلاَّتٍ بالبصرة لها ارتفاع وافر ، ووقّع لجماعة من أصحاب السلطان بتسويغات وإقطاع وحَمَالات [٣] ، وبسط يده فى كل ما فعله من ذلك ، وأدرَّ على المقتدر بالله ما كان وعده به ، وللأمراء والسيدةِ من ألفٍ وخمسمائة دينار منسوبة إلى رسم الخريطة ، ونصب ديوانا للمرافق واستوفاها فيه من العمال والمتصرفين كما تُستوفى الحقوق ، وَتَتَبَّعَ ما بقى من ودائعه السالمة فى نكبته ، فارتجع منها خمسمائة ألف دينار .

وقدَّمَ عبدَ الله بن فرجويه وعوَّل عليه ، وتوفَّر على أبى على محمد بن على ابن مقلة ، وأدخله فى أموره وأسراره ، وقلده أعمالا كثيرة ، فكانت مدة أبى الحسن بن الفرات فى اعتقال المقتدر بالله خمس سنين وأربعة أيام .

وكان [٤] عبد الله بن جبير عند مقامه بواسط فى أيام على بن عيسى قد عرف قدر ارتفاعها وما يَتَحصَّل لحامد بن العباس من الفضل فى ضمانها ، فلما عاد إلى بغداد وقد وَزَرَ ابن الفرات عَظَّمَ ذلك عنده .

وكان حامد لما انقضت مدة الضمان الذى عقده الخاقانى عليه أخَّر عن على

---

(١) أوغره مالا : أقطعه إياه . ويريد أنه يتنازل من ماله لبيت المال عن ألف درهم سنويا فبدأ من سنة ٣٠٤ .

(٢) يعنى أنه تنازل عن مرتب الوزارة . (٣) الحمالات الكفالات .

(٤) تجارب الأمم ٥/٥٧ وابن الأثير حوادث ٣٠٦ .

ابن عيسى الوظيفة [١] التى كان يحملها فى كل شهر ، وطالب بتجديد الضمان . وكاتب عليّ بن عيسى بأنه محمول على ما كان تقرَّر معه ومُجْرًى فى الشرائط عليه ، وله على ما فى وثيقته [٢] ، ولم يثبت الكتاب فى الدواوين ، لكن حامداً ركن إليه وعوّل عليه .

واستأذن [٣] عبدُ الله بن جبيرٍ ابنَ الفرات فى مكاتبة حامد بما أخرج عليه [٤] ، فأذن له ، وكاتبه مكاتبة أجاب عنها بالاحتجاج لنفسه ، وتردَّدَ من القول ما بَسَط ابنُ جبير معه لسانه فيه . و بلغه فظنَّ أنه عن مُوَاطأةٍ من ابن الفرات له عليه ، وشرع [٥] فيما يدفع به التأوّلَ عنه .

وكان قسيمٌ الجوهريُّ يشْرِف للسيدة أم المقتدر بالله على ضِياعها بواسط ، و يُكْثِر هناك المُقام ، و يحضُر عند حامد فيَبْسُطه و يتوفَّر عليه ، فوافقه على السِّفارة له فى الوزارة ، وأصعد قسيمٌ وخاطب نصراً الحاجب فى ذلك وأطعمه فى حامد ، وملأ يده منه ، وعرَّفه سعة صدره وسخاء نفسه ، وضمن له عنه تصحيح المال الكثير من ابن الفرات وأسبابه ، وراسل السيدة أيضا .

ووافق هذا القولُ والسعْيُ سوءَ رأى نصرٍ الحاجب فى ابن الفرات ، وخوفه [٦] منه وكثرة الوقيعة فيه ، وقول الناس إنه قد قلَّد وَلَدَه الدواوينَ ، وأقار بَه الأعمالَ وأخذ من ودائعه القديمةِ التى الجُمْلَةَ اتسعت الأقوالُ فيها وكُتُبَه إلى العمال بحَمْل المرافق إلى هارون بن عمران ، و إفراده إياه بذلك و بقَبْضِ أموال المُصالحين والمصادرين وعَدْله بها عن بيت المال . وأن المقتدر بالله طلب من ابن الفرات مالًا لبعض مُهِمٍّ فمنعه منه

---

(١) الوظيفة ما يعين من عمل أو رزق أو مقرر معلوم .

(٢) أى له ما تقرر عليه فى عهده .   (٣) تجارب الأمم ٥/٥٧ .

(٤) فى تجارب الأمم : أن يكاتب حامدا فى بعض ما كان أنهاه إليه من ضمان حامد فأذن له فيه إذنا ضعيفا .

(٥) فى تجارب الأمم : ولشىء قد عرفه من نيته فأنفذ من يسفر فى الوزارة .

(٦) تجارب الأمم ٥/٥٧ .

واعتلّ عليه فيه ، فتم بذلك أمرُ حامد ، وروسل[1] بالإصعاد إلى الحضرة ، وأن يَكْتُبَ على عدة[2] أطيار بخُروجه فى يومه لِيَقْبَضَ على ابن الفرات عند المعرفة بتوَجُّهِه ، فأصْعَد ، وكتب بخبره ، وعرض الكتابَ أبوالقاسم بنُ الحوارى على المقتدر بالله ، فلما وقف[3] عليه أنفذ نصراً الحاجب وشفيعاً المقتدريَّ إلى دار أبى الحسن ابن الفرات حتى قبضا عليه فى وقت العصر من يوم الخميس لثلاث بقين من جمادى الأولى سنة ست وثلثمائة[4] ، وعلى المحسن ابنه وموسى بن خلف وعبد الله بن فرجويه وعيسى بن جبير وسعيد بن إبراهيم التُسْتَرى ودولَةَ أمِّ ولد أبى الحسن بن الفرات والحسنِ ابنِها منه ، وحملا الجماعةَ إلى دار الخلافة . واعتُقِل أبو الحسن وحده عند زيدان والباقون عند نصر الحاجب ، وختم أبو نصر بشرُ بنُ عليٍّ خليفةُ حامد ببغداد على جميع الدواوين . وإنما قُبِض على ابن الفرات فى داره لأن الإرجاف قَوِىَ بِصَرْفِه قُوَّةً استوحش منها كُتَّابه وأصحابه ـ وكان إذا ركب إلى دار السلطان تفرّقوا واستتروا ، وإذا عاد إلى داره ظهروا وحضروا ـ وركب فى أول النهار وهُمْ على الْجُملة من الخوف والإشفاق ، وعاد فعادوا على السكون إلى ذلك .

وكانت مدةُ نظره فى هذه الدفعة سنةً وخمسةَ أشهر وتسعة عشر يوماً .

☆☆☆

ثم وَزَرَ الوزارة الثالثة[5]

وأُخرج من حبسه عند زيدان القهرمانة يوم الخميس لتسع بقين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وثلثمائة ، وخُلِع عليه وعلى أبى أحمد المحسّن ابنه ، وقد كان

(١) المنتظم ٦/١٤٧ (٢) فى تجارب الأمم : على أجنحة الطير

(٣) تجارب الأمم

(٤) انظر ابن الأثير حوادث ٣٠٦ وتجارب الأمم ٥/٥٦ والمنتظم ٦/١٤٧ .

(٥) راجع تجارب الأمم ٥ / ٨٥ وما بعدها وابن الأثير حوادث ٣١١ والمنتظم ٦ / ١٧٣ . وصلة عريب ٥٧ ـ ٦٢

أُفرج عن المحسن من قبلُ وأقام فى منزله ، وركبا إلى داريهما بسوق العطش وجلسا للتهنئة ، وظهر أولادهما وكُتّابهما وحواشيهما وأسبابُهما . فأما حامد[1] فإن أباالحسن ابن الفرات أقره على أعمال واسط بحكم ماشرطه المقتدر بالله عليه فى أمره . وخاطبه بنحوٍ مما خاطب هو على بن عيسى به عند خلافته إياه .

وقد كان أصحاب الدواوين فى وزارة أبى على الخاقانى شرطوا على حامد فى ضمانه الأول لأعمال واسط أن يؤدىَ فى آخر سنِى ضمانه لما يُنْفَق على كَرْىِ[2] الأنهار وحراسة البَزَنْدَاتِ[3] والبُذورِ والمعَاوِن مثلَ ما أنفق وأُطلق فى ذلك فى آخر سنة من سنى الاعتبار عليه ـ وكان نيِّفاً وتسعين ألف دينار ـ ليتولى عُمَّالُ السلطان الإنفاقَ ، وشرطوا له أن يُؤَخِّرَ باعتبار أموال الخراج والضياع الخاصة العباسية ـ ومبلغه مائةٌ وسبعةٌ وخمسون ألف دينار ـ إلى آخر سنى الضمان لتصير الجملة مائتين وخمسين ألف دينار . فما زالت المطالبة بذلك تتأخر مع تجديد الضمان سنة بعد أخرى .

وقلّد أبو الحسن بن الفرات أبا سَهل النوبختىّ أعمالَ المبَارِك ، وأبا العلاء محمد ابن علىٍّ البَزَوفرىّ أعمال الصِّلح والمزارعات ، ووافقهما على مطالبة حامد بالمال المذكور ، فطالبه النوبختى مطالبة الكُتَّاب ، وسلك البزوفرىُّ معه سبيل العنت والإرهاق ، وتبسّط عليه فى المناظرة والخِطاب ، ثم عمل له الأعمال ، وادّعى عليه أنه ابتاع من المزارعات السلطانية بأسافل الصِّلح ضواحىَ الجامدة فى أيام الخاقانى

---

(١) انظر ترجمة حامد بن العباس فى المنتظم ٦/ ١٨٠ استوزره المقتدر سنة ٣٠٦ وتوفى سنة ٣١١ .

(٢) كرى الأنهار هو الحفر فيها ويريد تطهيرها يقال كرى النهر : حفر فيه حفرة جديدة

(٣) البزندات جمع بزند وقد شرحه المؤلف فى أخبار على بن عيسى فقال وتسمى البزندات بمصر جسوراً .

و بعدها ضِيَاعاً جليلة ، وأخرج عليــه من الفضل فيها خمسمائة ألف دينار ، مُــكَثِراً عليه بذلك .

ورأى ابن الفرات تجرُّدَ البزوفرى لما هو متجرِّد له من استعمال القبيح مع حامد وعمل الأعمال فيه ، فـكاتبه وأَحْمَد [1] فَعْلَتَه ، وأنفذ إليه [2] المؤامرات المعمولة بالحضرة له ، وأمره بمطالبته والاستقصاء عليه والابتداء بنفقات المصالح والبزندات والبذور والمعاون هو والنوبختى ، و إنفاقها على عمارةِ سنةِ إحدى عشرة وثلاثمائة .

فأجاب البزوفرى بأن حامدا ليس يَلْتَفت إليه ، ولا يُعْطِى شيئاً من المال ، وقد بدأ بإطلاق ما يريد إطلاقه للمزارعين وأهل البلاد للعمارة المستأنفــة ، وادَّعى شُرُوعَه فى ضمان سنة إحدى عشرة وثلاثمائة ، وأنه غير متمكن منه مع قُوَّته ، وأن معه أربعمائة غلام كبار يَتْبعهم آخرون وسبعمائة رجل ، وأهل البلاد على مَيْلٍ إليه وتعصّبٍ له . فعرض ابن الفرات كتابه على المقتدر بالله ، فأمر مُفْلحا الأسود بإنفاذ مائة غلام من الْحُجرِيَّة ومائةِ راجلٍ من الَمصَافِيَّة إلى واسط للشدّ من البزوفرى و بسط يده . وقال لابن الفرات : اكتب إليه بإثبات خَمْس مائة راجل يستظهر بهم على أمره . ففعل جميع ذلك .

وكتب ابن الفرات [3] إلى البزوفرى يرسم له التوكيل بحامد عنــد وصول من أنفذ إليه ، ومطالبته عاجلا بالمصالح والبذور ، إذ ليس يأذَنُ السلطان فى عقد الضمان مستأنفا عليــه . فأشاع البزوفرى ذلك قبل ورود القوم ، وعرف حامد [4] الخبر فى وقته ، فأظهر ورود كتاب المقتدر بالله عليه بالمبادرة إلى الحضرة ، فضرب البوق

---

(١) أحمد فعلته : عدها حميدة ورضى فعلها وتصرفه فيها .

(٢) انظر تجارب الأمم ٥/٩٤ .

(٣) انظر تجارب الأمم ٥/٩٤ .

(٤) تجارب الأمم ٥/٩٤ .

وأصعد بكُتّابه وحواشيه وغلمانه ورَجّالته ، ومعــه [1] ثيابُه وفَرْشه وآلته بعــد ما أودعه بواسط من ماله ، وسار فى السفن والسُّمَيريّات [2] ، وأنفذ كُراعه على الظَّهْر [3] ، فلم يقدر البزوفرىّ على منعه ولا الاعتراض عليه فى فعله ، لـكنه بادر إلى ابن الفرات بالخبر على الطيور .

فلما عرفه انزعج منه ، وظن أنه عن أصل انطوى [4] عنه ، واستشار [5] المحسن ابنه وخواصّه فيما يدبر الأمر به ، فقالوا تُنْهى إلى المقتدر ما كان منه ، وتستعلم ما عنده فيه . ففعل وقال المقتدر : ما كوتب بشىء مما ادَّعى أنه كوتب به ، وتقرر بينه و بين ابن الفرات إنفاذُ نازوك إلى المدائن فى عدد كثير من الغلمان والرجالة والفرسان للقبض على حامد وأسبابه ، ووقف نازوك على ذلك .

واتصل بحامد انحدارُ نازوك ، فاستتر وترك سُفَنه ومالَه وأصحابه ، ووافى نازوكُ فقبض على ما وجده له وحمله ، وأمر المقتدر بالله بتسليم الحسبانات إلى ابن الفرات ، والـكراع فى الاصطبلات ، وما سوى ذلك إلى الخزائن . ووقَعَ الإرجاف [6] بأن المقتدر بالله كاتب حامدا ينكر عليــه خروجه من واسط على الحال التى خرج عليها ، ورَسَمَ له الاستتار ودخول بغدادَ سرًّا ليردَّه إلى الوزارة ، و يسلم إليه الجماعة ، فأشفق [7] أبو الحسن بن الفرات واستتر المحسّنُ والحسين والحسن أولادُه وحُرَمهم وكتّابهم .

---

(١) فى تجارب الأمم : وخرج من واسط مع جميع كتابه وحاشيته ورجاله وحمل معــه من الفرش والآلات والـكسوة جميع ما كان يخدم به بعــد أن احتاط فى أمواله وأمتعته الفاخرة وأودعها عند ثقاته بواسط .

(٢) السميريات نوع من السفن .

(٣) يعنى أنه أرسل خيله وبغاله وحميره بطريق البر .

(٤) أى عن أمر دبر خفية عنه لا يعلمه .

(٥) تجارب الأمم ٥/٩٥ .

(٦) تجارب الأمم ٥/٩٦

(٧) أشفق من معانيها : خاف وحاذر وحرص .

وكانت سعادة [١] حامد قد انقضت ، ومدته قد انقرضت ، فدعاه المقـدور إلى قصد دار السلطان فى زى الرُّهبان ، واستأذن على نصرٍ الحاجبِ ، فلما دخل ورآه قال له : إلى أين جئت ؟ قال : جئت بكتابك . قال : إلى هاهنا كاتبتك بالمجىء ؟ ولم يقم له ولا وفَّاه حقه ؛ واعتذر إليه بخوفه من سخط الخليفة متى تجاوز به ما وقف عنـده . وراسل نصرٌ مُفلحا الأسود بالخروج إليه ، لأن المقتدر بالله كان عند الُحرم ، فخرج إليه وقال له : قد ورد حامد على ما تراه من هـذه الصورة ، وهو اليوم فى مَوْضِعِ رَحْمَةٍ ، وما أولاك باستعمال الجميل معه . وقال حامدٌ [٢] لمفلح : تقول لأمير المؤمنـين أنا أرضى بأن أُعتقل فى دارك كما اعْتُقِل علىٌّ بن عيسى ، ويناظرنى الوزير والمحسِّنُ والـكتابُ بحضرة القضاة والفقهاء والقوّاد ، فإن وَجَب علىَّ شىء خرجت منه بعد أن أُومَنَ على نفسى ، وَأُمَـكَّن من استيفاء حججى . ويمنع المحسن من مقابلتى على المـكاره التى أوقعتها به فى طاعة أمير المؤمنين ، فإنه شابٌّ وَبَسْطُ يده على مثلى — ممن بلغ إلى مثل سنى ووجب له من الُحرمة ما وجب لى — غيرُ لائق بعادات أمير المؤمنين . فأراه مفلحٌ أنه يفعل ، ودخل إلى المقتدر فأورد عليـه ضد ما قاله ، وتـكلمت السيدة فى أمر حامد وأجابتـه إلى سؤاله . فقال مفلح : متى فعل ذلك لم يتم لابن الفرات أمر مع الأراجيف الواقعة به . فقال له المقتدر بالله : صدقت . وأمره بأن يتقدم إلى نصر بإنفاذ حامد إلى ابن الفرات ، فخرج إليه وعرَّفه مارُسِمَ له . فاستدعى حامد من نصر ثياباً يُغَيِّر بها ما عليه ، فامتنع مفلح من الإذن له فى ذلك ، وقال : قد أمرنى مولانا بإنفاذه عَلى زِيِّه الذى حضر فيه . فلم يزل نصرٌ يشفع له إلى أن أَذن فى تغييره ، وأنفذه مع ابن الزَّنداق [٣] الحاجب .

---

(١) تجارب الأمم ٥/٩٦ . (٢) تجارب الأمم أيضا .

(٣) فى تجارب الأمم ٥/٩٧ ابن رنداق « براء مهملة » .

فلما دخل عَلَى[1] ابنِ الفرات قال له : لم جئت ؟ قال بكتابك . قال له : فلم لم تقصد دارى ؟ قال : حُرِمْتُ التوفيق . قال له : لا ولكنك عملتها طائيّةً فجاءتك طائية . وذاك أن الطائى ضمن إسماعيل بن بلبل من الموفق وصار إلى داره فى زى الفُيوج[2] ليقيم فيها ليلته ويُنْجز له من غد ماوعده ، فلما حصل عنده أنفذه إلى إسماعيل فى ذلك الزى ، فأوقع به إسماعيل مكروهاً غليظاً ، واستخرج منه ومن كُتَّابه مالًا جليلًا .

وتقدم[3] أبوالحسن بن الفرات إلى أستاذ[4] داره بأن يُفرِدَ لحامد داراً يَفرِشُها فرشاً جميلاً ، ويتفقّدَه فى طعامه وشرابه وطِيبه تفقُّداً كثيراً . ونحن نذكر تمام حديثه إلى حين وفاته فى أخباره .

أسماء القوم الذين قبض المحسن بن أبى الحسن بن الفرات عليهم ونكبهم وقتلهم وأبعدهم وماجرى عليه أمر كل واحد منهم

قد ذكرنا من أخبار حامد بن العباس وعلى بن عيسى مالا فائدة فى تكريره ، فأما سليمان بن الحسن فقبض المحسن عليه من ديوان المشرق ، وكان يتولاه مع غيره من الدواوين ، فصادره على ماصحّ منه خمسون ألف دينار ثم أخرجه إلى فارس .

وأما أبوعلى[5] بن مقلة فكان يتقلد لعلى بن عيسى فى وزارة حامد زِمام السَّوَاد ، فلما تقلد أبو الحسن بن الفرات تجلّد ولم يستتر ، وحضر مجلسه ، فأعرض عنه إعراضاً

(١) تجارب الأمم ٥/٩٧

(٢) الفيوج جمع فيج وهو رسول السلطان الذى يسعى على رجليه أو الخادم

(٣) تجارب الأمم ٥/٩٨

(٤) فى تجارب الامم ذكر أنه يحيى بن عبدالله قهرمان داره

(٥) تجارب الأمم ٥/٩١.

غض به من محله ، ولم يَقْبِض عليه مراعاة للمودة بينه و بين أبى القاسم بن الحوارى .
فلما قُبِضَ على ابن الحوارى أنفذ المحسن أباغانم كاتبَه حتى قبض على ابن مقلة وقيده،
وقد شرحنا حديثه فى أخباره .

وأما أبوالقاسم[1] على بن محمد الحوارى فإنه تأخر عن تهنئة ابن الفرات فى صدر
نهار يوم الجمعة ، وراح إليه فى آخره ، وأطال عنده ، وآنسه ابنُ الفرات وشاوره
فى أموره ، وخَلَا به خَلْوة طويلة اعتمد فيها سكون نفسه ، وراساله[2] ابنُ الفرات
فتحقَّقَ بخدمته وأظهر السرور بولايته مع مااعتقده باطناً من مخافته ، وقد كان[3]
أصحابُ ابن الحوارى أشاروا عليه بالاستتار عن ابن الفرات وقالوا له : إن الخليفة لم
يَكْتُمْك أمره وماعزم عليه من تقليده ــ مع ما يعرفه من العداوة بينكما ــ إلا لسوء
رأى فيك . فلم يقبل ذلك وقال : لوكان الأمر على ماقلتم لقبض علىّ قبل إخراجه
إياه و إظهار أمره ، وما أرى أن أنكب نفسى بسوء الاستشعار منى[4] .

لكنه ستر حرمه وولده واستظهر بعضَ استظهارٍ فى رَحْلِه وماله .

وركب[5] ابنُ الحوارى إلى دار السلطان وحضر ابنُ الفرات وأُذِن له ولم
يُؤْذَن لابن الحوارى . فاستوحش من ذلك ، ثم صَرَفَ الأَمرَ إلى أن ابنَ الفرات
قد شَرَط على المقتدر بالله أن يُجْرِيَه على رسمه فى وزارته الثانية ، فإن ابنَ الحوارى
لم يكن يصل معه ظاهراً و إنما كان يصل سراً . فلما خرج ابن الفرات من حضرة
المقتدر بالله وجلس فى الدار التى أُفردت له للنظر فى أمر القواد والحواشى دخل معه

---

(١) تجارب الأمم ٥/٩١

(٢) يريد أنه جاراه فى الكلام ووافقه

(٣) تجارب الأمم ٥/٩١ــ٩٢

(٤) الاستشعار هنا من قولهم استشعر الخوف : جعله شعار قلبه

(٥) تجارب الأمم ٥/٩٢

ابنُ الحوارى فأقبل عليه وشاوره فى ما كان يُخَاطَبُ[1] عليه ، وقال له : قد غِبْتُ عن مجارى الأمور منذ خمس سنين وأنت عارف بما كان علىٌّ بنُ عيسى قرَّر عليه أمرَ الحاشية ، وأريد أن تنبهنى وتُرْشِدَنى وتعاوننى وتعاضدنى ، وتستعملَ فى ذلك ما تقتضيه المودةُ . فقال له : السمع والطاعة . ووعده بالإخلاص فى المناصحة ، وفاوضه ابنُ الفرات حديثا طويلا ونهض قبل أن يستتمه ، ونزل إلى طيَّاره[2] ونزل ابنُ الحوارى معه وأحمدُ بن نصر البازيارُ ابنُ أخيه ، ومحمد بن عيسى صهره ، وعلى بن مأمون الإسكافى كاتبه ، وعلىٌّ بن خلف أخو محمد بن خلف صهره ، فأكرم جماعتهم وأخذ يحادثهم ويضاحكهم إلى أن صعد من طياره إلى داره ، ووصل إلى بعض الأروقة ثم أسرَّ إلى العباس الفرغانى حاجبه سرّاً أمرَه فيه بالقبض عليهم ففعل ، واعتقلهم فى بعض الحُجَر ، واستدعى شفيعا اللؤلؤى ، وأنفذه إلى دار ابن الحوارى وأمره بحفظها وحراستها ، وأنفذ إلى إصطبلاته بمن قاد دوابه وبغاله وساق جماله إلى إصطبلات السلطان ، ونقل فاخر ثيابه وفرشه وآلاته إلى الخزائن ، ووصى ابنُ الفرات قهرمانَ داره بإحسان مراعاة ابن الحوارى فى مأكوله ومشروبه . ثم راسله مع عبد الله بن جبير وغيره فى تقرير أمره ، وواقفه على أعمالٍ عُملت له قبل القبض عليه ، فسأل أن يُوَسِّط بينه وبينه أبا بكر بنَ قرابة ، وكان [ابن قرابة] متحققا[3] بابن الفرات فى هذا الوقت وبابن الحوارى من قبل ، فوسطه ذلك ، وتقررت مصادرةُ ابن الحوارى خاصَّةً من دون كتابه وأسبابه على سبعمائة ألف دينار ، يُعَجِّل منها مائتين وخمسين ألف دينار ويُحْتَسَبُ له عن ثمن المأخوذ منه بخمسين

---

(١) فى تجارب الأمم : وشاوره فى جميع أموره.

(٢) الطيار نوع من السفن .

(٣) يريد بهذا التعبير أنه متصل به واثق من مكانته عنده .

ألف دينار ويُؤَدّى الباقى فى أربعة وعشرين شهرا بعد أن حلف أن قيمة المأخوذ منه ثلاثمائة ألف دينار .

واشترط إطلاقَ أحمد بن نصر البازيار ليقوم بمال التعجيل ، فأُطلق وأزيل التوكيل عن دُوره وسُلِّمَ الباقى فيها إلى أحمد بن نصر .

وتسلم[1] الحسن بن أبى الحسن بن الفرات من بعد ذلك ابنَ الحوارى فصفعه صفعا عظيما فى دفعات وضربه بالمقارع . ثم أخرجه إلى الأهواز فى طَيَّارٍ خَدَمِه غَيْرَ مُقَيَّد ، وأنفذ معه الحبشىَّ المُسْتَخْرِج . وحدر أيضاً فى هذه الجملة سليمانَ بن الحسن وأبا على بن مقلة ، فلما وصلوا إلى البصرة وتوجهوا منها إلى الأهواز طرح الحبشىُّ ابن الحوارى فى الماء مَتَسكِّناً وشدَّ رجليه فى شِـكَّات[2] الطيار وهو سائر وبلغ موضعا يعرف بالمنارة أسفل الأُبلّة بفرسخ فأخرجه ، وقد بقى فيه أدنى رمق فخنقه غلمانٌ سُودان كانوا معه ودفنوه ، وحمل سليمانَ وابنَ مقلة إلى الأهواز .

وأما ابن حماد الموصلى فإن ابن الفرات كتب إلى محمد بن نصر بالقبض عليه وحمله إلى الحضرة ، فعرف ابنُ حماد ذلك وهرب ، فوجد فى عُمْرٍ[3] يقارب بَلَدَ فأُخذ وَحُمِلَ إلى محمد بن نصر فضربه ضربا أثخنه ، لعداوة كانت بينه وبينه ، ثم أنفذه ، فتسلمه الحسن[4] وأمرَ ابن أبى عمر كاتبه وابن حبشى المستخرج بصفعه ، فأوقعا به فلم يرض بذلك حتى أحضره بين يديه وصفعه على رأسه إلى أن خرج الدم من فيه ومات فى ليلته . وخاف الحسن إنكار المقتدر بالله ما جرى فى أمره فأظهر أن محمد ابن نصر أنفذه مثخنا بالضرب فتلف مما ناله منه .

---

(١) تجارب الأمم ٥/١١٣

(٢) شكات الطيار يريد بها الخشبات البارزة من السفينة .

(٣) العمر من معانيه البيعة والكنيسة .

(٤) تجارب الأمم ٥/٩٣ .

وأما على بن الحسن الباذيني ، وكان رجلا مُتَسَلِّمًا [1] ، وتقلد ديوان الضِّياع المقبوضة فى أيام على بن عيسى ، فقبض عليه المحسن وصادره على أحد عشر ألفَ دينارٍ . وأعاد المكروه عليه فبلح [2] فى يديه ، وأيس من حصول شىء منه . وأخرجه إلى الموصل فلم يزل مقيما بها إلى أن وزر أبو القاسم عبد الله بن محمد الخاقانى.

وأما أبو المنذر النعمان بن عبد الله فقد كان تاب من خدمة السلطان ، ولبس الُخفَّ والطيلسان ، وحضر مجالس الوزراء بهما كما تَحْضُر مشايخُ الكُتَّاب إلا أنه كان متحققا بحامد بن العباس وعلى بن عيسى ونصر الحاجب . فلما تقلد ابن الفرات الوزارة فى هذا الوقت لم يجد عليه مُتَعَلَّقاً ولا مُتَسَلَّقاً ، وكان يحضر مجلسه فيكرمه ، وخاف النعمان على نفسه منه لِماَ كان يشاهده من المحسن و إقدامهِ على ما يُقدِّم عليه فلازم نصرا الحاجب وثملَ القهرمانة ، وكان يروح إليهما فى أكثر العشيات ويقيم عندها إلى أن تَمْضِيَ قطعة من الليل . فاتفق أن خرج فى بعض الليالى من دار ثمل القهرمانة ومعه إبراهيم حاجبه فرآه أحد أصحاب الأخبار الذين لابن الفرات ، فكتب إليه بخبره ، وبأنه سمعه يقول لبعض العمال المُعطَّلين وقد لقيه فى طريقه : ما عندك من الأخبار ؟ فقال : كثرةُ الأراجيف بابن الفرات . فقال له النعمان : على أن يكون الوزير من ؟ قال : أنت أو محمد بن على المادرائى أو عبد الله بن محمد الخاقانى ، والأقوى فى الظنون أنت . فقال له : ومن لهم بأن أساعدهم على ذلك .

فلما قرأ ابن الفرات هذا الفصل سلمه إلى المحسن ، وأمره بإحضار النعمان وأن

---

(١) الذى دخل الإسلام فصار مسلما .

(٢) جاء فى حاشية أحد مخطوطات الكتاب ما يأتى : بلح الرجل وبلح «بتشديد اللام» إذا أعيا وأصله من بلح الثرى إذا يبس، والمراد به هاهنا أنه لم يبق عنده ما يدفع به عن نفسه أذى المطالبة . اه ، هذا ومن معانى بلح : أفلس .

يعرض عليــه ولاية الأعمال بالأهواز وفارس ، فإن استجاب حمله معه ليكتب له الــكتب ويخرج إلى عمله ، وإن امتنع أوقفه على الفصل وقال له : ليس يصلح للوزير ولا لى مقامك بالحضرة ، فاخرج إلى حيث تختار من غير إخراج ولا توكيل. فأحضره المحسن وخاطبه بذلك فامتنع من العمل ، فأقرأه حينئذ الفصل من رقعة صاحب الخبر، وتقدم إليــه بالخروج إلى حيث يريد ، فاختار واسط ، وانحدر إليها لحينه [١] .

فلما دخلها قصده العمال والتُّنَّاء [٢] هناك ، ولقوه وأكرموه وعظّموه . وكُتِب إلى ابن الفرات بذلك ، فــكتب إلى محمد بن على البزوفرى بالقبض عليه ، فقبض عليه فى يوم جمعة من المسجد الجامع ، وطالع ابنَ الفرات بحاله ، فرسم له مطالبته بما بقى عليه من مَالِ مُصَادَرَتِهِ فى وزارته الثانية وهو سبعةَ عشرَ ألفَ دينار . ففعل البزوفرى ذلك وأدّى النعمانُ سبعةَ آلاف دينار .

وأما أحمد [٣] بن محمد بن بسطام فــكان مصاهراً لحامد بن العباس ومتقلداً بَهُرَسِير والرومقانَ و إيغارَ [٤] يقطينَ فى وزارة على بن عيسى . فلما رأى ما الناس فيه مع المحسن بن الفرات استتر عند الشاه بن ميكال ، وعرف المحسن خبره فــكبسه وأخذه وقرر عليه ثلاثمائة ألف دينار ، وطالبه مطالبة زاد فيها ، حتى أخرجه من نعمته وضيعته [٥] ، ثم عمل على إخراجه إلى واسط عند قُرْبِ مُؤْنِسٍ واستيحاشِهِ منه ،

---

(١) فى الأصل لنفسه .

(٢) التناء جمع تانىء . والتانىء هو المقيم بالمـكان .

(٣) انظر تجارب الأمم ٥/٩٣ وذكر أنه أبو الحسين محمد بن أحمد بن بسطام صهر حامد بن العباس .

(٤) الإيغار أن يقطع الأرض بغير خراج . وجاء فى حاشية بعض مخطوطات الـكتاب ما يأتى : الإيغار تسويغ السلطان الأرض من شاء من غير أن يؤدى ما عليها .

(٥) فى تجارب الأمم . استخرج منه ستين ألف دينار وأخــذ خطه بمائتى ألف دينار ، بعــد مكروه غليظ .

وكتب له بولاية بعض النواحى فخاف وقوع حيلة عليه بذلك ، فاستتر استتاراً ثانياً حتى زال أمر ابن الفرات .

وأما إبراهيم أخو على بن عيسى فإنه كان ملازما لمنزله فى أيام حامد وعلى ابن عيسى ، فلما تقلد أبو الحسن بن الفرات تأخر عن تهنئته ، فوقّع إليه [١] توقيعاً جميلا أمره فيه بالمصير إليه ، فجاءه من وقته ، وقبض عليه وطالبه بأحد عشر ألف دينار ، بقيت عليه من جملة خمسين ألفَ دينار صادره عليها فى وزارته الثانية . فاحتج إبراهيم بأن المقتدر بالله وضعها عنه ، وأظهر توقيعاً معمولا فى الدواوين شاهدا على قوله ، فلم يَقبل ذلك منه ، وطالبه حتى أدى المال ، فلما أداه أحضره مجلسه ، وواقفه على أمور كانت فى نفسه عليه منذ أيام العباس بن الحسن ، وصادره مصادرة مُجَدَّدة على عشرين ألف دينار ، ثم سلمه إلى المحسن فأوقع به مكروها شديدا إلى أن وفى القيمة ، ثم نفاه إلى البصرة ، وسلمه إلى ابن أبى الأصبغ عاملها ، فقيل : إنه سمه فمات .

وأما عبيد الله أخوه فإنه كان عليلا فى منزله ، فأنفذ المحسن من حمله إليه فى مِحَفَّةٍ وطالبه وأوقع به مكروها كرَّره إلى أن ضمنه أبو الحسين بن روح وجماعةٌ بما قرره عليه . فلما أداه أخرجه إلى الكوفة .

وأما أبو على عبد الرحمن فإنه استتر بعد القبض على أبى الحسن أخيه ، فلم يُعْرَف له خبرٌ مع شدةِ الطلب له ، والحرص على حصوله .

وأما أبو الحسن على بن مأمون الإسكافى كاتب ابن الحوارى فصودر على مائة ألف دينار ، وأدى بعضها ، وتلف تحت المكروه .

---

(١) فى الأصل فوقع عليه .

وأما أبو الحسين محمد بن أحمد بن أبى البغل فكان بفارس ، وكتب المحسن إلى جعفر بن محمد العامل هناك بالقبض عليه وعلى زيد بن إبراهيم عامل كَرْمَان ، ومصادرتهما على مال حَدَّه له ، فإن أذعنَا وإلا أشخصهما إلى الحضرة ، فافتديا أنفسهما بما التمس منهما إشفاقا من إنفاذهما إلى المحسن .

وأما أبو زنبور[1] الحسين بن أحمد المادرائى فكان ضامناً لمصر والشام فى أيام حامد فتنكر له أبو الحسن على بن عيسى وصرفه بأبى الحسين محمد بن الحسن بن عبدالوهاب كاتِبِه وَوَلِىَ أبو الحسن بنُ الفرات فأقرّ أبا الحسين على نظرِه وكَاتَبَهُ بحَمْلِ أبى زنبور إلى الحضرة ، وكان بدمشق ، فأنفذه إلى مؤنس المظفر وهو بحلب ، وأنفذ ابن الفرات رائقا خادم السيدة حتى حمله من حلب إلى بغداد ، ووصل فاعتقله ابن الفرات اعتقالا جميلا . ثم جمع القضاة وأصحاب الدواوين وأخرجه إلى مجلسه ، وقد حضر المحسن وأبو العلاء بن سنجلا كاتبه على ديوان المغرب وأحضرا أعمالا عملاها له ، ووقعت المناظرة له على أبوابها، فألزمه ابن الفرات منها ألفى ألف وأربعمائة ألف دينار ، ثم استكثرها فحط منها سبعمائة ألف دينار ، وأخذ خطه بالباقى وعرضه على المقتدر بالله فأحمَدَ فعله فيه ، وزاد[2] ابنُ الفرات فى مراعاة أبى زنبور وإحسان عشرته لأنه كان يسترجله ويستجلده ، وسامه أن يواجه على بن عيسى بأنه أرفقه[3] فى أيام تقلده ديوان المغرب وبعد ذلك فى وزارته ، فاستعفاه . فقال له ابن الفرات : فلم واجهتنى[4] بأمره وليس تواجهه بأمرى . فقال له : ما أُحمِدَتْ عاقبةُ تلك الحال ولا استحسنها لى أحدٌ ، مع الظاهر من إساءة الوزير إلىّ بتسليمه إياى إلى ابن بسطام

(١) انظر تجارب الأمم ٥/١١٤ .

(٢) تجارب الأمم ٥/١١٤ .

(٣) أرفقه هنا يراد بها أنه نفعه بأموال .

(٤) راجع هذه المواجهة فيما سيأتى وتجارب الأمم ٥/٦١ .

و بسطِ يده علىّ [فى أيام وزارته الثانية] [١] فكيف تستحسنون لى الآن معاملة على بن عيسى بالقبيح على ماله عندى من الجميل القديم ؟ فأمسك ابن الفرات عنه .

وقدم [٢] محمد بن على المادرائى من مصر ، ولم يكن تقلّد فى وزارة حامد عملا ، فنوظر على أموال تلزمه و بقايا عليه فى وقت شركته للحسين بن أحمد ، فاحتج لنفسه احتجاجا قال له ابن الفرات فى آخره : فلستَ بأعلمَ وأعرفَ من الحسين بن أحمد ، وقد أورد أكثر مما أوردت ، فلم يدفع ذلك عنه ما وجب عليه . وأخذ خطّه طوعا بألف ألف ومائة ألف دينار . وكتب عليه بها كتاب دين المقتدر بالله فى نُجُوم [٣] نُجِّمَتْ ، وأشهد على نفسه القضاة والشهود فيه .

وكان المحسن [٤] بن الفرات يكرم محمد بن على و يتطاول له إذا حضر عنده ، وأطلقه إلى داره رعاية لما ذُكر أنه حمله إليه من أموال كثيرة وجواهر ثمينة وخدم رُوقَةٍ [٥] وسلَّم محمد بن على والحسين بن أحمد إلى مؤنس المظفر عند خروجه إلى الرقة ليستوفىَ منهما ما تقرَّر عليه أمرهما و يصرفَه فى نفقات رجاله .

وكان مؤنس [٦] المظفر عند تقلد أبى الحسن بن الفرات الوزارة فى هذه الدفعة غائبا فى الغزو . فلما عاد كثر الحديث بإنكاره ما جرى على الكُتّاب وغيرهم من أبى الحسن بن الفرات والمحسن ابنه ، وما كان من وفاة حامد مسموما وأن أكثر الفرسان التفاريق المقيمين بالحضرة قد عملوا على أن ينضموا إليه لتروج لهم أرزاقهم به ،فثقل ذلك على ابن الفرات، وركب بعد أسبوع من قدوم مؤنس إلى المقتدر بالله

---

(١) زيادة من تجارب الأمم ليتضح بها الكلام والكلام فيه يكاد يتفق مع الأصل .
(٢) تجارب الأمم ٥/١١٤ .
(٣) النجوم يراد بها الأقساط .
(٤) تجارب الأمم ٥/٩٥
(٥) الخدم الروقة هم الحسان، يستعمل لفظ روقة للمذكر والمؤنث المفرد والمثنى والجمع بلفظ واحد.
(٦) تجارب الأمم ٥/١١٥ .

وخلا به ، وعرفه ما عليه مؤنس من اجتذاب الجند إليه ، وأن ذلك إن تَمَّ غَلب على الأمر وصار أمير الأمراء ومدَّ يده إلى الأموال وأقَلَّ مُراعَاةَ الخدمةِ واحتشام الخلافة . وأغراه به إغراء شديدا وخوفه منه تخويفا كثيرا .

فلما ركب مؤنس إلى المقتدر بالله قال له بحضر من ابن الفرات : ما شيء أحب إلىّ من مقامك، عندى لأننى أجمع فى ذلك بين الأنس بقرب دارك ، والتبرك برأيك والانتفاع بمكانك ، ولكن أرزاق الفرسان التفاريق عظيمة ، وما يمكن إطلاقها ولا النصف منها على إدرار، ولا يطيعون فى الخروج إلى بعض الجهات ، وإذا أقمت طالبوا بالانضواء إليك ، فإن أُجيبوا لم يَفِ ما يُحْمَل من أموال السواد والأهواز وفارس والمشرق بنفقات الحضرة ومال من يجتمع معك ، وإن لم يُجَابوا شَغَبوا وافتتن البلدُ . ثم إنك إن أقمت لم يُرْجَ مالُ ديار مُضرَ وربيعة والشام ، ووقَفَ ماقُرِّر على المادرائيين ، والصواب أن تخرج إلى الرَّقة ، فإنها واسطة أعمالك وعمال الخراج والمَعَاوِن بمصر والشام يهابونك ويراقبونك ، ويحملون الأموال مراعاة لك وخوفا منك ، ويستقيم أمرُ المملكة بذلك .

وأمره بالشخوص إلى هناك من وقته فى سائر مَنْ يرسمه .

وكان المتكلمُ عن المقتدر بالله ابنَ الفرات . فعلم مؤنس أنه أمرٌ قد تقرَّر برأيه وتدبيره وعلى حكم ما يعتقده من عداوته ، فقال : السمع والطاعة لأميرالمؤمنين، إلا أننى استأذن فى المقام بقية شهر رمضان ، فإذا أفطرت وعيَّدت سرت وتوجهت . فقال له : افعل .

فلما عيد ركب إلى ابن الفرات لوداعه ودخل إليه فقامَ له قياما تاما ، واستعفاه مؤنس من ذلك فلم يُعْفِه وحلف عليه أن يجلس معه على المصلى فامتنع . وسأله مؤنس فى عدة أمور فوقع له بها وأجابه إلى جميعها ، ونهض فأراد ابن الفرات

القيام له عند نهوضه فأقسم عليه برأس الخليفة أن لا يفعل، وسار إلى الرّقة .

وأما نصر [1] القشورى الحاجب فإن ابن الفرات لما فرغ من إخراج مؤنس وإبعاده عن الحضرة عدل إلى أمره ، وكثر على المقتدر بالله الأموالَ فى جنبه، وأعلمه عِظَم ضِياعه وارتفاعَه ومرافِقه ومنافِعَه وما يصل إليه من أعمال المَعَاون المرسومة بولايته ، فأجابه إلى القبض عليه ، وتسليمه إليه دون شفيعٍ [المقتدرى] [2] . وقد كان القول منه فيهما جميعا .

وعرف نصر ما جرى فى بابه ، فلجأ إلى السيدة ، ومضى فى بعض أيام نوبته إلى منزله واستتر، وكلمت السيدةُ المقتدرَ بالله فى أمره وقالت له : قد أبعد ابن الفرات مؤنسا وهو سيفك ، ويريد أن يَنْكُب نصراً وهو حاجبك ، ليُمَكّن من مجازاتك على ما فعلته من إزالة نعمته وهتك حريمه . فياليت شعرى من يكون عونَك عليه مع ما قد ظهر من شره وشر المحسن ابنه وأخذهما الأموال وقتلهما النفوس ؟ فوعدها بالدفع عن نصر ، وراسلت السيدة نصراً بالظهور والحضور ، فأمن وأنس ، وعاد إلى خدمته .

واستأنف التذلُّلَ لابن الفرات وابنه . وما ترك ابنُ الفرات الوقيعةَ فيه ، والإغراء به حتى قال للمقتدر بالله : ما ضيّع عليك الأموال التى أنفقتها على محاربة ابن أبى السّاج [3] غَيْرُه ، لأنه عاداه وأوحشه من أجل غلام له كان يتولى أعمال أرمينية ، فصرفه ابنُ أبى الساج ، فأفسد رأيك فيه حتى جرى ما جرى .

فلما [4] كان فى بعض أيام حضر صاحب لأبى طاهر محمد بن عبد الصمد

---

(١) تجارب الأمم ٥/١١٢ .

(٢) أى أذن له فى القبض على نصر ولم يأذن له فى القبض على شفيع المقتدرى .

(٣) انظر — يوسف بن أبى الساج حوادث ٣٠٤ تاريخ ابن الأثير .

(٤) تجارب الأمم ٥/١١٢ .

ـ أحد القواد المضمومين إلى ابن أبي الساج ـ عند ابن الفرات ، فعرّفه أن كتاب أبي طاهر ورد عليه بأن يوسف [1] بن أبي الساج واقع أحمدَ بن عليّ فقتله وأخذ رأسه وحمله مع جثته إلى بغداد . وركب المحسن إلى المقتدر بالله واستأذن عليه ، فأوصله مفلحٌ الأسودُ حيث لم يحضرْ نصرٌ الحاجبُ ، وبشَّره بالفتح وقرأ عليه الكتابَ الوارد به ، وعرّفه أن نصرا يكره ذاك ، فلهذا طواه عنه وكتمه إياه .

ولم يَبْعُدْ[2] بعد هذه الحال أن وَجَدَ المقتدر بالله رجلاً أعجميا واقفاً على سطح مجلس من مجالسه ، وعليه ثيابٌ دَبيقيّة [3] . ومن تحتها ثياب صوف ومعه مِحْبرة ومِقْلمة ، وأقلامٌ وسكين وورق وسَوِيق . فأُخِذ وسُئل عن أمره فقال : ما أخاطب إلا صاحب الدار . فقيل : قل ما عندك . قال : ما يجوز . وأُخرج إلى أبي الحسن ابن الفرات ، فقال : أنا أقوم مقام صاحب الدار ، فقل ما عندك . فقال : ليس يجوز إلا خِطَابُه في نفسه [4] . فرُفق به فلم يغن الرفق . وحمله الخدم حينئذ وضربوه ضربا عنيفا ، فعدل عن الكلام بالعربية إلى قوله بالفارسية : « ندانم » [5] ولزم هذه اللفظة فلم يَزُلْ عنها في كل ما يخاطب به ، وأُخرج بعد أن مات تحت العُقوبة إلى رحبة الجسر ، وصُلب هناك [6] وضُرِب بالنار .

وتحدّث الناسُ بأن ابن الفرات دسّه ليُوهم المقتدر بالله أن نصراً الحاجب أراد الاحتيال عليه به .

---

(١) انظر ذلك فى ابن الأثير حوادث ٣١١ وورد شرح الخبر بذلك فى ٣١٢ كما ينظر تجارب الأمم ١١٩/٥ .

(٢) ذكرت القصة فى ابن الأثير حوادث ٣١٢ والمنتظم ١٨٧/٦ وتجارب الأمم ١١٨/٥ .

(٣) نسبة إلى دبيق كانت تصنع بها ثياب حسنة .

(٤) زاد تجارب الأمم : ومسألته عما أحتاج إليه .

(٥) فسرها ابن الأثير فقال معناها : لا أدرى .

(٦) فى تجارب الأمم : فصلب ولف عليه حبل من قنب ومشاقة ولطخ بالنفط وضرب بالنار .

وخاطب[1] ابن الفرات نصرا الحاجب بحضرة المقتدر بالله فى أمر هذا الرجل فقال له : ما أظنك ترضى أن يجرىَ عليك فى دارك مثلُ ماجرى على دار أمير المؤمنين، وأنت حاجبه ، مما لم يتمّ على أحد من الخلفاء ، ولاشك أن الرجل صاحبُ أحمدَ بن علىّ أخى صُعْلَوكٍ لأنه عجمىٌّ ، فإما أن يكونَ أحمدُ بن على وَاطأكَ على أمره قبل قتله وأنفذه فورد فى هذا الوقت ، أو تكونَ دسستَهَ لثقتك بأمير المؤمنين خوفاً على نفسك منه ، فمعلومٌ أن ابن أبى الساج عدوُّك وأنك صديق أحمد بن على . فقال له نصر الحاجب : ليت شعرى لِمَ أفعلُ بأمير المؤمنين وهو مصطنع مثل ذلك، لأنه أخذ أموالى[2] وضياعى وحبسنى خمس سنين ؟ قال المقتدر بالله لنصر : دع هذا، فلو تم على بعض العامة ماتم علىَّ لكان عظيما . فقال : يا أمير المؤمنين ، ابنُ الفرات يقف أمرى ، ويسعى علىّ بقبيح أثرى ، ويُؤَخِّر أرزاق الرَّجَّالة المصافيَّة الذين برسمى — وكانوا عشرة آلاف رجل — فأجابه ابن الفرات جواباً استوفاه ، وبيّن الزيادة فيما ينصرف إليه على ما كان يقبضه نُظراؤه . وقال للمقتدر بالله : إن أمَرَ أميرُ المؤمنين أن أخرج أرزاقَه وأرزاقَ أولاده وغلمانه وفوائده ومرافقه وما كان يُقام لأمثاله من الحُجّاب فى أيام الناصر والمعتضد والمكتفى فعلتُ . فتقدم إليه بذلك ، وواقف ابنُ الفرات الكُتَّابَ عليه ، وضعفَتْ نفسُ نصر الحاجب وكانت السيدة تَشُدُّ منه ، وتواصل خطاب المقتدر بالله فى معناه ، واندفع[3] أمره إلى أن ورد الخبر فى يوم الجمعة لثمان بقين من المحرم

---

(١) تجارب الأمم ٥ / ١١٨

(٢) يعرض بذلك إلى أن ابن الفرات هو الذى حبسه الخليفة وهو الذى يدبر ذلك . وفى تجارب الأمم: ليت شعرى أدبر على أمير المؤمنين لأنه أخذ أموالى وهتك حرمى أو قبض ضياعى أوحبسنى عشر سنين ؟ وفى ابن الأثير : لم أقتل أمير المؤمنين وقد رفعنى من الثرى إلى الثريا إنما يسعى فى قتله من صادره وأخذ أمواله وأطال حبسه هذه السنين وأخذ ضياعه .

(٣) الذى فى تجارب الأمم وهو أوضح ٥/١١٩ واندفع عنه المكروه بما ورد به الخبر مما جرى على الحاج .

سنة اثنتى عشرة وثلثمائة بأن أبا[1] طاهر بن أبى سعيد الجنابى أخذ الحاج بالهَبِير وأسر أبا الهيجاء عبدَالله بن حمدان وأحمد بن كشمردَ ونحريرا العمرى وأحمد بن بدر عمّ السيدة وشفيعاً خادمها وفلفلا وجماعة من الحرم والخدم ، ومات الكثير من الناس بالعطش والحفا والرُّجْلَةِ[2] فانقلبت بغداد فى جانبيها ، وخرجت النساء إلى الطرقات مُسَوِّداتِ الوجوهِ مُنَشِّراتِ الشعور يصرخنَ ويلطُمْنَ ، وانصرف إليهن حُرَمُ من نَكبه وقتله ابنُ الفرات . فَقَبُحَتِ الحالُ قُبحاً شديداً . وتقدَّمَ ابن الفرات[3] إلى نازوك بالركوب إلى المساجد الجامعة لِزَمِّ[4] العامَّةِ ومنع الفتنة . وضعفتْ نفسُ ابن الفرات بهذه الحادثة ، وركب فى آخر نهار يوم السبت إلى المقتدر بالله ، وشرح له الصورة على ما أورده الزَّنجيُّ سابقُ الحاجّ، واستدعى المقتدر بالله نصراً الحاجبَ ، وأدخله فى الخطاب والمشاورة ، فانبسط لسان نصرٍ عَلَى ابنِ الفرات وقال : الساعةَ تقول ما الرأْىُ بعد أن زعزعْتَ أركانَ المملكةِ ، وأطمعت الأعداء بإبعاد مؤنسٍ عن الحضرة ، ومن يدفع الآن هذا العَدُوَّ إنْ حاول بالسلطان أمراً ؟ وأشار على المقتدر بالله بمكاتبة مؤنس واستقدامه ، فأمره بذلك .

فلما خرجا سأل ابنُ الفراتِ نصراً ألَّا يكتبَ إلى مؤنس شيئا إلا بعد نفوذ كتابه ، فوعده بالتوقُّف وعداً لم يَفِ به . وأنفذ الرسُلَ من وقته ، وكتب إليه ابنُ الفرات عن المقتدر بالله بالانكفاء[5] إلى الحضرة . ووثب العامة إلى ابن الفرات ، ورَجَمُوا طَيَّاره بالآجُرِّ[6] ورجموا ابنه المحسن وهو فى موكبه على الظَّهْرِ[7]

- (١) انظر تجارب الأمم ٥/١٢٠ وابن الأثير حوادث ٣١٢ ذكر أخذ الحاج، والمنتظم ٦/١٨٨
(٢) الرجلة المشى على الأرجل .
(٣) تقدم إليه بكذا طلب إليه أن يفعله وأمره به
(٤) أى ليكبح جماحهم كأنه يربطهم ويشدهم.
(٥) أى بالرجوع إلى دار الخلافة . (٦) الآجر : الطوب المحروق بالنار .
(٧) وهو راكب على جواد أو ما أشبهه .

وذكروهما فى الطرق والأسواقِ بالدعاء عليهما . وبرز ياقوتُ إلى مضاربه بباب الكُناس للتوجه إلى الكوفة ، ومَنْعِ القَرْمَطِيِّ منها إن حَدَّث نفسَه بورودها . ثم وردت الكتب والأخبار بانصراف القرمطى إلى بلده بما أخذه من الأموال والأمتعة والأحمال والأسارى ، فرُدَّ ياقوت وكثر الإرجاف بابن الفرات وابنه المحسن . فكتب [1] إليهما المقتدر بالله رقعة تتضمَّن التسكين منهما ، واليمينَ على حسن اعتقاده فيهما ، وما هو عليه من الثقة بموالاتهما والإحماد لخدمتهما ، وأمرُهما بإظهارها لأهل الحضرة وإنفاذ نسخها إلى عُمَّال المَعَاوِن والخراج .

وركب أبو الحسن وابنه المحسن إلى المقتدر بالله فى يوم الأحد لثمانٍ بقين من صفر ، فأصلح [2] بينهما وبين نصر الحاجب ، وأمرهم بالتضافر على ما فيه صلاحُ الدولة ، وورد هلال بن بدرٍ برسالةِ مؤنسٍ إلى المقتدر بالله . فَوُصِّلَ وأدَّاها وسمع جوابها ، وعاد به إلى مؤنس من غير أن يَحْضُر ابنُ الفرات ، ووافق دخول مؤنس فى أول شهر ربيع الأول ، فخرج نصرُ الحاجبُ والأُستاذون ووجوه القواد والغلمان لاستقباله .

ثم دخل يوم الأحد لسبع خلون منه . ثم بدأ بدار المقتدر من وقته ، وخَدَم وانصرف إلى داره ، فركب ابنُ [3] الفرات إليه للسلام عليه ، ولم يفعل مثل ذلك أحدٌ من الوزراء قبله ، وأُوذِن مؤنسٌ به ، فخرج إلى باب داره واستعفاه من الصعود فلم يُعْفِه ، وصَعِد وهنَّأه بموردِه ، ونهض لينصرف ، فخرج مؤنس معه إلى أن نزل إلى طيَّاره وقَبَّلَ يدَه ، وسأله العود إلى موضعه ففعل . وركب أبو العباس بن المقتدر بالله إليه أيضاً فخرج حافيا حتى نزل إلى طياره . وصار ابنُ الفرات وابنُه المحسن

---

(١) تجارب الأمم ٥/٢٤

(٢) تجارب الأمم ٥/١٢٢

(٣) تجارب الأمم ٥/١٢٢

من غد وهو يوم الاثنين إلى دار المقتدر بالله ، ووصلا إليه وخاطباه بما أراداه وَوَلَّيا للانصراف ، فعاد المحسن وحده وقال للمقتدر بالله : قد عرفتَ يا أمير المؤمنين ضيقَ المال وكثرة النفقات ، وهاهنا وجوه ثلاثمائة ألفِ دينار تصِحُّ فى مدَّةٍ قريبة ، فإن أذنت فى استخراجها استُخْرِجت . فقال : قد أذنت لك . وخرج فلحق أباه . فلما أرادا [1] الخروج من الصحن التسعينىّ أقعدهما نصرٌ الحاجب فى مجلس بالقرب ، وراسل الغلمانُ الحجريةُ المقتدرَ بالله فى القبض عليهما على لسان مفلح الأسود، فدخل وأدى إليه ذلك . ثم قال له : إنَّ فى صرف الوزير بقَوْلِ هذه الطائفة خطأً فى التدبير وإطماعا للغلمان . فأمره بأن يخرج ويقول لنصر حتى يصرفه ، ويقول للغلمان : إننا نفعل فيما راسلتمونا به ما يجرى الأمر فيه على محابّكم . فلم يُقْدِم مفلحٌ على الخروج إلى نصرٍ بهذا الجواب ووقف عند الستر وقال : ينصرف الوزير .

فتكلم الغلمانُ كلاما كثيرا حتى أنفذ إليه مفلحٌ من وعدهم عن الخليفة بلوغَ مرادِهم ، فحينئذ أذن نصرٌ للوزير فى الانصراف . فذكر بعض من كان معهما أنهما لم يزالا يمشيان فى الممرات مشيا سريعا حتى نزلا إلى طيارهما ، وقدما إلى دار الوزير وصعدا . وسارّ المحسن أباه سِرًّا طويلا . ثم خرج ومضى إلى داره فجلس فيها ساعة حتى نظر فى أمره واستتر .

وجلس ابنُ الفرات ينظر فى الأعمال وبين يديه جماعة من كتابه . ثم قام إلى دور حُرَمه فأكل عندهم . وخرج وقت العصر فتشاغل بالوقوف على ما ورد ، وأمر ونهى على رسمه من غير أن يَبِينَ فيه خوفٌ أو زوالٌ عن العادة ، وبات

---

(١) تجارب الأمم ٥/١٢٤ ـ ١٢٥ .

تلك الليلة على هذه الجملة ، فحدث [١] بعض خواصّه أنه سمعه فى آخر الليل وهو فى مرقده يتمثّل بهذا البيت :

وأصْبَحَ لا يَدْرِى وإن كان حازِماً أَقُدَّامُه خيرٌ له أم وَرَاؤُهُ

وبكر من غد فجلس لأصحاب المظالم . قال أبو القاسم [٢] بن زنجى : فبينما هو فى قراءة رقاعهم واستماع ظلامتهم إذ وردت عليه رقعةٌ لطيفة مختومة ، لم أعلم فى الوقت مِمَّنْ هى ، ثم عرفتُ أنها كانت من مفلح ، وتلتْها رقعةٌ أخرى من كاتبِ مفلح [٣] ، فلما وقف عليها أمسك قليلا ، ثم دعا أبا زكرياء يحيى الدقيق قهرمانَهُ فأسرّ إليه مالا أدرى ما هو ، فانصرف . وقال لأبى إسحاق المدبر : خذ قِصَص المتظلمين واجمعها لتعرضها الليلةَ عَلَىَّ وأُوَقِّعَ فيها وتفرِّقَهَا عليهم من غدٍ .

ونهض من مجلسه إلى دور حرمه وتفرق الناس ولم يبعد أن وافى نازوك ومعه سلاح ،وبيده دَبُّوس [٤] ، وتلاه يَلْبَقُ على مثل هذه الصورة ، ومع كل واحد منهما خمسة عشر غلاماً . فلما لم يروه هجموا على دار حُرَمه ، وأخرجوه حاسراً ، وأنزلوه فى طيَّار ، وحُمِلَ إلى دار نازوك ، وقُبض معه على الفضل والحسن ابنيه ، وعبد الله بن جبير وسعيد بن إبراهيم التُّسترى وأبى غانم سعيد بن محمد كاتب المحسن وابن هشام وأبى الطيب الكَلْوَذَانِىِّ .

ومضى [٥] نازوك ويلبق إلى مؤنس فعرفاه الخبر ، وقد خرج إلى باب الشماسية للتنزه، فانحدر معه هلال بن بدر ، وجماعة من القواد، وسار يلبق إلى دار نازوك وأخرج

---

(١) تجارب الأمم ٥/١٢٥ وابن الأثير حوادث ٣١٢ ذكر القبض على الوزير ابن الفرات .
(٢) تجارب الأمم ٥/١٢٥ .
(٣) فى تجارب الأمم : من رجل يجرى مجرى الجند ــ كان ملازماً لدار السلطان .
(٤) الدبوس : عصا من خشب أو حديد فى رأسها شىء كالكرة .
(٥) تجارب الأمم ٥/١٢٦

ابن الفرات وابنيه وكُتّابه إلى شاطئ دجلة . فلما شاهدهم العامّة رجموهم . وأنزل مؤنسٌ ابنَ الفراتِ معه فى طيّاره ، فأظهر السرورَ بحصوله فى يده ، ورفعه مؤنسٌ وخاطبه بجميلٍ وعاتبه مع ذلك عتاباً كثيراً بحضرة الناس ، فتذلّل له وخاطبه بالأستاذية . فقال له : الآن تخاطبنى بالأستاذية وبالأمس تخرجنى إلى الرقة على النَّفْى [1] والمطرُ ينزل على رأسى ؟ ! وتقول لمولانا أمير المؤمنين إننى أسعى فى فساد مملكته ؟

وانحدر به إلى دار السلطان وأصعد به إليها . وسُلِّم ولداه وكتّابُه إلى نصر الحاجب . واجتمع [2] القواد إلى مؤنس ونصر وقالوا : إن اعْتُقِل ابنُ الفرات فى دارِ الخلافة خرجْنا بأسرنا إلى المصلى وشَغَبْنا .

وزادوا فى القول وأكثروا ، فاستدعى المقتدرُ بالله مؤنساً ونصراً واستشارهما ، فأشارا بإخراج ابن الفرات من الدار وتسليمه إلى شفيع اللؤلؤىّ ليكون عنده ويسكن القواد إلى ذلك . فاستُدعِىَ شفيع وسُلِّم إليه .

ونظر أبو القاسم عبد الله بن محمد بن الخاقانى فى الوزارة ، على ما ذكرناه فى أخباره [3] .

وانتهى [4] الأمر فى ابن الفراتِ إلى أن تقدم المقتدر بالله بتسليمه إلى الخاقانى فتسلمه فى يوم الأحد لأربعَ عشرةَ ليلةً خلت من شهر ربيع الأول ، وسُلِّم معه الدقيقى قهرمانُه ، ورد الخاقانى مناظرة ابن الفرات إلى ابن بُعْدِ شَرّ [5] ، فأخذ من

---

(١) فى الأصل على البقر . وفى تجارب الأمم ٥/١٢٦ تخرجنى على سبيل النفى إلى الرقة والمطر يصب ، هذا وقد تكون الكلمة أيضاً محرفة عن النفر « بفتح فسكون » وهم الذين ينفرون معك

(٢) تجارب الأمم ٥/١٢٧ (٣) انظر أيضاً تجارب الأمم ٥ / ١٢٧

(٤) تجارب الأمم ٥/١٢٧ ــ ١٢٨

(٥) هو أبو العباس كاتب الخاقانى كما فى تجارب الأمم ٥/١٢٨ .

ودائع أقرّ بها مائةً وخمسين ألف دينار . ثم أوقع به مكروها كان سببا لتقاعده عن أداء شيء بعده . ومضى هارون بن غريب — وكان موكّلاً به — إلى المقتدر بالله فقال له : إن ابن الفرات ممن لا يُذْعن بمال وينقاد إلى أداء بالقبيح ، وقد جنى الخاقانيُّ جناية كبيرة بتسليمه إياه إلى ابن بعد شرّ حتى خَرَّق به [1] وعَسَفَه . فتقدم المقتدر بالله إلى الخاقانى بأن يجعل مطالبة ابن الفرات بحضرة هارون بن غريب ، وكان ابنُ بعدِ شرّ قد ضيّق على ابن الفرات فى مطعمه ومشربه ، واقتصر به على خبز خُشكار [2] وقثاء وماء الهواء . فحمل إليه الخاقانى طعاما واسعا جميلا وفاكهة وثلجا كثيراً ، واعتذر إليه مما جرى وحلف أنه لم يعلم به .

ثم راسله [3] مع خاقان بن أحمد بن يحيى ومحمد بن سعيد حاجبه وقالا له : الرأى أن تقرّ بأموالك ولا تُلاجّ [4] السلطانَ فتؤكدَ سوء رأيه فيك . فأجابه بما قال فيه : لستُ أيها الوزيرُ حَدَثاً تخْدَعُنى ، ولا غِرًّا فتحتالَ علىّ ، وما أقول إننى ما أقدر على المال ، لكننى إن وَثِقْتُ لنفسى بالسلامة والخلاص ، وأعطانى الخليفة أمانه بخطه ، وأَشْهَدَ لى فيه الوزير والقضاة والغلمان . وسلّمنى إما إلى مؤنس المظفر ، وإن كان عدوى ، أو إلى شفيع اللؤلؤى ، قرّرْتُ أمرى وأعطيت مالى . فأمّا أن أكون على ما أنا عليه ويراد منى المال فذلك ما لا أفعله .

فأعاد الخاقانى [5] مراسلته : بأننى لو قدرت على التوثق لك توثّقْتُ ، ومتى قلتُ فى هذا المعنى قولاً عادانى خواصُّ الدولةِ ولم تنتفع أنت ، وقد ردَّ أمير المؤمنين أمرَكَ إلى هارون بن غريب ، وهو قريبُهُ وثِقَتُه . ولَعَمْرِى إنه عدو لك ، ولكن العدوّ ربما رقَّ فى مثل هذه الصورة ، والصوابُ أن تُدَارِيَهُ وتلاطفه .

---

(١) خرق به : ارتكب معه أفعال الحمق . وعسفه : ظلمه .

(٢) الخبز الخشكار : هو غير النقى من ردته (٣) تجارب الأمم ٥/١٣٠ .

(٤) لاجه : تمادى معه فى الخصومة (٥) تجارب الأمم ٥/١٣٠ .

وحضر هارونُ [١] دار الخاقانىّ واستحضر ابنَ الفراتِ وناظره ابنُ بُعْدِ شرٍّ بمحضرته . فلما خرج من القول إلى الإسماع [٢] زبره هارون [٣] وقال له : تريد أن تستخرج المال من ابن الفرات على هذا الوجه ! وأقبل على ابن الفرات وقال له : أنت أعرف بالأمور من أن تُعرَّفَها [٤] . والخلفاء لا يُلاجُّهُمْ كُتَّابُهم ووزراؤهم إذا سخطوا عليهم ، والرأى لك ، غَيِّرْ ما أنت فيه . فقال : أشر علىّ أيها الوزير ، فإن الرأى عازِبٌ عنى [٥] مع حصولى فيما أنا حاصل فيه . ولم يزل معه فى مقاولة ومراوضة إلى أن أخذ خطه بألفى ألف دينار يُعَجَّل منها الربع ، على أن يحتسَب له من الربع بما صح من ودائعه بإقراره وغيرِ إقراره منذ وقت القبض عليه ، ويُطلق فى بيع ما يستبيع من ضِياعه وأملاكه وينقلَ إلى دار شفيع اللؤلؤى أو غيره من ثِقاتِ السلطان ، ويطلَق أبو الطيب كاتبُه ليتصرّف له فى أموره ، وتطلق له الدَّوَاةُ ليكاتبَ من يريد أن يكاتبه ، ويُؤْذَنَ لمن يَبْتَاعُ شيئاً من أملاكه فى الوصول إليه .

وصار هارون بن غريب بالخط إلى المقتدر بالله فعرضه عليه . واتفق أن وُجِدَ ابنُه المحسن ليلة الجمعةِ الحاديةَ عشرَة من ربيع الأول ، فقُبِض عليه ، وحُمل إلى دار الوزارة بالمُخَرَّم . وكان [٦] من شرح الحال فى أخذه أنه لجأ فى استتاره بعد القبض على أبيه إلى حماته حنزابة [٧] والدة الفضل بن جعفر بن الفرات ، فكانت تحمله كل يوم بُكْرة إلى المقابر فى زىّ النساء ، وتعيده إلى المواضع التى تثق بها ، فمضت به

---

(١) تجارب الأمم ٥ / ١٣٠

(٢) إلى الإسماع : إلى الكلام المكروه ، وفى تجارب الأمم : فبدأ ابن بعد شر يسمعه المكروه

(٣) زبره : منعه ونهاه (٤) فى تجارب الأمم : أنت أعرف بالأمور من كل من يخاطبك

(٥) عازب عنى : أى غائب .

(٦) ابن الأثير حوادث ٣١٢ ذكر قتل ابن الفرات وولده المحسن ، وتجارب الأمم ٥/١٣١

(٧) فى ابن الأثير : حزانة .

بكرة يوم الخميس على هذه السبيل إلى مقابر قريش ، فأمست مساء بَعُدَ عليها معه الوصولُ إلى دواخل الكَرْخ ، فوصَفَتْ لها امرأةٌ كانت معها منزلَ امرأة تعرفها وتأمنها ، ولا زوج لها لأنه تُوُفِّيَ قبل ذلك بسنة ، فحملته حنزابة ومعه جماعةُ نساء إلى هذه المرأة التى ذُكِرَت لها وهى غيرُ عارفةٍ بها ، ودخلت الدار وقالت : معى امرأة عاتقٌ لم تتزوج [1] وقد انصرفتْ من مأتم وضاق عليها الوقت ، وسألَتْها أن تُفْرِد لها موضعا . فأفردت لها بيتا فى صُفَّةٍ [2] ، وأدخلت المحسن إليه وردَّت الباب عليه ، وجلست النسوة معه فى البيت ، ووافت جاريةٌ سوداء للقوم بسراج فتركته فى الصُّفَّة ، وجاءت حنزابة إلى المحسن بسَوِيقٍ [3] ليشرب به وقد نزع ثيابَه . واطَّلعت الجارية السوداء فرأته من غير أن تشعر بها حنزابةُ ، وعلمت أنه رجل ، فحدَّثت مولاتَها بذلك ، فلما تَصَرَّم الليلُ قامت مولاتُها إلى الموضع سرًّا حتى شاهدتْه .

وكان من سوء الاتفاق أن كانت المرأةُ زوجةَ محمدِ بن نصرٍ وكيلِ أبى الحسن علىِّ بن عيسى على نفقاته ، وكان المحسَن طَلَبَه فحضر ودخل ديوانه ، ورأى ما يعاملُ الناس به من المكاره ، فمات فزعا من غير أن يُكلِّمَه المحسن أو يوقعَ به مكروها . فمضت المرأة فى الوقت إلى دار السلطان حتى وصلت إلى نصرٍ الحاجب ، وشرحت له الصورة . وأنهاها نصرٌ إلى المقتدر بالله . فتقدم بالبعثة إلى نازوك بالركوب إلى الموضع والقبض عليه . فركب من وقته وكَبَسه وأخذه . وضُرِبَتِ الدَّبَادِبُ ليلا [4] عند وصوله حتى ارتاع الناس لأصواتها ، وظنوا أن حادثا حدث

(١) المرأة العاتق : هى التى أول ما أدركت أو بين الإدراك والتعنيس .

(٢) الصفة : بيت مسقوف بالجريد ونحوه .

(٣) السويق : من معانيه الخمر . وفى تجارب الأمم : بسويق وسكر والسويق معناه أيضا الدقيق الناعم .

(٤) الدبادب : الطبول ، جمع دبداب سمى بذلك لصوته .

من جهة القَرْمَطِى . وَوُجِد الحسنُ فى زىّ امرأة ، وقد قصّ لحيته ، وخضب يديه ورجليه ، ولبس قميصا مُعَصْفَراً . فأوقع به ابنُ بُعْدِ شرٍّ من وقته مكروها عظيما ، وأخذ خطَّه بثلاثة آلافِ ألفِ دينار ، يؤدى الربعَ منها معجّلاً .

وحضر من غد هارون بن غريب ، وخاطبه على إظهار ماله ، فوعده بتذكُّر ودائعه والدَّلالة على مواضعها ، وناله مكروه عظيم فى يومين فلم يُذْعِن بدوهم واحد . وقال : لا أجمع بين ذَهاب نفسى ومالى . وأعيدت مخاطبته ومطالبته بِمَحْضَرٍ من هارونَ بن غريب وشفيعٍ اللؤلؤىّ . وجُدِّد المكروهُ عليه ، وقال له هارون : هبك لا تقدر على سَبْعمائة ألف دينار فما تقدر على مائةِ ألف دينار ؟! قال : بلى إذا أُمْهِلْتُ وأزيل عنى المكروه . فقال له : نحن نُمهلك ونُرَفِّهك ، فاكتب خطَّك بأنك تؤدى مائةَ ألفِ دينار . فكتب وقال : فى مدة ثلاثين يوما .

فلما قرأ ذلك هارون قال له : كأنك تريد أن تعيش ثلاثين يوما : فخضع الحسن وقال : أفعَلُ ما يأمر به الأمير . فقال له : اكتب أنك تؤديها فى سبعة أيام . فارتجع الرقعة ليكتب بدَلاً منها ، فلما حصلَتْ فى يده خرقها وأكلها . وضُرِب على رأسه وسائر جسده بالطَّبَرْزِينَات [1] على أن يكتب غيرها فلم يكتب . فقُيِّد حينئذ وغُلّ ، وأُلبس جبةَ صوف وجبةَ شعَر ، وأعيد إلى مجلسه ، وعُذِّب بكل شىء ، فلم يُعْطِ درهما واحدا . وتشاغل أبو القاسم الخاقانى بوفاة أبى علىٍّ محمدٍ أبيه ، فوقف الأمر فى مطالبة ابن الفرات .

فلما كان [2] يوم الأربعاء لستٍّ بقين من شهر ربيع الأول حضر مؤنسٌ

(١) الطبرزينات : الفئوس وهى جمع طبرزين وكذلك فى معناها الطبر .
(٢) تجارب الأمم ٥/١٣٢ .

المظفر ونصرٌ الحاجب الأستاذان[١] والقضاة والكتاب فى مجلس الوزير أبى القاسم الخاقانى وأُحضر ابنُ الفرات ، وناظره الخاقانى ، فلم يكن من رجاله ، وكاد ابن الفرات أن يأكله . وكان من قوله له : أغلَلْتَ ضِياعَك فى مدة أحدَ عشرَ شهراً ألفَ ألْفِ دينار .

فقال : قد كانت الضِّياع فى يد علىّ بن عيسى عشرَ سنين ، هى أيَّامُ وزارته وأيامُ نَظَره مع حامدٍ فما ارتفع له منها[٢] أربعمائة ألف دينار . فإذا أغللتها أنا فى مدة أحد عشر شهراً ألفَ ألْفِ دينار فقد ادّعِىَ لى المُعْجزُ بذلك . فقال له : قد أضفْتَ إلى حقِّ الرَّقْبَةِ[٣] حُقوقَ بيت المال . فقال : ما يتمكَّن أحدٌ أن يَسْتُرَ مافى الدواوين ، فانظروا ارتفاع النواحى السلطانية فى أيامى ، وارتفاعَها فى أيام علىّ بن عيسى وحامدٍ ووزارةِ أبيك التى دبَّرْتَها أنت ، فإن كان ارتفاع نَقَص فى أيامى لزمتنى الحُجَّة ، أو فى أيامكم عُرِف أثرى . ومع هذا فقد علم الخاصُّ والعام ماجرى فى وزارة أبيك من الشَّغبِ حتى أَخْرَجَ أميرُ المؤمنين من بيت مال الخاصة خمسمائةِ ألفِ دينار أنفقها فى الجيش على يد شفيعٍ اللؤلؤىّ . ومافعلَه علىُّ بنُ عيسى من إسقاطِ[٤] الناس وحطِّهم من أرزاقهم ، ومافعلته أنا فى نَظَرِى[٥] من توفية الحاشية جميعَ استحقاقها مع زيادات تكلَّفْتُها وتحمَّلْتُها لأحبِّبَ أميرَ المؤمنين إلى خَدَمِهِ وأولياء دولته .

وخُوطِب على أمر من قَتَل من المُصادَرِين ، فقال : ليس يخلو الأمرُ من أن

---

(١) فى الأصل والأستاذان . وفى تجارب الأمم : حضر الأستاذ مؤنس ونصر الحاجب والقضاة والكتاب .

(٢) فى تجارب الأمم إلا أربعمائة ألف دينار .

(٣) الرقبة الحراسة والتحفظ أو هو المال الذى لايورث عن أصل ويريد بهذا أنه أضاف أموال بيت المال إلى ماله . وفى تجارب الأمم : فقد أضفت حقوق ضياع السلطان إلى ضياعك

(٤) يريد بإسقاط الناس أنه يمحو أسماءهم من كشوف الرواتب

(٥) يريد بنظره إشرافه

يقال إنى قتلتُهم فأنا مقيم بالحضرة ، والمُدَّعَى قَتْلُه بالبُعْد منها ، أو إنى كتبت بقتلهم فعُمَّال المَعَاوِن ثقاتُ[١] السلطان ، وعُمَّال الخراج وجُوهُ المتصرفين ، وقد حَكَّمْتُهم على نفسى فيما يقولونه . أوكانت الدعوى على المحسن ابنى فأنا غير ابنى . فقال له ابنُ بُعْدِ شر : إذا قتل ابنُك فأنتَ قتلت . فقال ابنُ الفرات : هذا غير ماحكم الله ورسوله به وقد قال تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾[٢] وقال النبى صلى الله عليه وآلِه وسلَّم لبعض أصحابه : « هذا ابنك . فقال نعم . فقال : إنه لايَجْنِى عليك ولا تَجْنِى عليه » ومع ذلك فإنه فى أيديكم فسلوه فإن وجب عليه قَوَدٌ[٣] بادعاء قتل فى بلدٍ نأى عنه[٤] ، و يقال . إن غيره تولى القتل فيه ، فاحكموا بما ترون .

فتحير القوم فى الجواب . وقال عثمان[٥] بن سعيد صاحب ديوان الجيش لنصر الحاجب : إن رأى الأستاذ أن يقول له : حيث كنتَ تقول لمن تطالبه : إن أدَّيْتَ و إلاَّ سلّمتك إلى المحسن . أ كنتَ تُسَلِّمه ليسقيه السويقَ والسُّكَّر أو ليعذِّبه ؟ ومن أطلق العذاب على الناس فقد أطلق إتلاف نفوسهم ، لأنه قد يَتْلَف الإنسانُ من مِقْرَعةٍ واحدة . فقال له نصْر ذلك ، فقال له فى الجواب : الخليفة أطال الله بقاءه ولَّى المحسنَ ، وهو ضَمِن له ماضَمِنه بواسطة مُفلحٍ وغيرِه من ثِقاتِه ، وأنا إذ ذاك محبوس ، وكنتُ أحب الرِّفْقَ بالناس فأناظرهم بالقول ، فإن أذعنوا وقار بوا قار بتهم وقبلْتُ عَفْوَهُم ، و إن امتنعوا سلّمتُهم إلى من أمر الخليفة أيده الله بتسليمهم إليه ، فقال له مؤنس : كأنك تُحيل على الخليفة فى قتل الناس ! قد قال : إنه ما أمر

---

(١) فى تجارب الأمم : فعمال المعاون وثقات السلطان وعمال الخراج ووجوه المتصرفين

(٢) الأنعام ١٦٤ ، الإسراء ١٥ ، وفاطر ١٨ ، والزمر ٧ .

(٣) القود : القصاص

(٤) فى تجارب الأمم : قود بادعاء قتل فى موضع ناء عنه يقال فيه إن غيره تولى قتله

(٥) تجارب الأمم ٥/١٣٤

بقتل أحد غير ابن الحوارى فقط . ثم قال له : الخليفة أيده الله يقول : سَلَّمْتُ إليك قوما بمال ضمنتَه لى ، فإما وَفَّيْتَنِي المالَ أو ردَدْتَ علىَّ القومَ . فاضطرب ابن الفرات من هذا القول وقال : أما المال فصحّ فى بيت المال ، وأما الرجال فماتوا حتف أنفهم ، فقال له مؤنس : هب لك عذرا فى كل شئ ، أى عذر لك فى إخراجى إلى الرَّقّة حتى كأنى من العمال المصادرين أو من أعداء دولة أمير المؤمنين ؟ قال : فأنا أخرجتك ؟ ! فقال : فمن ؟ قال : مولاك . فى السفط[1] الخَيْزُرَانِ ـ المكتوبِ عليه بخطّى : مايُحْتَفَظُ به من المهمات ـ رقعةٌ بخطِّ الخليفة ، أطال الله بقاءه ، إلىَّ يشكو فيها أفعالَك وقتاً بعد وقت ، وفتحكَ البلدان ثم إغلاقك إياها بالتدبيرات القبيحة ، ويأمر بإخراجك إلى الرقة والتوكيل بك حتى تخرج .

فأنفذ الخاقانىُّ وأحضر السفطَ وعليه ختمُ ابنِ الفرات وفتحَه فوُجدت الرقعةُ من المقتدر على ما حكى من مضمونها . فأخذها مؤنس ومضى من وقته إلى المقتدر حتى أقرأه إياها ، فاغتاظ المقتدر بالله على ابنِ الفرات ، وأمر هارون بن غريب بضربه بالسوط ، فعاد وأقامه بين الهِنْبَازَيْنِ[2] وضربه خمس دِرر[3] وقال له : أَذْعِنْ يا هذا بالمال ، فكتب له خطَّه بعشرين ألف دينار .

وأخرج[4] المحسن وضربه حتى كاد يتلف فلم يُعْفِ[5] بشيء وصار هارون إلى المقتدر بالله واستعْفى من مطالبة ابن الفرات وابنه وقال:هؤلاء قوم قد استقتلوا[6] وما ينقادون ولا يذعنون . فأمر بتسليمهما إلى نازوك وإيقاع المكروه بهما . فأوقع

---

(١) السفط وعاء كالقفة أو الجوالق . أو هو ما يعبأ فيه الطيب وما أشبهه .

(٢) الهنبازان : حجران . (٣) الدرر جمع درة وهى السوط .

(٤) تجارب الأمم ٥/١٣٥ .

(٥) أعفاه بحقه : وفاه إياه . وفى تجارب الأمم : لم يذعن بشيء .

(٦) استقتلوا : استسلموا للقتل وعرضوا أنفسهم له .

نازوك المكاره بالمحسن حتى تدوَّد بدنُه ولم يَبْقَ فيه فَضْلٌ لضرب . وضُرب ابن الفرات ثلاثَ دفعات بالقُلُوس [١] فلم يُعْطِ شيئاً ، ولا صَحَّ للمحسن فى مدة حياته أكثر من سبعةِ آلاف دينار منها خمسةُ آلافٍ أقرَّ بها الحسن بن شبيب العتى تبرُّعاً، وواجه المحسنَ بأمرها فأنكر أن يكون له وقال : هذا مال اجتمع من الوقف الذى كان والدى أسنده إلىَّ وتُرِك عند ابن شبيب لينضافَ إليه غيرُه ويُفرَّق فى أهله . ومنها ألفُ دينار اجتمعتْ من ثمن فرش وثيابٍ صِحَاحٍ ومقطوعة كانت مودعة عند بعض التجار بسوق العطش . وأقرَّت بها دنانيرُ ورهبان جاريتا زوجةِ المحسن ، فإنهما كانتا ممن قُبِضَ عليهما وضربهما ابنُ بُعْدِ شَرٍّ ضرباً مُبَرِّحاً فلم تُقِرَّا بغير ذلك . واستبطأ المقتدرُ بالله أبا القاسم الخاقانى وقال له : أين أموال ابن الفرات وابنه التى ضمنتها لى ؟ فقال : لم أُتْرَكْ تَدْبِيرَ أمرِها [٢] ، ولما رأيا أن قد سُلِّمَا إلى أصحاب السيوف وعُدِل بهما عن الكتاب خافا القتل وضنَّا بأموالهما . وقال نازوك : قد بلغت فى مكاره القوم إلى الغاية ، وللمحسن أيام لم يَطْعَمْ فيها طعاما ، وإنما يشرب الماء شُربا قليلا ، وهو فى أكثر أوقاته مَغْشِىٌّ عليه . فقال المقتدر بالله : إذا كان الأمر على ذلك فلْيُحْمَلاَ إلى دارى . فقال مؤنس والجماعة : الأمر لمولانا . وقال الخاقانى : قد وفق الله رأى أمير المؤمنين .

وخرجوا من بين يديه . فقال الخاقانى لهم : ما قال أمير المؤمنين ذلك إلا وقد واصل أسبابُ ابنِ الفرات مكاتبتَه بأنه متى حُمِل وابنُه إلى داره ورُفِّهَا وأُمِنا على نفوسهما أَدَّيَا مالا كثيراً . ولعلهم قد بذلوا عنهما ألفَ ألفِ دينار وأكثر . وأشار بأن يجتمع القُوَّاد ويتحالفوا على أنه متى نُقِل ابن الفرات وابنُه إلى دار الخليفة

---

(١) القلوس : الحبال الغليظة جمع قلس .

(٢) فى تجارب الأمم : فقال : لأنه لم يترك والتدبير « يعنى أنه لم يترك له تدبير الأمر معهما » .

خلعوا الطاعة ، وأن يَثْبُتُوا على هذا القول ثبات التظافُر [١] وقوة العزيمة ، وإلّا فإن حصل ابنُ الفرات عنـد السلطان وأدّى ماله وتوثّق لنفسه ضَمِنَ الجماعةَ منه [٢] ، وحمله على القبض عليهم وتسليمهم إليه . فقال مؤنس : هذا أمر متى لم نفعله لم تسكن نفوسُنا ولم يَصْفُ عيشُنا . وتـكفّل هارون بن غريب ونازوك بجمع القواد ووجوه الغلمان الحُجرِيَّة وموافقتِهم على ذلك . وقام يَلْبَقُ باستحلاف قُوّادِ مؤنس .

فلما كان يوم الخميس السابع من شهر ربيع الآخر كاشفوا المقتدر بالله وقالوا : إن لم يُقْتَل ابنُ الفرات وابنُه خَلَعَ الأولياء كلُّهم الطاعَة . فقال لهم : دعونى حتى أفـكر . وجدَّ هارون بن غريب خاصّة . وأرادَتِ الجماعةُ من الخاقانى التجريد فى ذلك فقال : ما أدخل فى دم . والذى أشرْتُ به أن يُمْنَع من حمله إلى دار السلطان . فأما قتله فإنه خطأ ؛ لأنه متى سهل القتلُ على الملوك ضَرُوا عليـه [٣] ، ولم يُمَيِّزُوا فيه .

وقُدِّم إلى [٤] ابن الفرات طعامُه فى يوم الأحد الثانى عشر من الشهر فامتنع عنه وقال : أنا صائم . وحضر وقتُ الإفطار فأعيد إليه فقال : لست أُفْطِر الليلةَ . واجْتُهِد به فلم يفعل وقال : أنا مقتول فى غدٍ لا محالة . فقيل له : نُعيذك بالله . فقال : بلى ، رأيتُ البارحة فى النوم أبا العباس أخى وقال لى : « أنت تُفْطِر عندنا يوم الاثنين الذى هو غد . وما قال لى فى النوم شيئاً إلّا صَحّ ، وغدٌ يومُ الاثنين ، وهو اليوم الذى قتل فيه الحسن [٥] صلوات الله عليه .

---

(١) التظافر : هو التضافر والتعاون .
(٢) أى أنه تعهد أن يصادر من أموالهم قدراً معلوما .
(٣) ضرى بالشىء : تعوده وأولع به .
(٤) تجارب الأمم ٥/١٣٧ .
(٥) فى تجارب الأمم : الحسين .

وانحدر الناس فى يوم الاثنين إلى دار السلطان فلم يَصِلُوا ، وكتب هؤلاء الرؤساء إلى المقتدر بالله رقعــة بأنه إن تأخر قتلُ ابن الفرات وابنِه عن يومهم جرى مالا يُتَلافى . وأشاروا [1] إلى ما عَظَّموا الأمر فيه .

فوقَّع إلى نازوك بأن يَرْكب إلى موضعهما و يضرب أعناقهما و يحمل رأسيهما . فقال نازوك : هــذا أمر لا يجوز أن أعمل فيه بتوقيع . فأمر المقتدر بالله الأُستاذِينَ الخدَمَ بأداء رسالة عنه إليه فى هذا المعنى ، فخرجوا وأدوها ، فامتنع وقال : لا بُدَّ من المشافهة بذلك ، فأُمِر بأن ينصرف و يعود على خلوة ، فمضى وعاد ، فأوصله المقتدر بالله حتى سَمِــع قوله .

وكان ابن الفرات يُرَاعى الخبر ، فلما عرف انصراف الناس ونازوك سكن قليلا ثم قيل له : قد عاد نازوك . فخاف وأيقن بالهلاك ، وصار نازوك إلى دار الوزارة بعد الظهر من ذلك اليوم ، وجلس فى الحجرة التى كان ابن الفرات معتقلا فيها ، وأنفذ عجيبا خادمه ــ ومعه جماعةٌ من السودان ــ حتى ضَرَبَ عنقَ المحسن ابنِه وجاء برأسه إلى أبيه فوضعه بين يديه ، فارتاع لذلك ارتياعا شديدا . وعُرِض[2] هو على السيف . فقال لنازوك : يا أبا منصور ليس إلا السيف ؟ راجِــعْ أمير المؤمنين فى أمرى فإننى أقرّ بأموالى وودائعى وعندى جوهر جليل . فقال له نازوك : جلّ الأمر عما تُقَدِّر . ثم أَمَر به فضُرِبت عنقُه وحُمل رأسُه ورأسُ المحسن إلى دار السلطان مع عجيبٍ خادمِه فغُرِّقا فى الفرات وطُرِحت جُثَّتَاهما فى دجلة .

ومضى ابنُ الفرات عن إحدى وسبعين سنــة وشهور ، والمحسنُ عن ثلاثٍ وثلاثين سنة . وكانت مدة وزارته الثالثة سنة واحدة .

---

(١) فى الأصل : فأشاروا .
(٢) ابن الأثير حوادث ٣١٢ وتجارب الأمم ٥/١٣٨ .

وذكر أبو الطيب الكلوذانى كاتب ابن الفرات قال : رأيت فى منامى وأنا فى الاعتقال كأن مؤنسا المظفر قد دخل إلى موضعى وفى يديه عشرة خواتيم ، فصوصُها ياقوت أحمر وواحد منها لطيف فى البنصر ، فقال لى : قد قُتِل ابنُ الفرات ووالله ما أردْتُ قتله ، وإنما قيل لى فيه وأمْسَكْتُ وسنُقتل كُلُّنا بالسيف ، وأوَّلُنا جعفرُ المقتدر بالله ، ولا يسلم منا من السيف إلا نصرٌ الحاجب فإنه يموت مسموما . قال : فسألته عن الخواتيم فقال : هى عدد سِنِى وِلَايتى . قلت : فلم هذا الواحد الصغير ؟ فقال : إنه لا يُتِمُّ سنةً . فعاش مؤنسٌ بعد هذه الرؤيا دون عشر سنين وقُتِل بالسيف ،

قد مضت سياقة أمر ابن الفرات

ونحن نتبعه بما عرفناه من أخباره منثورا

حدث أبو الفتح عبد الله بن محمد المَرْوَزى الكاتب قال :

حدثنى بعض الشيوخ الكتاب أن أبا الحسن بنَ الفرات قال لأبى منصور ابن جبير كاتبه : أيُّنا أكْفَى أنا أو علىُّ بن عيسى ؟ فقال : الوزير أكفى وأضبط . قال : دعنى من استعمال التَّقِيَّة واسْلُك معى سبيل الحقيقة . قال : إن أردت أن تَخْبُرَ ما عندى وتَسْبُرَ (١) عقلى فاجعلنى آمناً فى قولى . قال له : أنت آمن قال : إذا حضر علىُّ بن عيسى بين يدَىْ خليفةٍ فأراد أن يكتب سِرًّا كتب وأسحى (٢) وختَم وخرَط (٣) ولم يَحتجْ إلى مُعين ، وأنت تستدعى زنجيًّا ليكتب ،

---

(١) سبره . اختبره وجربه .

(٢) أسحى الكتاب : شده بسحاءة ، وهى ما يشد به .

(٣) خرطه وضعه فى الخريطة وهى وعاء من جلد أو غيره يشد على ما فيه .

وللزنجيّ صاحبَ دواة فيقرأ [١] فيخرج السر فيما بين ذلك . فقال له : فضّلت عليًّا علينا . قال : لم أفضله ولـكن يكون [٢] كاتبك .

وقيل : إنه [٣] لما خُلِـع على أبى الحسن بن الفرات خلع الوزارة زاد فى ذلك اليوم فى ثمن الشمع قيراط فى كل مَنٍّ [٤] ، وزاد سعر القراطيس لـكثرة استعماله لها ولأنه كان من رسمه ألّا يخرج أحدٌ من داره فى وقت عشاء إلا ومعه شمعـةٌ مَنَوِيّة [٥] ودرج [٦] منصورى ، وأنه سُقِيَ فى داره فى ذلك اليوم والليلة أربعون ألف رطل ثلجا .

وحدث أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد الطبرى الشاهد قال : حدثنى الـكاتب النصرانى الملقب بَظْر أُمٍّ الدنيا قال :

قال أبو الحسن بن الفرات : أَصْلُ أمور السلطان مَخْرَقَةٌ [٧] فإذا تمَّت واستحـكمت صارت سياسة .

وحدث أبو محمد يحيى بن محمد بن فهد قال : حدثنى بعض شيوخ الـكتاب ببغداد عمن حدثه أنه :

سمع أبا الحسن بن الفرات يقول لأبى جعفر بن بسطام وكان سيء الرأى فيه :

---

(١) فى الأصل ولزنجى صاحب دواة يقرأ .

(٢) كذا بالأصل ولعلها : انظر من يكون كاتبك . أو : ولـكن تصون كاتبك .

(٣) انظر ابن الأثير ذكر قتل ابن الفرات وتجارب الأمم ٥/١٢٠ .

(٤) المن ١٨٠ مثقالا والقيراط جزء من أربعة وعشرين من الدينار أو جزء من عشرين منه .

(٥) الشمعة المنوية حوالى رطلين نسبة إلى المنا وهو مقدار رطلين .

(٦) قد يكون مرادا به ما يكتب فيه فيسكون ضبطه بفتح فسكون وقد يراد به الوعاء الصغير يدخر فيه الأشياء فضبطه بضم فسكون .

(٧) المخرقة الحمق .

ويحك يا أبا جعفر ما قِصَّةٌ لك فى رغيف[1] ؟ قال : ما أعرف لى قصة فيه . قال لتصدُقَنِّى فإنه خير لك . قال : نعم ، إن أمى كانت امرأة صالحة ، وعودتنى منذ يومَ وُلِدت أن تجعل تحت رأسى عند نومى فى كل ليلة رغيفا فيه رطل ، فإذا كان الصباح تصدَّقتْ به ، فأنا أفعل ذلك إلى هذه الغاية . فقال ابن الفرات : ما سمعت بأعجب من هذه الحال . اعلم أننى من أقبح الناس رأيا فيك ، وأشدِّهم انحرافا عنك، لأمور أوجبت ذاك ، منها ومنها؛ وعدد بعضها . وكنت مفكرا منذ أيام فى القبض عليك ومصادرتك . فإذا أويت إلى فراشى رأيت فى منامى كأننى قد استدعيتك لأقبض عليك فتمتنع علىّ وتحاربنى ، وأتقدَّمُ بمحاربتك ، فتَخْرُجُ إلى من قد أمرْتُه بمحاربتك وبيدك رغيف كالتُّرْس تدفع به السهام فلا تصيبك ، وأنتبه ، وإذ قد أخبرتنى بأمر هذا الرغيف فأُشْهِد الله تعالى أننى قد وهبتُ كلَّ ما فى نفسى عليك ، وعدتُ لك إلى أجمل نيّة ، وأحسن طَوِيّة . فاسكُنْ وانبسط . فأكب أبو جعفر على يديه ورجليه يقبلهما .

وحدث[2] أبو جعفر محمد بن القاسم الكرخى ، فى أيام عُطْلَتِه وكِبَرِ سنه ولزومِه بيتَه ، قال : عَرَضْتُ على أبى الحسن بن الفرات رقعةً فى حاجة لى ، فقرأها ثم وضعها بين يديه ولم يُوَقِّعْ فيها ، فأخذتها وقمت [و] أنا أقول متمثلاً من حيث[3] يسمع :

وإذا طلبْتَ إلى كريم حاجةً ... فأَبَى فلا تَعْقِدْ عليه بحاجبِ[4]

---

(١) انظر المنتظم ٦/١٩٢ والفرج بعد الشدة ١/١٥٩ طبعة الصنادقية ١٩٣٨ .

(٢) القصة فى المستطرف طبع بولاق ١/١٣٨ الباب الثانى والعشرون فى اصطناع المعروف وإغاثة الملهوف

(٣) فى الأصل : لم يسمع . والتصويب من السياق والمستطرف .

(٤) الشعر فى المستطرف كما ورد البيت الثانى فى المنتحل ١٠٥ منسوباً لمالك بن أسماء بن خارجة .

فلرُبَّمَا منعَ الـكريمُ ومابه　　بُخلٌ ولـكن شُؤم جَدِّ الطالبِ

فقال وقد سمع ماقلتُه : ارجع ياأبا جعفر بغيرِ شُؤْمِ جَدِّ الطالب ، ولـكن إذا سألتمونا الحاجة فعاودونا ، فإن الله تعالى يُـقَلِّبُ القلوب ، هاتِ رقعتك ، فأعطيته إياها فوقع بما أردتُ فيها .

ولما طهَّر المقتدر بالله بعضَ ولده فى سنة خمس وثلاثمائة . أنفذ إلى الوزير أبى الحسن ابن الفرات ثلاث موائد ، استدارةُ المائدة الـكبيرة منها خمسون شِبراً ، يحملها حمالون بدُهُوق[1] ، ورِيمَ أنْ تُدْخَل من باب الدار التى ينزلها ، فضاق عنها ، حتى قُلِعَ وَوُسِّع الموضع . وحُمِـل إليه فى عشىّ هذا اليوم تختانِ ، فيهما ثَوْبُ وَشيٍ منسوج بالذهب ، وثوبٌ أخضرُ ، وثلاثة أثوابٍ بيضاً وصينيةُ ذهبٍ فيها دنانيرُ ولوز وجوز وفستق و بندق ، وما يجرى هذا المَجْرى من الأصناف ، وجميعه من ذهب ، وقدره خمسةُ آلاف دينار .

وحدث أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن إسماعيل زنجى . قال : حدثنى أبوصلح مفلح الأسود خادم المقتدر بالله قال :

كان أبو القاسم سليمان[2] بن الحسن عند تقلده وزارة المقتدر بالله يكثر ذكر أبى الحسن على بن محمد بن الفرات بحضرة المقتدر بالله والطعن عليه ، وتبيّن من المقتدر بالله النُّـكْرَة لمـا يسمعه منه ، فلما كان فى بعض الأيام عادَ سليمانُ بن الحسن ذِكْرَ ابن الفرات والوقيعةَ فيه ، فقال له المقتدر بالله :

أَقِلُّوا عليهم لا أبَا لأبيـكمُ　　من اللَّوْمِ أوْسُدُّوا المكان الذى سَدُّوا

قال : فتأملتُ سليمان وقد امْتُـقِع لونُه وما أعاد بعدَها ذكره .

---

(١) الدهوق : الخشب يحمل عليه .

(٢) تقلد الوزارة أول مرة للمقتدر سنة ٣١٨ هـ بعد القبض على ابن مقلة .

وحدث أبو على زكريا بن يحيى الكاتبُ قال : كنت فى ديوان السَّوَادِ فى وزارة أبى الحسن بن الفرات الثانية فى يوم ثلاثاء ، وكان أكثر الكتاب يُخِلُّونَ بالحضور فيه ، وأصحابُ المجالس فى مجلس الوزير أبى الحسن للمظالم ، فوافى فُرَانِقٌ[1] وقال لميمون الخازن : قال لك الوزير أحضرنى جماعةَ جازرَ والمدينةِ العتيقة لسنة أربع ومائتين ، فأخذها وركب بغل الفُرَانِق حتى لحق بالمجلس ، فلما انصرف ميمونٌ وأبو الحسين الصقر بن محمد وأبو القاسم عبيد الله بن محمد الكلوذانى تحدَّثوا أن زكريا بن يحيى بن شاذان عرض خَرْجاً فى أمر قطيعة بَرَازَ المباركةِ كان أبو القاسم الكلوذانى أخرجه من مجلسه ، ووقَّع الكُتَّاب أسماءهم عليه على الرسم فى ذلك الوقت ، وعليه توقيعُ أبى منصورٍ عبدِ الله بن جُبير صاحب مجلس الأصل . فقال الوزير أبو الحسن : أَصحَّ مافى هذا الخَرْجِ من ذكر هذه القطيعة سنة أربع ومائتين وهى على حَكٍّ ؟ لست أُمضيه . فقال زكريا بن يحيى بن شاذان لأبى القاسم الكلوذانى : أَخْرِجْه . فتأمل الكلوذانىُّ ذكر السنة ، فوجد تحت اسم الضيعة : هذه اللفظةُ على حَكٍّ ، بخطٍّ دقيق[2] فقال : ما أعرف حَكّاً ، وهذا خط عبد الله ابن جبير . فاعترف عبد الله بن جبير بخطّه وقال : لما وجدْت الاسمَ على حَكٍّ حَكَيْتُ[3] الصورة . وأقام أبو القاسم على أنه لاحَكَّ هناك ، وحلف بأيمان غليظة لامخرج له منها إلا بالطلاق والعِتاق وما شاكلهما على ذلك . فتقدم بإحضار ميمون الخازن والجماعة ، فلما تصفَّحها الوزيرُ وجد الحكَّ ووافَقَ الكلوذانىَّ عليه . فخجِل وتحيَّر . وفتش الوزيرُ التفصيلَ إلى أن انتهى إلى باب المبيع ، فكان حاصلُ برازَ المباركةِ مما بِيعَ مُصابَرَةً ونُسِبَتْ إلى القطيعة . فعلم الوزير ومن حَضَرَ أنَّ الحكَّ فى

---

(١) الفرانق ساعى البريد .

(٢) يعنى أنه وجد كتابة بخط دقيق تنص على أن هذه اللفظة على حك .

(٣) حكيت الصورة . يعنى أنه ذكر ماوجده وأثبت أنها محكوكة، ويرى الأستاذ ميخائيل عواد أنها حككت الصورة .

الصدر على سبيل حيلةٍ ممن رَفَع ذِكْرَ الحلكِّ . وانصرف الكلوذانىُّ مسروراً ومن نُسب إليه الحلكُّ مغموماً . ووقَّع لابن شاذان بإمضاء القطيعة .

وحدث أبو منصور فرخانشاه بن إسحاق : أنه كان يوما مع أبى الحسن على ابن الحسن بن هبنتى القنائى بحضرة أبى الحسن على بن محمد بن الفرات وهو وزير فى الدَّفْعة الأخيرة ، فدخل إليه أبو بكر بن قرابة ، وجلس ودنا منه وسارَّه بما لم نسمعه حتى نَفَضَ أبو الحسن يَده وأبعده وقال له جاهراً بالقول : أتقول لى : لا يُوحِشْك شىء بلغك عن امرأة ؟ ! والله لو علمتُ أننى إذا ذُكِرْتُ لملك الروم وبين يديه بطارِقَتُه ، وملكِ التُّرْكِ وحواليه عُدَدُه لم ترتعد فرائصهما لما قعدت هذا المقعد [1] ! أتخوفنى من كلام امرأة ؟ عنى بذلك السيدة أم المقتدر بالله . فلما خرجنا من حضرته أقبل علىّ أبو الحسن وقال لى : سمعتَ الكلام ؟ قلت : نعم . قال : هذا آخر عهد الوزير بالحياة . فما مضت مُدَيْدَةٌ حتى قُبِض عليه .

وقال أبو الفضل بن حمد : دخل أبو الحسن علىُّ بن محمد بن نصر بن بسَّام عَلَى أبى علىٍّ بنِ مَقْلةَ إلى ديوان الدار فى وزارة أبى الحسن بن الفرات الأولى . فقال له أبو علىٍّ : قال لى الوزيرُ : قد تغـيَّرَ شِعْرُ علىٍّ بن محمد . فأخَذَ قلماً من دَوَاتِه وكتب فى رقعة شيئاً ، ودفعها إليه ، وسأله أن يعرضها عَلَى ابن الفرات وكان فيها :

قالوا تَغَيَّرَ شِعْرُه عن حاله ... فالسوقُ كاسِدَةٌ بغيرِ تِجَارِ
أمّا الهِجَاء فقد عَرَانِىَ كَثْرَةً ... والمدْحُ قَلَّ لِقِلّةِ الأحْرَارِ

وحدث أبو القاسم قريب بن قريب قال : رفع الفراجلة [2] إلى أبى الحسن

(١) هكذا فى الأصل ، ولعل صواب الجملة : لم ترتعد فرائصى ولو قعدت هذا المقعد .
(٢) الفراجلة : هم السعاة وناقلوا الرسائل .

ابن الفرات : أن رجلا من اليهود ادَّعى أن معه كتابا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأمره بإخراج الكتاب ، فلما قرأه قال : هذا مزور ، لأن خَيْبَرَ افتُتِحَتْ بعد تاريخ كتابك بسبعةٍ وستين يوما ، ولكنَّا نَحْتَمِل عنك جزيتك إعظاماً لحقٍّ مَنْ لجأْتَ بالاعتصام به . قال أبو القاسم قريب : فرُجِع إلى كُتب التاريخ فوُجِد الأمرُ كما ذكره ابنُ الفرات .

وقال أبو الحسن بنُ الفرات في مجلسه وفيه خواصه وقد جرى ذِكْرُ السَّوَادِ : لِمَ سُمِّيَ السَّوادُ سوادا ؟ فذكر كلُّ واحد ما عنده . فقال : ليس كذلك ، إنما سُمِّيَ السوادَ لأن العربَ لما جاءته في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأشرفت عليه ، ونظرت إلى مِثلِ الليل من النخل والشجر والزرع والمياه قالت : ما هذا السواد ؟ فسُمِّيَ سواداً لذلك . والعرب تقول : سَوَادُ الأرض و بياضها ، فالسوادُ : العامرُ . والبياضُ الغَامِرُ (١) .

وحدث أبو عمر بن الأطروش قال : كنت بحضرة أبي الحسن علي بن الفرات يوما وهو جالس للقواد ، فعَرَضَ أحمد بن عبد الرحمن بن جعفر بن الخياط رِقَاعاً كثيرةً ، فوقَّع فيها ، حتى بلغ إلى بعضها فقرأها ووضعها بين يديه ، فعاوده أحمدُ فيها ، فقال : يا هذا ، إن كان بيني و بين عليِّ بن عيسى ما يعرفه الناسُ فإنني لا أدع الصِّدْقَ عنه وقَوْلَ الحقِّ فيه حيًّا كان أو ميتا . عليُّ بنُ عيسى لا يُطْلِق يَدَه بمثل هذه التوقيعات في أموال السلطان ، ولا يَتَجَوَّزُ ، مع المألوف منه في الاستقصاء والاحتياط وتجنُّبِ ما يَعِيبه . وقد أمسكْتُ عن أن أقول هذا القول حتى أحوجْتَني إليه .

وأوْمى إلى أن التوقيع مُزَوَّرٌ . فخجل ابن الخيَّاط وقام .

---

(١) الغامر : الأرض الخراب .

ولما جُمع بين أبى الحسن بن الفرات وحامدِ بن العباس وعلىٍّ بن عيسى فى دار السلطان ، وعلىُّ بنُ عيسى كالسِّكَّة[1] المُحْمَاة على ابن الفرات ، لأنه قرر فى نفس المقتدر بالله مكاتبَتَه الجَنَابِىّ[2] وحَمْلَهُ الأَلطاف[3] إليه ، بدأ ابنُ الفرات فقال لعلىّ ابن عيسى : يا أبا الحسن ، بعد السنّ والوزارة والرئاسة والاستشهاد فى الأطراف بالكفايةِ وعُلُوِّ المنزلة صِرْتَ عَوْناً لهذا ! — يعنى حامدا — قال علىُّ بن عيسى : فكنتُ كنارٍ صُبَّ عليها الماء فما ناطقتُه بحرف . فقال له أبو القاسم بنُ الحوارى — وكان يَحْطِبُ فى[4] حبل حامد — : وأىُّ عيب فى هذا ؟ الجماعة خَدَم السلطان يتصرفون على ما رآه لهم وأمَرَهم به ، ومنازِلُهم فى الخُصُوص عنده غيرُ منقوصة ولا محطوطة . فقال ابنُ الفرات لحامد لمَّا أَمْسَكَ علىُّ بنُ عيسى : أيها الوزير ، متى رأيتَ وزيراً ضَمِن النواحِىَ ، وخرج يطوف على الغَلَّات ، ووَكَّلَ خِدْمَةَ الخليفة وعِلْمَ سِرِّه وتدبيرَ العامَّةِ والخاصة إلى ضده ، اللهم إلا أن يكون اشتاق إلى وطنه وداره ؟ — يُعَرِّض بأنَّ له مالًا مستوراً يريد مراعاته — فتحبَّر حامدٌ وأمسك . فلما أمسكوا قال ابنُ الفرات : لأىّ شىء جُمعنا . فقال حامد : لتبينَ للسلطان خياناتُك . فتبسم وقال : فَبَيِّن — بارك الله عليك — فإن كفايتك[5] حسنة . قال: كنت تَرْتَفِق[6] من العمال . قال : أنت أحَدُ عُمَّالى فإن كنتُ ارتفقتُ منك أو سامَحْتُك بفضلٍ فى يدك أو حقٍّ تُرِكَ لك فاذكر ما يجب عليك رَدُّه ليلْزَمَنى أَرْشُ[7] الجناية فى المسامحة به والخيانة فيه .

---

(١) السكة : الحديدة التى يشق بها الأرض .
(٢) الجنابى : هو أبو طاهر سليمان بن أبى سعيد القرمطى .
(٣) الألطاف : الهدايا ، جمع لطف .
(٤) يقال حطب فى حبل فلان : يراد به أنه أعانه ونصره .
(٥) فى الأصل : كتابتك .
(٦) يعنى أنه كان يأخذ منهم أموالا على سبيل الإهداء رشوة له .
(٧) الأرش : الدية .

فأخذ حامد فى السفه والشتيمة وابن الفرات مُطرِقٌ يتبسم . وأُمِرَ القوم بالانصراف ، فخرج علىُّ بنُ عيسى وهو يقول : ما كان أغنانا عن هذا الاجتماع .

فحدَّث مؤنس بن عبد الكريم قال : قال لى المحسن بن على بن الفرات : كاتبتُ أبى وهو محبوس وأشرت عليه بأن يَضْمَن حامدا وعلىّ بن عيسى وأسبابهما فامتنع ، وقد كان المقتدرُ بالله يَعْرِض ذلك عليه فيأبى . وقال لرسولى : العافية أعفى لى ، قد استرحْتُ وأمِنْتُ وعَلَتْ سِنِّى مع ذلك ، وتَعرُّضى لما قد استرحتُ منه جَهْلٌ . فلما خاطبه ابنُ الحَوارى بما خاطبه به أَحْفَظَه [1] فضمِنَ القومَ على أن لا يُعارَض فيهم ، وخرج ففعل المحسنُ ابنُه الأفاعيلَ المشهورة ، وقتل ابن الحوارى وغيره . فلما قُبِض عليه قام فى نفسه أنه مقتول وقال لشفيع وقد تسلَّمه : قل لأمير المؤمنين : إن آمنتنى وحميتنى أعطيتك مالاً كثيراً وجوهراً خطيرا وأشياء نفيسةً ذَخَرْتُها ، وإن سلمتَنِى إليهم لم أُعطك والله حبَّةً واحدة . فلم يُورِد شفيعٌ هذه الرسالةَ على المقتدر ، لشىء كان فى نفسه عَلَى ابنِ الفرات . فلما أُمِر بتسليمه إلى ابنِ بُعْدِ شَرٍّ قال لشفيع : يا أبا الغصن ، ليس بيننا إلا عُبور دِجلة والوفاء بأحد الضَّمانَين . فوَفَى بما قال ، ولم يُعْطِهم شيئا .

وكان المكتفى بالله أمَرَ العباس بن الحسن أن يُجرِّد جيشا إلى الحاجِّ ، فإذا انصرفوا وحصلوا بالكوفة طَلَبَ حينئذ زكرويه [2] . فقال له العباس : إلى رجوع الحاجِّ ربما يكفى اللهُ مؤونَتَه . وجلس العباسُ فى داره وعنده وُجوهُ الكُتَّاب والقواد ، فقال لهم : إن أمير المؤمنين أمرنى بكذا وكذا ، وإنى أشرت بترك طلب

(١) أحفظه : أغضبه .

(٢) لعله هو يحيى بن زكرويه القرمطى كما فى المنتظم ٦ /٣٨ ، ٤٣ فإنه هو الذى كان فى أيام المكتفى الذى تولى الخلافة سنة ٢٨٩ وقد قتل المصريون يحيى بن زكرويه على باب دمشق فى سنة ٢٩٠ .

زكرويه ، فإن الله سيريح منه قبل وَقْتِ الحاج . فما ترون ؟ فَـكُلٌّ صَوَّب رأيه ، وأبو الحسن بنُ الفرات ساكتٌ لا ينطق . فقال له العباسُ : ما عندك يا أباالحسن. قال : أَلَّا تُخَالِفَ أميرَ المؤمنين ، فإنْ ما رأى صواب كان توفيقا ، وخطأً كان على رأيه دون رأيك (١) .

فأقام على رأيه الأول وكان من الوقعة بالحاجِّ ما كان (٢) .

وكان الحسين بن حمدان ورد إلى باب الشَّمَّاسيَّة ليدخل إلى حضرة المقتدر بالله ، فوقف أبو الحسن بنُ الفرات على أنهم يُريدون الفتْكَ به . فـكتب إليه مبتدئا : قرأْتُ كِتَابَكَ تذكُر عِلَّتك بالنِّقْرِس ، والخِلَعُ تُوافيك بمكانك .

ففهم المعنى وتعالَل ، فوجَّه إليه بالخِلَعِ وَولىَ ديارَ ربيعةَ وغيرَها .

وقال أبو بكر بن قرابة : شُكِيَ إلى أبي الحسن بن الفرات عامِلُ قُطْرَبُّل وإغفالُه عَمَلَ البَرَنْدَات (٣) . فَوَقَّعَ إليه : ينبغى أن تراعى العمل قبل الوقت للوقت ، وفى الوقت للوقت .

قال : وسمعته يقول : العامل فى أوَّلِ سنة أعمى ، وفى الثانيـة أعور ، وفى الثالثة بصير .

قال : وجارانى يوما ذِكْرَ أبى عليٍّ بن مقلة وسِعَايته به ، فقال لى : سبيلُ كلِّ عاقل أن يتَحامى هـذا الرجلَ ولا يَقْبَلَه ، فقد كان جرى مثل أمره فى أيام

---

(١) يريد أنه إن كان أصاب فى رأيه فذلك توفيق من الله وإن كان أخطأ فهذا رأى الخليفـة دون رأى العباس .

(٢) انظر أمر الوقعة فى كتب التاريخ حوادث ٢٩٤ والمنتظم ٦/٥٩ .

(٣) البرندات : الجسور .

إسماعيلَ بن بُلْبل ، وذلك أنه كثُرتْ شكوى المعتمد إلى أخيه الموفَّق من إسماعيل ، فأراد الموفَّق أن يقضِىَ حَقَّه بصرْفِ إسماعيل إلى أن يَسْكُن ما فى نفس المعتمد ، فقال له : اخْرُجْ إلى ضِيَاعك بِكُوثَى وأَقِمْ فيها مدة شَهرٍ معتزلاً للعمل ، ثم عُدْ بعد ذلك . وقلّد مكانه الحسن بن مخلد . فاستخلفَ الحسنُ أبا نوح ، وكان أبو نوح يكاتب إسماعيلَ بن بلبل بأخبار الحسن ، فلما عاد إسماعيل إلى الوزارة حضره أبو نوح ، وجعل يخاطبه مخاطبةَ مأنوسٍ به . و إسماعيل يَلْوِى وجهَه عنه . فلما خلا به أقبل عليه وقال له : إن الحال التى قَدَّرْتها قرَّبَتْك منى هى التى نَفَّرَتْنى منك ومنعتنى الثقة إليك [١] ، لأنك إذا لم تَصْلُح لمن اصطنعك ورفعك وقلَّدك من العمل أكثرَ مما قلَّدْتُكَ لم تَصْلُح لى ، وما أُحِبُّ كونك بحضرتى ولا اختلاطَك بخاصَّتى . فاختر بَرِيدَ ناحيةٍ تُشاكل طَبعَك .

فاختار بريد ماء البصرة ، فقلّده إياه .

وقال أبو الحسن بن قرابة : سمعتُ أبا الحسن بن الفرات يقول لكاتِبِ نُجْح وقد سأله تضمينهَ الصَّدَقاتِ بفارسَ : إنما يُرْغب فى عقد الضمان على تاجرٍ مَلِىٍّ [٢] ، أو عامل وفِىٍّ ، أو تانىء [٣] غنىّ . فأما أصحابُ الحروب فعَقْدُ الضمان عليهم ومطالبَتُهم بالخروج من أموالها تستدعى منهم العصيان ، وخلْعَ طاعة السلطان .

قال : وسمعته يقول : من وازن من الكُتَّاب المحاسبة ، وأوضح الحجّة فى المكاتبة ، وألزم العاملَ الواجبَ فى المعاملة ، كان حقيقا بما انتسب إليه .

---

(١) المعروف أنه وثق به . ولكنه ضمنها معنى الركون : أى الركون إليك .
(٢) الملى : المقتدر الغنى .
(٣) فى الأصل نان . ويجوز أنها خففت همزتها، والتانىء : المقيم بالمكان .

قال : وسمعته يقول : العِمارَةُ بالرغبة ، وحِفْظُ الغَلَّةِ بالرَّهْبة . فَقَلَّ استخراجٌ[١] وقع فى أيام عِمارة إلاَّ أبطَلها . وقد كان عبيد الله بن يحيى يكتب إلى العُمَّال فى أيام العِمارة : أغلقوا أبواب دواوين الخراج ، واصْرِفُوا المستخرِجين من حضرتكم .

قال : وسمعت هشام بن عبد الله يقول : كتب أبو الحسن بن الفرات إلى نُجْحٍ ــ وقد أنفذ أبا جعفر حمد بن إسحاق المادرائى متقلِّداً للخراج بدارَا بْجِرْدَ ، من عمله ــ : السيف تابع والقلم متبوع ، وقلَّ سيف غلب القلم إلاَّ كان داعيةَ الخراب .

ولما قدم عبيد الله بن سليمان من الجَبَل فى أيام المعتضد بالله رحْمةُ الله عليه صار إليه أبو العباس وأبو الحسن ابنا الفرات فى عَشِيّ يوم ، فوجداه يُمَيِّز أعمالا وكتباً ، و بين يديه كانون عظيمٌ يَحرق مالا يحتاج إليه ، فدفع إلى أبى العباس إضْبَارة ضخمةً وقال له : يا أبا العباس هذه الإضبارة وقائع وسعايات بك و بأخيك من أسبابكما وثقاتكما وصنائعكما وردتْ علىّ بالجبل ، فخبأتها لك لتعرفَ بها مَنْ ينبغى أن تحترس منه ، وتُعاملَ كلَّ واحد بما يستحقُّه .

فأكثر أبو العباس فى شكره والدعاء له ، و بدأ أبو الحسن يقرأ شيئاً من الإضبارة ، فانتهره أبو العباس وقال : لاتقرأ شيئاً منها . وأخذها فطرحها فى الكانون وقال : ما كنتُ لأقابِلَ نعمةَ الله عَلَى ماوهبه لى من تَفَضُّلِ الوزير بما يُوجب الإساءة إلى أحد ، ولا حاجة لى إلى قراءة مايُوحشنى من أسبابى ، ويجُرُّ عليهم إساءةً منى .

فلما نهضنا قال عبيد الله بن سليمان : أردتُ التفرُّدَ بمكْرُمَة فسبقنى أبو العباس إليها وزاد علىَّ فيها .

قال وحدثنى ابن الأجرى صاحب ابن الفرات قال : كنت لا أكاد أحضر

---

(١) الاستخراج هنا : طلب الخراج .

مجلس الوزير أبى الحسن إلا ليلا ، فحضرت يوما نهاراً لأمر سألنيه ابنُ أبى البغل ، فوجدت عنده المحسن ابنَه ، فلم أخاطبه بشىء خوفا من بوادره وشرّه ، حتى نهض وخلا المجلس ، فقلت له : ابنُ أبى البغل يعلم محلّى من الوزير ، وصار إلىّ البارحةَ ليلا فقال لى : لم أجد من آمنه على نفسى غيرَك ، وقد قصدتُك لتستأذن لى الوزير فى الخروج إلى عَبّادان لأقيم بها وألبس الصوف وآمن على نفسى . قال : وإذا المحسن قد عاد ، فأمسك أبو الحسن حتى قام ، ثم قال : قد عرفْت ذنبه إلا أنه قد لزمك ذِمامُه[1] ، ومن لزمك ذِمامُه التزمناه ، لأنك واحد منا ، وغير منفصل عنا ، فلا تُعْلِمَنَّ بهذا أحدا ، وهذا صَكٌّ على ابن فلانة بثلاثة آلاف درهم فيجعلها نفقته . قال: فأخذت الصكَّ وخطَّه بالإذن له ، وعدت إلى الدار فوجدت ابن أبى البغل قد صَعِد السَّطْحَ ، وألقى نفسه فى خَرِبَة تُجاورنا ومضى . فعدت إلى الوزير وحدثته بالصورة ، فأخذ الصَّكَّ وأمر بطلبه وقال : والله لو قتل أولادى جميعاً ثم دخل دارك لكان ذلك أماناً له وحَقْناً لدمه .

وحُكِىَ أن ابن الفرات اجتاز يوماً فى بعض الطرق ، فاتفق أن سار تحت مِيزَاب[2] ، فوقع عليه منه ما لَوَّثَ ثيابه وسَرْجه ودابّته ، فوقف فى الطريق ، وأنفذ إلى داره من يُحْضِرُه خِلْعَةَ ثيابٍ أُخرى ، فرآه رجل عطَّارٌ كان فى الموضع ، فقام إليه ، وسأله أن يدخل إلى منزله ويقيم فيه إلى أن يعود الرسول بالثياب . ففعل وأقام عنده ، وخلع ما كان عليه ، وتنظف بالماء مما كان أصابه ، وأحضره الغلامُ الثياب فلبسها ، ثم سأله العطَّارُ أن يأذن له فى إحضار بخُور يَتَبَخَّرُ به ، فأذن له ، وركب أبو الحسن . ومضت الأيام ، فلما ولِىَ الوزارة كانت حالُ العطَّار قد اختلَّت

(١) الذمام : الحرمة والحق

(٢) الميزاب : القناة يجرى فيها الماء .

وَرَزَحَتْ [١] ، فقالت له زوجته : لومضيتَ إلى الوزير وتَعرَّفْتَ إليه بخدمتك كانت له [٢] لرجوْتَ أن ينظر فى أمرك نظرا تُغَيِّر به حالَك . فأعرض عن قولها واستبعد الأمل مما ذكرتْه ، ثم ألَّحت عليه فى القول ، فمضى ودخل دار أبى الحسن وتعرض له إلى أن رآه فأمسك وانصرف ، فعرّف زوجته ماجرى ، فأشارت عليه بالعَوْد ، فعاد ومعه رقعةٌ يستميحُه [٣] فيها ، ولم يزَلْ حتى وجد فرصة منه فعرضها عليه ، فلما وقف عليها قال : سَلْ حاجةً تُقْضَ لك ، واتفق أن صار إليــه من خاطبه فى أمر كاتبٍ للعيال [٤] كان محبوساً ، وسأله مَسْألَةَ الوزير إطلاقَهُ ، وضمن له خمسة آلاف دينار فى خاصّهِ ، وللوزير عشرين ألف دينار على يَدِه [٥] ، وللحواشى خمسة آلاف دينار ، ووافقه على تعديل [٦] المال عند بعض التجار بالكَرْخ . فلما توثَّق منه قصد الوزيرَ ومعه رقعةٌ بالصورة ، فأمره بحمل المال ليُطْلِق له الرجل ، فحمل المالَ ، فلما حصل فى الدار منعه بعض الخدم من إدخاله إلى الخِزانة إلى أنْ يُؤْذن فى قبْضه . وعرف الوزير أمرَه ، فتقدم إلى العطار أن يُفَرِّقَ ما للحاشية عليهم ويأخذَ جميع الباقى لنفسه . وأمر بإطلاق كاتبِ العيال ، فاستعظم العطَّار ذلك وملأ قلبه ، ورأى قَدْرَه يَصْغُرُ عن مثله ، فقال للوزير : يُقْنعنى من هذا كلِّه ألفُ دينار أُغَيِّر بها حالى . وأجعلُها رأسَ مالى ، فقال له : خذ الجميع عافاكَ الله ولا تُكْثِر عَلَيَّ فى الخطاب . فخرج من حضرته وصار إلى أبى أحمدَ المحسنِ ، وعرّفه الحالَ ، وأنه يقنعه اليسير مما أُعطِيَه ، وأَوْمَى إلى حَمْلِ الباقى إليه ،

---

(١) يريد بقوله رزحت أنها ضعفت جداً كما يرزح الجمل بأن يسقط ويلصق بالأرض ولا يستطيع النهوض هزالا ونعيا وقد تكون الكلمة : رزح « بتشديد الزاى يقال رزح الرجل ترزيحاً » إذا ضعف وذهب ما بيده .

(٢) أى بخدمتك التى كانت له (٣) يستميحه : يسأله العطاء

(٤) هكذا هى فى الأصل ولعلها محرفة عن العمال

(٥) يده : معروفه . وقد يكون المراد أن يؤدى هــذا المتوسط بنفسه العشرين الألف الدينار إلى الوزير .

(٦) يقصد بتعديل المال أن يقيمه ويضعه عند بعض التجار .

فقال له أبو أحمد : يأمر لك الوزير بشيء وأُصانعك عليه ! خذ المال وانصرِف .

ولأبى الحسن بن الفرات :

خَلِيلَىَّ قد أمسيتُ حيران مُوجعاَ وقد بان شَرخُ[1] للشباب فوَدَّعاَ
ولابُدَّ أن أُعْطِى اللذاذة حَقَّها وإنْ شاب رأسى فى الهوى وتَصلَّعاَ
إذا كنتُ للأعمال غيرَ مُضَيِّعٍ فما حقُّ نفسى أن أكون مُضَيِّعاَ

وحدث أبو على بن مقلة قال : سمعت أبا الحسن بن الفرات يقول دفعاتٍ :
مابخلت بشيء قطُّ إلا ندمت على بُخلى به .

ولابن بسام فى أبى العباس أحمدَ وأبى الحسن علىٍّ ٱبْنَىِ الفرات :

لى أحمدان لدنياى[2] وآخرتى ولى عَلِيَّان فانظر من أُعَدِّدُ لى
من خاتَمُ المُلْكِ أضحى وَسْطَ خِنْصرِهِ ومن علا كتفيه خاتَمُ الرُّسُلِ
فللشفاعة حسبى أحمَدٌ وعَلِى[3] وللمعيشة حسبى أحمَدٌ وعَلِى[4]
منهم بإثنين ما حاولت يَسْهُلُ لى كما بإثنين إنْ قَصَّرْتُ يُغفَرُ لى
تَشَبَّثَتْ راحتى منهم بأربعةٍ فى العُسْرِ واليُسْرِ والتَّأميلِ والْوَجَلِ

وله أيضاً فى هجائهم :

يارب إنك عَدْلٌ على البريَّةِ شاهِدْ
بنو الفرات ثِقالٌ وكلُّهُمْ لك جاحِدْ
ثلاثةٌ ليس فيهم إلا ثقيلٌ وباردْ
يارب إن كان لا بدَّ من ثقيلٍ فواحِدْ

ولعبد الله بن المعتز إلى أبى العباس بن الفرات :

---

(١) شرخ الشباب أوله وريعانه (٢) يصح أن تمد أيضاً فيقال دنيائى .
(٣) أحمد وعلى هما سيدنا محمد رسول الله وعلى بن أبى طالب .
(٤) أحمد وعلى هما ابنا الفرات .

يا دهرُ غَيِّرْ كُلَّ شَيْءٍ سوى ... رأى أبي العباس فا تْرُكْهُ لي

قد كان لي ذا مَشْرَبٍ طيِّبٍ ... حيناً فَشِيبَ الآن بالحَنْظَلِ

عَيْنٌ أصابت وُدَّه لا رَأَتْ ... وجه حَبيبٍ ـ أبداً ـ مُقْبِلِ

إن كان يرضى لي بذا أحمدٌ ... فليس يرضى لي بهــذا علي

وللبحتريِّ في أبي العباس :

كرمٌ أنجز المواعيــد حتَّى ... ردَّ فيها نَسِيئَةَ[1] الوعد نَقْدَا

كلما قُلْتُ أَعْتَقَ المدْحُ رِقِّي ... رَجَعَتْنِي له أيَادِيه عَبْــدَا

وحدث[2] أبو الحسين علي بن هشام قال سمعت : أبا الحسن علي بن محمد بن الفرات يحدث قال : كان النُّهَيكيُّ العامل قد لازم أبا القاسم عُبيدَ الله بن سليمان في نكبته ، فلمَّا ولي الوزارةَ قلَّده بادُرَويا ، وكان يتقلَّدُها جِلَّةُ العُمَّال . ولقد سمعت أبا العباس أخي يقول : من استقلَّ ببادوريا استقلَّ بديوان الخراج ، ومن استقل بديوان الخراج استقل بالوزارة ، وذلك لأن معاملاتِها مختلفةٌ وقصبَتها الحضْرة[3] ، والمعاملة فيها مع الأمراء والوزراء والقوّاد والكُتَّاب والأشراف ووجوهِ الناس ، فإذا ضَبط اختلافَ المعاملات ، واستوفى على هذه الطبقات صَلَح للأمورِ الكبارِ . قال أبو الحسن بن الفرات : فأقام النهيكي في عِمَالة بادوريا نحوَ سنتين ، تقلَّد فيهما عبدُ الرحمن بن محمد بن يزداد ثم أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي الأصبغ ديوان الخراج في أيام عبيد الله بن سليمان ، فلما أُطْلِقْتُ أنا وأبو العباس أخي من الاعتقال، وتقلَّد أخي ديوانَ الخراج والضِّياع ، وخَلَفْتُه عليهما . عاملنا النهيكي ، فكُنّا إذا كاتبناه بِرَفْع الحساب لم يُجِبْنا ، وإذا خاطبناه بشيء في أمر العمل لم يَحْفِل بنا، إدلالاً

---

(١) النسيئة : التأخير .

(٢) نشوار المحاضرة ١٦/٨ .

(٣) في نشوار المحاضرة : وأنها عرصة المملكة .

بمكانه من الوزير وعفَّته ، وكان عفيفا ، فلما طال ذلك منا ومنه شكوناه إلى الوزير، فوكَّل به من لازَمه حتى رفع حسابه لعدَّةِ سنين ، وتشاغلْتُ بعمل مؤامرة، فلم أجد عليه كبيرَ تأوُّلٍ . وحضرْنا بين يدى الوزير لمناظرته ، وقد كنتُ صَدَّرْتُ أوَّل باب من المؤامرة بأنه فصَّل تفصيلاً لثمن الغَلَّةِ المبيعة جُمْلَتُه على مُوجِب التفصيل أكثرُ من الجملة التى أوردها بألف دينار ، فقال : أَتَتَبَّعُ . فتتبع إلى أن صَحَّ البابُ . فقال : وماذا يكون ؟ هذا غَلَطٌ من الكاتب فى الجملة . فبدأتُ أكلِّمه . فأسكتنى أخى ، وأقبلَ على الوزير فقال : أيها الوزير، صدق . هذا غلط فى الحساب ، فالدنانير فى كيس من حَصَلَتْ ؟ فقال الوزير : صدق أبو العباس، واللهِ لا وليتَ عَمَلاً يالِصّ . ثم أتبعتُ هذا البابَ بباب آخر ، وهو ما رفعه ناقصا عمَّا كتب به من كَيْلِ غَلَّةٍ عند قِسمتها ، فلما توجَّهَتْ عليه الحُجَّةُ قال : أريد كتابى بعينه ، فبدأتُ أكلمه ، فأسكتنى أخى وقال : هذا أيها الوزير طَعْنٌ على ديوانك ، ونُسَخُ الكُتُبِ الواردةِ والنافذةِ شاهدٌ عَدْل . فقال : صدق يا عدو الله . وأمر بِجَرِّه فَجُرَّ . وما برحنا حتى أخذنا خَطَّه بثلاثةَ عشرَ ألفَ دينار فأهلكناه بها ، وما عَمِل كبيرَ عَمَلٍ بعدها .

وحدث [١] أبو الحسين قال : سمعت أبا الحسن بن الفرات يقول : ناظرت الجهظَ أحدَ العمال على مؤامرة قد عملناها له ، وكنت أنا وأخى نأخذ خطَّه بباب باب ، فلما كثُر ذلك قال لى سِرًّا : ليس العملُ فى الخطِّ ، العملُ فى الأداء ، وستعلمون أنكم لا تَحْصُلُون منى على شىء ، فسمعته أنا وسمعه الوزير أبو القاسم عبيدُ الله بن سليمان ، لأننا كنا فى مجلسه ، فقال له : أَعِدْ ما قلتَ . فاضطرب . فقال : لا بُدَّ أن تُعيدَه . فأعاده . فقال : إِذَنْ لا تَلى لى واللهِ عملاً أبدا ،

(١) نشوار المحاضرة ٨/١٩ .

قم عافاك الله إلى منزلك . خَرِّقْ بإغلامُ المؤامرة . فَخُرِّقَتْ فى الحال ، وانصرف الجهظُ ، وما صَرَّفَهُ الوزير بعد ذلك . وشاع حـديثه فتحاماه الناس كلُّهم ، وهلك جوعا فى منزله حتى بلغنى أنه احتاج إلى الصَّدَقة .

وحدث [١] أبو الحسين قال : حـدثنى سليمان بن الحسن بن مخلد قال : قال لى ناقدٌ خادمُ أبى وثِقَتُه وكان يتولى نفقتَهُ : ما رأيت أجسرَ من مولاى على أخذ مال السلطان ، ومن ذلك أنى باكرْتُه يوما وقد لبس سَوَادَه ليمضىَ إلى دار المعتضد على الله ، وهو إذ ذاك يتولى دواوين الأَزِمَّة والتوقيعِ وبيتِ المال ، فقلت له : قد صَكَكْتَ علىَّ [٢] البارحةَ للعاملين بألف وستمائة دينار ، وما عندى منها حَبَّةٌ واحدة . فقال لى : يا بغيض ، تُخاطبنى الساعةَ ! أين كُنْتَ عن خِطابى البارحةَ لأوجه وجهاً ما لها [٣] ؟ ولـكن اتبعنى إلى دار السلطان . فتبعته ، ودخل إلى المعتمد مع الوزير عبيد الله بن يحيى ، ودخل معهما أحمد بن صالح بن شيرزاد صاحبُ ديوان الخراج . فلما خرج قال : امض إلى صاحب بيت المال فخُذْ منه ما يدفعهُ إليك . فظننته قد استسلف شيئا على رِزْقه ، ومضيت إليه ، فأعطانى ثلاثين ألف دينـار ، فاستكثرت ذلك ، وعلمت أنه ليس من الرزق ، وحملتُها إلى الدار وعَرَّفته خبرَها . فقال لى : أَطْلِقْ منها [٤] ما وقَّعْتُ به إليك ، واحفظ الباقى ، فليس يتّفق فى كُلِّ وقتٍ مثلُ ما اتّفق . ومضى للحديث أيامٌ ، ودعا دعوة فيها صاعد بن مخلد — وإليه إذ ذاك عِدَّةُ دواوين — وجماعةٌ من الكُتَّاب ، فأكلوا وناموا وانتبهوا ، فإذا كاتب من كُتَّاب أحمد بن صالح بن شيرزاد يستأذن

---

(١) نشوار المحاضرة ٨/٢٢

(٢) صك عليه صكا : كتب عليه كتاب الإقرار بالمال وغير ذلك .

(٣) فى الأصل : لأوجه وجه مالهم . وفى نشور المحاضرة : لأوجه لها وجها .

(٤) فى نشوار المحاضرة : أنفق .

على مولاى ، فأذن له ، وقام إلى مجلس واستدعاه إليه ، فسمعته يقول له : أخوكَ أبو بكر يقرأ عليك السلام ـ يعنى أحمد بن صالح ـ ويقول : أنت تعرف رَسْمى مع صاحب بيت المال ، وأنَّ محاسبتَه فى سائر الأموال إلىَّ ، وإذا تمَّتْ ثلاثون يوما وجَّهْتُ حاجبى إلى الخازن لحمله مع صاحب بيت المال إلى ديوانى لينتظم دُستورُ الخَتْمَةِ بحضرتى ، ونحن فى ذلك منذ عشرة أيام ، حتى تكاملت الختمةُ ولم يبق إلا ثلاثون ألفَ دينار ، ذكرَ صاحب بيت المال أنَّكَ خَرَجْتَ إليه من حضرة الخليفة وأمرته بحملها إلى خادمك ناقد ، ولست أدرى فى أى جهة صُرِفَتْ ولا ما الحجَّةُ فيهــا . فأجابه مولاى بغير توقف وقال : أخى أبو بكر واللهِ رقيعٌ ، أسألُ أنا الخليفةَ فى أى شىء صرفَ ما استدعاه إلى حضرته ؟ يجب أن يُكْتَب فى الختمة : وما حُمِل إلى حضرةِ أمير المؤمنين فى يوم كذا وكذا ثلاثون ألف دينار . قال : فقام الــكاتب خجِلاً ومرَّ ذلك فى الحساب على هــذا ، وما تَنَبَّه عليه أحد :

قال أبو الحسين [٢] وقال لى سليمان بعقب هــذه الحــكاية : وما رأيت لهذه القِصَّة شبيها إلا ما فعله أبو الحسن بن الفرات فى وزارته الأولى ، فإنه نَصَبَ يوسف ابن فنحاس [١] ، وهارون بن عمران الجهبذَ ، فلم يَدَعْ مالاً لابن المعتز والعباس ابن الحسن ومن نُــكِبَ وقُتِل فى الفتنة ، وما صَحَّ من مال المصادَرين وغيرهم ممن يجرى مَجْراهم إلا أَجراه على أيديهما دون يَدَى صاحِبَىْ بيتِ مال الخاصَّةِ والعامة ، وأفردَ ابن فرجَوَيْهِ كاتِبَه بمحاسبتهما والاستيفاء عليهما ، فــكان يحاسبهما ولا يرفع إلى الدواوين شيئاً من حسابهما . فلمــا كان فى السنة التى قُبِض عليه فيها كتب

---

(١) نشوار المحاضرة ٨/٢٣ .

(٢) فى المطبوع : فيجاس أو ينخاس . والتصويب من نشوار المحاضرة .

كتابا عن نفسه إلى مؤنسٍ صاحب بيت المال ذكر فيه أنه حُوسِب يوسفُ ابن فنحاس وهارون بن عمران على ما حصل عندهما من كيت وكيت ـ حتى استغرق الوجوه ـ وكان الباقىَ قِبَلَهما بعد الذى حُمِل إلى حضرة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، وصُرِف فى مُهِمّاتٍ أَمَرَ بها هو والسادةُ أيّدهم اللهُ ، من الوَرِق أَلْفُ ألفٍ وأَرْبَعُمائةٍ وسبعون ألفا وخمسُمائة وستةٌ وأربعون درهما . وأمره بقَبْضِ ذلك منهما وإيرادِه بيت المال الخاصّة ، فقبضه مؤنس منهما ، ومضى الأصل كلُّه لا يُعْرَف فى أى شىء صُرِف ، وكان مبلغه فيما ظَنَّه الكُتّاب ـ وكانوا يَتَعاودونه [1] ـ نَحْوَ ألفِ ألفِ دينار . وفاز ابنُ الفرات بالمال ، ولم يَقُمْ به حُجَّةٌ عليه .

قال أبو الحسين [2] : فحدثنى أبى بعد ذلك قال : لما قلّدنى أبو الحسن على ابن عيسى فى وزارته الأولى ديوانَ الدّارِ الجامعَ للدواوين ، أمرنى بإحضار هذين الجهبذين ومطالبتِهما بختمَاتِهما لِمَا كان حصل فى أيديهما أيام وزارة ابن الفرات الأولى من الجهات المقدم ذكرها . فاستدعيتهما وطالبتهما ، فأَحالا على أنّ ابن الفرات أخذ حسابَهما ، وأعلمتُ علىَّ بن عيسى بذلك ، فأمرنى بحبسهما وتهديدِهما ، ففعلت . وأحضرانى حسابا مُسَوَّداً لم يكن منتظما ولا مُتَّسِقاً ، ولم أزل أَلْطُفُ بهما حتى أقرّا بأنهما وصلَ إليهما من فَضْلِ الصَّرْفِ مما ورد على أيديهما وأنفقاه مائةُ ألفِ درهم ، وقرَّرْتُ [3] عليهما عشرةَ آلافِ دينار ، وأخذت

(١) كذا فى الأصل ونشوار المحاضرة ولعل معناها أنهم يراجع بعضهم بعضاً فى ذلك ويسائل كل منهما الآخر عنه مرة بعد مرة .

(٢) نشوار المحاضرة ٨/٢٤ .

(٣) فى نشوار المحاضرة : فحططتها عشرة آلاف دينار .

حطَّهما بها ، فلم يقنع أبو الحسن عليُّ بن عيسى بذلك ، وأخذها من يدى ، وسلَّمهما إلى حمد بن محمد ، وكان إليه ديوان المغرب ، وأمره بأن يتتبع أمرها بنفسه ، من غير أن يُعَرِّفَه ما أخذتُ خطَّهما به ، فنظر حمد فى ذلك ، ولم يجد فى الحساب إلا إحالات على : حُمِل إلى الخليفة والسادةِ ، وشىء انصرف فى خاصٍّ نفقاتِ ابن الفرات . فقال له حمد : هذا مال مسروق والقوم معهم حجة بالابراء وما عليهم طريق . وقد كان ابن الفرات أجلد من أن يدعهم يفوزون بِحَبَّةٍ من المال .

قال[1] أبو الحسين : قال أبى : فردها الوزير أبو الحسن إلىّ وقال : اجتهدْ فى إلزامهما مائتى ألف درهم . فقلت : لا يمكن ذلك . فقال : اعمل على أنك طالبتهما بمَرْفِقٍ[2] لنفسك يكون تتمة المائتين . فقلت : إذا فعلتُ هذا فأىُّ شىء يحصل لى ؟ قال خُذْ منهما[3] عشرين ألف درهم وألزمهما مائة وثمانين . فخرجت وجَدَدْتُ بهما حتى ألزمتهما ذلك ، وأخذت لنفسى ما أعطانيه . فلما فَرَغْتُ أخذت لها خَطَّهُ بالبراءة .

فقال لى أبو الحسن علىُّ بن عيسى : سأرسيك موضعى أنا من العمل ، فإن للرئيس فى كل أمر موضعا لا يقوم فيه أحد مقامه . فأحضرها إلى حضرته وأنا بين يديه وقال لها : تريدان منى أن أُزيل عنكما تَبِعَةً إن لم أُزِلْها بقيتْ عليكما وعلى ورثتكما أبداً ، ولست أفعل ذلك إلاَّ بِعِوَضٍ قريب لاضرر فيه عليكما ، وهو أننى أحتاج فى مُسْتَهَلِّ كل شهر إلى مال أطلقه فى ستة أيامٍ ، منه للرجالة ما مبلغه ثلاثون ألف درهم[4] . وربما لم يَتَّجِهْ لى فى أول يوم من الشهر ولا فى ثانيه ، وأريد أن تُقْرِضانى فى أول كُلِّ شهر مائةً وخمسين ألف درهم ، وترتجعانها من مال الأهواز فى مدة أيامه[5] ؛ فإنّ جَهْبَذَةَ[6] الأهوازِ إليكما ، ويكون هذا المال سَلَفاً واقفا لكما أبدا .

---

(١) نشوار المحاضرة ٨/٢٥ (٢) المرفق : ما انتفعت به

(٣) فى الأصل : يحصل لى مال خدمتهما والتصويب من نشوار المحاضرة

(٤) فى نشوار المحاضرة : دينار (٥) فى نشوار المحاضرة : فى مدة الشهر

(٦) الجهبذ : الناقد العارف بتمييز الجيد من الردىء . ويراد من الجهبذة هنا مهنة الصراف

وأضيف إلى هذا المـالِ الوظيفةَ [١] التى على حامد وتَرِدُ فى كل شهر وهو عشرون ألفَ دينار فيكون ذلك بإزاء مال القسط الأول[٢] .

فتأبَّيَا ساعـةً ، ولم يفارقْهما حتى استجابا . فقال لى علىّ بن عيسى : كيف رأيت [٣] ؟ قلت : ومن يفى بهذا غير الوزير ؟ قال : وكان علىُّ بن عيسى إذا حلّ المال وليس له وجه استسلف من التجار — على سفاتج وردت من الأطراف لم تحلّ [٤] — عشرةَ آلاف دينار بربح دانقٍ ونصف فضّة فى كل دينار ، يلزمه فى كل شهر ألفان وخَمْسُمائة درهم أرباحاً [٥] ، فلم يزل هذا الرسْمُ جارياً على يوسف بن فنحاس وهارون ابن عمران ومن قام مقامها مدة ست عشرة سنة .

وحدث[٦] أبو الحسين على بن هشام قال : حدثنى أبى قال : حدثنى أبو الحسن ابن الفرات قال : دخل علىَّ المقتدر بالله يوماً وأنا فى حَبْسِه ، والوزير إذ ذاك حامدُ ابن العباس فقـال لى : أتعرف الحسن بن محمد الـكرخى ؟ فقلت : نعم . قال : أىُّ إنسان هو ؟ قلت : عامل ، وله مَحَلٌّ من الصناعة ، وهو من صنائعى ووجوه عُمَّـالى ، وقد تقلَّد لعبيد الله بن سليمان قبلى ، وهو أخو القاسم بن محمد الـكرخىّ ، ومن بيتٍ معروف . فقال : قد كتب إلىّ يَخْطُب الوزارة و يضْمَنُ حامدا وعلىّ بن عيسى . فقلت له : ولا كُلّ هـذا يا أميرَ المؤمنين . و إنما أطمعه فيما طلبه بلوغ حامد من مثله ما بلغه [٧] . ولعمرى إن الأمر قد وَهَن بحامد ، و إن هذا الرجل أجودُ حسابا

---

(١) الوظيفة يراد بها ما يقرر عليه .

(٢) فى نشوار المحاضرة : القسط الأول من النوبة فيخف عنى ثقل ثقيل

(٣) فى الأصل : كيف وأنت . والتصويب من نشوار المحاضرة .

(٤) أى لم يحن ميعاد دفعها .

(٥) وجه ذلك أنه يستسلف بربح مقـداره درهم عن كل أربعة دنانير ، إذ أن الدرهم = ٦ دوانق . والدينار ربحه دانق ونصف فقسمة عشرة آف على أربعة = ألفين وخمسمائة درهم

(٦) نشوار المحاضرة ٨/٦٣ .

(٧) فى نشوار المحاضرة : وإنمـا طمع فى الأمر لما رأى حامدا قد تقلد الوزارة ولعمرى إنهـا قد اتضعت بتقلده وطمع فيها كل أحد .

وأعفُّ لسانا وأشدُّ وقارا منه ، وليس لأنه فوق حامد ترشَّح لهذه المنزلة . ولا لأن الغَلَط وقع فى أمر حامدٍ وجَبَ أن يُسْلَك فى مثل هذه الطريقة، وعلى أنه قد غلِطَ فى تقديره أنه يَصْلُح لصَرْفِ حامد ـ لأن حامدا قديم الرئاسة فى العِمالة [(١)] وله حالٌ عظيمة ، ونعمة كبيرة ، ومروءة ظاهرة وهيبةٌ معروفة ، وسِنٌّ فى ذلك وقُدْمَةٌ [(٢)] ، وكان نشأ بعيدا عن الحَضْرة ، فلم تُستَكشَفَ أخلاقُه وأفعاله إلا بعد الوزارة ، وفيه سعَةُ صَدْرٍ وسخاءُ نَفْسٍ يُغَطِّيَان كثيرا من معايبه ، وتَرْكُ الأمرِ فى يده ويدِ علىٍّ بن عيسى أولى ـ فإن هذا لا يقارب علىّ بن عيسى ، ولا يلحق أحد كُتَّابه ، وإنى لأقول الحق فيهما على عداوتهما لى .

فأضرَبَ المقتدر بالله عن الحسن بن محمد ثم تَمَّ التدبيرُ لأبى الحسن بن الفرات، وصُرِف حامد وَوَزَرَ [(٣)] ، فحين جاءه الحسن بن محمد ، وتذكَّر ما جرى بينه وبين المقتدر بالله فى بابه هابَه وتَصَوَّر بُعْدَ هِمَّته وتَقَلُّبَ رأىِ المقتدر بالله من حال إلى حال، فأحَبَّ إبعاده ، فقلَّده الموصل وأعمالها، وأخرجه إليها صارفاً لابن حماد ، فانتفع الحسنُ بما حصل فى نفس ابن الفرات .

قال[(٤)] أبو الحسين : فكنا فى بعض الليالى بحضرة ابن الفرات ، وهو يعمل ، وأنا مع أبى ، والمجلس حافل ، إذْ قرأ كتابا ورد من صاحب البريد بالموصل يذكر أن أبا أحمد الحسن هذا قد قَسَط [(٥)] فى الأعمال ، ومدّ يده إلى المال ، وزاد فى إظهار المروءة ، وركب باللُّبود [(٦)] الطاهِرِيَّة ، وبين يديه عِدَّة حُجَّاب ، وخلفه جماعة

(١) العمالة : حرفة العامل . وفى نشوار المحاضرة : العمال .
(٢) القدمة : السابقة فى الأمر . (٣) أى وتولى ابن الفرات الوزارة .
(٤) نشوار المحاضرة ٨/٦٤ .
(٥) قسط : جار . وفى نشوار المحاضرة بسط .
(٦) اللبود جمع لبد وهو ما يوضع على الفرس . واللبود الطاهرية لعلها نسبة إلى طاهر بن الحسين وأنها كانت فى مظهر رائع .

غلمان ، حتى أنه يسير بينهم فى موكب . وأنه وصل معه من البغال والجمال والزواريق التى تحمل أثقاله شيء كثير ، وهـذا إنفاق وتوسُّعٌ لا يقتضيه الرِّزْق [١] وإنما هو من الأصول . فرمى بالـكتاب إلى أبى القاسم زنجى ، وكان إذ ذاك حَـدَثاً يَخُطُّ بحضرته . وقال له : وقع عليـه : يُجابُ بأنه نَفَعَ الرجُلَ من حيث أراد الإضرار به ، لأنه إذا كان فى مثل هذا الصقع عامِلٌ ذو وجاهة وتَجَمُّلٍ ومروءةٍ صَلَحَ أن يتقلَّد للسلطان إلى مصر وأجناد الشام متى أنـكر من عمَّالها حالا [٢] .

ثم أقبل على من فى مجلسه وقال : حدثنـا أبو القاسم عبيد الله بن سليمان أن النوشجانى صاحبَ البريد رفع إلى المعتضد بالله بأن الأخبار شائعة ببغداد بأن حامد ابن العباس لمّا دخل فارس متقلِّداً لها كان معه مائتان وخمسون بغلا ، عليها رَحْلُهُ وأثقاله ، ومعه عدد كثير من الغلمان والحاشية وَسَلَّمَ إلىَّ المعتضدُ بالله كتابَ النوشجانى بذلك ، فقرأتهُ وتتحيَّرت ، وخفت أن يكون قد أنكره وقدَّر أن حامدا قد اجتاح المال واصطلمه [٣] ، وقال لى : يا أبا القاسم ـ وقد كان كَنَّاه ـ قرأت هذا الـكتاب ؟ قلت : نعم . قال : قد سرنى ماقد ظهر من تَجَمُّلِ حامد ومروءته و[ما] قام بذلك فى نفوس الرعيـة من هيبته ، فـكم رزقه ؟ فقلت . ألفان وخمسمائة دينار فى كل شهر . قال : اجعلها ثلاثة آلاف ليستعين بها على مَؤونته .

ثم قال [٤] أبو الحسن بن الفرات عَقِيبَ هـذه الحـكاية : وقد فعل المعتضد بالله قريبا من هذا مع أبى العباس أحمد بن بسطام ، فإن المعتضد طالبه بالعجز فى

---

(١) الرزق يريد به هنا ما يقرر له منأجر معلوم . وفى نشوار المحاضرة : وإن هذا مالا يحتمله رزقه وإنما هو من الأصل .

(٢) فى نشوار المحاضرة : صلح أن يبادر به السلطان إلىمصر وأجناد والشام متى أنكر علىعمالها أمراً لأن هذه النواحى لا تصلح إلا لمن كان حسن التجمل والمروءة كثير النعمة . ثم أقبل …

(٣) اصطلمه : استأصله

(٤) نشوار المحاضرة ٨/٦٥ .

ضمانِه واسِطَ وحبسه فى دار ابن طاهر ، وقرر عليه سبعين ألف دينار يؤديها ، وكان يُصَحِّحُها (١) على تَجميلٍ (٢) وأصحابُ عبيد الله بن سليمان يطالبونه والموكَّلُون به من قبل المعتضد بالله . فكتب النوشجانى : فيه بأنه كان يفرق فى أيام ولايته عشرين كُرًّا (٣) حِنْطةً فى كل شهر على حاشيته والفقراء والمساكينِ والمستورين من أهل معرفته ، وأنه فرق ذلك فى هذا الشهر على عادته . ودافع بأداء ماعليه من موافقته (٤) ودخل عبيد الله بن سليمان على المعتضد فأقرأه (٥) الرقعة وقال : قد سَرَّنى فعلُ ابنِ بسطام وقيامُه بمروءته ومعروفه وَجَمَّلَنَا بأنْ لم يُظهر أننا ألزمناه ما أجحف به ، وأحوجه إلى تغيُّر رسمه (٦) فيما كان يُطْلِقه ويَبَرُّ به، فكم بقى عليه ؟ قلت : بضعةَ عشرَ ألفَ دينار . فقال : اتركها عليه وارْدُدْه إلى عمله ، وعَرِّفه إحمادى ما كان منه . ففعل عبيد الله ذلك .

وحدث أبو الحسين بن هشام قال : سمعت أبا الحسن بن الفرات يحدث قال : لما طال حبسى عقيب الوزارة الثانية تبينت أن المقتدر بالله لا يُفرج (٧) عن ابن الحوارى . وإن علم أنه من أكبر أعدائى . ولا يُجيبنى إلى تسليمه إلىّ فى جملة خُصومى ، فتلطَّفت لإفساد رأيه بأن راسلت المقتدر بالله قبل أن يُطْلِقنى بأربعة أشهر وعرّفته أن أولادى فى إضاقة وفاقة ، وسألته إطلاق مائة وخمسين ألف درهم لى ، أحمل

---

(١) يصححها : يصلح حسابها .

(٢) فى نشوار المحاضرة : على جبل وهو يوكل به من قبل المعتضد فى دار ابن طاهر وأصحاب عبيد الله بن سليمان يطالبونه ويقتضون المال فكتب النوشجانى . . . .

(٣) الكر : مكيال قيل إنه أربعون أردبا .

(٤) فى نشوار المحاضرة : وهو مع ذلك عاطل بأداء ما عليه .

(٥) فى نشوار المحاضرة : فأراه .

(٦) فى الأصل : وحملنا بأن لم نظهر أننا ألزمناه ما أجحف به ، والوجه إلى تغير رسمه . . . وفى نشوار المحاضرة : وقد جملنا بما قد فعله حين لم يظهر أن ما قد ألزمناه أحوجه إلى الزوال عن عادته فى المعروف .

(٧) يريد أنه لا يتركه لى . من قولهم أفرج القوم عن المكان : انكشفوا عنه وتركوه .

إلى كل واحد الثُّلُثَ منها لإصلاح أمره والقيام بمؤونته ، وأردّ العوَض عنها بعد شهر من ثمن أمتعةٍ قد بقيتْ عند قومٍ من أصحابٍ ودَائعى . فقال : هذا قدْر يَقبُح أن نمنعه إياه مع كثير ما أخذناه من ماله ، احْمِلُوا إليه ذلك ، تُحْمِل إلىّ . وراسلت السيدةَ وطلبت منها خمسين ألف درهم ، فكانت تلك سبيلها (١) ، وجمعت الجميع ودفعتهُ إلى أم كلثوم قهرمانتى ، وأمرتها أن تبتاعَ به دنانير جُدَداً حِسانا وتجيئَنى بها . ففعلَتْ . وكانت من عادة المقتدر بالله إذا صام يومَ الخميس أن يدخل إلىّ الحجرةَ التى أنا محبوسٌ فيها ، يقعد عندى ويحادثنى من وقت العصر إلى وقت المغرب . فلما كان يوم الخميس قَبْلَ وقت حُضوره صَبَبْتُ الدنانير بين يَدىَّ ، فدخل وقال : ماهذا ياأبا الحسن ؟ فقلت : أما يرى مولانا أميرُ المؤمنين كثرة هذه الدنانير ، وحُسْنَها ؟ قال : بلى ، فكم مبلغها ؟ قلتُ : سبعةَ عشرَ ألف دينار . قال : ولأى شىء هى بين يديك ؟ قلت . اقترضت ذلك المالَ من أمير المؤمنين ومن السيدة وزيدان ، وصرفتهُ فيما أردتُ صَرْفَهَ فيه ، واستدعيت ما كان لى مُودَعاً من أمتعة وصياغاتٍ ممّن هو عنده ، فأنفذه إلىّ لِماَ ظهر لهم من تفضُّل مولانا علىّ ، وزال بذلك طمعُهم فىّ ، وبعتهُ وحصَّلْتُ ثمنه هذا لأرُدَّه على من اقترضتهُ منه . فقال : ما أقبح هذا ! أتَرانا نبخل عليك بما أطلقناه لك مع ما أخذناه منك مما رأينا تعويضَك عنه وردَّك إلى أفضل ما كانت منزلتك عندنا عليه ؟ فتبسمتُ . فقال : مم تبسمك ؟ قلت : والله ياأمير المؤمنين ما طلبتُ المال لحاجةٍ إليه فإن فى بقيَّةِ حالى ما يُغنى عنه ، وإنما أردتُه لأصْرِفَه بالدنانير ، وأضعَه بحضرتك ، فتشاهدَه وتعلمَ أن ابنَ الحوارى الخائنَ يرتزقُ من مالك فى كلّ شهر مثلَ مبلغِه ، ويقتطع مع ذلك كذا ، ويأخذ كذا .

---

(١) أى أنها أمرت بحملها إليه كما فعل المقتدر .

وذكرت معايبه ومساوئه . قال : فرأيته قد استعظم الحالَ ، وكثُر فى عينه المال ، ولم ينهض من مجلسه حتى وعدنى بتسليم ابن الحوارى إلىّ ولم يقبل هو ولا السيدة ولا القهرمانة عِوَضَ ما أعطونيه إلا بعد جَهْدٍ وسُؤَال .

وحدث أبوالحسين بن هشام قال : كنا على مائدة أبى العباس أحمد بن عبيدالله الخصيبى[1] فىوزارته ، فجرى ذكرُ علىّ بن عيسى وابن الفرات فقال : كان ابنُ الفرات نافذاً فى عمل الخراج وتدبير البلاد وجِباية المال وافتتاح الأطراف ، وأليقَ من علىّ ابن عيسى فى سياسة المُلْك . وكان علىُّ بنُ عيسى كثيرَ التديُّن شديد التَّصَوُّنِ عفيفاً عن المال ، وله مذهب فى الترسُّل لايلحقُه فيه أحدٌ ولا ابنُ الفرات . والتفت إلى أبى عبد الله زنجى وكان حاضراً فقال له : ما عندك فىهذا يا أبا عبد الله ؟ فقام قائماً وقال: من عادتى أيها الوزيرُ إذا صحبت وزيراً أن أُحْصِىَ محاسنَه وأذكُرَها ، فأما مساوئه فلا أُخْطِرُها مِنّى بَالاً ، ولا أُجرى بها لساناً ، وعلى ذلك فإنْ أذن الوزيرُ فى الجواب قلتُ ما عندى . قال : قل . فقال : كانت يد أبى الحسن بن الفرات تخونُه لفسَادِ خَطِّه ، وكان يعْمَلُ النُّسَخَ بأجزل كلامٍ وأحسنِه ، ويُخْرِجُها إلىّ فأحرِّرُها ، والبارحةَ كنتُ أَمِيزُ شيئاً فمرّت بى ثلاثُ نسخٍ بخطِّه ، إنْ أمرَ الوزيرُ بإحضارها ليتبيَّنَ له موقعُه من الترسُّلِ أحضرتها . فقال : افعل . وأنفذ غلامَه ليُحضِرها ، وتشاغلنا بالأكل . فلما انقضى ونهض الوزيرُ وغسل يده ونام ، جلس زنجى فى مجلسه من الدار على انتظار النسخ حتى حملت إليه فقرأتها ، ولم أزل أُكرِّر النظرَ فيها . وكانت إحداها نسخة كتابٍ منه إلى مؤنسٍ فىأمرعلىّ بنعيسىوهى :

آثارُ علىِّ بن عيسى ــ أعزك الله ــ فيما تولّاه من الأعمال ، وجرى على يده

---

(١) ولى الوزارة للمقتدر فى سنة ٣١٢ بعد صرف أبىالقاسم عبد الله بن محمد بن عبيد الله الخاقانى الذىتولى الوزارة بعد القبض على ابن الفرات بعد وزارته الثالثة .

من الأموال ، تَدُلُّ على عجزه وإضاعته ، وتُبْطِل ما يَدَّعيه من صناعته وكفايتــه .
ولما صرفتُ عُمَّاله عمَّا وَلُوه ، وطالبتهم بما اقتطعوه ، أَعْفَوْا [١] بمالٍ جزيلٍ قَدْرُه ،
عظيمٍ خَطَرُهُ ، متجاوزٍ مبلغُه أَلْفَ أَلْفِ دينار ، وانضاف إليها ما توفَّر مما كانوا
يفوزون به من الارتفاقات [٢] ، ويستثنونه فى العقود والمقاطعات، وهو أربعمائة ألفِ
دينار ، وما وجب على الحسين بن أحمدَ ومحمدِ بن علىٍّ المادرائِيَّيْنِ من خراج ضِياعهما
بمصرَ والشامِ فى سِنِي ولايتِهِ ، فاسْتدركه علىُّ بنُ أحمد بن بسطام وهو ثلاثمائةِ
ألفِ دينار ، فتحصَّل الجميعُ ألفَ ألفٍ وسبعمائةِ ألفِ دينارٍ ، وحُمِل منه إلى حضْرة
أمير المؤمنين — أطال الله بقاءه — ستُّمائةِ ألفِ دينار ، وإليك أعزك الله للنفقة على
القادَةِ النافذَةِ لمحاربة يوسفَ بن دِيُودَاذ مع صِلاَتِ المستأمِنَةِ [٣] وأرزاقِهِم
خَمْسُمائةِ ألفِ دينار ، وأُطلق الباقى لقواد أمير المؤمنين — أيده الله — وأجنادِه وخواصِّه
عوضا عما كان علىُّ بنُ عيسى حَطَّه من أرزاقهم ، ووضَعَه من جُملة استحقاقاتهم ،
فكثر الشاكر ، وسَكَنَ وأَمِنَ النافر ، وصلَحت الأحوال ، وانبسطت الآمال .
ولما قربت العساكرُ من يوسفَ أَفْرَجَ [٤] عن الرىِّ وما يليها من الأعمال ، وزال
عن أهلها كل جور وعدوان ، وعَمَرَتْ تلك النواحى بِعَقِبِ خرابها ، واستوسقت [٥]
الأمور بعد اضطرابها ، والله الموفق المعين . وقد توفَّرَتْ — أعزك اللهُ — مع ذلك
مِنِّى عليه العِنَايةُ ، ولحِقَتْه الصيانَةُ ، فى نفْسِه وماله ، وضِياعه وحاله ، تَرَفُّعاً
عن مجازاته على أفعاله ، وجَرْياً على عادتى فى أمثاله . واللهَ أسألُ معونتى على الجميل

(١) يريد أنهم وفوه المال من قولهم أعفاه بحقه وفاه إياه .
(٢) الارتفاقات ، يراد بها الانتفاعات والاستعانات .
(٣) المستأمنة : الذين يطلبون الأمان . (٤) أفرج : انكشف عنها وتركها .
(٥) استوسقت الأمور : انتظمت .

الذى أَعتقده وأنويه ، وتوفيق لما يُحِبُّه ويُرْضيه ، إنه أهل الفضل ومُوليه ، وحسبى اللهُ ونِعْمَ الوكيل .

☆ ☆ ☆

ونسخة الأخرى وكانت إلى أبى العباس أحمد

ابن بسطام عند تقلده [١] الوزارةَ الأولى :

نِعَمُ الله عنــد أمير المؤمنين ـ أطال اللهُ بقاءه ـ تتجدَّدُ فى سائر أوقاته ، وتتوكَّدُ فى جميع حالاته ، فليس يخلو منها قاهرةً لأعدائه ، وناصرةً لأوليائه ، واللهُ يُعينه على أداء حَقِّها ، والقيام بشكرها ، إنه ذو فضل عظيم . وكان جماعةٌ من جِلَّةِ الـكُتَّابِ والقُوَّادِ ووجوهِ الغِلمان والأجناد ، حسدوا أبا أحمد العباس بن الحسن رحمه الله على محلّه فى الدولة ومنزلته ، وما قام به لأمير المؤمنين أيده الله من عقــد بيعتِه ، فسعوا فى إتلاف مهجته ، وإزالة نعمته ، وتوصل إليهم عبــد الله بن المعتز بمكره وخديعته ، فأوحشهم من أمير المؤمنين وشيعته ، وحسَّن لهم الخروجَ عن طاعته ، فنَــكَثُوا وَمَرَقُوا ، وغدروا وفسقوا ، وشَهَرُوا سيوف الفتنــة وأَظهروا أَعلامها ، وأضرموا نيرانها ، وتفرّد الحسين بن حمدان بأبى أحمد فقتله [٢] ، وثنى بفاتك المعتضدى فأتلفه ، وقصد المارقون دار الخلافة حتى وصلوا إلى جــدرانها ، وأحرقوا عدّة من أبوابها ، ووفّق الله الخَدَمَ والأولياء المصافيَّةَ والغلمان الحُجرية لمحاربتهم ومنازلتهم ، فانصرفوا مفلولين ، واجتمعوا إلى عبد الله فعاقدوه وبايعوه ، وتسمى بالخلافة فى ليلته، ووازره [٣] محمد بن داود على ضلالته . وماصَحِبهم من غلمان

---

(١) أى عند تقلد ابن الفرات .

(٢) انظر تجارب الأمم ٥/٥

(٣) وازره : أعانه .

أمير المؤمنين ـ أدام الله عزه ـ وخاصّتِه وذوى البأس مِنْ رعيته مَنْ حَسُنَ دِينُه ، وخَلَصَ يقينُه ، فتحصّنوا بالإبعاد فى الهرب ، لِماَ خافوه من شدة الطلب ، وأُسِر جماعةٌ من كُتَّاب عبد الله وخواصِّه ، منهم محمد بن عبدون ، وعلىُّ بن عيسى ، ومحمد بن سعيدٍ الأزرق ، ويُمن الـكبير ، ووصيف بن صوارتـكين ، وسرخاب الخادم ، وعلىُّ الليثى ، ومحمد الرقَّاص وأبناء دميانة ، والمعروف بأبى المثنَّى ، ومحمد ابن يوسف ، وحُملوا إلى دار أمير المؤمنين ـ أيده الله ـ فَحَصلوا فى أعظم بُوس ، وأضيق حُبُوس . ولمـا خَمَـدت النائرة ، وسكنت الفتنةُ الثائرة ، استدعانى أمير المؤمنين ـ أدام الله تأييده ـ فأوصلنى إلى حضرته ، وخصّنى بِبِرِّه وتَـكْرِمَته ، وفوَّض إلىَّ تدبيرَ مملـكته ، ورعايةَ خاصته وعامته ، واعتمد علىَّ فى حِياطة مُلْـكه ودَوْلته ، وقلَّدنى سائر دواوينـه مع وزارته ، وخلع علىَّ خِلَعاً ألبسنى بها إجلالا وقَدْرا ، وجمالا وفَخْرا ، وعدتُ إلى دارى مغمورا بإحسانه ، مُثقلا بأياديه وامتنانه . وأسأل الله معونتى على طاعته ، وتبليغى غايةَ رضاه و إرادته بِمَنِّه وقُدْرته .

وكان أوّل مابدأتُ به الجِدّ فى طلب عدوِّ الله عبدِ الله بن المعتز ، إلى أن هَيَّأ اللهُ الظَّفَرَ به على يَدِ صافى [1] مولى أمير المؤمنين ، بعد أن تنصَّح فى الدَّلالة على موضعه خادمٌ مشهور الدِّيانة ، مذكور الصِّيانة يُعْرف بسوسن الجصَّاصى ، فأوجبتِ الحالُ إطلاقَ صِلَةٍ لسائر الأولياء وافرةِ المَبْلَغ ، وأنا بتجديد البيعة عليهم متشاغل ، وللخدمةِ مواصل ، والأمور جارية على أَحْمَدِ مجاريها . وأفضلِ المَحَابِّ فيها ، والحمدلله رب العالمين .

والأحوالُ ـ أعزك الله ـ بيننا توجب مشاركَتَـك ، وتقتضى مُسـاهمَـتك ، وقد

---

(١) نوفى سنة ٢٩٨ وكان إليه أمر دار الخليفة وصاحب الدولة كلها «المنتظم ١٠٨/٦» .

قلّدْتُك الخراج والضِّيَاعَ العامَّة والمستحدثة بمصر ونواحيها ، والكُوَر[1] الجارية فيها ، لِماَ أعرفه من كفايتك ومخالصتك ، وأثق به من مُناصحتك ، وكتبت به إلى الحسين بن أحمد بتسليم هذه الأعمالِ إليك ، وأعلمتهُ اعتمادى فيها عليك ، وأنت بصِناعتك وكِفايتك تَستغنى عن التنبيه والتبصير ، وتُوفى على الظنِّ بك والتقديرِ إن شاء الله .

وكُتِب يوم الثلاثاء لثمانِ ليالٍ خلوْنَ من شهر ربيعٍ الأوّلِ من سنة سِتٍّ وتسعين ومائتين .

***

ونسخة الثالثة وكانت إلى ابن بسطام

فى صرف سوسن عن الحِجَابة والقبضِ عليه

عوائد الله عند أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ فيمن يُشَاقُّه ويُنَاوِيه ، توفى على غاية محابِّه ونهاية أمانيه ، فليس يُظهرأحدٌ عصيانه ويبديه ، أو يجاهر به أو يخفيه ، إلا جعله اللهُ عظةً للأنام ، وأهلكه بعاجل الاصطلام[2] ، والله عزيز ذو انتقام .

ومِمَّنْ نكث وغدر ، وفَسق ومَرَق ، وطغى وبغى ، وكاشف وخالف ، سَوسنٌ الحاجبُ ، فإنه كان لدم أبى أحمد العباس بن الحسن رحمه الله من السافكين ، وفى معاونة عبد الله بن المعتز على فتنته من المشمّرين . وكان يُظهر لأمير المؤمنين أطال الله بقاءه موالاة ونصراً ، ويُضمر عداوة وغدراً ، ويسعى فى إفساد مُلْكه ودولته ، ويُوحِش وُجوهَ غلمانه وخاصته ، إلى أن عاجله أمير المؤمنين ـ أدام الله عزّه ـ بسطوته ،

---

(١) الكور جمع كورة وهى البقعة التى تجتمع بها المساكن والقرى ويراد بها ما يشبه المراكز والمديريات .
(٢) الاصطلام : الاستئصال .

وأزال عن الدولة ـ حرسها الله ـ ما عراها من مَعَرَّته ، وقَلَّد مكانه من وَثِق بدينه وأمانته ، ونصيحته ومخالصته ، فاستوسقت الأمور ، واستبشر الجمهور ، وارتفع الأولياء وانقمع الأعداء ، والله يَخير[(١)] لأمير المؤمنين فيما يُبْرِمه ويُمضيه ، ويُوَفِّقُهُ لما يُحِبُّه ويُرضيه بجوده ، ومَجْده ، وكرمه وحَمْده ، إنه فعَّال لِما يُريد .

هذه ـ أعزك الله ـ حالُ الباغين والمارقين ، والطاغين والناكثين ، ومن تَغُرُّه المُهْلَة ، وتفسده الغَفْلة ، وتُزِلُّه[(٢)] قَدَماه، ويعصى مولاه ، فإن العاقبة للمتقين ، والدائرة على المجرمين ، والسلامة فى طاعةِ الله وطاعةِ أمير المؤمنين ، والحمد لله رب العالمين .

وقال أبو الحسين بنُ هشام : سمعت أبا الحسن بن الفرات يُمْلى جواباً لبعض العمال على ظهر كتاب : وَرَد منه بجملةِ عشرةِ آلاف دينار ، فكان ما أحسن ولا قارب الإحسان ، ولا أنا بالراضى بشيء من أمره ، ولا بالمُؤَخِّر عنه ما يكرهه إن أقام على ماهو عليه ، وأين عشرة آلاف دينار مما يجب عليه حمله ؟ لِيُكْتَبْ إليه فى ذلك أَغْلَظُ كتاب وأفظَعُه ، ولْيُعَرَّفْ أنى إن استفسدْتُه بعد استصلاحى إياه أنسيته ما سلف مما جرى عليه ، فَلْيَخْتَرْ لنفسه ما يراه أَصْلَحَ لها إن شاء الله .

وحدث أبو الحسين قال[(٣)] : حدثنى أبو القاسم سليمان بن الحسن قال : حضرت مناظرة أبى محمدٍ حامدِ بن العباس وأبى الحسن علىِّ بن عيسى وأبى علىّ الحسين ابن أحمد المادرائىّ الملقب بأبى زنبور ، لأبى الحسن على بن محمد بن الفرات وكان ذلك بدار الخلافة ، وحضر نصرٌ الحاجبُ والقوّادُ والقضاةُ ، وأُخرج ابنُ الفرات وعليه قَميصانِ وَرِداء ، فلما توسَّط المجلسَ سلَّم سلاماً عامًّا وجلس ، فكان ذلك أوَّلَ

---

(١) خار الله لى فى الأمر : جعل لى فيه خيرا (٢) تزله : تزلقه

(٣) راجع تجارب الأمم ٥/٦١ ومابعدها .

استخفافه بالقوم ، فأقبل عليه حامدٌ وقال له : مددْتَ رِجلك ، وأطمعت فى المُحال نفْسَك ، وعوّلت على القهرمانة — يعنى زيدان — فى الشفاعة لك ، والمدافعة عنك وظننتَ أنه يُقْنَع منك بثلاثمائة ألف دينار ونَيِّف ، أقررتَ بها من ودائعك . نريد أن نحاسبك على ما أغللت فى ثمانيةَ عشرَ شهراً من ارتفاعك ، وما انضاف إلى ذلك من رزقك ، وحقٌّ بيت المال فى ضياعك التى رفعْتَ عن نفسك لنفسك بأنك أوغرْتَه[١] ، وخَمْسِمائةِ ألف دينار قد حَضَر مِنْ ثِقَاتك مَنْ يواقِفُك على أنك ارْتجعتها من ودائعك التى بقيت لك بعد نكبتك الأولى فكتمتَها السلطانَ — أعزه الله — بعد يمينك له بالصدق عن جميع مالك ، فإذا فَرَغْنا من ذلك عَدَلْنا إلى مرافقك .

فقال : أما استغلال ضيعتى فلا مطالبة تتوجه علىَّ به ، وقد رَدَّها أمير المؤمنين علىَّ . وأما حقُّ بيت المال الذى أَوْغَرنيه فالحال واحدة فيه . وأما الودائعُ فلم يكنْ بَقِى لى مالٌ أَصْدُق عنه فيما تقدم . وأما الثِّقَةُ الذى أشرت إليه فى مواقفتى ، فالثقة لا يكون ساعياً لحق ويَكْنِى عن باطل .

فقال له : قد علمنا أنك تحسن المناظرة ، ويطول لسانك بالأقوال المُحاله ، هذا موقف يُحْتاج فيه إلى وزْن المال ، ولا تَغْترَّ بالصيانة عن المكروه ، فإننى قد شرطْتُ على أمير المؤمنين — أعزه الله — تسليمَك إلىَّ ، فاحفظْ نفسَك مادمْتَ فى ظِلِّه قبل أن أبسُطَ عليك من المكاره ما لا تَثبُت له .

قال له ابن الفرات : المكارهُ تُبْسَطُ على مَنْ أخذ أموال السلطان وفاز بها ، وضَمِن ضماناتٍ باطلةً بفَتَاوى الفقهاء والكُتَّاب ، وحصَّلَ الفَضْلَ الكبير منها ، ولولا إشفاقُك من ذلك لَمَا تَعَرَّضْتَ لما لا تُحْسنه وفضحْتَ نفسَك ، وهتكت المملكةَ بالدخول فيه .

---

(١) أوغرته : جعلها لك الخليفة بدون خراج : يقال أوغر الملك لرجل أرضا وأوغره أرضا : جعلها له من غير خراج .

فقال له حامد : ما هـذا التَّبَسُّط ياعاضَّ كذا من أبيه ، حتى كأنك الوزير ونحن بين يديك .

فقال ابنُ الفرات : دار أمير المؤمنين تُصَان عن السُّخْف ، وحضورُ هؤلاء القوادِ القضاة يمنع عن الفُحْش . فياليت شعرى ياحامدُ ما الذى غرَّك ؟ وليس ما أنت فيه بَيْدَراً [(١)] تقسِمه ، وأَكَّاراً تَشْتُمُهُ وتحلقُ لحيته وتضرب به ، وعاملا تذبح دابَّته وتُعَلِّق رأسها فى عنقه ، فإنما هـذه الدارُ وهذا المجلسُ دارُ ومجلسُ الخليفةِ اللذان منهما يَشِيع العـدْلُ فى أقطار الأرض ، وإنمـا مُـكِّنْتَ من مُنَاظرتى ، ولم تُجْعَل لك سبيلٌ إلى عِرضى ، ولولا أننى أتَصَوَّنُ عن فِعْل مثلك لاقتصَصْتُ فى القول والشَّتْمِ منك ،ومع إمساكى فقد وجب الحدُّ عليك فيما أطلقت به لسانك .

فأقبل علىُّ بنُ عيسى على حامدٍ وقال له : يَدَّعِى الوزيرُ ـ أعزه الله ـ حتى أناظره ، وقال لأبى الحسن بن الفرات : يا أبا الحسن ـ أعزك الله ـ تَعْرف هذا ؟ ـ وأومى إلى أبى زُنبور ـ .

فقال : ما أُنْـكِرُه من سوء [(٢)] .

قال : هو أبو على الحسين بن أحمد المادرائى عامل مصر الذى قَصَدْته وأفقرْتَه . وخِدْمَتُه معروفةٌ فى رَدِّه مصر على السلطان دفعاتٍ . فـكيف لا تعرفه ؟

فقال : لِمَ يُنْـكَرُ عَلَىَّ أنى لم أُثْبِتْه ؟ فإن عهدى طويل به ، وكنت أعرفه يكتب لعامل نهر جُوبَر بعشرين ديناراً فى الشهر . ثم صحب الطولونيين العصاةَ ، فعظُمَتْ حالُه ونعمتُه معهم ، ولم أَرَه إلى وقتى هذا .

فقال على بن عيسى لأبى زنبور : وَاقِفْه على ما ذكَرْتَ .

---

(١) البيدر : الموضع الذى يدرس فيه القمح ونحوه وهو الجرن والجرين .
(٢) يعنى أنه لا يعرفه ولـكن عدم معرفته له لم تـكن بسبب ما أنـكره من سوء كان منه .

فقال : نعم .

وأقبل على ابن الفرات وقال : تولَّيْتُ لك أعمال أجنادِ الشام سوى جُنْدِ قِنَّسْرِين والعواصِم ، فطالبتَنى من المَرْفِق (١) بما كنتُ أحمله إلى العباس ابن الحسن قبلَك ، وهو عشرةُ آلافِ دينار فى كلّ شهر . وأخذْتَ ذلك لمدَّةِ وزارتك الأولى ، فكان المبلغُ أَرْبَعَمائةٍ وأربعين ألفَ دينارٍ . ثم إنك نَصبتَ فى وزارتك الثانية ديواناً للمرافق ، واستخرجْتَ هذا المال وأوردْتَه فى جملة مرافقَ حَمَلْتَهَا إلى أمير المؤمنين .

فأمسك ابن الفرات ساعة ، حتى قال نَصْرٌ الحاجبُ بعُجُومتِهِ : تَكَلَّمِى يا قَرمطيّة .

فقال له : أمسك يا أبا القاسم عما لا ينفعك ولا يَضُرُّنى . وقال لأبى زنبور : ليس يخلو ما تَدَّعِيه من حالين ، إما أن يكون حَمْلُك للمال مع رُسُلٍ أو بِسَفاتِجِ (٢) تُجّارٍ على تُجَّارٍ ، فإن كان مع رسل فأَحْضِرْهم أو أَحْضِر القُبُوض التى كُتِبَتْ على أيديهم ، أو بسفاتجَ فالقُبُوض مع أربابها .

فقال أبو زنبور : هذا شىء لا يُكْتَبُ به قُبُوض .

فقال : إذا كان ذلك كذلك وجب أن تجعل بدلاً من أربَعِمائة ألفٍ أربَعَةَ آلافِ أَلفٍ لتكون الحال فيه واحدة .

ثم أقبل على علىّ بن عيسى فقال : حُكْمُ الله ورسولِهِ فى الدعاوى معروفٌ ، وأَرجو أَلَّا يُخْرِجنى أميرُ المؤمنين فيه عن الإنصافِ . ثم قال لأبى زنبور : قد وَلِيتَ

---

(١) المرفق : ما ينتفع به

(٢) السفاتج جمع سفتجة وهى أن تعطى ما لا لرجل فيعطيك خطاً بذلك يمكنك من استرداد ذلك المال من عميل فى مكان آخر « يشبه التحويل » .

لأبى الحسن ـ وأومى إلى علىّ بن عيسى ـ الشامَ أربع سنين ، فإن كنتَ حملتَ إليه هذا المَرْفِقَ فى هذه المُدَّة فهو عليه ، أو لم تفعل فهو عليك لاعترافك بوجوبه.

فقال له أبو زنبور : هذا لا يلزمنى ، ولكن هاهنا مال الاستثناء بمصر ، وهو مائةُ ألف دينار فى كل سنة ، وقد أخذتَ منه فى وزارتك الأولى سَبْعَمائة ألفٍ وخمسين ألفَ دينار .

فقال له ابن الفرات : قد وَلِيتَ أيضا مِصْرَ لأبى الحسن أربعَ سنين ، وحُكْمُ ذلك فيما يَتَوَجَّهُ على أبى الحسن أو عليك حُكْمُ ما قبله . والآن فهاهنا ثمانمائةِ ألفِ دينار واجبةٌ لأمير المؤمنين ـ أعزه الله ـ ومن الواجب أن تخرُجا إليه منها .

فقال له علىٌّ بن عيسى : أنا معروفُ الطريقة ومكشوفُ الرأس من مثل هذه الأسباب ـ وكشف عن رأسه ـ .

قال : وكان المقتدر بالله قريبا من الموضع فسمع ما جرى . فقال ابنُ الفرات : وَمن هاهنا ـ بارك الله عليك ـ مُغَطَّى الرأسِ ؟ ولو تكلَّم الناس كُلُّهم فى هذا الموضع لوجب لك ألَّا تتكلم .

فقال : لم يا أبا الحسن ؟ ـ أعزك الله ـ .

قال : لأن لهذا الرجل ـ يعنى أبا زنبور ـ ومحمدَ بن علىٍّ ابن أخيه بمصرَ والشامِ من الضِّياعِ مسافة مائةِ فَرْسَخٍ [1] فى مائة فرسخ ، وما أخذتَ من حَقٍّ بيتِ المال منها فى وزارتك درهما واحدا . فَمَنْ تَرَكَ على قوم حقوقَ بيت المال لِمَ لَمْ يأخُذ المرافق منهم ؟ ثم التفت إلى شفيعٍ اللؤلؤىِّ ـ وإليه البريدُ ـ وقال له : أنت ثِقَةُ أمير المؤمنين ، وقد تعيَّنَ على هذا الرجل ـ يعنى أبا زنبور ـ مالٌ يلزمه الخروجُ منه

---

(١) الفرسخ : ثلاثة أميال أو اثنا عشر ألف ذراع .

بإقراره واعترافه أو إقامَةُ حُجَّةٍ تُبَرِّئُه منه ، فأنه إلى أمير المؤمنين ذلك، وطالِبْه به .

وأقبل عليه حامد وقال له : قد أخذتَ في التمويهاتِ ، وعَوَّلْت ـ يا ابن الفاعلة ـ على دفع الحق بالمباهتات .

قال له : وأيُّ شيء في يدك من الحق حتى أدفعَه يا حامد ، تَحْمِلِ إلى السلطان مائتين وأربعين ألفَ دينار فى كل سنة من واسطَ ، وتَدَّعى أن الخاقانيَّ الأبله المتخلِّفَ ضَمَّنَكَ ثمنَ الحاصل من زَرْعٍ لم يُزْرَع . ثم تعترفُ بأنك تُغِلُّ ضمانَ هذه الناحيةِ سَبْعمائةِ ألْفِ دينار ، وتُشَنِّعُ بذلك ، أو ليس هـذا الفعلُ شاهدَ عقلِك وصناعَتِك ومقدارِكَ فى دِينك وأمانتِك ؟ وقد رضينا بهذا الشيخِ ـ يعنى عليَّ ابن عيسى ـ فى كَشْفِ أمرِكَ وتأمُّلِ ما عليك ، فإنَّ شُغْلَ السلطان باستيفاء ما يلزمك ـ مما دَخَلْتَ فى الوزارة لِتَدْفَعَه عن نفسك لَمَّا أَرَدْتُ استخراجَه منك ـ أَعْوَدُ عليه وأَنْفَعُ له .

فشتمه حامدٌ شتماً مُسرفا ، وأمر أن تُنْتف لحيتُه ، فلم يُقْدِم عليه أحد حتى مدَّ حامدٌ يدَه إلى لحيته ـ وكان جالسا بالقرب منه ـ فأخـذ منها خُصْلة ، وصاح ابن الفرات : أوه . وضرب أبو زنبور يده إلى الدواة وكتب بأنه يضمن استخراجَ مائةِ ألف دينار من ابن الفرات فى مُدَّة ثلاثين يوما إذا سُلِّم إليه بعد ما أداه إلى هذا الوقت . فقال له ابن الفرات : يكون عليك ألفُ ألفٍ وثلاثُمائةِ ألفِ دينار بالمواقفة لك فى هذا المجلس ، ثم تدفعها بأن تَضْمَنَنِي بأقلَّ من نصفها ؟ إن ذلك من أطْرَف الأمور ، وأعجب السياسة !

فقال حامد : وأنا أَضْمَنك بسبعمائة ألف دينار عاجلة فى عشرة أيام ، إذا سُلِّمتَ إليَّ .

وكتب حامد وأبو زنبور خطَّهما بما بَذَلا فيه . واستدعى حامدٌ مُرْشِداً الخادمَ،

وسلَّمَ إليه الخطَّيْنِ ، وأمره بِعَرْضِهما على المقتدر بالله ، فدخل وعاد وقال : أمير المؤمنين يقول : أنا أعلم أن عليه وعنده من الأموال أكثر مما قلتماه وضَمِنتماه . وأنا أدْرِى كيف أستخرجها منه ، وأُقابله على تقاعُدِه بى . ومكايَدَتِه إياى ، فأما أن أُضَمِّنه وأُسَلِّمَه فلا حاجة بى إلى ذلك .

ثم أقيم من المجلس إلى محبسه ، فما وقعت للجماعة عينٌ عليه بعد ذلك .

قال أبو الحسين بن هشام : فلما وَلِىَ أبو الحسن بن الفرات الوزارةَ الثالثة حكى هذا المجلس على هذه السِّياقة ، وزاد فيها أنّ علىّ بن عيسى قال له : ما اتَّقَيْتَ اللهَ فى تقليدِكَ ديوانَ جيش المسلمين رجلاً نصرانيا ، وجعلْتَ أنصار الدين وحُماةَ البَيضَةِ (١) يُقَبِّلون يده و يمتثلون أمره .

فقلتُ له : ما هـذا شيء ابتدأْتُه ولا ابتدَعْتُه ، وقد كان الناصِرُ لدين الله قلَّد الجيشَ إسرائيلَ النصرانىَّ كاتِبَه . وقلَّد المعتضدُ بالله مالكَ بنَ الوليد النصرانىَّ كاتب بدرٍ ذلك .

فقال على بن عيسى : ما فعلا صواباً .

فقلت : حسبى الأُسْوَةُ بهما وإنْ أخْطَآ على زَعْمِك . ولعمرى إنك لا تَرَى أماناتهما ، ولا تَعتقد طاعَتَهما ، فلذلك لا تقتدى بآرائهما ، ولا ترتضى بأفعالهما ، ومع هذا فما وَجَدْتُ لى روُحيْنِ إذا مضى أحدهما بَقِىَ الآخَرُ (٢) .

قال : ما أرَدْتَ بهذا القول ؟

قلت : وَجَدْتُ العباسَ بن الحسن قد قلَّد محمدَ بنَ داودَ بنِ الجراح ديوانَ

---

(١) حماة البيضة : يريد بهم حماة الإسلام .
(٢) يعنى أنه له روح واحـد وليس له روحان فيستطيع أن يخاطر بأحدهما ، هذا والروح يذكر ويؤنث .

الجيش ، فطمع فى الوزارة ، وسعى على العباس حتى قتله ، وخلعَ أميرَ المؤمنين ـ أعزه الله ـ وأجاس عبدَ الله بنَ المعتز . فخِفْتُ أن يَتِمَّ عليّ وعلى الدولة ما تمّ منه . قال : ثم صحت ، وأنا أعلم أنّ الخليفة يسمع : يا أمير المؤمنين ، قد اجتمع هؤلاء يريدون قتلى خوفا من علمى بمساوئهم ، وما فى ذِمَمِهم من الأموال التى تلزمهم ، كما اجتمع الـكُتَّابُ فى أيام المتوكلِ جدِّك على نَجَاح بن سَلَمة حتى قتلوه ، ولى عليك حَقُّ حُرْمةٍ وخدمة ، فاحْرُسْ نفسى . و بارك الله لك فى مالى . قال : فما استوفَيْتُ القول حتى خرج الخدَم وحملونى فردُّونى إلى موضعى ، ولم أجتمع مع واحد منهم حتى جلستُ هذا المجلس .

وحكى أبو الحسن ثابت بن سنان أن أبا زنبور لم يقم من مجلسه الذى ناظر ابن الفرات فيه حتى قال له [1] : إن أقررت على نفسك مصادرةً التزمتُ عنك خمسين ألفَ دينار . فلما خرج قال له عليُّ بن عيسى ونصرٌ الحاجبُ وابنُ الحوارى : دخلت إلى الرجل لتناظِره وخرجت من عنده وقد بذَلْتَ مَرْفِقاً مُصَانَعَةً [2] . فقال : نعم ، أدخلتمونى إلى رجل قال [لى] بعضكم لما دخلتُ إليه : انظر لمن تُخاطب [و] قال آخر : انظر بين يديك و [قال آخر] [3] اللهَ اللهَ فى نفسك . فلم أجد أقربَ إلى [4] الصواب مما فعلْتُه . قال : فلما تقلّد [5] ابنُ الفرات الثالثَةَ [6] قبض على ولَدٍ لأبى زنبور وأخذ خطَّه بخمسة وعشرين ألف دينار كانت واجبةً عليه للسلطان ، وأخّرَ مطالبَتَه بها إلى أن وافى أبوه من الشام ، ثم قال له وعَدْتَنى فى المجلس الذى ناظرْتَنى فيه بِحَمْل خمسين ألفَ دينار ، وقد كُنْتَ مَالِكَ أَمْرِكَ فى أن تفعل أولا تفعل ،

---

(١) تجارب الأمم ٥/٦٣ .

(٢) فى تجارب الأمم : وصانعته .

(٣) الزيادات من تجارب الأمم .

(٤) فى الأصل : من والتصويب من تجارب الأمم .

(٥) تجارب الأمم ٥/٦٣ .

(٦) فى تجارب الأمم : أنه لما تقلد بعد هذا الوقت الوزارة وهى وزارته الثالثة .

وهذا خَطُّ ابنِك بخمسةٍ وعشرين ألفَ دينارٍ واجبةٍ عليه لا حُجَّةَ له ولا لك فى دَفْعِهاَ عنه وقد رَدَدْتُه إليك مكافأةً عمّا عملتَ و بذلْتَ .

ووجدت فى هذه الحكاية من الزيادة أن حامداً قد كان أحضر أبا علىٍّ [١] ابنِ مقلة معه لمواقفة ابن الفرات على ما استخرجه من ودائعه فى وزارته الثانية ، فلما طلبه وجده قد انصرف ، وراسله بالْعَوْدِ فقال : أنا أكتب خَطِّى . وأشْهَدُ على نفسى بجميع ما تُريده منى ، فأمّا أن أُواجه ابنَ الفرات به فما لى وجْهٌ يَثْبُتُ على ذلك . فكان هذا الفِعْلُ سببَ سُوءِ رَأْيِهِ [فيه] [٢]

وحدث أبو الحسين بن هشام . قال : سمعت أبا الحسن أحمد بن محمد ابن عبد الحميد كاتب السيدة يحدث أبى فى يوم عيد الأضحى من سنة ست وثلاثمائة قال : لما صحَّ عند أبى الحسن بن الفرات فسادُ أمره عند المقتدر بالله ، وتمامُ التدبير عليه فى صرفه وتقليدِ حامدٍ استدعانى وخلا بى وقال : أنت عارف بخدمة هذه المرأة وما فيه صلاح رأيها ، وأريد أن تَلْطُف فى استمالتها واستعطافها حتى تُبْطِلَ ما دبَّره أعدائى علىَّ وأَشِرْ[٣] علىَّ بما أفعله فى أمرى. فقلت له : قد دُبِّر عليك تدبيرٌ لا يَنْحَلُّ سريعا ، وجنيتَ على نفسك فى هذه الدَّفْعَةِ ثلاثَ جناياتٍ لا يمكن تلافى الخطأ فيها . فقال : وما هى ؟ قلت : أوّلها أنْ صَرَفْتَ أصحابَ الدواوين والعُمّالَ والمُنْفِقِينَ وأصحَابَ البُرُدِ والخرَائِطِ وأكثَرَ القضاةِ و بعضَ المَعَاوِنِ . وقلّدْتَ أصحابَك وذوى عناياتك ، فصاروا أعداءك وسعاةً عليك ، وقال الناسُ : إنك قلّدْتَ لِلعنايةِ لا للكفاية ، وحتى قال الخليفة : ما كان فى هؤلاء المُتَصَرِّفِينَ مَنْ يصلح للإقرار على عمله .

---

(١) تجارب الأمم ٣/٦٢ .

(٢) فى تجارب الأمم : فغلظ ذلك على حامد وتنكر لابن مقلة منذ هذا اليوم .

(٣) فى الأصل وأشير وصححها محقق الطبعة الأولى : وتشير .

وثانيها : أنك أخذْتَ توقيع الخليفة بردّ أملاكك وضياعك عليك ، وقد تفرق أكْثَرُها [فى] أهلِ الدار والقوادِ والخواصّ فانتَزَعْتَ ذلك من أيديهم ولم تُعَوِّضْهم عنه . وقد أنفق أكثَرُهم النفقاتِ العظيمةَ عليه ،وانضاف هؤلاء إلى أولئك وصارت كلمتُهم واحدةً فى السعْيِ عليك .

وثالثها : أن حلفت للخليفة ــ وأنت فى حَبْسه قبل أن تقلَّدْتَ من وزارته ماتقلدته ــ أنَّه لم يبق لك وديعةٌ ولا ذخيرة إلا وقد صدقْتَه عنها ، ثم قعدتَ فى ولايتك تطالِبُ بالودائع ظاهرا ، وتستخرجها شائعا ، فكيف يمكن إصلاحُ فسادٍ هذه أسْبَابُه ؟ ولكننى أُشير عليك برأى إن قبلتَه أحْمَدتَه . قال : وما هو ؟ قلت تُقَسِّطُ على نفسك وكُتَّابِك وعُمَّالك مالاً يُقارِب النصفَ من أحوالهم [1] وتحمِلُه إلى الخليفة فترضيه به ، وأَعْقِدُ لك مع السيدة عَقْداً يقوم بأمرك معه ، وأُحَلِّفُها عليه يمينا تَسْكُنُ النفسُ إلى مثلها . وأنت وهم قادرون على الاعتياض فيما تعطونه على مهل . فقال : أمّا هذا الرأى فقد أشار به علىّ جماعةٌ من أسبابى ، منهم موسى بنُ خلف وابنُ فرجويه ، وأبو الخطاب ، وهشام . ــ قال أبو الحسين : وإنما حدَّثَ ابنُ عبد الحميد أبى بهذا الحديثِ لِتَعَلُّقِه بذكره ــ فخطَّأْتُ جميعَهم فيه ، وقد كنْتَ عندى بعيدا من الخطأ ، وقد شاركتَهم فيه الآن . فقلت : وكيف ؟ . قال : ما بذل قَطُّ وزيرٌ ولا كاتبٌ ولا عاملٌ بَذْلًا على وجْهِ المصادرَةِ فى ولايته إلّا كان من أكبر دواعى الطمع . وأكثرِ أسبابِ الُحجَّةِ عليه ، لأن أعداءه يقولون قد بان الآنَ كَثْرَةُ مالِه وحالِه بما بذَلَه عَفْوا من نفسه ووراء ذلك أَضْعَافُه . ويكون هذا القول مسموعا مقبولا ، ويَتِمُّ ما يَتِمُّ وإنْ يُدَافعْ يوماً ومُدَّة [2] وقد مضى المال

(١) لعلها أيضاً : من أموالهم .

(٢) أى أنه لا بد أن يتم عليه ما يدبر مهما دوفع عنه، سواء كان ذلك بعد يوم أم مدة، ويضيع المال بلا فائدة .

ضائعا . ومع هذا فأىُّ شىء أَقْبَحُ بى — مع عُـلُوِّ هِمَّتى وكثرةِ نعمتى — من أَنْ أُنشئ أصحابا وعُمَّالاً — يَلُون بولايتى ويُنْكَبُون بنكبتى ويتصرّفون بتصرُّفى ويتعطَّلون بعُطْلَتى — ثم أُزِيلَ نِعَمَهم وأحوالهم بيدى وفى أيامى ؟ القَتْـلُ واللهِ أَهْوَنُ من ذلك .

فعجبت من كبر نفسه وعِظَم كَرَمِه ، وانصرفت ، فقُبِض عليه بعد أيام .

وحدث أبو الحسين قال . دخلت مع هشامٍ والدى إلى أبى جعفرٍ أحمدَ بنِ إسحاق ابن البهلول القاضى عَقِيبَ عِيدٍ لأهنئه به ، فتطاولا الحديثَ ، وقال له والدى فى عُرْضه: قد كنتُ أُكاتب الوزير — يعنى ابنَ الفرات — فى[1] محبسه وأُعَرِّفه ماعليه القاضى من موالاته ومشاركته والتألم من محنته ، ومواصلةِ الدعاء بتفريجها عنه ، وهو الآن على شُكْرٍ للقاضى واعتدادٍ به . فلما سمع ذلك صرف من كان فى مجلسه وخَلَوَا . وقال له القاضى : ليس يخفى علىَّ ما أراه فى عين الوزير ونظره من التغيُّر والتنكُّر ، وإنْ كان مانَقَصنى من مَنْزِلةٍ ولا عَمَلٍ[2] ، وبالله أحلف لقد لقيت حامد بن العباس متلَقِّياً بالمدائن لما أُصْعَد للوزارة ، فقام إلىَّ فى حَرّاقته[3] قياماً تامًّا ، وأقبل علىَّ وسألنى عن خبرى وقال : هذا أمْرٌ لك ولولَدِك ، وستعرف ما أفعله فى زيادتك من الأعمال والأرزاق ، ثم لقيته يوم خُلِعَ عليه فتَطَاوَل لى ، فلمَّا فعلتُ فى أمر الوزير بحضرة أمير المؤمنين مافعَلْتُهُ عادانى [و] لم يُعِرْنى طَرْفَهُ من بَعْدُ ، وتخوّفته حتى كفانى اللهُ أمرَه بتفرُّدِ علىِّ بن عيسى بالعمل ، وتشاغُلِه هو بالضمانِ وسقوطِ الحاجَةِ إلى لقائه ، ومالى إلى هذا الوزير ذنبٌ يوجب انقباضَه عنِّى ، واستيحاشَه مِنى إلَّا أننى

---

(١) فى الأصل إلى

(٢) يعنى أنه مع هذا لم ينقصه شيئاً من المنزلة والعمل

(٣) الحراقة نوع من السفن فيها مرامى نيران يرى بها العدو .

سَلَّمتُ الوديعةَ التى كانت له عندى ، والله لقد دافعت عنها بغايةِ ماأمكنتْنِي المدافعةُ به ، مَع ما أُتِيَ بحيث لا يُمكِن مثلى الكَذِبُ فيما يُسأل عنه ، حتى جاء ابنُ حَمَّادٍ كاتِبُ موسى بنِ خلف وأقرَّ بها علىَّ ، وأقام الدليل بإحضار المرأة التى كانت حَمَلَتْهَا إلَىَّ ، فلم أستطع مع هذه الحالِ إنكارَها ، ولم أجد بُدًّا من تسليمها . وقد فعل أبو عُمر مثلَ ذلك فيما كان عنده ، غير أنَّه أخذ مالًا من ماله ووضعه فى أكياسٍ وختمه بخاتَم نَفْسِه وكتب [عليه] عَلِيُّ بنُ مُحَمّدٍ [١] . فلما عاد الوزيرُ قال له : إن الوديعةَ بعينها عندى ، وإنما غَرِمْتُ ما غَرِمْتُه من مالى ، تقرُّباً إليه وتَنَفُّقاً عنده [٢] . ومالى من المال ما لأبى عمر ، ولا عندى من الاستحلال مثلُ ماعنده ، ولا جَرَتْ عادتى أن أقدَحَ فى أمانتى ومُروءتى بمثل فعله . والآنَ فأُريد أنْ تَسْتَلَّ سخيمةَ الوزير وتُصْلِحَ قلبه ، وتُذَكِّرَه بحقِّى القديم عليه ، ومَقامى له بين يدى الخليفةِ المَقامَ الذى قمتُه ، فإن مثلَه يَرْعَى ويُرَاعَى . فقال له : ما الذى أفعل وأتلطف ؟ وقد اختلفت الأقوال فيما جرى ذلك اليومَ ، فإن رأى القاضى أن يشرحه لى . فقال أبو جعفر كنت أنا وأبو عمر وحامدٌ وعلىٌّ بن عيسى بحضرة الخليفة ، وفى المجلس جماعة من خواصِّه الذين يُعادون الوزير ــ أيده الله ــ وينحرفون عنه ، إذ أحضر [٣] حامدٌ الرجُل الجنديَّ الذى زَعَم أنه وجدَه راجعا من أَرْدبيل إلى قَزْوين ، ومتردداً بينهما وبين أصبهانَ والبصرةِ ، وأنَّه أقرَّ له عَفْواً أنه [٤] رسولُ ابن الفرات إلى ابن أبى الساج فى عقدالإمامة لرجل من الطالِبيِّين المقيمين بطَبَرِستان ، وأن الشروعَ واقعٌ من الجماعة فى أخذ البيعة له ، ومسيرِ ابن أبى الساج إلى بغدادَ به ، حتى إذا قَرُبَ عاوَنَه ابن الفرات

---

(١) يعنى أنه دون فوق المال الموضوع فى الأكياس اسم على بن محمد بن الفرات .

(٢) تنفقا : أى ترويجاً لحاله عنده .

(٣) تجارب الأمم ٥/ ٦٠ــ٦١ ومعجم الأدباء ترجمة أبى جعفر بن البهلول ١/ ٨٩ــ٩١ .

(٤) عفواً أى من أول وهلة وبادرة .

ومهّد له من أمر الحضرة مايجب تمهيدُه . وقال حامدٌ للرجل : اصْدُق عما عندك . فذكر مثل ماذكره حامدٌ عنه ، وَوَصفَ أن موسى بنَ خلف اختارَه لابن الفرات لأنه من الدعاة إلى الطالبيين ، وأن موسى قد كان مضى فى وقت من الأوقات إلى ابن أبى الساج فى شىء من ذلك .

فلما استتمّ الرجل قوله اغتاظ الخليفة غيظاً شديداً بانَ فى وجهه ، وأقبل [(١)] على أبى عمر فقال : ما عندك فيمن فعل هذا واستجازه ؟ فقال : لئن كان فَعَلَه لقد رَكِب عظيما ، وأقدم على أمرٍ يضرُّ بالمسلمين جميعاً ، واستحقّ كذا — بكلمةٍ عظيمة لا أحفظها — . قال أبو جعفر : وتبيَّنْتُ فى وجه علىٍّ بن عيسى كراهيةً لما يجرى وإنكاراً لهذه الدَّعْوَى وهُزؤا بما قيل فيها ، فقويتْ بذلك نفسى ، وَعَطَف الخليفةُ إلىّ فقال : ما عندك يا أحمد فيمن فعل ما سمعتَه ؟ قلت : إن رأى أميرُ المؤمنين أن يُعْفِيَنى عن الجواب . قال : ولم ؟ قلت : لأنه رُبَّما أَغْضَبَ مَنْ أَنَا مُحْتَاجٌ إلى رِضاه ، وخَالَفَ رَأْيَه وهَوَاه ، واستَضْرَرْتُ بذلك ضرراً أتأذَّى به . قال : لا بد من أن تقول . فقلت : الجواب ما قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ [(٢)] » . ومثلُ هذا الأمر الكبيرِ لا يُقبَلُ فيه خَبَرُ الواحد ، والعقلُ يمنع من قَبُولِ مثله على ابن الفرات ، لأن من المحال أن يَرْضى بِبِيَاعَةِ ابن أبى الساج ، ولعلَّه ما كان يُؤَهِّله لِحِجَابته [(٣)] فى أيام وزارته . ثم أقبلْت على الرجل فقلت له : صِف لى أَردبيل أعليها سور أم لا ؟ فلا شك فى معرفتك بذلك مع ما ذكرته من دخولك إياها . واذكرْ لى بابَ دار العِمَارة هل هو حَديد أو مُلْبَسٌ [(٤)] أم خَشَبٌ ؟

---

(١) تجارب الأمم ٥/٦١

(٢) سورة الحجرات الآية ٦

(٣) فى الأصل : « لحجبته » .

(٤) ملبس : أى أنه خشب مكسو بحديد .

فلجْلَجَ فى كلامه . وقلت له : ما كُنْيَةُ ابن محمود كاتب ابن أبى الساج ؟ فلم يعرف ذاك . وقلت : فأين الـكتب التى معك ؟ قال : لما أحسست بوقوعى فى أيديهم رميتُ بها إشفاقا من أن يجدوها معى فأُعاقَب . فقلت : يا أمير المؤمنين هذا رجل جاهل مُـكْتَسِبٌ أو مدسوس من عدُوٍّ غير مُحَصِّل . فقال علىُّ بنُ عيسى : قد قلتُ ذاك للوزيرِ فما قَبِل منى ، وليس يُخَوَّفُ هـذا فَضْلاً عن أن يُنْزَلَ به مكروهٌ إلا وقد أقرَّ بالصورة . فأقبل الخليفة على نَذِيرِ الُحرمى وقال له : بحقى عليك إلا ضربْتَه مائةَ مِقْرَعةٍ أشَدَّ ضربٍ إلى أن يَصْدُق ـ وإنمـا عَدَل بهذا الأمرِ عن نصرٍ الحاجب لِماَ كان يعرفه من عداوته لابن الفرات ـ قال : فأُخِذَ الرجلُ من حضرة الخليفة ليُضْرَب على بُعْدٍ . فقال : لا ، لا ، هاهنا. فضُرِب بحيثُ يشاهده دون خَمْسِ مَقَارِعَ . فقال : غُرِرْت وضُمِنَتْ لى ضماناتٌ فـكذبتُ ، ووالله ما رأيتُ أَردبيل قطُّ . وطُلِبَ أبو مَعَدٍّ نِزَارُ بن محمد الضَّبِّىُّ صاحبُ الشُّرطة فـكان قد انصرف . وقال الخليفة لعلىّ بن عيسى : وَقِّعْ إليه بأن يضربه مائةَ سوطٍ ويُثْقِلَه بالحديد ويَطْرَحَه فى المُطْبِق [1] . فوالله لقد رأيت حامدا وقد كاد يسقط انخزالا وانـكسارا ووجلا وإشفاقا . وخرجنا وجلسنا فى دار نصرٍ الحاجبِ وانصرف حامد ، وأَخذَ علىُّ بن عيسى ينظر فى أُمورٍ كُلِّمَ فيها ، وأَخَّرَ أَمْر الرجل حتى قال له ابن عبدوس حاجبه : قد أُنْفِذَ بِدَبْرٍ [2] المضروب المتـكذِّب . قال أبو جعفر : فقلت: هذا رجل قد جَهل ، وغَمَّنى إذْ كنتُ سببا لما لحقه ، فإن أمكنك أن تُسْقِط عنه المـكروهَ المُستأنفَ أو بعضه كان لك فيه أجر . فقال : لَعَن اللهُ هذا . وأىُّ أَجْرٍ فى مثله ؟ ولـكننى أقتصر به على خمسين مِقْرَعةٍ وأُعفيه من السياط . ثم وقَّعَ

---

(١) المطبق : سجن تحت الأرض .

(٢) أنفذ : أرسل والدبر من معانيه الموت ، أى أرسل بموته .

بذلك إلى نِزَارٍ وانصرف . وقد صار حامدٌ من أشدِّ الناس حَنَقا علىَّ وعداوةً لى .

وحدث أبو الحسين على بن هشام قال : لما وَزَرَ [١] أبو الحسن بن الفرات وزارته الأولى وجد سليمان بن الحسن يتقلَّد مجلس المُقابلة فى ديوان الخاصَّة من قِبَل علىِّ بن عيسى ، وهو صاحبُ الديوان إذ ذاك ، فقلَّده الديوانَ بأسْره ، وأقام يتقلَّدُه سنتين . واتفق أن قام فى بعض العَشِيَّات يُصلِّى المغرب ، فسقطت من كُمِّه رُقْعَةٌ بخطِّه فيها سِعَايةٌ بابن الفرات وأسْبَابِه ، وسَعْيٌ لابن عبد الحميد كاتبِ السيدةِ فى الوزارة ، فوقعَتْ فى يد أحد الحواشى ، فحمَلَها إلى ابن الفرات ، فلما وَقَف عليها قَبَض عليه من وقتِه ، وأنفذه فى زَوْرَقٍ مُطْبِق إلى واسط ، فصُودر هناك وضُرِب .

ثم رفَع صاحبُ البريد إلى ابن الفرات فى جملة رُفُوعه أن أم سليمان ماتت ببغداد ولم يَحْضُرْهَا وَلَدُها ولا شاهَدَتْه قبل موتها ، فاغتمَّ بذلك وهزَّته الرِّعَايَةُ لِأَنْ كَتَبَ إليه بخطّه كتابا أقْرَأَنَاهُ سليمانُ من بعدِه فحفظته وهو :

مَيَّزْتُ ـ أكرمك الله ـ بين حَقِّك [و] جُرْمك ، فوجدتُ الحَقَّ يُوفِى على الجُرْم ، وذكرت من سالف خِدمتك [فى المنازل] [٢] التى فيها رُبِيت ، وبين أهلها غُذِيت ، ماثنانى إليك ، وعطفنى عليك ، وأعادنى لك إلى أفضلِ ما عهدتَ ، وأجمل ما أَلِفْتَ ، فَثِقْ ـ أكرمك الله ـ بذلك واسْكُنْ إليه ، وعوِّل فى صلاح ما اختل من أمرك عليه . واعْلَمْ أننى أراعى فيك حقوقَ أبيك التى تقوم بِتَوَكُّد [٣] السبب مقام اللُّحْمَةِ والنَّسب [و] تُسَهِّل ما عَظُم من جنايتك ، وتُقَلِّل

---

(١) القصة فى تجارب الأمم ١٥/٥ ونشوار المحاضرة ١١٥/٨ والفرج بعد الشدة ١١٠/١ وابن الأثير حوادث ٢٩٦ .

(٢) زيادة من نشوار المحاضرة والفرج بعد الشدة .

(٣) فى الفرج بعد الشدة ونشوار المحاضرة بتوكيد .

ما كثر من إساءتك ، ولن أدع مراعاتَها [١] والمحافظةَ عليها ، إن شاء الله ، وقد قلّدْتك أعمالَ دَسْتُميسانَ لسنة ثمان وتسعين ومائتين و بقايا ما قبلها ، وكتبت إلى أحمد بن محمد بن حَبَشٍ [٢] بحَمْلِ عشرة آلاف درهم إليك ، فتقلّدْ هذه الأعمال وأظهِرْ فيها أثراً حميداً يُبِينُ عن كِفايتك ، ويُؤَدِّى إلى ما أُحبه من زيادتك إن شاء الله [٣] .

وحدث القاضى أبو على المحسن بن على التنوخى قال [٤] : حدثنى أبو الحسين على بن هشام قال : كنت حاضراً مع أبى مجلسَ أبى الحسن بن الفرات فى شهر ربيع الآخر سنة خمس وثلاثمائة فى وزارته الثانية فسمعته يتحدث ويقول : دخل إلىّ أبو الهيثم العباس [٥] بن محمد بن ثوابة الأنبارى فى محبسى فى دار المقتدر بالله وطالبنى بأن أكتب له خطى بثلاثةَ عشرَ ألفَ ألفِ دينار . فقلت : هذا مالٌ ماجرى على يَدِى للسلطان فى طول أيام ولايتى فكيف أُصادَر على مثله ؟ قال : قد حلفتُ بالطلاق على أنه لابد أن تكتب بذلك . فكتبت له بثلاثة عشر ألف ألف ، ولم أذكر درهما ولا ديناراً . فقال اكتب ديناراً لِأَبْرَأ من يمينى فكتبتُ وَضَرَبْتُ عليه وخَرَّقْتُ الرُّقعة وَمَضَغْتُها وقلت : قد بَرَّت يمينُك ولا سبيل بعد ذلك إلى كَتْبِ شىء . فاجتَهدَ ولم أفعَلْ ، ثم عاد إلىّ من غد ومعه أمُّ موسى القهرمانةُ ، وجدَّدَ مطالبتى وأسرف فى شتمى ، ورمانى بالزنا ، فحلفْتُ بالطلاق والعِتاق وتمام الأيمان الغَمُوس أننى مادخلتُ فى محظور من هذا الجنس منذ نَيِّفٍ وثلاثين سنةً ، وسُمْتُه أن يحلف

---

(١) فى الأصل مراعاتك . والتصويب من نشوار المحاضرة والفرج بعد الشدة .

(٢) فى الأصل غير واضحة ، وفى نشوار المحاضرة : حبش . وفى الفرج بعد الشدة : جيش .

(٣) فى الفرج بعد الشدة عقب هذا الكلام : قال أبو الحسين : وابن جبش هذا كان وكيل ابن الفرات فى ضياعه بواسط .

(٤) تجارب الأمم ٥/٨٨

(٥) مات محبوسا سنة ٣٠٣ : انظر صلة عريب ٥٩ .

بمثل يمينى على أن غلامَه القائمَ على رأسه لم يَأْتِهِ فى ليلته تلك . فأنكرَتْ أمُّ موسى هذا القولَ ، وغطَّتْ وجهها حياء منه . فقال لها ابنُ ثوابة : هذا رجل بَطِرَ بالأموال التى معه ، ومَثَلُه مَثَلُ المزيِّنِ مع كسرى ، والحجَّامِ مع الحجاج بن يوسف . فتستأمرين السادة فى إنزال المكروه به حتى يُذعن بما يراد منه — وكان قولُه : السادة ، إشارةً إلى المقتدر بالله والسيدة والدته وخاطف ودستنويه أمِّ ولد المعتضد بالله [١] ، وهم إذ ذاك مُستولون على التدبير لصغر المقتدر بالله — فقامت أمُّ موسى وعادت وقالت لابن ثوابة : يقول لك السادة : قد صدقت فيما قلتَ ويدُك مطلقةٌ فيه .

قال ابن الفرات : وكنت فى دار لطيفة [٢] ، والحرُّ شديد فتقدم بتنْحِيَةِ البوارى [٣] عن سمائها حتى نزلت الشمس إلى صحنها ، وإغلاق أبواب بيوتها ، فحصلتُ فى الشمس من غير أن أجد مُسْتَظَلاً منها ، ثم قيَّدنى بقيدٍ ثقيل ، وألبسنى جُبَّة صوف قد نُقِعَتْ فى ماء الأكارِع [٤] ، وغلَّنى بِغُلّ ، وأقفل باب الحجرة وانصرف ، فأشرفت على التلف . وعددتُ على نفسى ماعاملت الناس به ، فوجدتُنى قد عَمِلْت كلَّ شيء منه ، من مصادرةٍ ونهبٍ وقبضِ ضِيَاعٍ وحبسٍ وتقييد وتضييق وإلباسِ جبابِ الصوف ، وتسليمِ قومٍ إلى أعدائهم وتمكينهم من مكروههم ، ولم أذكر أننى غَلَلْتُ أحداً ، فقلت : يانفس هذه زيادة . ثم فكَّرْتُ أن النَّرسيَّ كاتبَ الطائى ضَمِننى من عبيد الله بن سليمان ، فلم يُسلِّمْنى إليه وسلَّمه إلىَّ فسلَّمْته إلى الحسن المعلوف المستخرِج ، وكان عَسُوفاً ، وأمرته بتقييده وتعذيبه ومطالبته بمالٍ حدَّدْتُه له ، وألَطَّ [٥]

(١) فى الأصل : المقتدر والتصويب من تجارب الأمم ٥ / ٩٠ .

(٢) فى تجارب الأمم حجرة ضيقة .

(٣) البوارى : الحصر .

(٤) الأكارع جمع كراع . ولعله يريد أنه نقعه فى مرقته إذ تكون فيها أدهان ودسم لتزداد الحرارة عليه .

(٥) ألط الغريم : منع من الحق .

ولم يُؤَدِّ ، فتقدَّمْتُ بِغَلِّه ثم ندمت بعد أن غُلَّ مقدار ساعتين . وأمرتُ بإنزال الغُلِّ عنه . وتجاوزْتُ الساعتين وأنا مغلول ، فذكرت أمراً آخر ، وهو أنه لما قَرُبَ سَبْكَرى (١) مأسوراً مع رسول صاحب خراسان كتبتُ إلى بعض عمال المشرق بمطالبته بأمواله وذخائره . فكتب بإلطاطه وامتناعه ، فكتبت بأن يُغَلَّ ، فوصل الكتاب الأولُ وغُلَّ ، وتلاه الثانى بعد ساعتين فَحُلَّ .

فلما تجاوزت (٢) عنى أربعُ ساعات سمعتُ صوتَ غلمانٍ مجتازين فى الممر الذى فيه حجرتى ، فقال الخدمُ الموكَّلون : هـذا بدر الحُرَمى [و] هو صنيعتك . فاستغثتُ به وصحت : يا أبا الخير ، لى عليك حقوقٌ ، وأنا فى حالٍ أتمنَّى معها الموت ، فتخاطب السادة وتُذَكِّرُهُمْ حُرْمتى وخدمتى فى تثبيت دولتهم لمَّا قعدَ الناسُ عن نصرتهم ، وافتتاحى البلدانَ المأخوذةَ ، واستيفائى الأموالَ المُنْكَسِرَةَ ، وإن لم يكن إلَّا مؤاخذتى بذنب يُنْقَمُ علىَّ فالسيفَ فإنه أَرْوَح . فرجع ودخل إليهم وخاطبهم ورقَّقهم ، وأمروا بحَلِّ الحديدِ كلِّه عنى ، وتغييرِ لباسى وأخْذِ شعرِى ، وإدخالى الحمَّامَ وتسليمى إلى زيدانَ ، وراسلونى : بأنك لا ترى بعد ذلك بُؤسا . وأقمت عند زيدان مُكْرَماً إلى أن رُدِدْتُ إلى هذا المجلس .

قال أبو الحسين : ثم ضرب الدهر ضَرْبَه فدخلت إليه مع أبى فى الوزارة الثالثة وقد غلب المحسن على رأيه وأمره . فقال له أبى : قد أسرف أبو أحمد فى مكارهِ الناس حتى أنه يضرب من لو قال له : اكتب خطَّك بما يريده منه لكتب بغير ضرب . ثم يواقف المُصادَر على الأداء فى وقتٍ بعينه ، فإن تأخَّر إيرادُ

---

(١) سبكرى : هو غلام الصفار وكان من الخارجين على الخليفة وانظر القبض عليه فى ابن الأثير حوادث ٢٩٧ ، ٢٩٨ .
(٢) تجارب الأمم ٥/٩٠ .

الرَّوْزِ به[1] ، أعاد ضرْبَه . ومع هـذا الفعل شناعةٌ مع خُلُوِّه من فائدة . فقال له أبو الحسن : يا أبا القاسم ، لو لم يفعل أبو أحمد ما يفعله بأعدائنا ومن أساء معاملتَنا لمـا كان من أولاد الأحرار ولـكان نَسْلَ هوانٍ . أنت تعلم أننى قد أحسنت إلى الناس دفعتين فمـا شكرونى ، وسعوا على دمى . ووالله لأسلـكنّ بهم ضدّ تلك الطريقة . فلما خرجنا من حضرته قال لى أبى : سمعتَ أعجبَ من هذا القول ؟ إذ كنا لم نسلم مع الإحسان نسلم مع الإساءة ؟ فما مضى إلا أيامٌ يسيرة حتى قُبِض عليه وجرى ما جَرى فى أمره .

قال القاضى أبو على التنوخى قلت لأبى الحسين بن هشام : قد عرفْنا خبر المُزَيِّن مع كسرى وهو أنه جلس ليصلِح وجهَ فقال له : أيهـا الملك ، زَوِّجْنِى بنتك ، فأمر بأن يقام ، فأُقيم . وقيل له : ما قُلْتَ ؟ فقال : لم أقل شيئا . ففعل به ذلك ثلاث دفعات . فقال الملك : لهذا المزين خَطْبٌ ، وأحضر أهل الرأى فأخبرهم بحاله . فقال جميعُهم : ما أنطق هذا المزيِّنَ إلا باعثٌ بعثَه من مالٍ وراء ظهْرِه . فأنْفَذَ إلى منزله فلم يُوجَدْ له شىءٌ . فقال الملك : احفروا مكان مَقْعَدِه عند خِدْمَتِه لى ، فحُفِر فوُجِد تحته كنزٌ عظيم . فقال الملك : هذا الـكنز كان يخاطبنى .

ثم قلت لأبى الحسين : فهل تعرف خبر الحجام مع الحجاج ؟ قال : نعم . بلغنا أن الحجاج احْتَجَم ذات يوم ، فلما ركّبَ المحاجِمَ على رقبَته قال له : أُحِبُّ أيها الأمير أن تخبرنى بخبرك مع ابن الأشعث ، وكيف عصا عليك . فقال له : لهذا الحديثِ وقتٌ آخرُ ، وإذا فرغْتَ من شأنك حدَّثْتُك . فأعاد مسألَتَهُ وكرَّرَها ، والحجاجُ يَدْفَعُه وَيعِدُه ويحلف له على الوفاء له . فلما فَرَغ ونزع المحاجِمَ عنه ، وغسَلَ الدَّمَ ، أحْضر الحجّامَ وقال له : إنا وعدناك بأن نُحَدِّثك حـديثَ

(١) الروز مصدر راز ما عنده روزا : طلبه وأراده ويكون المعنى فإن تأخر إيراد ما طلبه .

ابن الأشعث معنا ، وحلفنا لك ، ونحن مُحدِّثوك : يا غلام ، السِّيَاطَ . فأُتى بها ، فأمر الحجَّاجُ فجُرِّدَ وعلَتْه السياطُ ، وأقبل الحجاج يقُصُّ عليه قصَّةَ ابن الأشعث بأطولِ حديث . فلما فرغ استوفى الحجَّامُ خَمْسَمائةِ سوطٍ ، فكاد يتلف . ثم رفع الضرب وقال له : قد وَفَّيْنَا لك بالوَعْد ، وأىَّ وقتٍ أحببتَ أن تسأل خَبَرَنا مع غير ابن الأشعث على هذا الشرط أجبناك .

وحدث القاضي أبو على التنوخى قال : حدثنى أبو الحسين بن هشام قال : حدثنى أبو على بن مقلة قبل وزارته قال :

عزم أبو الحسن بنُ الفرات فى وزارته الأولى يوما على الصَّبَوح [1] من غد ، وكان يومُ الأحد من رسمه أن يجلس للمظالم فيه . ثم قال له : كيف نتشاغل نحن بالسرور ، ونصرفُ عن بابنا قوما كثيرين قد قصدوا من نواحٍ بعيدةٍ وأقطارٍ شاسعةٍ مُسْتَصْرِخين مُتظلِّمين ؟ فهذا من أمير ، وهذا من عامل ، وهذا من قاض ، وهذا من مُتَعَزِّز ، ويمضون مغمومين داعين علينا . والله ما أطيب نفساً بذلك ، ولكن أرى أن تجلسَ أنت يا أبا علىٍّ ساعةً ومعك أحمدُ بنُ عبيد الله بن رشيد صاحبُ ديوان المظالم وتستدْعِيا القِصَصَ وتُوَقِّعا منها فيما يجوز توقيعكما فيه ، وتُفْرِدَا ما لا بُدَّ من وقوفى عليه ، وتُحْضِرَانِيهِ لأُوقع فيه ، وينصرفَ أرباب الظُّلاَمات مسرورين ، وأتهنَّأ يومى بذلك . فقلتُ : السمع والطاعة . وبَكَّرْتُ من غدٍ فقال لى : اخرُجْ واجلس على ما واقفتك عليه . فخرجت ومعى ابنُ رشيد ، وجلسْنا ووقَّعْنا فى جُمْهُور ما رُفِعَ إلَّا عَشْرَ رِقَاعٍ كانت مما يَحْتَاج إلى وقوفه عليها توقيعُهُ بخطِّه فيها ، وكان منها رقعةٌ كبيرة ضخمة ترجمتها : المتظلّمون من أهل روذ مستان وهُرْمُزْجرد ـ وهما ناحيتان من السّيب الأسفل وجُنْبُلاء ، وكانتا إذ ذاك

---

(١) الصبوح : الشرب أو الأكل صباحا .

فى إقطاع السيدة . وقدّرتُ أنها فى ظُلامة من وكيلها فى تغيير رَسْمٍ ونقص طَسْق[1] . فجعلتها فيما أوردته ، وعُدْتُ إلى أبى الحسن فعرّفْته ما جرى . فأخذ الرِّقاع ، ولم يزل يُوَقِّع فيها إلى أن انتهى إلى هذه الرُّقعة ، فقرأها ووجْهُه يَرْبَدُّ[2] ويصفرّ ، وينتقل من لون إلى لون ، فضاق صدرى وندمت على تَرْكِ قراءتها وقلت : لعل فيها أمراً يتّهمنى فيه ، وأخذت ألوم نفسى على تفريطى فيما فرّطْت فيــه . وفَرَغَ منها ، فــكتمنى ما وقف عليه فيها وقال : هاتوا أهْلَ روذ مستان وهرمزجرد . فصاح الحُجّابُ دفعاتٍ ، فلم يُجِبْ أحد ، وقام وهو مهموم منكسر ، ولم يُذَاكِرْنا بأمر أكل ولا شرْبٍ ودخل بعْضَ الحُجَر ، وتأخّر أكله ، وزاد شُغل قلبى ، وقلتُ لخليفةٍ لِساكِنٍ صاحبِ الدواة ـ وكان أميا ـ : أريد رقعةً لابنِ بسّامٍ الشاعرِ ، عليها خَرْجٌ لأَقِفَ عليه ، ولم أزل أخدَعُه حتى مكّننى من تفتيش ما هو مع الدواة ، ولو كان ساكِنٌ حاضراً لما تمَّ لى ذلك . وأخذت الرقعة فإذا هى رقعة بعض أعداء ابن الفرات ، وقد قطّعه فيها بالثّلْب[3] والطعن وتعديد المساوئ والقبائح ، وهدّده بالسّعاية ، وقال فيما قاله : قد قسمْتَ المُلْكَ بين نفسك وأولادك وأهلك وأقاربك وكُتّابك وحواشيك ، واطّرَحتْ جميع الناس ، وأقللْتَ الفــكر فى عواقب هــذه الأفعال ، وما ترضى لمن تَنْقِمُ عليه ما تنقمه بالإبعاد وتشتيت الشمل حتى تُودِعَهم الحبوسَ وتفعل وتصنع . وختمها بأبيات هى :

لو كان ما أنتُمُ فيه يدوم لــكم ... ظننْتُ ما أنا فيه دائمــاً أبدَا
لــكنْ رأيتُ الليالى غيرَ تاركةٍ ... ماساءَ من حادثٍ أوسَرَّ مُطّرِدَا
وقد سكنْتُ إلى أنّى وأنــكُمُ ... سَنَسْتجِدُّ خلاف الحالتَيْنِ غَدَا

---

(١) الطسق : مقدار معلوم من الخراج .
(٢) يربد : يتغير لونه إلى الربدة وهى الغبرة .
(٣) الثلب : الســب .

قال وبَطَلَ صبوح أبي الحسن ، ودعانا وقتَ الظهر فأكلنا معه على الرَّسْمِ ، ولم أزل أبسُطه وأقولُ له أقوالاً تُسْكِنه ، إلى أن شرب بعد انتباهه من نومه غَبُوقاً[١] ، ومضى على هذا اليوم أربعةُ أشهر وقبض عليه ، واستترت عند الحسين بن عبد الأعلى . فلما خُلع على أبي عليّ محمد بن عبيد الله بن خاقان جلسنا نتحدث ونتذاكر أمْرَ ابنِ الفرات . فقال لى ابنُ عبد الأعلى : كنت جالسا فى سوق السلاح أنتظر جَوَازَ الخاقانيّ بالخِلَع لأقوم إليه وأهنّئه ، فاتفق معى رجلٌ شابٌ حسنُ الهيئة ، جميل البِزّة ، وحدثنى أنه صاحبٌ لأبي الحسين محمد بن أحمد بن أبي البغل ، وأنه أنفذه من أصبهان قاصداً حتى دَسَّ إلى ابن الفرات رُقعةً على لسان بعض المتظلمين ، فيها كلُّ طعْنٍ وثلْبٍ ودعاء وسبٍّ وتوعُّدٍ وتهدُّدٍ وفى آخرها شعر . فقلت له : على رِسْلِك هذه الرقعةُ على يدى جَرَتْ ووصلت إلى ابن الفرات ، وخرج الحديثُ مُتقَابلا .

وحدث القاضى أبو على قال : حدثنى أبو الحسين بن هشام قال : سمعت أبى يقول لأبى عليّ بن مقلة فى أول وزارته الأولى ــ وقد جلس مجلسا نقَض فيه الأعمال وبان منه فضلُ كِفايةٍ واستقلال ــ : العمَلُ فى يد الوزير أيَّدَه الله ذليل . فقال : على هذه الحال نشأنا يا أبا القاسم ، وأخذناها عمن كانت الدنيا والمملكة يَطْرَحان الأثقالَ عليه فنهض بها ــ يعنى أبا الحسن بن الفرات ــ ثم قال أبو على : لقد رأيتُه جالسا فى الديوان للمظالم ، والوزيرُ إذ ذاك القاسمُ بنُ عبيد الله ، فتظلم إليه رجل من رَسْمٍ ثَقّله عليه الطائىُّ وغيّر به رَسْماً له قديماً خفيفاً ، ويسأل رَدَّه إلى ما كان عليه أوّلًا . وهو يقول : قد سُمْتَنِى أَنْ أُبطل رسما قرَّره أبو جعفر الطائىُّ ــ رحمه الله ــ فى محلّه من العدل والثقة والبصيرة بأسباب العمارة ، وقد درَّت عليه الأموال ، وصلَحت

---

(١) الغبوق: مايشرب فى الليل وهو خلاف الصبوح.

الأحوال ، وأحمدَه الجمهورُ ، واستقامت عليه الأمور . وهذا سَوْمُ إعْنَاتٍ . ويَـكْتُبُ بحَمْلِهِ على ما رَسَمَه أبو جعفر .

ثم رأيت مرة ثانية مُتظلِّما آخر من رَسْمٍ ثقيلٍ خفَّفه الطائىُّ لِعلْمه بأن الضَيْعَة لاتحتملُ غيرَه ، وقد اعْتُرِضَ عليه فيه ويَسْأل إجراءه على رَسْمِ الطائىِّ فيقول له : يا باركَ الله عليك ، ليس الطائىُّ أبا بكرٍ الصديقَ أو عمرَ بنَ الخطاب أو علىَّ بن أبى طالب الذين نقتفى آثارهم ونُمْضِى أفعالَهم . وإنما الطائىُّ ضامنُ عملٍ ، رأى ما رآه حظًّا لنفسه ، وما يلزمُ السلطانَ تقريرُه ، وأنت مُعْنِتٌ فى تظلُّمك . ويَـكْتُبُ بأن يُجْرَى على الرَّسْمِ القديم الثقيل . ويُخَاطِبُ كُلاًّ من الرجلين بلسان غيرِ اللسان الآخرِ شُحًّا على الأموال وحفظاً لها .

وحكى القاضى أبو على التنوخى قال [١] : اجتمعتُ مع أبى علىّ بن أبى عبد الله ابن الجصَّاص [٢] ، فرأيت شيخاً حسنَ المحاضرة ، وحدثنى قال : حدثنى أبى قال : لما وَلِىَ أبو الحسن بنُ الفرات إحدى وزاراته قَصَدَنى قصْداً قبيحاً ، وأطلق لسانَه فِىَّ ثَالِباً مُتَنَقِّصًا ، ورسمَ للعمَّال حطَّ ضِياعى ونَقْصَ معاملاتى ، وأدام الغَضَّ منى والكسر بجاهى ، ووسَّطت بينى و بينه جماعةً من الناس ، و بذلتُ له بذلاً فى مثله ما صَلَحَتِ القلوبُ ، فأقام على أمْرِه ، وأقمت على احتماله ، إلى أن زاد الأمرُ ، وسمعت حاجبَه يقول وقد ولَّيْتُ عنه : أىُّ بيتِ مالٍ يمشى على وجه الأرض ؟ أىُّ ألفَىْ ألفِ دينار مالَها مَنْ يأخذها ؟ فعلمت أن القولَ قولُ صاحبه ، وأننى منكوب على يده . وكان عندى فى الوقت ما قدره وقيمته سبعةُ آلافِ ألفِ دينار مالا وجوهرا سوى باقى المملوكات ، فضاقت علىَّ الدنيا ، وأشفقت إشفاقا شديداً ، وسهرت أكثر

---

(١) القصة فى كتاب أخبار الحمقى والمغفلين ص ٣٣ ــ ٣٥ .

(٢) انظر ترجمة أبى عبد الله الحسين بن الجصاص فى المنتظم ٦/٢١١ وفوات الوفيات .

ليلى مُفكِّراً فى تدبير أمرى . ثم عَنَّ لى الرأىُ آخرَ الليل إلى أن ركبتُ إلى ابنِ الفرات ، فوجدت بابه مُغلقا لم يُفْتَحْ بعدُ فدقَقْتُه . فقال البوابون : من الطارق؟ فقلت : ابنُ الجصَّاص . فقالوا : الوزير نائم وما هذا وقت وصول . فقلت : عَرِّفوا الحجَّاب أننى حضرت فى مُهمٍّ ، فعرفوهم . فخرج إلىَّ أحدُهم وقال : الساعةَ تَنَبَّهَ ، تَجْلِسُ ساعةً وتدخل . قلت : الأمْرُ أهمُّ من ذلك . فدخل وعرَّفه ماقلْتُه له . وخرج بعد ساعة وأدخلنى من دار إلى أخرى حتى وصلْتُ إلى مرقده ، وهو على سريره ، وحواليه خمسون فرَّاشاً كأنهم حَفَظة ، ووجدته مُرتاعاً من قولى ، وقد ظن حُدُوث حادثة ، وأننى جئته برسالة الخليفة .

فلما رآنى رفعنى وقال لى : ماجاء بك فى هذا الوقت ؟ قلت : خيرٌ ، وما حدثَتْ حادثة ، ولامعى رسالة ، وإنما حضرت فى أمر يَخُصُّ الوزير ويخُصُّنى ، ولم يَجُزْ إيراده إلاَّ على خلوةٍ تامَّة . فسكن ثم قال لمن كان حواليه : انصرفوا . فمضوا وقال : هاتِ . قلت : قصدْتَنى أيُّها الوزيرُ أعظم قصد ، وشرعْتَ فى هلاكى وزوالِ نِعْمَتى من كلِّ وجه ، وليس من المُهْجَة والنِّعْمة عِوَض . ولَعَمرى إننى قد أسأْتُ فى خِدْمتك ، وحُرِمْتُ التوفيقَ فى معاملتك ، إلاَّ أن فى بعض هذه المقابلة بلاَغاً وكِفاية ، وما تركْتُ بابا فى صلاح قلبك إلا طرقتُه ، ولا أمرا فى استعطاف رأيك إلا قصدتُه ، ووسّطت بينى وبينك فلانا وفلانا ، وبُذِل لك كذا وكذا ، وأنت مقيم على أمرك فى أذِيَّتى ، وماحيوانٌ أضعفُ من السِّنَّوْرِ[1] ، وإذا عاثَتْ فى دُكَّانِ بَقَّالٍ ثم مَلَكها ولَزِمها ولَزَّها إلى زاوية ليخْنُقَها وَثَبَتْ عليه ، وخدشَتْ وجهه ، وخرَّقَتْ ثيابه ، وطلبت الخلاص بكُلِّ ماتقْدِر عليه ، وقد وجدتُ نفسى معك فى هذه المنزلة ، ورأيتُها كالسِّنَّور التى هى على هـذه الصورة . فإن صَلَحْتَ لى ، وفعلت ماتقتضيه الفتُوَّة

(١) السنور : الهر .

والمروءةُ معى ، و إلا فعلىَّ وعلىَّ ـ وحلفت له أيمانا مغلظة ـ لأقْصِدَنَّ الخليفةَ الساعةَ ، ولأُحَوِّلَنّ إليه ألفَىْ ألفِ دينـار عَيْناً من خزانتى ، فلا يُصْبِح إلاّ وهى فى يديه ، وأنت تعلم قُدْرَتى عليها ، ولأقولن له : خذ المال ، واستوزر فلانا ، وسلِّم ابن الفرات إليه . نَعَمْ ، ولا أذكر له إلاّ من يقبَلُه قلبُه ، ويكون فيه نفاذٌ وحرَكَةٌ ولسان ومَخْرَقة ، مايتَعَدَّى هذه الصفةَ أحدُ كتابك [1] فيسلمك والله فى الحال حرصا على المال ، و يرانى المتقلِّدُ بمنزلةِ مَنْ أعطى ماله فى قضاء حَقِّه و بلوغِ غرضه ، فيخدُمُنى ويتدبَّر بتدبيرى ، ويتسلَّمك فينتهى فى مكروهك إلى حدٍّ يستخرجُ به المـال منك ، و يردُّه علىَّ ، وحالُك تحتمله ، ولـكنك تفتقر بعده ، فأكون قد حرستُ نفسى ، وشفيتُ غيظى ، وأهلـكت عَدُوِّى واسترجعت مالى، وازددت مَحَلاًّ بصرف وزير وتقليد وزير .

فلما استوفى قولى سُقِطَ فى يديه وقال : ياعدوّ الله ، أو تستحل ذلك منى ؟ قلت : لستُ عدوّ الله ، ولـكنى أستحلُّ السعْىَ على من يُريد هلاكى وإزالةَ نِعمتى فقال : أو أىّ شىء ؟ قلت : تحلف لى الساعةَ بما أستحلفك به ، على أن تـكون معى لا علىَّ ، وأن تُجْرِيَنى على رُسُومى ، وتَحْرُسَ ضِياعى ، وترفع منى ، وتعتقد الجميل فىَّ ولا تسعى لى فى سوء ، ولا تُمَـكِّنَ منى أبدا ظاهرا أو باطنا ، وتفعلَ كلَّ ما تُؤْمننى به . فقال : وتحلف لى أيضا على إخلاص النيَّةِ ، واعتقاد الطاعة ، واعتماد المُؤازرة والمظاهرة [2] . فقلت : أفعل [3] . وعمِلْنا نسخةَ يمين

---

(١) فى كتاب الحمق : وأذكر له أقرب من يقع فى نفسى أنه يجيب إلى تقليده ممن له وجه مقبول ولسان عذب وخط حسن ، ولا أعتمد إلا على بعض كتابك فإنه لايفرق بينك وبينهم إذا رأى المال حاضراً فيسلمك فى الحال ويرانى المتقلد .

(٢) المظاهرة : المناصرة .

(٣) فى الأصل فقال : والتصويب من السياق ومن أخبار الحمق .

حلَفَ وحلفتُ بها على الشرائط المقدَّم ذِكْرُها . وقال لى بعد ذلك : لعنك الله فما أنت إلّا إبليس ، والله لقد سَحَرْتَنى وعظُمْت مع ذلك فى نفسى ، وخفَّفْتَ ثقلاً عن قلبى ، ولعمرى إن المقتدر بالله لا يفرِّق بين موقعى وغَنَائى وكفايتى ، وبين أخسِّ كُتَّابى مع الطمع الحاضر والمالِ المبذول ، فليكن ما جرى مُنْطَوِياً . فقلت : سبحانَ الله . فقال : إذا كان من غد فادْخل إلى مجلس العموم لِتَرى ما أُعامِلُك به . فقمت وقال : ياغلمان ، بين يدى أبى عبد الله . فخرج بين يدىَّ نحو مائتى غلام وعدت إلى دارى .

ولما طلع الفجر جئته عند الإصباح ، وقد جلس فى المجلس العامّ ، فرفعنى على كُلِّ مَنْ بحضرته ، وقرّظنى تقريظا كثيراً ، ووصفنى وصفا جميلا، حتى علم الحاضرون صلاح رأيه ، وأمر بإنشاء الكتب إلى عُمَّال النواحى بِصِيانةِ ضِياعى ، وإعزازِ وكلائى ، وإمضاء رسومى ، وَوَقَّع إلى كُتَّاب الدواوين بإبطال مائبَتَ فيها من الزيادة علىَّ ، ونَقْصِ معاملاتى ، فدعوت له وشكرته ، وقمتُ ، فقال : ياغلمان ، بين يديه . فخرج الُحجَّاب يَجُرُّون سيوفهم ، والناسُ يشاهدونهم ، ورجع جاهى واستقامت أمورى . فما حدَّثت بذلك إلا بعد القبض عليه . قال القاضى أبو علىّ : فقال لى أبو علىٍّ بن الجصاص عند استتمامه لهذا الحديث : فهل فِعْلُ أبى مافَعَلَه[1] مما يليق بما يقال فيه ويُحكى عنه ؟ قلت : لا . قال : فكانت له فى تلك المقالات والحماقات المَرْوِيّةِ — إن كانت حقا — أغراضٌ غيرُ معروفة[2] .

---

(١) ما فعله : أى الذى فعله . وفى أخبار الحمقى : هل هذا فعل من يحكى عنه تلك الحكايات .

(٢) يذكر ابن الجوزى فى أخبار المغفلين ص ٣٣ أنه ما كان إلا من أدهى الناس ولكنه يطلق بحضرة الوزراء قريبا مما يحكى عنه « أى من أنواع الحمق والغفلة » لسلامة طبع فيه ولأنه كان يحب أن يصون نفسه عندهم بصورة الأبله لتأمنه الوزراء لكثرة خلواته بالخلفاء .

وحدث أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن عياش القاضي : أن رجلا[١] اتصلت عُطْلته ، وانقطعت مادَّته ، فحَمَلَ نفسَه على أن زَوَّرَ كِتاباً من أبى الحسن بن الفرات إلى أبى زنبور المادرائى عامِل مصرَ فى معناه مُتضمِّناً للوَصاة به ، والتأكيد فى الإقبال عليه ، والإحسان إليه ، وخرج إليه فلقيه ، وارتاب أبو زنبور بأمره لتغيُّر الخِطاب فيه عمَّا يَعْهَده ، وزيادة تأكيد على ماجرت به العادة فى مثله ، وأنّ الدُّعاء للرجل فى الكِتاب أكثرُ مما يقتضيه مَحَلُّه . فراعاه مراعاةً قريبة ، ووصله بصلة قليلة ، وارْتَبطَه عنده على وعْدٍ وعَدَه به ، وكتب إلى ابن الفرات يذكر الكتاب الوارد عليه ، وأنفذه بعينه إليه ، واستَثْبته . وقرأ ابنُ الفرات الكتاب المزور فوجد فيه ذِكرَ الرَّجُل بأنه من أهل الحُرُماتِ به ، والمَوَاتِّ لديه ، وما يقال فى ذلك ، ويتبعُه مما يَعُود بمعرفة حَقِّه واعتماد نَفْعه . وعَرَضه على كُتَّابه وأصحابه ، وعرّفهم الصورة فيه ، وتعجب منها وقال لهم : ما الرأى فى أمر هذا الرجل ؟ فقال بعضهم : يُؤَدَّب بالضرب والحبس . وقال آخرون : تُقْطَع إبهامُه لئلا يُعَاوِد مثل هذا التزوير . وقال أحسَنُهم مَحْضراً : تُكْشَفُ لأبى زنبور قِصَّتُه ويُتَقَدَّمُ إليه بطرده وحِرمانه مع بعد شُقَّتِه . فقال لهم ابن الفرات : ما أبعدَكم من الخيريّة : وأنفرَ طباعَكم عن الحُرِّيّة . رجلٌ توسَّل بنا ، وتحمّل المشقة إلى مصر فى تأْميل الصلاح بجاهنا ، واستمداد صُنْعِ الله ورزقِه بالانتساب إلينا تكون ، أحسنُ أحواله عند أجملكم محضراً تكذيبَ ظَنِّه وتخييبَ سَعْيه ! واللهِ لا كان هذا أبدا . ثم أخذ القلم ووقَّع بخطِّه على ظهر الكتاب المزوَّر : هذا كتابى ، ولستُ أعرفُ لِمَ أنكرتَ أمره واعترضَتْك شبهةٌ فيه ؟ وليس كلُّ من خَدَمنا وأوجب حقًّا علينا عَرَفْتَه . وهذا رجلٌ تحرَّم بخِدْمتى ، أيَّام استتارى

(١) القصة فى المنتظم ٦/١٩١ ونشوار المحاضرة ١/٢٣ وابن خلكان ترجمة ابن الفرات على بن محمد .

ونكبتى ، وما أعتقده فيه أكثرُ مما تضمَّنَه الكتاب من وصف ما عندى له . فأَحْسَنْ تَفَقُّدَه ، وَوَفِّرْ رِفْدَه ، وَصَرِّفْهُ فيما يعودُ عليه نفعُه ، وتَصِلُ إليه فوائدُه .

ورده إلى أبى زنبور من يومه .

فلما مضت مدّةٌ طويلة دخل على أبى الحسن بن الفرات رجلٌ ذو هيئة وبِزَّةٍ جميلة ، وأقبل يدعو له ويُثْنِى عليه ويبكى ويُقَبِّل الأرض بين يديه ، فقال ابنُ الفرات : من أنت بارك الله عليك ؟ — وكانت هذه كلمته — . قال : صاحبُ الكتاب المزَّور إلى أبى زنبور الذى صحَّحَه كَرَمُ الوزير وتفضُّلُه ، صنع الله به وصنع . فضحك ابن الفرات وقال له : كم وصل إليك منه ؟ قال : أوصل إلىَّ من ماله وتقسيطٍ قَسَّطَه وعَمِلٍ صَرَّفنى فيه عشرين ألفَ دينار . فقال ابنُ الفرات : الحمدُ لله ، الْزَمْنا فإنا نُعَرِّضُك لما يزداد به صلاحُ حالِك . ثم اختبره وامتحنه فوجده كاتباً سديداً . فاستخدمه وأكسبه مالاً جزيلاً .

وحدث أبو على التنوخى قال : حدثنى أبو محمد الحسن بن محمد الصلحى الكاتب قال : حدثنى غير واحد من كتاب الحضرة أن أبا أحمد العباس بن الحسن لما مات المكتفى بالله جمع كتّابه وخواصّه وخلا بهم وشاورهم فيمن يُقَلِّده الخلافة . فأجمعوا وأشاروا على العباس بعبد الله بن المعتز إلا أبا الحسن بن الفرات فإنه أمسك . فقال له العباس : لم أمسكت ولم تورد ما عندك ؟ فقال : هو أيها الوزير موضع إمساك . قال : ولم ؟ قال : إنه وجب أن يَنْفَرِدَ الوزير — أعزه الله — بكل واحدٍ منا فيَعْرِف رأيه وما عنده ، ثم يجمعَ الآراء ويختارَ منها بصائب فكره وثاقب نظره ما شاء . فأمَّا أن يقول كلُّ واحد رأيَه بحضرة الباقين فربُما كان عنده ما يَسْلُكُ سَبيلَ التَّقِيَّةِ [1] فى كتمانه وطَيِّه . قال : صدقت واللهِ ، قم معى ، فأخذ يده ودخلا وتركا الباقين بمكانهم . فقال له

(١) التقية: الاحتراس وما يتقى به الشر بأن لا يظهر ما فى نفسه .

ابنُ الفرات : قرّرْتَ رأيكَ على ابن المعتز ؟ قال : هو أكبر مَنْ يُوجد . قال : وأى شيء تعمَل برجل فاضلٍ متأدِّبٍ قد تحنّك وتدرَّب وعرف الأعمالَ ومعاملاتِ السَّواد وموقعَ الرَّعِيَّةِ فى الأموال ، وخَبَرَ المكاييلَ والأوزانَ وأسعار المأكولات والمُستعمَلات ، ومجارِىَ الأمور والمتصرَّفات ، وحاسب وكلاءه على ماتولّوه ، وضايقَهم وناقشهم ، وعرف من خياناتهم واقتطاعاتهم أسبابَ الخيانة والاقتطاع التى يَدْخُلُ فيها غَيْرهم ، فكيف يتمّ لنا معه أمرٌ إن حَمَلَ كبيراً على صغير ، وقاس جليلا على دقيق؟! هذا لو كان مابيننا و بينه عامِراً وكان صَدْرُه علينا من الغيظ خالياً ، فكيف وأنت تعرف رأيه ؟

قال العباس : وأىُّ شىء فى نفسه علينا ؟ قال : أنسيتَ أنه منذ ثلاثين سنة يكاتبك فى حوائجه فلا تقضيها ، و يسألك فى معاملاته فلا تُمْضِيها ، وعُمَّالُك يَصفعون وكلاءه فلا تُنكر ، و يَتَوَسَّل فى الوصول إليك ليلا فلا تأذن ، وكم رقعة جاءتك بنظم ونثر فلم تعبَأْ بها ولا أجبْتَه إلى مراده فيها . وكم قد جاءنى منه ماهذه سبيلُه فلم أُراعِ فيه وُصُولا إلى ما يريد إيصاله إليه . وهل كان له شغل عند مُقَامِهِ فى منزله وخَلْوته بنفسه إلا معرفة أحوالِنا والمسألَةَ عن ضِياعِنا وارتفاعِنا وحَسَدنَا على نعمتنا ؟ هذا وهو يعتقد أن الأمر كان له ولأبيه وجَدِّه ، وأنه مظلوم منذ قُتِلَ أبوه ، مهضومٌ مقصودٌ مَضغوط ، فكيف يجوز أن نُسَلِّمَ إليه نُفُوسَنَا فنتَحَرَّس[1] ، فَضْلاً عن أموالنا ؟

فقال العباس : صدقت والله يا أبا الحسن ، فمن يُقَلَّد وليس هاهنا أحد ؟! قال : تُقَلِّد جعفر بن المعتضد ، فإنه صبى لايدرى أين هو ، وعامَّة سروره أن يُصْرَف من المكتب ، فكيف أن يُجْعَل خليفة و يُمَلَّك الأعمالَ والأموال وتدبير النواحى

---

(١) تحرس واحترس هما بمعنى .

والرجال ؟ ويكون الخليفةَ بالاسم وأنت هو على الحقيقة ، وإلى أن يكبر قد انغرست محبّتك فى صدره ، وحصلْتَ مَحَصَّل المعتضد فى نفْسه . قال : فكيف يجوز أن يُبايع الناس صبيًّا أو يقيموه إماماً ؟ فقال له : أمَّا الجواز ، فمتى اعتقدت أنت أو نحن إمامة البالغين من هؤلاء القوم ؟ ! وأما إجابة الناس ، فمتى فعل السلطانُ شيئاً فعُورض فيه ، أو أراد أمراً فوقف ؟ وأكثرُ من ترَى صنائعُ المعتضد ، وإذا أظهرتَ أنك اعتمدت فى ذلك مراعاةَ حقِّه ، واقرار الأمر فى ولَدَه ، وفرّقت المال ، وأطلقتَ البيعة ، وقع الرضا ، وسقط الخلاف . وطريقُ ماتريده أن تُواقِف بعضَ أكابر القوّاد وعقلاء الخدم على المُضِىِّ إلى دار ابن طاهر وحملِه إلى دار الخلافة ، وأن تَستر الأمرَ إلى أن يتمّ التدبير ، وإن اعتاصَ مُعتاص مُدَّ بالعطاء والإحسان . فقال العباس : هذا هو الرأْى .

واستَدْعى فى الحال مُؤنساً مولى المعتضد ، وأورد عليه ماذهب فيه إلى الجنس الذى أشار به أبو الحسن فى الوفاء للمعتضد ، ورعايةِ ما كان منه فى اصطناع الجماعة ، ورسَمَ له قَصْدَ دار ابنِ طاهر ، وحمْلَ جعفرٍ إلى دار الخلافة والسلامَ عليه بها . ففعل ، وماج الجندُ ففرّق فيهم مالَ البيعة ، ودخل عليهم من طريق الوفاء للمعتضد وتمّ التدبير . فلما زال أمرُ العباس ، وكان من قتله[1] ما كان ، وانتظمت الأمور بعد قتل ابن المعتز ، وتقلد أبو الحسن الوزارةَ ، صارت ثمرةُ هذا الرأى له ، وكان يقف بين يدى المقتدر بالله وهو صبىٌّ قاعدٌ على السرير ، فيخاطب الناس والجيش عنه . فإذا انصرفوا أمرت السيدة بأن يُعْدَلَ بأبى الحسن إلى حجرة ، فيجلس فيها ، ويخرج المقتدر فيقوم إليه فيقبّل يدَه ورأسَه ، ثم يَقْعُد ويُقْعِده فى حِجْره كما يفعل الناس بأولادهم . وتقول له السيدة من وراء الباب : هذا يا أبا الحسن ولَدُك ، وأنت قلّدْته

---

(١) انظر كتب التاريخ حوادث ٢٩٦ .

الخلافة أوّلاً وثانيا . تعنى ماتقدم من مشورته على العباس به و بتقلّده الخلافة ، ومن بعد إزالة فتنة ابن المعتز . فيقول ابنُ الفرات : هذا مولاى و إمامى وربُّ نعمتى وابن مولاى و إمامى . و بقى على ذلك مدة وزارته الأولى ، وتمكن أبوالحسن من الخزائن والأموال وفعل ماشاء وأراد .

قال أبو محمد الصلحى : قال لنا أبو علىّ بن مقلة ، وقد جرى ذكرُ ابن الفرات: ياقوم ، سمعتم بمن سرق فى عشر خطوات سبعمائة ألف دينار ؟ قلنا : كيف ذلك ؟ قال : كنت بين يدى ابن الفرات فى وزارته الأولى ، ونحن فى دار الخلافة نقرر أرزاق الجيش ، و نقيم وجوه مال البيعة ، ونرتّب إطلاقه ، وذلك عقيبَ فتنة ابن المعتز. فلما فرَغ مما أراده ، وخرج فركب طيّارهُ ، و بلغ نهر المعلّى . فقال : إنّا لله ، إنا لله ، قفُوا . فوقف الملاّحون . فقال لى وَقِّع إلى أبى خراسان صاحب بيت المال بحَمْل سبعمائة ألف دينار تُضاف إلى مال البيعة وتُفرّق على الرجال . فقلت فى نفسى : أليس قد وجّهنا وُجوه المال كلّه ؟ ماهذه الزيادة ؟ ووقّعتُ بما رسَمه ، وعلَّم فيه بخطه ، ودفعه إلى غُلام وقال : لا تبرَح من بيت المال حتى تَحمل هذا المالَ الساعةَ إلى دارى . ثم سار . قال : فحُمل إليه بأسره ، وسُلِّم إلى خازنه ، فعلمتُ أنه أُنسِىَ أن يأخذ شيئاً لنفسه فى الوسط ، ثم ذكَرَ أنه بابٌ لايتفق مثلُه سريعا ، ويحتمل ما احتماله من هـذا الاقتطاع الكثير ، فاستدرَك من رأيه ما استدرك ، وتنبَّه من فعله على ماتنبّه .

وحدث أبو محمد الصلحى قال . حدثنا جماعة من كُتّاب أبى الحسن بن الفرات وخواصه قالوا :

عاد أبو الحسن من الموكب يوماً ، فجلس بِسَوادِه [1] مغموماً يفكِّر فِكراً

(١) بسواده يعنى بذلك السواد الذى كان شعار العباسيين إذ أن ملابسهم الرسمية كانت سوداء .

طويلا. فشغَلَ ما رأينا منه قلوبنَا ، وظنَنَّاه لحادث حدث ، فسألناعن أمره ، ودافَعنَا ، وألححنا عليه ، فحاجزَنا ، وقال : ما ها هنا إلاَّ خيرٌ وسلامة . فقام ابنُ جُبَير ، وكان من بيننا مُتَهوِّراً مُدِلاًّ . فقال : تأمر أيها الوزير بأمر ؟ قال : إلى أين ؟ قال : أَسْتَترُ وأَسْتُر عيالى ، وسبيلُ هؤلاء الذين بين يديك أن يفعلوا مثل فعلى . قال : ولِمَ ؟ قال : تعود من دار الخلافة وأنت من الغمّ الظاهر فى وجهك على هذه الصورة ، ونسألك عن أمرك فتكتمُنا ، ولم تجرِ عادتُك بذلك معنا ، هل وراء هذا إلاَّ القبْضُ والصَّرْفُ ؟ فقال له : اجلس يا أحمق حتى أُحدِّثَك السبب . فجلس . وقال : ويحكُمْ ، قد علمتم أننى أشكو إليكُم نقصان هذا الرجل – يعنى المقتدر – دائماً وشِدَّةَ تلوُّمِه (١) واختلاف رأيه ، وإننى أحب منذ مدة أن أزورَه وأعرفَ قدْرَ ذلك منه ، وهل هو فى كل الأمور أو فى بعضها ، وفى صغارها أم فى كبارها ؟ فقلت له اليومَ فى أمرِ رجل كبير – ولم يُسَمِّه ابن الفرات – : يا أمير المؤمنين إن فلانا قد فَسدَ علينا ، وليس مثله مَنْ أُخرِج عن أيدينا . وقد رأيتُ أن أُقلِّده كذا ، وأُقْطِعَه وأُسَوِّغه كذا – وأكثَرْت – لتستخلصه بذلك ، وتستخلِصَ نِيَّته ، وتستديمَ طاعته ، ولم يجز أن أفعل أمراً إلا بعد مُطالعتك ، فما تأمر ؟ قال : افعلْ . ثم حدَّثته طويلا وخرجت من أمر إلى آخر ، وقَرُب وقتُ انصرافى فقلت له : يامولانا ، عاوَدْتُ الفِكر فى أمرِ فلان فوجدت ما نُعطيه إياه مما استأذَنْتُ فيه كثيراً مُؤَثِّراً فى بيت المال ، ولا نأمَنُ أن يَطْمعَ نُظراؤه فى مثل ذلك ، وإن أجبناهم عَظُمَت الكُلْفَة ، وإن منعناهم فسدوا ، وقد رأيت رأيا آخر فى أمره . قال : ما هو ؟ قلت : أن نقبضَ عليه ونأخذَ نِعَمَه ونُخَلِّده الحبس أبدا . قال : افْعَلْ . فقلت : وا ويلاه كذا واللهِ تجرى حالى معه . يقال : إن ابن الفرات الكافى

---

(١) التلوم . تكلف اللوم أوتتبع الداء ليعلم مكانه . وقد تكون الكلمة أيضا محرفة عن تلونه : أى تقلبه وتغيره من حال إلى حال.

الناصح ، وهو وَطَّأَ لك الأمر ، وأقامك فى الخلافة وهو . . وهو . . . فيقول : نعم . ويُقرِّبنى ويُقدمنى ، ثم يقف غدا بين يديه رجلٌ فيقول : قد سرق ابن الفرات الأموالَ ، ونهب الأعمالَ ، وفعل وصنع . والوجْهُ أن يُقبَض عليه ويُصرَفَ ويُقيَّد ويُحبس ، ويُقلَّدَ وزيرٌ آخرُ . فيقول : نعم . ويفعل ذلك بى . ثم يُعاوَد ويُقال له : لا يجوز أن يُوحَشَ ابنُ الفرات ويُستَبقى ، ولا يُؤْمَنُ أن يُستَفسدَ ويُترَكَ ، والصوابُ قَتْلُه ، فيقول : افعلوا . فأهلك .

قال : واستشعر هذا فكان على ما قدَّره . وقد تواترت هذه الحكايةُ عن جماعة عنه .

ومما ذُكر عن ابن الفرات أنه كان يقول : تمشية أمور السلطان على الخطأ خيرٌ من وقوفها على الصواب . ويقول أيضاً : إذا كانت لك حاجةٌ إلى الوزير فاستطعت أن تَقضيهاَ بخازن الديوانِ أو كاتبِ سره فافعَل ، ولا تَبلُغْ إليه فيها .

وحدَّث أبو محمد الحسن بن محمد الصلحى قال : حدثنى أبو علىّ بن مقلة قال : كنت أكتب لأبى الحسن بن الفرات فى التحرير أيَّام خلافتِه [١] أبا العباس أخاه على ديوان السَّوَاد بجارى [٢] عشرة دنانير فى كلِّ شهر ، ثم تقدَّمت حالهُ فأرزقنى ثلاثين دينارا فى كلٍّ شهر ، فلما تقلَّد الوزارة جعل رزقى خمسمائة دينار فى الشهر ، ثم أمَرَ [٣] بقبض مافى دور القوم الذين بايعوا ابنَ المعتز . فحُمل فى الجملة صُندوقان ، فسأل : هل علمتم ما فيهما ؟ قالوا : نعمْ . جرائدُ بأسماء من يُعاديك ويُدَبِّر فى زوال أمرك . فقال : لا يفتحان . ثم دعا بنارٍ ، دعاءً كرَّره وصاحَ فيه ، وأحضرها الفرَّاشون

(١) أى أيام قيامه بالعمل نيابة عن أخيه .

(٢) أى بأجر قدره عشرة دنانير .

(٣) تجارب الأمم ١٣/٥ ، ١٤ وابن خلكان ترجمة ابن الفرات والفخرى ٢٣٤ .

فأُجِّجَتْ . وتقدم بطرحهما فى النار على ما هما فلمّا أُحرقت (١) أقبل على من كان حاضرا وقال : والله لو فتحتهــا وقرأت ما فيها لفسدت نِيَّات الناس كلهم علينــا ، واسْتُشْعِر الخوفُ منا ، ومع فِعْلِنا ما فعلْناه طوينا الأمور بهذا ، فهدأت القلوب واطمأنت النفوس ، ثم قال لى ــ يقول هذا أبو علىّ بن مقلة ــ : قد آمن اللهُ والخليفة ــ أعزّه اللهُ ــ كُلَّ من بايَع ابنَ المعتز ، فاكتب الأماناتِ للناس جميعا وجئنى بها لأوقع فيهــا ، ولا تَرُدَّ أحداً عن أمانٍ يطلبه ، فقد أفردْتك لذلك ، لأنه بابُ مَكْسَبٍ كبير . وقال لمن حضر : أَشِيعوا قَوْلى وتحدَّثوا به بين الخاصِّ والعامّ ليأنَس المستوحِشُ ، ويأمَنَ المستترُ . قال أبو على : فحصل لى فى كُتُبِ الأمانات مائةُ ألفِ دينار أو نَحْوُها .

وحدّث مُحَدِّث أن التزويرات كَثُرت على أبى الحسن علىِّ بنِ عيسى عند صَرْفه وتقلُّدِ أبى الحسن بن الفرات الوزارةَ الثالثة ، وزاد الأمرُ فيها : فوقَّع ابنُ الفرات إلى أصحاب الدواوين توقيعا نسخته :

قَدْ نُسِــخَ لــكم ــ أكرمكم اللهُ ــ آخِرَ هذا التوقيع كِتَابٌ وَرَد من أمير المؤمنين ــ أطال الله بقاءه ــ فيما انتهى إليه من حالِ توقيعاتٍ فى أيدى الناس بخطِّ على بن عيسى ، بزياداتٍ ونَقْلٍ وفَكٍّ وإثباتٍ ، فأمر ــ أعلى اللهُ أمرَه ــ بتركِ إمضاء شىء منها ، فانْتَسِخُوا هذا التوقيعَ فى مجالسكم ، وامتثلوا ما أَمَرَ به فيه ، ولا تُنْفِذوا توقيعا من علىِّ بن عيسى بحطيطةٍ وتسويغٍ واحتمالٍ أو نَقْلٍ جارٍ ، وتَحرَّوْا من إيقاع حيلة فى ذلك أو فى شىء منه إن شاء الله .

ونُسْخَةُ كتاب المقتدر بالله فى آخره :

أَمْتَعنى اللهُ بك و بالنعمة عندك ، انتهى فى الخَبَرِ حالُ توقيعاتٍ كثيرةٍ زُوِّرَت

---

(١) أى فلما أحرقت الجرائد .

على أنها بخطّ علىّ بن عيسى ، وظهرت فى الدواوين بزيادات لقوم فى أرزاقهم ، فرأيتُ ألّا تُمضِىَ يا أبا الحسن — أمتعنى الله بك — توقيعاً من علىّ بن عيسى فى زيادة ولا نَقْلٍ ولا إثبات ولا فى شىء يجرى هــذا المَجْرى إلا ما كتبت به جَامِعاً [1] حتى إذا اجتمعت عندك الجوامع ، عَرَضْتَ علىَّ فى كلّ ثلاثةِ أشهر ما يَجْتمع منها لأقف عليه وآمر برأىٍ فيه. فاعمل — مَتّعنى الله بك — بذلك ، ولا تخالِفْه ، وعَرِّفْنى امتثالك إياه إن شاء الله .

وحدث أبو الحسن علىّ بن أحمد بن على بن الحسين بن عبد الأعلى قال : كنتُ بحضرة أبى الحسن بن الفرات فى وزارته الأولى ، وهو جالس يعمل ، إذ رَفَع رأسه ، وترك العمل من يده ، وقال : أريد رَجُلا لا يُؤمن بالله ولا باليوم الآخر يطيعنى حقّ الطاعة فأُنْفِذه فى مُهِمّ لى ، فإذا بلغ فيــه ماأَرْسُمه له أحسنتُ إليه إحسانا يظهر عليــه وأغنيته . فأمسك من حَضَر . ووثب رجُلٌ يُكْنَى بأبى منصور أخٌ لابن أبى شبيب حاجبِ ابنِ الفرات فقال : أنا أيها الوزير . قال : وتفعل ؟ قال : أفعل وأزيد . قال : كم تَرْتَزِق ؟ قال : أرتزق مائةً وعشرين دينارا . قال : وَقِّعوا له بالضِّعْف . وقال : سَلْ حوائجك . فسأله أشياء أجابه إليهــا ، فلما فَرَغ من ذلك قال : خُذْ توقيعى وامض إلى ديوان الخراج ، وأَوْصله إلى كاتِبَى الجماعةِ وطالِبْهما بإخراج ما عَلَى محمدِ بن جعفر بن الحجّاج ، وطالبه بأداء المال ، وأَتْلِفه إلى أن يُسْتَخْرَج جميعُه ، ولا تسمع له حجة ، ولا تُمْهِله البتّةَ .

فخرج وأخذ من رَجّالَةِ الباب ثلاثين رجُلا ، فقلت : لأخرجَنّ وأَمْضِيَنَّ إلى الديوان حتى أنظرَ ما يَؤول إليه الحال . فخرجت ، وصِرتُ إلى الديوان — وهو فى الدار المعروفة بفتح القلانسى — فدخل أبو منصور هــذا إلى الصقْر بن محمد ،

---

(١) أى قائمة تجمع فيها ذلك .

وعبيد الله بن محمد الكلوذانى ، وهما صاحبا المجلس شَرِكةً ، فلم يجد الكلوذانىَّ ووجد الصقرَ بن محمد ، فأوصل إليه التوقيع وقال له : أَخْرِجْ ما عَلَى ابن الحجاج . فقال : عليه من باب واحد أَلْفُ ألفِ درهمٍ ، فطالَبَه بذلك إلى أن تفرَّغ بالعَمَلِ بسائر ما يلزمه (١) — وكان محمد بن جعفر من عُمَّال أبى الحسن علىِّ بن عيسى — . قال : فأَحضر ابن الحجاج وشتَمه وافترى عليه، وابنُ الحجاج يَستعطفه ويَخْضَع له . ثم أمر بتجريده وإيقاع المكروه به فأُوقع ، وهو فى ذلك كلِّه يقول : يكفى الله . ثم أمر أبو منصور بنصب دَقَلٍ (٢) ، فنُصب ، وجعل فى رأسِه بَكْرَةً فيها حبلٌ ، وشُدَّت فيه يدُ ابنِ الحجاج ، ورُفع إلى أعلى الدَّقَل ، وهو يستغيث ويقول : يكفى اللهُ . فما زال مُعَلَّقاً وأبو منصور يقول له : المالَ المالَ . وهو يسأَلُه حَطَّه وإنْظَاره إلى أن يُوَاقِفَ الكُتَّاب على ما أُخْرِج عليه، وهو لا يَسْمَع منه ، وقد قعَدَ تحت الدَّقَل واختُلِطَ وَغَضِبَ من غير غضب اعتماداً لأن يبلُغَ ابن الفرات فِعْلُه . فلما ضَجِر قال لمن يُمْسِك الحبال : أَرْسِلوا ابن الفاعلة — وعنده أنهم يتوقَّفون ولا يفعلون — . فأرسلوه لِمَا رأوه عليه من الحِدَّةِ والغضب . ووافى ابنُ الحجَّاج إلى الأرض ، وكان بَدِينا سمينا ، فوقع على عُنُقِ أبى منصور فدقَّها ، وخرَّ على وجهه ، وسقط ابنُ الحجاج مغشيًّا عليه . فحُمِل أبو منصور إلى منزله فى مَحْمل فمات فى الطريق ، وَرُدَّ ابن الحجاج إلى مَحْبِسِه وقد تخلَّصَ من التلف . وعجب من حضر مما رأى . وكتب صاحبُ الخبر بالصورة إلى ابن الفرات ، فورد عليه منها أعظمُ مَوْرِد . وبَكَّرَتْ عرفانُ زوجةُ ابن الحجاج إلى موسى بن خلف حتى

---

(١) يعنى أنه طالبه بالدلائل على ذلك وبالبيانات المثبتة لهذا المال فقام بذلك وأعده .

(٢) الدقل : خشبة طويلة تشد فى وسط السفينة ويمد عليها الشراع ويراد هنا أنه نصب هذه الخشبة فى البر لا فى سفينة .

أوصلها إلى ابن الفرات ، فقرّرَتْ أمره على مائةِ ألفِ دينار سلمت ببعضها جعدة [١] وقُراها من طَسُّوج [٢] كُوثى ، ونُجِّمَ [٣] الباقى ، وأُطلق ابنُ الحجاج . وكان الناس يعجبون من قول ابن الفرات : أريد رجلاً لا يُؤمن بالله ولا باليوم الآخر يطيعنى :

وحدث محمدبن‌عبيدالله بن‌جعفر بن الحسن بن الجنيد قال : حضرت أبا العباس أحمد بن محمد بنِ بُعْدِ شَرٍّ ، و بين يديه أبو الحسن بن الفرات فى المكروه وهو يقول : ياقوم بِمَنْ أسأتُ ؟ ولِمَنْ ضَرِبْتُ ؟ فقال له : فَمَنْ قتل حامدا والنُّعمانَ وابنَ الحوارى ؟ فقال : ماخرج حامد من دارى إلا صحيحاً ، ولقد كنت أُطعمه من طعامى ، وأُسقيه من شرابى ، وأُلبسه من ثيابى ، وأُبَخِّرُه من بَخُورى . وأما النعمان فَذُكِرَ مالسْتُ أعرفه فى أمره . فأما ابنُ الحوارى فَسَلُوا هذا الفتى – يعنى المُحَسِّنَ – عنه ، فلعله يُورِد حجّةً أو يُظهر خُطُوطاً تُبْرِئُ ساحته منه . وأنا قلتُ للخليفة : قد أطلقْتَ يد هذا الغلام فى مطالبةِ الناس ، وقد تخطى إلى مافيه وَهَنٌ على المملكة ، فأَمَرنى بتَرْكِ الاعتراض عليه .

وحدّث أبو عمرو بن [٤] الجمل النصرانى كاتب شفيع اللؤلؤى قال : لما قبض على أبى الحسن بن الفرات فى الدفعة الثالثة من وزارته امتنع القواد من اعتقاله فى دار الخلافة إشفاقا من أن يراسل المقتدر بالله و يستعطفَه و يستميلَه و يحتالَ عليه و يخدعه ، واستقرّ الأمر على تسليمه إلى شفيع اللؤلؤى ، فلما حُمِل إلى داره وصَعِد الدّرجة من شاطئ دجلة لم يُمْسِك أحدٌ بيده ، فَجَعَل يَعْلَقْ بالدَّرَجِ و يصعَد . ثم أقبل على شفيع

(١) جعدة : لعلها إقليم أو مدينة أو صوابها جندة (٢) الطسوج : أشبه بالقرية .
(٣) نجم : قسط .
(٤) فى تجارب الأمم ٥/١٢٧ : المعروف بالجمل . وفى ٥/١٢٨ ، ١٢٩ الملقب بالجمل .

ـ وأنا حاضر ـ فقال : يا أبا الفُصن ، ما هكذا عاملْتَ غيرى؟فقال له : كان غيرُكَ أتقى لله منك ـ يعنى أبا الحسن على بن عيسى ـ قال : فأفرده شفيـعٌ بحبسٍ له ، ودعا طبَّاخه سِرًّا وقال له : اسْتَزِدْ فإن ابنَ الفرات مَلِكٌ ، فاستزاد له ، وفَرَغ من الطعام . فقال لى شفيـع : ادخل إليه واعْرِضْ عليه الطعامَ ، فدخلت وآذنته فقال :

على كُلِّ حالٍ يأكُلُ القومُ زادَهُمْ   على البُؤْسِ والنَّعْماءِ والْحَدَثَانِ

هاتِ الطعامَ . فقُدِّم إليه ، فأكل أكلا مُسْتَوفًى منه ، وسُقِىَ ماء مثلوجا ، فلم يَسْتَبْرِدْه ، فاستزاد من الثلج حتى صار مائعـاً ، ثم شربه ، وقال لى[1] : من قُلِّد الوزارة ؟ قلت : أبو القاسم الخاقانى . قال : نُكِبَ السلطان لا أنا . فمن قُلِّد ديوانَ السواد ؟ قلت : أبو الفرج بن حفص[2] . فتبسم وعجب وقال : رُمِىَ بحجره . فمن تقلد الدواوين الباقية ؟ قلت : تقلَّد المالكىُّ[3] ديوانَ المغرب ، والمصرىُّ[4] ديوانَ المشرق ،و ابنُ هبنتى[5] القنَّائىُّ دواوينَ بيت المالِ والخاصّةِ والمستحدثةِ وضياعَك، وعبد الوهاب الخاقانىُّ الأَزِمَّة ، وصُلْحٌ ديوانَ النفقاتِ . فقال : لقد أُيِّدَ الوزيرُ ـ أعزه الله ـ بالكُفَاة . ثم قال لى : أريد الاجتماع مع أبى الغُصْن . فقلت : هو نائم. فقال أَنْبِهْهُ وَعَرِّفْه أن بيننا مُهِمًّا أريد مُجَارَاتَه إياه . فأنبهتُه وعرّفته ما قال . فقال : ما أُحِبُّ لقاءه ، ولـكن تعرَّفْ ما عنده ، فعدتُ إليه واعتذرتُ وسألته عما يريد . فقال[6] : قل له عَرِّف أميرَ المؤمنين ـ أيده الله ـ عنى أننى لا أَدَعُ نُصْحًا وَالِياً ومَنكوباً ، وأننى حاسبتُ هارون بن عمران الجهبذ البارحةَ محاسبةً تولَّاها هِشَامٌ صاحبُ بيت المـال ، فـكان الباقى عنده من أموال المصادرين مائةَ ألفٍ وخمسةً وخمسين ألفَ دينارٍ ومائتين ـ ذَكَرَهَا ابنُ الفرات ـ ورُبَّمَا عَدَلَ بهـا الخاقانىُّ

---

(١) تجارب الأمم ٥/١٢٩

(٢) فى تجارب الأمم : محمد بن جعفر بن حفص

(٣) يحيى بن مقيم المالـكى

(٤) محمد بن يعقوب المصرى

(٥) إسحاق بن على القنائى

(٦) تجارب الأمم ٥/١٢٨ .

عن بيت مالِ الخاصّة وادّعى أنه أَثَارَها[١] واستراح إلى تَمْشِيَةِ أمره بها ، وهى لأمير المؤمنين خاصَّةً .

وكتب شفيع إلى المقتدر بالله بذلك عنه ، ونفَّذ بالرقعة مع قيصرٍ خليفتِه . فعاد جوابُ المقتدر بالله بخطِّه إلى شفيع بأن يُبَادر بنفسه إلى دار الخاقانىّ ويَقْبِضَ على هارون بن عمران ، ويأخذَ المال من يده ، ولا يُمَكِّنَ الخاقانىَّ منه . ففعل شفيعٌ ذلك ، والخاقانىُّ لم يعلم بعدُ بما عند هارونَ الجهبذِ . وكانت هذه الحالُ من أوّلِ ماحُيِّر به الخاقانىُّ وأدهشه ، وحُمل المالُ إلى بيت مال الخاصة وصُحِّحَ فيه .

وحدث أبو على عبد الرحمن بن عيسى قال : حدثنى أبو الحسن سعيد بن سنجلا الكاتب . قال : حدثنى أبو عبد الله محمد بن إسماعيل زنجى الكاتب قال[٢] : كنت بحضرة أبى الحسن على بن محمد بن الفرات فى وزارته الأخيرة ، وقد رسم لى كتب كتاب عنه فى مُهِمٍّ من أمور السلطان ، فأنا متشاغلٌ به ، وقد شاع أمْرُ مُؤنسٍ ونفوذُ الكتاب إليه وهو بالرّقة فى الورود إلى الحضرة ، وابنُ الفرات شديدُ الإشفاق من القصة حتى استُؤذِن لأبى الهواء نسيمٍ الخادمِ ، وهو من خواصِّ الخدم وجِلَّتهم ودخل ، فلما جلس أوْمَى إلى التَّخَلِّى لتأدية رسالة ، فنهض من كان فى المجلس و بقيت وحدى مُقْشَعِرًّا من الجلوس ، وأخذوا فى السِّرَارِ والخطاب ، وأَكْمَشْتُ[٣] على ما فى يدى من الكتاب حتى فرغت ثم قمت . فقال لى : اجلس . فجلستُ . وأظهر ابن الفرات ما كان يُسِرُّه ثم قال : بيننا يا أبا الهواء حقوقٌ تَلْزمك أن تُراعيها . وأنتَ قليلُ التَّرَاسُلِ فيما بينى و بين السادة ، وأُريد أن أُحَمِّلك رسالة

---

(١) يريد بقوله أثارها أنه أظهرها من قولهم أثار الأرض : قلبها فأظهر باطنها ، وفى تجارب الأمم : حتى لا يوهمه الخاقانى أنه هو استخرجه ثم يصرفه فى النفقات التى سبيلها أن تنفق من بيت مال العامة .

(٢) انظر تجارب الأمم ٥/١٢٣ـ١٢٤ .

(٣) أكمشت : أسرعت ، يقال أكمش فى السير وغيره أسرع .

تؤدِّيها كما أقولها . فقال : أيها الوزير . إن كانت جميلة فعلتُ ، وإن كان فيها غلطةٌ فليس فى عادتى إلا إعادةُ ما يَحْسُن . فقال : لا بُدَّ من أن تُوردها على حالها وتتحمَّل لى ما فى ذاك من مشقَّة . وقال : تقول للسادة : أنتم تعلمون ما كان منى فى ابتداء هذا الأمر ، فإن الخاصَّ والعامَّ اعتزلوكم جانباً ،وأَفْرَجوا عنكم إفراجاً كُلِّيًّا غيرى [(١)] ، فإننى أقمت على طاعتكم ، وتفرَّدْتُ بنُصْرتكم ، وكان غايةُ أملى وتقديرى المَقامَ على ما كنت عليه أتولاه من ديوان السواد ، لا تَشْرَهُ نفسى إلى غيرِه ولا يدور فى فكرى تجاوُزُه ، فأخذْتمونى بتقلُّدِ هذا الأمر والقِيَام به ، ولم تُفارقونى حتى أجبتُ إليه ، وجَدَدْتُ فى الأمر إلى أن انعقد وتَوَكَّدَ ، وعاديتُ كُلَّ أحدٍ فى رضاكم حتى استوسَقَتْ لكم الأمور ، وتكامل فى حِيَاطة دولتكم التدبير ، وفتحْتُ لكم فارِسَ وما يليها ، وَوَفَّرْتُ عليكم الأموالَ ومرافِقَها ، وكدْتُ دينى ودنياى فيها ، فلما قام لكم الأمر وعلا مَنَارُه [(٢)] واستحصفت [(٣)] لكم الطاعة ممن بَعُدَت ودَنَتْ دارهُ ، نكبتمونى فَهَتَكْتُ حُرْمتى وسُلبَتْ نعمتى وقُبِضَتْ ضيعتى ؛ ثم أعدتُمونى ، فما حُلْتُ [(٤)] عما عهدتموه منى ، ولا فارقت ما كنتم تحمدونه وتَصفونه عَنى . ثم أوقعتم بى إيقاعاً ثانياً ، فاستوعبْتُم بقيَّةَ النعمة ، وأتيتم على الأصل والتَّتِمَّةِ ، وجذبتمونى إلى هذه الدَّفْعة الثالثة ، فقد علمتم ما كان منى فى استخراج الأموال ، وإصلاح الأحوال ، والاستقصاء على جميع من خدمكم من الكُتَّاب والعُمَّال . ووالله لا لحقنى مكروهٌ فى هذه الدَّفعة فى

---

(١) أى انكشفوا عنكم وتركوكم تركا تاما إلا أنا فإنى بقيت معكم .

(٢) فى الأصل : على نياره . وقد تكون أيضا أنباره وهو جمع نبر وهو لحمة الثوب لكن السجع مع ما بعدها من قوله ودنت داره ، المعنى أيضا ، يقارب ما أثبت .

(٣) استحصفت : استحكمت .

(٤) فما حلت : فما تغيرت .

نَفْسٍ أو ولد ولا حال إلّا ولحقكم مثلُه ، وإن تمادى أَمَدُه ، من الله تعالى جَدُّه ، فاعملوا ما بدا لكم .

وما زال يكرر هذا وأشباهَه حتى عَرَفه نسيمٌ ووعاه وانصرف . وألقى ابن الفرات ذَقنَه على صدره ولِحيته ساعةً ثم رفع رأسه فقال : سمعتَ ما كُنّا فيه ؟ فقلت : نعم . وما كان لِمَا جرى وَجْهٌ ، والقوم مَكّنُوك واستناموا (١) إليك فى هذه الدفعة زيادةً على ما تقدَّمها . فقال : دعنى من هذا يا أبا عبد الله ، فوالله لَيَصِحَّنَّ ما قلتُ . وأُخبرك فى هذا المعنى بخبر طريف جرى بينى وبين أبى الحسن علىِّ ابن عيسى ، ما لَهَوْتُ عنه إلا فى هذه الدفعة ، فإنه يتَصَورُ لى فى النوم واليقظة ، ويعترضنى فى الشُّغل والخلْوة ، وأنا أخبرك به :

لما بَلَغ (٢) المكتفى بالله آخِرَ أمره ،كان العباسُ بن الحسن يجلس فى كلِّ يوم آخرَ النهار ، فإذا فَرَغ من العمل جارانا خبرَ المكتفى بالله وعِلّته ، وآيسنا من عافيته ، وشاورنا فيمن يقوم بالأمر بعده ، فلا يستقرُّ الرأىُ على شىء يعتمده ، إلى أن تكامل اليأس منه . فنحن فى بعض العشايا عنده ، وقد أردنا النهوض حتى قال : قد انقضى أمرُ الخليفة ، وما نفترق إلا بعد تقرُّرِ الرأى على من يقعُدُ مقعدَه ، فما عندكم ؟ فقال أبو عبد الله محمد بن داود : اللهَ اللهَ أيها الوزير أن تَعْدِل عمَّن يقوم بهذا الأمر ونُلزِمه خيرَه وشره ونتصرَّف على أمره ونهيه . ونحوَ هذا الكلام . فقال لعلى بن عيسى : ما تقول يا أبا الحسن ؟ فقال : اللهَ اللهَ أيها الوزير فى الإسلام ، نحن جميعاً صنائعُ المعتضد بالله ـ رحمةُ الله عليه ـ ثمَّ هذا الخليفة ، ولكنه أمر الدِّين فقلِّد هذا شيخاً قد فَهِم الأمور وعُرِف بصواب الرأى والتدبير بعِمارة هذه الثغور وحجِّ البيت المعمور ، ويقيمُ الحدود ، ومن إذا قلتَ :

(١) استناموا : ركنوا .

(٢) انظر تجارب الأمم ٥/٢ .

أميرُ المؤمنين ، صدّقَ قولَكَ الصغيرُ والكبير . قال ابنُ الفرات : فعارضت قوله بأن قلت للعباس : قلّد أيها الوزيرُ الأمرَ من يكون فى حِجْرِك ، ويتدبّر برأيك ، فتسلَمَ نعمتُك ونعمتُنا معك . فقال العباس : رأيى لرأيك تبعٌ يا أبا الحسن . ونهض وانصرفنا .

فلما حَصَلْنا فى بعض الممرات قبض أبو الحسن علىُّ بنُ عيسى عَلَى يَدِى وقال : بيننا شىء . فوقفت معه ، وابتدأ يحلف يمينا أغرق فيها وأَبْلَغَ على أنه ما أراد بقوله ورأيه غيرَ اللهِ عَزَّ ذِكْرُه وإعزازِ دينه وإصلاح شؤونه . ثم حلف على أنى ماأردتُ أنا اللهَ بما قلتُه وأشرتُ به ، وقال : كيف استجزت أن تجىء إلى رجل معروف ـ يعنى العباس ـ فتساعدَه على ما يُسخط اللهَ به ، ويُبْعِد من الحق ، ويزيدُه تسلُّطاً وجُرأَة على الظلم ؟! فقلت : لا والله يا أبا الحسن ـ أعزك الله ـ ما نَعْمَل إلّا للدنيا ، وإن جاء من يعرف أسعار الخبز واللّحم لم تأمَنْه على نفوسنا ونِعَمِنا . قال : فقال لى مجيبا : والله لئن تمَّ الأمرُ على هذا وانتظم لَا بُلِىَ بالمحنة فيه غيْرُك ، فانظر لنفسك أوْ دَعْ .

فمضى مامضى بمافيه ، وصَلِيتُ بماصليت بهمنه، ويوشك أن يَصِحَّ قولُ أبى لحسن علىِّ بن عيسى ولا يُبْعد ، لأن من أراد اللهَ كان الله معه ، ومن أراد غيرَه خذَله ، فما يخلو فكرى من قوله وخاصَّةً فى هذه الدفعة ، ونسأل اللهَ حُسْنَ العاقبة .

وحدث هارون بن إبراهيم النصرانى الكاتب قال : حضرت مجلس القاسم ابن عبيد الله فى بعض الأيام ، وبين يديه كُتّابُ الدواوين ، إذ خرج إليه توقيعٌ من المكتفى بالله يعرفه فيه ماعزم عليه من الخروج إلى سُرَّ من رأى للتصيُّد ، ويرسُمُ له إنفاذَ مَنْ يُصْلِح الطُّرُقَ وإعداد العُلُوفَة والمِيَرِ[1] وما تدعو إليه الحاجة

(١) المير : المؤن والعلوفة جمع العلف : ماتطعمه للدواب .

للعسكر . فرمى به إلى أبى الحسن علىّ بن محمد بن الفرات ، لأنه مِمَّا كان يجرى فى ديوانه ، وقال له : اكتب فى هذا المعنى بما يُؤَكِّده ، وأَضِف إليه منشوراً لِتَستحِثّ المطالبة والإعجال ، ومشاهدة مايجرى عليه الحال . فقال : نعم ـ أعز الله الوزير ـ وجعل التوقيع تحت فخذه ، وطلب دواةً ، فحضرتْ وتُركت بين يديه ، وأخذ يُكَرِّر النظَر فى كُتبٍ قد أُخْرجت إليه متعلقةٍ بديوانه ، ومضت ساعة . فقال له القاسم : كتبت الكتب ؟ قال : نعم . والتفت فقال : ادعوا زنجيًّا الكاتب لِيُنشئ نُسخ ذلك ويُحرِّرها فإنه أعرَفُ برسوم المنَاشير ، فضحك القاسم بن عبيد الله ثم أقبل على أبى عبد الله محمد بن داود بن الجراح فقال : الأمر يا أبا عبد الله مُهِمٌّ لايحتمل التأخير ، ومُنشِئُ أبى الحسن غير حاضر ، ولعله يَحْتَبِس . وقال لابن الفرات : ادفع إليه التوقيع لِيكتب فى المعنى بما يتضمّن . قال : فأخذ أبو عبد الله التوقيع وكتب سريعا بأبلغ عبارة وأشد استيفاء وَوَصاةٍ . وخجِل ابنُ الفرات . ولم تكن كتابتُه مُقَصِّرة و[لا] بلاغته متأخرة ، ولكنَّ يده كانت تخونه وتَقْعُد به .

وحدث القاضى أبو على التنوخى قال : سمعت بعضَ شيوخ الكتَّاب يقول : كان أبو الحسن علىٌّ بن عيسى مُعَظِّما لصناعة الكتابة ، محافظاً على مَكَانه منها ، مُتَحَذِّراً من عيبٍ يلحقه فيها ، وكانت المنافسة واقعة بين أبى الحسن بن الفرات وبينه فى الأعمال والمنازل والكتابة والصناعة ، فاتَّفقَ أن عَمِل علىٌّ بن عيسى مؤامرة لعامل يُعْنَى به أبو الحسن بن الفرات ، وأخرج عليه فيها مائةَ ألفِ دينار ، واعتقد مواقفته عليها وإلزامه إياها . ثم أحضره وأراه المؤامرة وقال له : قف عليها واذكر ما عندك فى كل باب منها ، فإن كانت لك فيه حجَّةٌ تُسْقطُه وإلا التزمتَه وأدَّيْتَه . فقال : أريد أن أقرأها قراءةَ تأمُّلٍ ، وأنظرَ فيها نَظَرَ تَصَفُّحٍ ، وما يكون ذلك إلا

فى منزلى عند خَلوتى بنفسى . فقال : خذها . فأخذها وجاء إلى أبى الحسن بن الفرات ، فشرح له صورته ، وسأله النظر فى المؤامرة ، وتلقينَه الجواب عن كلِّ بابٍ منها . فقرأها ابنُ الفرات وقال للعامل : لولا أن عليَّ بنَ عيسى قدْ مها فيها سهوا ظاهرا رُبَّما خلَّصك لَمَا سَقَط عنك درهمٌ واحد مما أخرجَ عليك ، وذلك أنه صَدَّرَ المؤامرةَ بباب خَرَج عليك فيه فَضْلُ الكيل فى غَلَّاتِ ناحيتك ، وأنك لم تُورِدْه ، وحصَّلَ عليك صَدْراً كبيراً من المال عنه ، ثم ذكر بعد ذلك فى باب آخر أنك اقتطعْتَ من غَلَّات المُقاسمة مالم تُورِدْه ، وأقام الشاهد عليك فيه ، وألزمك مالًا جزيلا عنه . وقد كان من قانون الكتابة أن يبتدئَ بذكر الاقتطاع من أصول الغَلَّة . ثم يجعلَ فَضْلَ الكيل مُؤَخَّراً ، فإذا صَدَّر فَضْلَ الكيل فقد صَحَّ به الأصول ، وهذا غلطٌ فاحش وخطأ ظاهر غير مُحِيل[1] ، والصواب أن تَمضِيَ إليه وتخلُوَ به وتقولَ له : مَحَلُّك فى الصناعة لا يقتضى مافعلتَه فى هذه المؤامرة ، وقد سهوت فيها سهواً قبيحاً وهو كذا وكذا ، وأنا معك بين أمرين ، إما أن أكشف للناس خطأك فعليك فيه ماتعرفه ، وليس يكون مايلحقك من القباحة بأقلَّ مما تتناولُنى به من النَّكبة ، وإما أنْ تفضَّلت بطىِّ هذا الأمر وستره وإبطال المؤامرة والإمساك عنها ولك من ذلك مَرْفِقٌ[2] أحمله إليك . فإن إشفاقه على جاهه ، وكراهتَه مايَقْدحُ فى صناعته ، ورغبتَه فى المَرْفِق ، يحمله على إبطال المؤامرة .

قال العامل : فمضيت سَحَراً إلى داره ، فلما رآنى قال : ما عملت فى المؤامرة ؟ فقلت له : بيننا شيء أقوله سِرًّا ، ودنوت إليه فقال : ماهو ؟ فأوردت عليه ما كان ابن الفرات علَّمنيه ، ونشرت المؤامرة ووَقَفْتُه على المواضع ، فحين شاهدها وتأمَّلها وَجَم

---

(١) غير محيل أى غير آت بالمحال . ولعلها محرفة عن : غير محتمل .

(٢) مرفق : منفعة .

وُجوماً شديداً وقال : ياهذا ، قد وفَّر الله عليك المَرْفق ، وأسقط عنك المؤامرة ، فإن أكبر الأمور عندى فى هذه القصة أن وقَفْتَ على غَلَطى وتيقَّظْتَ[١] مُسْتَأْنِفاً من مثله ، واللهُ بينى[٢] و بين ابن الفرات ، فإن هذا من تعريفه وتوقيفه و إلا فلسْتَ ممن يتنبَّه على ماهذه سبيلُه .

ونهضت من عنده وقد كُفيتُ الأمرَ ، وزالت عنى المؤونةُ والمطالبةُ ، وربحت المَرْفِق الذى كنتُ على التزامه ، وعدت إلى أبى الحسن بن الفرات ، وحدَّثْتُه بالحديث فضحك .

وحدث القاضى أبو على قال : حدثنى أبو الحسن أحمد بن يوسف بن الأزرق قال : لما حُمِل علىٌّ بن عيسى إلى ابن الفرات فى وزارته الثالثة رآه ابن الفرات وهو مقبل إليه فبدأ يكتب كتابا ، وجاء علىٌّ بن عيسى وهو كالميتِ خوفا وجَزعا ، فوقف قائما وابنُ الفرات يكتب ، وعند علىٍّ بن عيسى والحاضرين أنَّه لم يَرَه ، و بقى واقفا نحوَ ساعة إلى أن فرَغ ابنُ الفرات من كتابته ، ثم رفع رأسه وقال : اقعد باركَ الله عليك . فأكب علىٌّ بن عيسى عليه يُقبِّل يده و يقول : أنا عبد الوزير وخادِمُه وصنيعته القديمُ ، وصنيعةُ أبى العباس أخيه رحمه الله تعالى ، ومن لا يعرف صاحبا ولا أستاذا غيرَه . فقال : هو كذلك وأنت فيه صادق ، و إنى لأرعى لك حقَّ خدمتك القديمة لى ولأخى رحمه الله ، وما عليك بأسٌ فى نفسك ، ولولا طاعةُ السلطان ما أفسدتُ صنيعتَنا عندك .

وقرر عليه من المصادرة ما قرَّره ، وعمل المحسِّن بنُ علىٍّ بن الفرات على قَتْلِ علىٍّ بن عيسى ، فلم يَدَعْهُ أبوه . واستقرَّ الأمر على نفيه و إبعاده عن الحضْرة ، واختار هو الخروج إلى مكة وأظهر أنه يُريد الحج والمجاورة . وخرج بعد أن ضَمَّ

---

(١) لعلها أيضا محرفة عن : وتفطنت .   (٢) فى الاصل والله مابينى

إليه مُوَكَّلون ، ووصاهم الحسن بِسَمِّه فى الطريق إن تمكنوا أو قتلِه بمكة ، وعرف علىُّ بن عيسى ذلك فتحرَّز فى مأكله ومشربه . ووصل إلى مكة رجُلٌ يُعرف بأحمدَ بن موسى الرازى ، وكان داهيةً ذا مكر وخُبث ، وقد اصطنعه علىُّ بن عيسى فى وزارته ، وقلّده القضاء هناك . فلما اجْتمع علىُّ بن عيسى معه حدَّثه بحديثه ، وسأله إعمالَ الحيلة فى تخليصه وحراسة نفسه ، فتلطف فى ذلك بأن واضع [(١)] أهلَ البلد — وقد كانوا قدَّموه وأطاعوه — على أن اجتمعوا وثاروا بالمُوَكَّلين ، وخاف أَنْ يَجْرِىَ مايلحَقُه فيه إثمٌ وإنكار من السلطان ، فطرَحَ نفْسَه عليهم حتى خلَّصهم وأخرَجَهم ليلاً إلى بغداد ، بعد أن أعطاهم نفقةً . وأقام بمكة .

وقد كان أبو العباس أحمد بن محمد بن الفرات فى خلافتِه عبيدَ الله بن سليمان على الأمور عَمِلَ ديوانا سماه ديوان الدَّار ، وجمع إليه سائرَ الأعمال ودبَّره بنفسه وكُتَّابه ، واستناب أخاه أبا الحسن علىَّ بن محمد بن الفرات فيه ، واصطنع كُتَّاباً قلَّدهم مَجالِسَه ، منهم أبو الحسن علىُّ بن عيسى ، وأبو عبد الله محمدُ بن داود بن الجراح عَمُّه ، فكانا يجلسان بحضرة أبى الحسن ، ويأمرها وينهاها ، ويُسمِّيانه أُستاذنا ، على رَسْمِ أصحاب الدواوين إذ ذاك .

وجرى الأمر على هذا الترتيب إلى أن عزم المعتضد بالله على إخراج المكتفى بالله إلى الجَبَل ، ومعه عُبيد الله بن سليمان ، والخروج بنفسه إلى آمدَ والثغورِ ، ومعه القاسم بنُ عبيد الله ، فقال عبيدُ الله لأبى العباس بن الفرات : أريد كاتبا يصحبنى ويتصفَّح أعمالَ كلِّ بلد نفتحُه ويُقرِّر معاملاتِه على ما يَدُلُّ عليه الديوانُ القديمُ من رسومه . فقال : ذلك محمد بن داود . وإليه من ديوان الدار مَجْلِسُ ما فُتِحَ من

---

(١) فى الأصل وضع . واضعه فى الأمر وافقه فيه على شىء وواضعه الرأى أطلع كل منهما الآخر على رأيه .

أعمال المشرق ، وفيه الحُسْبَانَاتُ العتيقة . وقال القاسم : وأنا أريد آخر يكون معي إلى المغرب . فقال : يكون عليّ بنَ عيسى .

وخرج محمد بن داود وعليُّ بن عيسى فى جملة عبيد الله والقاسم . فَنَفَق [١] محمدٌ عَلَى عبيد الله وقَرُب منه واخْتصَّ به ، ورأى من فضله وصناعته ما أعجبه ، وانتهى أمرُه معه إلى أن زوَّجه عبيدُ الله بنْتَه ، وانتزعَ مجلِسَ المشرقِ من ديوان الدارِ وجعله ديواناً مُفْرَداً [و] قلَّده محمد بن داود رئاسةً . وحصلَتْ لعليٍّ بن عيسى حُرْمة بالقاسمِ ، وشاهد من كفايتِه وسَداده وكِتابته ونَفَاذِه ما عَظُم به فى عينه ، فقدَّمه وتوفَّر [٢] عليه . وفعل مثل فعل أبيه مع محمد بن داود فى انتزاع مجلس المغرب من ديوان الدار وتقليدِه عليَّ بن عيسى رئاسة ، ولم يَجْعَلا لأبى العباس بن الفرات بعد ذلك عليهما يَداً . وكان قولُ عليٍّ بن عيسى لابن الفرات ما قاله من أننى عبدُك وصنيعتُك وعبدُ وصنيعةُ أبى العباس أخيك . وقبولُ ابن الفرات ذلك منه وتصديقُه إياه فيه ، على هذا الأصل .

وحدث أبو على عبد الرحمن بن عيسى قال : كان أخى أبو إسحاق إبراهيمُ ابنَ عيسى يتقلَّد أعمال الزّابِ الأعلى فى أيام عُبيد الله بن سليمان خلافةً لأبى الحسن عليٍّ بن عيسى ثُمَّ رئاسةً ، فصَرَفَه [٣] بمحمد بن محمد بن حمدون [٤] بن سليمان الواسطى عنها ، قال : فحدثنى ابن حمدون هذا قال : أحضرنى أبو العباس أحمد بن محمد بن الفرات فقال لى : قد صرفتُ إبراهيم بن عيسى بكَ ، وأريد أن تعتقله وتُضَيِّق عليه . واتفق أن حضر أبو عبد الله محمد بن داود مُسَلِّما عليه ، وقد عرف

---

(١) نفق : راج عنده .　　(٢) توفر عليه : تفرغ له .

(٣) صرفه بفلان عزله وولى هذا الفلان مكانه .

(٤) فى الأصل ابن الحسن . والتصويب مما سيأتى فى اخبار على بن عيسى ومن سياق الكلام .

الخبر ، فقال له [١] : تتقدم ـ أعزك الله ـ إليه فى إمضاء مقاطعتى و إجمال معاملتى . قال : فقال لى ابن الفرات : أبو عبد الله من قد عرفتَ محلَّه من الوزير أبى القاسم ومنا ، فاعمل بصنيعته فى جميع إرادته . فلما انصرف أبو عبد الله قال لى : إياك أن تُمْضِىَ مُقَاطعته [٢] أو تَدَعَ الاستقصاء عليه فى مَسَامِحِه [٣] ، وَوَكِّلْ بِغَلَّته حتى تستوفِىَ حَقَّ بيت المال منها على واجبه وتمامه وكماله ، و إبطال مَظالمه .

قال : فورَدَ علىّ من ذلك أعظَمُ مورد ، وتبيَّنت به ما فى نفسه على آلِ الجرَّاح ، وشخصْتُ إلى العمل ، فما داجَيْتُ أبا إسحاقَ ، وطالبته بأن يجيئنى فى كُلِّ يوم ، فغلُظ ذلك عليه ، وهو لا يعلم ما تقدَّم به ابن الفرات فى أمرِه ، واتَّصلَت كُتُب ابن الفرات إلىَّ بالحثِّ على ما وصَّانى به والتأكيد فيه اتصالاً طويتُهُ عن أبى إسحاق ، ولم أذكره له وذلك فى سنة سبع وثمانين ومائتين ومضَت الأيام . فلما تولَّى أبو إسحاق الإشراف على أعمال واسط كنت أدخل إليه فَيُقِلُّ الإقبالَ علىّ ، ويُظهر الانحراف عنى ، حتى خِفْتُ أذِيَّتَه فى ضَيعَتى ، فجئته فى بعض الأيام ، ومعى بعضُ ما كان ابنُ الفرات يكتُبه إلىَّ فى بابه . فلما خلا وجْهُه [٤] دنوت منه وقلت له : قد تبيَّنتُ منك إعراضاً وسوءَ رأى ، ولا شك أن ذلك لِمَا كان منى إليك ، وقد علم اللهُ نِيَاَبتِى كانت عنك ، وحراستى إياك مما كنت أُطالَب به فيك ، ومن الدليل على صدقى هذه الكتب . وأخرجتها إليه وقرأتها عليه . فلما وقف على ما فيها أكبرَه وأعظمه ، وَبَسط عُذرى فيما عاملته به ، وعاد إلى ما أحبه . وكان تقلُّدُ أبى إسحاق الإشرافَ على واسط بعد أن تقلَّد أعمالَ

---

(١) يعنى أن محمد بن داود قال لأحمد بن الفرات : اطلب من محمد بن محمد بن حدون أن يكرمنى فى تنفيذ أعمالى وحسن معاملتى .

(٢) المقاطعة : ما يقرر له من هبة أو أجر وما أشبه ذلك .

(٣) مسامحه : ما يتساهل فيه أو ما يسمح له به جمع مسمح .

(٤) خلا وجهه يعنى به أن الناس انصرفوا من عنده .

الراذانَيْن . وكاشف ابنَى الفراتِ فيما اقتطعاه واجتذباه من الضِّياع السلطانيـة ، وحسُنَ أثره عند القاسم بن عبيد الله ، فنقله إلى الإشراف على أعمال واسط نقلا كان من سببه أن كان القاسم سيىء الرأى فى أبى العباس بن الفرات . فقال لأبى الحسن علىٍّ بن عيسى : قد كثُرتْ ضِياعُ ابنَى الفرات بنواحى واسط ، واستضافا إليها ضِياعا سلطانية ، وصارا يأخذان لمصالحهما نحوَ عشرين ألفَ دينارٍ فى السنة ، وأريد رجلا حَصِيفا أردّ إليه الإشراف على هذه النواحى وأُعَوِّل عليه فى كشف ضِياع ابنى الفرات ، وإثارَةِ الفَضْلِ [١] الذى فى أيديهما ، وآمَنُ عندهُ محاباةً لهما وخوفا منهما ، فهل فى أهلنا من يصلح لذلك ؟ فوصَفَ له أبا إسحاق بالشهامة والاستقلال ، واستحضره وقلّده ، وانحدَر وَجدّ فى النظر والكشف ، وواصل كُتُبَ الكُتُب بما وقف عليه وعَرَفه ، وعمل الأعمال بما أثاره واستدركه ، فكان من ذلك عَمَلُ ما يَقْبِضه وكلاء ابن الفرات لمصالح ضِياعهما بواسط ، وهو زيادة على عشرين ألفَ دينار فى السنة ، وعَمَلٌ آخرُ لما اقتطعاه من ضِياع السلطان وأضافاه إلى أملاكهما ، وهو نيِّف وثلاثون بَيْدَراً ، منها بيدَرٌ يعرف باليهودى ، ارتفاعُه نحوُ الخمسين ألفَ درهم . وعاد إلى الحضرة وعرض الأعمال على القاسم ، فقال له : تُوَاقِف ابنَ الفرات على أعمالك هذه ؟ فقال : ما عملتها لأَسترها وأخافَ المناظرة عليها . فأحضره وقد حضر أبو العباس بنُ الفرات ، وواقَفَه فى المجلس مواقفة ألزمه فيها مالاً كثيراً، فرأى القاسم من أبى إسحاق صَرَامةً عجيبةً ، وتبين ابن الفرات من القاسم إنكارا هَمَّتْهُ [٢] نفسه معه .

---

(١) يريد بذلك تبيين الزيادة التى استوليا عليها .

(٢) همته : شغلته وأقلقته .

قال أبو على عبد الرحمن ، فحدّثنى بعضُ أصحابنا قال : لما انصرف أبو العباس بنُ الفرات من هذا المجلس إلى منزله ، وهو مُثْخَنٌ [(١)] ، وجد أخاه أبا الحسن يعمل . فقال له : يا أبا الحسن ما فارقتَنى حتى هَتَكْتنى ونكبتنى ، اقْرَأْ هذا العمل . ورمى إليه بعمل المصالح وقال له : إذا كانت نفقات مصالحنا عشرين ألف دينارٍ فأىّ شىء نقول للسلطان والوزير والناس فى الارتفاع والاستغلال ؟ ! ثم أعطاه العمل بالضِّياع المستضافة . قال : هذه الطَّامَّةُ الكبرى والفضيحة العُظمى . قال عبد الرحمن : وَهَمَّ القاسم بن عبيدالله بالقبض عليهما والإيقاع بهما ، فتدافع الأمر بظهور صاحب الخال [(٢)] والتشاغل بِخَطْبِه والخروج إلى المغرب [(٣)] فى طلبه . فلما عادوا لم تطل المدة حتى توفى القاسم بن عبيد الله وأبو العباس بن الفرات فى آخر سنة إحدى وتسعين ومائتين

ثم ولى أبو الحسن بن الفرات الوزارة [(٤)] فقصد أبا إسحاق ونفاه إلى الصافية ، ووزر أبو الحسن على بن عيسى بعد ذلك [(٥)] وصُرف ، وعاد ابن الفرات [(٦)] فنكب أبا إسحاق وصادره على خمسين ألف دينار استخرج منها ثلاثين ألف دينار . وأقام أبو إسحاق فى منزله وامتنع من العمل بعد ما لَحِقَه . فلما تقلد أبو الحسن بن الفرات الوزارة الثالثة [(٧)] أعاد القبض عليه وطالبه ببقية المصادرة ، ثم بمثلها [(٨)] فأداه ثم بمثلها دفعة ثالثة بعد مكروه عسفه به ، وأخرجه بعده إلى البصرة ، وسلّمه إلى ابن الأصبغ عاملها ، فيقال إنه سمه ، ومَضى لسبيله [(٩)] .

---

(١) يريد بالمثخن هنا أنه مرهق مكدود تشبيهاً بمن أثخنته الجراح أى أوهننه وأضعفته .

(٢) هو الحسين بن زكرويه أخو يحيى بن زكرويه انظر ابن الأثير حوادث . ٢٩ وفيه أنه سمى نفسه أحمد ودعا الناس فأجابه أكثر أهل البرارى وغيرهم فاشتدت شوكته وأظهر شامة فى وجهه وزعم أنها آيته . . . ثم تسمى المهدى أمير المؤمنين وقد قتل صاحب الخال أو صاحب الشامة فى سنة ٢٩١

(٣) يريد بالمغرب ما كان غربى العراق لأن صاحب الشامة كان فى بلاد الشام .

(٤) كانت أول وزارة له فى سنة ٢٩٦ كما تقدم (٥) كانت وزارته الأولى سنة ٣٠١

(٦) الوزارة الثانية كانت سنة ٣٠٤ (٧) كانت الوزاة الثالثة سنة ٣١١

(٨) فى الأصل : بمثله وكذلك التى جاءت بعدها (٩) يريد أنه توفى .

وحدث أبو على عبد الرحمن قال : كان سببُ العداوة بين أبى الحسن بن الفرات ومحمد بن عبدون أنه غلب على العباس بن الحسن واختصَّ به فسعى فى صرف أبى الحسن بن الفرات ونكبته لقبيحٍ قديمٍ كان بينه و بينه ، واستمال محمدُ بنُ عبدون أبا عبد الله محمد بن داود بن الجراح عمِّى فمال معه ، وساما أبا الحسن علىَّ بن عيسى أخى الدخولَ معهما فامتنع ، وجرت فى ذلك خطوبٌ طويلة باطنةٌ وظاهرة . وتجرَّد محمد بن عبدون — بفَضْلِ شرٍّ وحسدٍ كانا فيه — فى مكروه ابن الفرات وطالبَ العباسَ بإطلاع المكتفى بالله على خياناته واقتطاعاته وما تأثَّل[1] من حاله بذاك وعَظُمَ من نعمته ، وساعده محمد بن داود على أمره . قال عبد الرحمن : فأذْكُر ، وقد صار أبو الحسن بن الفرات فى بعض الأيام إلى أخى أبى الحسن علىٍّ بن عيسى فى داره ، فقام إليه وأكرمه ، وجعل ابنُ الفرات يشكو إليه مايلاقيه من محمد بن عبدون ، و يُعَرِّض بمحمد بن داود عمِّى ، وأخى يسترجع و يقول له : يكفيك اللهُ ثم قال له أخى : أما أنا فقد عرفتَ إخلاصى لك ، وما يرانى اللهُ تعالى مُساعداً فيما يَسُوءك ، وأما عمى فالأمر معه قريب ، وسأَرُدُّه وأكفيك ما تخافهُ منه ، ومع هذا فَدَبِّر أمرك تدبيراً يُصلحه معصاحِبنا وصاحِبك. فقال له: أشِرْ علىَّ ياسيدى . فقال : استعطفِ الوزيرَ . قال : قد فعلتُ . قال : زِدْ ، وليس بكثيرأن تَغْرَم فى هذه القصة[2] خمسين ألف دينار ، وإن احتجت إلى مالى فى ذلك فهو بين يديك . فتكرَّه وقال : أريد التَّوْثقَة منك . فقال له أخى : ما تجدُ عندى خِلاَفاً عليك إلا أن اليمين غيرُ مُباركة وما بنا إليها حاجةٌ ، وفى الأقوال الصادقة والآراء الصافية غِنًى وكِفاية . وقام فانصرف .

قال عبد الرحمن : ووافى ابنُ عبدون فى بعض الأيام إلى أبى الحسن أخى ، فلما

(١) تأثل تجمع وتأصل .
(٢) لعلها أيضا محرفة عن القضية .

جلس قال له : قد فَرَغْنا من أمر الرجل إن كانت منك مساعدة . فقال :

اللَّهُمَّ غَفْراً . وقمنا ، وخَلَوَا وتحدَّثَا . ثم نهض ابنُ عبدون ، وغُدْت أنا وإبراهيم بن أيوب الكاتب إليه ، فوجدناه مُقَطِّباً واجما . فقال لنا مبتدئاً : ما أعجبَ ما نحن فيه ! نعوذ بالله من البَغْيِ وجوالِبه . ثم قال : وَافَانا هذا الرجلُ — يعنى ابنَ عبدون — يُريد أَنْ يَلْفِتَنا عن ديننا ، وذَكَر أن الخليفة قد استجاب إلى صرف ابنِ الفرات إنْ تَوَلَّيْتُ دِيوانَه ، فقلتُ له : ياهذا ، إنْ صرفتُ ابن الفرات ازددت بصرفه رزقاً وأَجَلًا ، وإن لم أصرفه نقصنى اللهُ مما قرره لى ؟ قال : لا . قلت : فإن تركتمونى أُدبِّرُ هذا الأمر معكم وأقوم بما إلَيَّ منه ، وإلا لزمت منزلى وأرحت نفسى. فانصرف مُتَنَكِّراً مُتَسَخِّطاً وقال : هذا الأمرُ يُراد .

ومضى ابنُ الفرات إلى العباس فأعطاه وأرضاه . وقد كان قال للمكتفى بالله : إنَّ حالَ ابن الفرات قد عظُمَتْ ، وأنا آخذ منه خمسين ألفَ دينارٍ أَرُدُّها فى بيت مال الخاصَّة ، وأُبقى عليه صَدْراً من نعمته . فقال له : نعمةُ ابن الفرات لى ، ومتى أردْتُها أخذتها ، وما يُمكِنُنى إنشاء كاتبٍ مثلِه واصطناعُه والرفعُ منه حتى يكونَ حالُه الحالَ الذى يُظَنُّ فيه .

وكان ما قاله المكتفى بالله وفعله من أحسن مارُوِىَ وأُثِر عن كلّ خليفة قبله . وقد كان خفيفٌ السمرقندىُّ الحاجبُ يقوم بأمر ابنى الفرات ويَعْضُدُهما ويشُدُّ منهما ، فقَلَّما طُمِعَ فى أبى الحسن وانبسطَتِ الألسنُ فيه .

وحدّث عبد الرحمن قال : لما عُقِد الأمر لأبى العباس عبد الله بن المعتز ، ووزر له محمدُ ابن داود بن الجراح عَمِّى تأخّر أبو الحسن علىُّ بن عيسى أخى عن الحضور ، ووصلت مراسلة بالاستدعاء ، وهو يأبى ويتوقَّف ، حتى إذا زاد الإلحاح عليه — وبلغه عن عبد الله بن المعتز أنه قال : علىُّ بن عيسى متأخِّرٌ عنَّا لِيَمْضِىَ إلى جعفر ، فإن كانت

له خَلَّصَ عَمَّه ، وإن كانت لنا خَلَّصَه عَمُّه . وليس كذلك . فإنه لاتَ حين مناص ـ صَار[١] إلى القومِ . فلما لم يَرَ ابنَ الفرات قال لمحمد بن داود : مافعل ابنُ الفرات ؟ قال له : وأية فائدة فى حضوره ؟ قال : كل فائدة ، وستعلم ما تكونُ عواقِبُ تأَخُّرِه وأنه لا يكون هلاكُ الجماعة إلَّا على يده . فكأنَّ قولَه وافق قَدَراً .

ولما انتقض أمرُ ابن المعتز ووزر أبو الحسن بنُ الفرات [و] أُخِذَ علىٌّ بن عيسى ومحمدُ بنُ عبدون وحُمِلا إلى دارِ بدْرٍ اللَّانِىّ ، كَتبا رقعة إلى ابن الفرات ترجماها[٢] : لعبديه محمد بن عبدون وعلىٍّ بن عيسى .

فعاد الجواب : فهمتُ هـذه الرقعة يا أبا الحسن علىَّ بن عيسى أطال الله بقاءك . وأدام عزك وسعادتك ، وأنت تعلم ما يلزمنى من حقك ، وما أنا عليه لك ، ولن أدعَ مُمكِناً فى تخليصك واستنقاذك وردِّك إلى أفضلِ ما كنتَ عليه إلّا أتيتُه و بلغتُه وقضيتُ حقك به .

ولم يذكر محمدَ بنَ عبدون بشىء ، فلما وقفا على ذلك لَطَم محمدُ بنُ عبدون على رأسه وقال : قَتَلَنى واللهِ . وكان الأمر كما قال .

ولم يَدَعِ ابن الفرات المنافسةَ فى الرئاسة والغَيْرَة على الوزارة حتى نَفى علىَّ بن عيسى إلى مكة .

وحدث عبد الرحمن قال : لما ثَقُل على[٣] أبى الحسن بن الفرات أَمْرُ سوسنٍ و بلغه عنه عَمَلُه على الإيقاع به وشروعُه لمحمدِ بن عبدون فى الوزارة ، خوّف المقتدر

---

(١) فى الأصل وصار . والسياق يقتضى حذف الواو والقائل هو على بن عيسى وانظر كتب التاريخ حوادث ٢٩٦

(٢) لعله يراد بذلك التعبير أنهما كتبا فى الرقعة أنهما عبداه .

(٣) انظر تجارب الأمم ٥/ ١٢

باللّٰه منه ، وأعلمه أنه على الوثوب به ، وأنه كان على تقديم عزمه منه إلى أن سأله أنوشُ بنُ الحرهان كاتبُ سوسنٍ أن يُؤَخِّر ذلك فى هذا اليوم لِعيدٍ له ، ووقع الاتِّفاق بينهم على الإيقاع بك وبى وبجماعة معنا فى يوم الثلاثاء المقبلِ بعد يوم الموكب ، وقرَّر ذلك فى نفسه وحقَّقه عنده ، فلما كان يومُ الاثنين لثمانٍ بقين من رجب ركب المقتدر باللّٰه إلى الميدان ، ومعه تكين الخاصَّة ونازوك وغريبٌ الجبلى ورائق وياقوت ، وقد ضَمِنَ ابنُ الفرات لتكينَ أن يقلِّده مصرَ إن ساعده على أمر سوسن . وأحسَّ سوسنٌ بما يُدَبَّر عليه ويراد به ، فتحرَّز فى أمره ودخل الميدان ولم ينزل عن فرسه ، ولعب مع الخليفة ساعة بالصولجان ، ثم مضى إلى صافى الحُرَمى يَعُوده من شىء وَجَده ، وتبعه مؤنسٌ الخازنُ والغلمان ، فلما نزل إلى صافى وكان فى آخر الميدان قبَض عليه تكينُ الخاصَّةُ .

قال عبد الرحمن : حدثنى تكينُ الخاصةُ عند اجتماعنا بمصر ، وقد جرى ذكرُ سوسنٍ وتجبُّره وعُتُوّه قال : فلما مضى إلى صافى بادَرْت كأنى معه ، ونزل فمددتُ يدى إلى مِنْطَقته [1] كأننى أتوكَّأ عليها ، فجذبتها ، وأخرجت سِكينا معى فقطعتها ، وحَصَلَتْ مع السيف فى يدى ، وسلبه الغلمان ما كان عليه ، ودفعناه حتى أدخلناه باب الميدان ، فعند ذلك بكى ، وحمل الخدمُ السلاحَ ، وَوُكِّل بداره ، واجتمع من كان خلفه وصار فى حَيِّزه من الغلمان ، فخرج إليهم [2] خادم وقال : مولانا يقول لكم : أنتم غلمانى وخاصَّتى ، وهذا عبدى ومملوكى ، وقد بلغنى عنه ما أريد مواقفته عليه ، وأنا لكم بحيث تُحِبّون . فَدَعَوْا وقالوا : الأمر لمولانا . وتفرقوا ولم يَعُدْ منهم قَوْلٌ بعد ذلك .

وقرر ابن الفرات فى نفس المقتدر باللّٰه دخولَ محمدِ بن عبدون وعلىِّ بن عيسى

---

(١) المنطقة : حزام يشد فى الوسط .　　(٢) فى الأصل : إليها .

مع سوسنٍ فيما كان عَمِل عليـه وَهَمَّ به . فأما محمد بن عبدون فإنه أُنفذ مَنْ حمله من الأهواز [١] إلى الحضرة . قال عبـد الرحمن : فحدَّثنى من سَمِع ابن الفرات يقول له : والله لأقتلنّك . وابن عبدون يقول : يكفى اللهُ ويعفو الوزيرُ . فقال : لا والله . ما فيها إلا التلف وحسبُنا اللهُ ونِعْم الوكيل . وحُبِس أياما يسيرة وأُخرج ميتاً وطُرِح فى مَشْرَعة السَّاج عند داره ، وَوُجِد عند غُسْله وقد أُكِلَ لحمُ ذراعيه فما طالت الأيام حتى أصابَ مَن ساعد ابنَ الفرات على أمره مثلُ ذلك . فأما أبو الحسن علىٌّ بن عيسى فـكَتَبَ بحمله إلى الـكوفة ، وأقام بها إلى وقت الموسم ، وخرج إلى مكة وقد وُكِّلَ به حبشىٌّ بن إسحاق السَّجانُ .

وحدث أبو على عبد الرحمن قال : وزر أبو الحسن بن الفرات ، وارتفاعُ ضَيعته وضيعةِ أخيه أبى العباس نحوُ مائتى ألفِ دينار ، وصُرِف بعـد أربعةٍ وعشرين شهرا . وقد بلغ ثمانمائةِ ألف دينارٍ وكَسْراً . وذلك بمـا استضافه واجتذبه من الأملاك والضِّياع . ووجدَ له أبو علىٍّ [٢] الخاقانى — عند تقلُّدِه بعده — فى الدواوين والودائع نحوَ ثلاثةِ آلاف ألفِ دينارٍ أكثرُها محمولٌ من بيت مال الخاصة — الذى بنى له [٣] المعتضد بالله ، وكان قلعة قد صب فى أُنقالها الرصاص . ومات وقد اجتمع فيه تسعةُ آلافِ ألفِ دينار وكسرٌ ، وكان نَذَر عند بلوغ ذلك عشرةَ آلافِ ألف دينارٍ أن يَتْرُك عن أهل البلاد ثُلُثَ الخراج فى سَنَة البلوغ ، وأضاف المـكتفى بالله إلى هذه الجملة فى أيام خلافته سبعةَ آلافِ ألفِ دينار حتى تـكامل المبلغ ستةَ عشرَ ألفَ ألفِ دينار وكسراً . ومات المـكتفى بالله ، وتفرَّق المـال

---

(١) فى الأصل : مال الأهواز .

(٢) أبو على الخاقانى هو محمد بن عبيد الله المترجم له فى هذا الـكتاب وتولى الوزارة سنة ٢٩٩ .

(٣) هكذا فى الأصل ولعلها: الذى بناه . أو الذى بنى للمعتضد .

وتمزّق . وقيل : إنه وُجِد فيما وُجِد من ودائع ابن الفرات ما هو بختوم أبي خراسان فرغان الخادمِ خازن المعتضد على بيت مال القلعة . وذلك أنّ الأمر فيما كان يحوّل إلى حضرة المقتدر بالله ويُخْرَج إلى مجلس العطاء زاد على الحدّ . وخرج عن الضّبط . قال عبد الرحمن : وقرأت توقيعاً لفاطمةَ القهرمانةَ خَرَج إلى ابن الفرات تقول فيه : أَمَرَ أميرُ المؤمنين بحملِ أربعين بَدْرَةً [١] عَيْناً من [٢] بيت مال الخاصّة إلى حضرته . وتوقيعَ ابنَ الفرات فى آخره بامتثال المرسوم فيه ، وكانت لهذا التوقيعِ نظائرُ كثيرةٌ ، وابنُ الفرات يحتال لنفسه فى أمثال ذلك ، حتى قيل إنه أخذ من بيت مال القلعة ألفَ ألفِ دينار . وأطلق منها لعبد الله بن جُبير مائة ألفِ دينار ، ولأصطفن بن يعقوب كاتبِ بيت مال الخاصة وخليفةِ دانيالَ بنِ عيسى [٣] كاتبِ مؤنس الخادم الملقّبِ بالمُظَفَّرِ مائةَ ألفِ دينار . قال عبد الرحمن فحدثنى أبو الحسن سعيد بن عمرون سنجلا أن رِزْقَ ابنِ جُبَيْرٍ لما كان يكتب وهو بين يدَىِ ابنِ الفرات فى مجلسٍ من مجالس ديوان الخراج خمسةٌ وعشرون دينارا . فلما تقلّد ابنُ الفرات الوزارة بلغ بهمائةَ دينارٍ وأن رزق يعقوبَ بن اصطفن [٤] كان فى أيام مؤنس وهو ينوب عن دانيال بن عيسى عشرةُ دنانيرَ . ثم بلغ أربعين دينارا فى وزارة ابنِ الفرات الثانية ، فظهر لهما من الحال ما قُدِّر فيها ألف ألفِ دينار .

وحكى عبد الرحمن بن هشام بن عبد الله الملقّب بأبى قيراط كاتبُ ابن الفرات على ديوان بيت المال أنه قال له فى بعض الأيام سِرّاً : قد وَقَفْتُ على أنّه قد اقتُطع من بيت مال الخاصة ألفُ ألفِ دينار . وحمّله ما حُوِّل منه . فَعلِم من قوله اطّلاعه

---

(١) البدرة : الكيس الموضوع فيه المال ويقدر بحوالى عشرة آلاف درهم وقد يكون قدرها ذهبا .

(٢) العين من معانيها الذهب المضروب أى المسكوك .

(٣) كتب المباس وسيأتى أنه عيسى وهو الأقرب . (٤) تقدم انه إصطفن بن يعقوب .

على القِصة ، وقال له : لن تَعْدَم نصيبَك يا أبا القاسم . وأوصل اليه فى أوقاتٍ مائةَ ألفِ دينارٍ عَظُمَتْ بها حالُه ، وابتاع منها ضِياعاً جليلةً بنواحى واسطَ ، حتى كَتَب إلى القاهر [١] بالله يَخْطُب وزارته فدفع رقعته إلى أبى العباس الخصيبى [٢] وسأله عنه ، فقال : هذا رجل جاهل أخذ من المال فى أيام ابن الفرات كذا وكذا ــ المبلغَ الذى ذكرناه ــ وأنا أستخرجه منه . وانصرف ووقَّع إليه : « قد رُسِمَ تقليدُك بعضَ الدواوين فاحْضُرْ . فقدَّر أنَّ رقعَته قد حرَّكتْ أمرَه ، و بادر فقَبَض عليه ، وأَخَذَ خَطَّه بمائة ألف دينار ، أدَّى بعضَها وكتَب على ضَيْعَته بباقيها ونفاه إلى الموصل .

وحدث أبو على عبد الرحمن قال : فلمَّا حصل أبو الحسن أخى بمكة خرجت للحج وتجديد العهد به ، ووصلت إليه واجتمعت معه ، وورد عليه كتابُ ابن الفرات بالإذن له فى الحج ، لأنه كان محبوسا فى داره ، ممنوعا من التصرف على إيثاره [٣] ، ووافى بعدَ أيامٍ أبو الحسن عبيدُ الله بنُ عيسى أخى فى الرفقة الأخيرة ، فسأله أخى عن شخوصه من مدينة السلام ووقته . فقال : خرجتُ فى آخر الناس لاحتباسى على لقاء ابنِ الفرات ووداعِه . فقال عبد الرحمن : فلما كان يوم الأربعاء لستٍّ خلوْنَ من ذى الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين مضيت إلى المسجد الحرام ارتفاعَ النهار ، وصلَّيْتُ وطُفْتُ وسعيت وعدتُ إلى المسجد ، وجلست عند باب السَّهْمِيِّين ، فوافانى خادمٌ لنا أسودُ شيخٌ يقال له مُقْبِلٌ غلامُ الجدَّةِ ، واستنهضنى فنهضت إلى جوار المسجد ، وقال لى : اعْلَمْ أن سيما الفلانىَّ من غلمان الحُجَر لقينى الساعةَ وهو صديقى وأعلمنى سِرًّا أنَّ ابنَ الفرات قد قُبِضَ عليه . فورد علىَّ من السرور مالم أتمالك نفسى ، و بادرتُ

(١) تولى الخلافة سنة ٣٢٠ وكان قد بويع يومين بالخلافة سنة ٣١٧ بعد خلع المقتدر أخيه ثم عاد المقتدر للخلافة

(٢) هو أحمد بن عبيد الله بن سليمان الخصيبى وزر للمقتدر سنة ٣١٣ كما وزر للقاهر ٣٢١

(٣) كذا بالاصل . ولعل معناها : أنه ممنوع من التصرف كما يشاء وعلى مايهوى

إلى أبى الحسن أخى ، وهو جالسٌ يُسَبِّحَ . فعرّفته ماعرّفنى . فقال : ويحك ، من أين له هذا ؟ قلت : قد أخبرتُك بما خبّرنى به ، وماعنده زيادةٌ عليه . فقال : امض إلى أبى الحسين أخيك وسلْه عمّا عنده . فمضيت إليه وحدثته . فقال : ماخلَق اللهُ لذلك أصلا وأنا آخرُ من وَدَّعه وهو جالسٌ للمظالم على أجَلِّ حالٍ وأنْفَذِ أمرٍ . فقال أبوالحسن أخى : فاقصِد ابنَ مُجاشعِ المُنفِقَ وسَلْه . ففعلت ، وكان قولُه وقولُ أبى الحسين واحداً . وأمسَكْنَا ، وشاع ذلك بمكة ، وكثرتْ به الأراجيفُ . فلا والله ما كان إلّا عند وصولنا إلى الحاجر راجعين حتى وافى مؤنسٌ الورقانيُّ صاحبُ السريّة ليلا لتلقِّى الحاجِّ . فقال : أبشروا يامعاشرَ الحاجِّ ، قد قُبِضَ على ابن الفرات ، واتفق أنْ كان قريباً منى ، والليل يَحْجُرُ(١) بينه و بين معرفتى ، فقلت له مبادراً : ومتى كان ذلك يا مبارك ؟ فقال : يومَ الأربعاء السادسَ من ذى الحجــة . فورَدَ علىّ من قولِه وموافقةِ اليومِ الذى سمعتُ فيه ما سمعْتُه ما عجبتُ منه واستطرفتهُ ، ووجدْتُ هذا الحديثَ مُشاكِلاً حديثَ الرشيدِ فى موته بِطُوسَ وانتشار خبره بمدينة السلام فى يومه . والحديثُ مأثورٌ مشهور .

وأُنْشِدْت لأبى الحسن ابن الفرات :

مُعَذِّبتى هلْ لِى إلى الوصْلِ حيــلةٌ   وهل لى إلى استعطافِ قَلْبكِ من وَجْهِ
فلا خــيرَ فى الدنيــا وأنتِ بخيلةٌ   ولا خير فى وصلٍ يــكون على كُرْه

وقال جعفر بن حفص : مضيت قاصدا حتى رأيت أبا العباس بن الفرات وأبا الحسن أخاه ينظران فى الأعمال ، فنظرت إلى حِفْظٍ لأمْرِ الدنيا لم أر مثله ، ولو رآهما من تقدّم من الـكتاب لعلموا أنهم لم يَرَوْا مِثْلَهما .

---

(١) يحجر : يمنع ولعلها أيضا يحجز وهى بمعنى يمنع ويفصل ويحول .

وذكر أبو عليٍّ الصوليُّ قال : خرجتُ يوما مع أبى العباس النوفلىِّ من دار أبى الحسن بن الفرات مع صلاةِ المغرب ، فخرج معنا فرَّاشان بشمعتين ، فلما نزلنا إلى السُّمَيْرِيَّةِ [١] دفعا الشمعتين إلى غلماننا ، فرددناهما وامتنعنا من أخذهما ، فقالا : قد أُمِرْنا بأن نَدْفَع إلى كُلِّ من يخرج من الدار عند اصفرار الشمس شمعةً . فقلنا : قد قبلناهما ووهبناهما لكما . فقالا : تريدان أن نُعاقَب ونُصْرَف ؟ وتركاهما ومضيا .

وحدث أبو الفضل بن الوارث قال : لمّا قُبِض على أبى الحسن بن الفرات فى وزارته الأولى نظرنا فإذا هو يُجْرِى على خمسةِ آلاف إنسان ما بين مائة دينار فى الشهر إلى خمسة دراهم ، ونصفَ قفيز دقيقا إلى عشرة أقفزة .

وحدث أبو العباس أحمد بن العباس النوفلى [٢] وكان جليسا لبنى الفرات قال : سمعت الوزير أبا الحسن قبل الوزارة يقول : ما رأيت أحداً قطّ فى دارى أو على بابى ليس لى عنده إحسان إلاّ كنت أشدَّ اهتماماً بإيصال ذلك إليه منه والاحتيال له .

وحُكِىَ أن أبا الحسن بن الفرات جلس يوما للمظالم فى سنة ثمانٍ وتسعين ومائتين . فتقدم إليه خَصْمان فى دَكاكين بالكَرْخ . وتأملهما فقال لأحدهما : أرفَعْتَ إلىّ قصة فى سنة اثنتين وثمانين فى هذه الدكاكين ؟ ثم رجع فقال له : سِنُّك تصغُر عن هذا . فقال : ذاك أبى . فقال : نعم ، قد كان رفع قِصَّةً فوقَّعْنا له فيها . ثم وَقَّعَ بإخراج رَفْعِ القِصص والتوقيعات فى سنة اثنتين وثمانين من الديوان . وقال للخصمين : كونا هاهنا . قال بعضُ من حضر المجلس : فلما خرجتُ

(١) السميرية نوع من السفن . (٢) الفخرى ٢٣٤ .

من عند الوزير أبي الحسن سمعتُ أحدهما يدعو له . فقلت له : ما شأنك ؟ قال : لما سمع خَصْمى بهذا فرَّ وعلم أن التوقيع كان بتسليم الدكاكين إلى أبى .

وقال الحسين الخادمُ المعروف بالمخلدى : سمعتُ خفيفاً السمرقنديَّ الحاجب يقول للمكتفى بالله : الخليفةُ الماضى لم يَسْتَغْنِ عن ابنَى الفرات ووزيرُه عبيدُ الله ابنُ سليمان ، كيف تستغنى أنت عنهما ووزيرك القاسمُ [1] ؟

قال القاضى أبو على التنوخى : أنشدنى أبو الحسين علىُّ بن هشام لنفسه لما قُتِل أبو الحسن بن الفرات :

فُرَاتٌ غاض من آل الفراتِ ... ففاض عليه دَمْعُ المكْرُماتِ
سماء غُودرتْ فى بَطْنِ أرضٍ ... وبحْرٌ غاض فى بَعْضِ الفَلاَةِ
عسى الأيَّامُ آخِـذةً بثأرٍ ... فتأخُـذَ لى بثأرِ المأْثُرَاتِ

وحدث القاضى أبو على قال : حدثنى أبو الحسين علىُّ بن هشام قال : سمعت أبا الحسن بنَ الفرات يتحدَّث فى مجلسه قال : كنَّا بعد وفاة أبينا وقبل تَصَرُّفنا مع السلطان نَقْدَم إلى بغداد من سُرَّ من رَأى فنقيمُ بها المدَّةَ بعد المدة ، ونتفرَّجُ ثم نعود ، وننزل ـ إذا وردْنَا ـ شارعَ عمرون بن مسعدة بالجانب الغربىِّ ، فبكَّرْنا يوماً نريد بستاناً ، فإذا بخالدٍ الكاتبِ [2] والصبيانُ يُولعون به ، وقد اختُلِط وهو يَرْجُم ويشتم ، ففرّقناهم عنه ، ومنعناهم منه ، ورفقْنا به ، وسألناه أن يَصحبنا وأنزلنا أحدَ غلماننا من مَرْكوبه وأركبناه ، وحملناه إلى البستان . فلما أكل وسكَنَ وجدناه مُتماسِكَ العقلِ ، بخلاف ما رأيناه عليه ، وظنناه به ، وسمعناه عنه ، فقلنا له :

---

(١) هو القاسم بن عبيد الله بن سليمان وزر للمعتضد والمكتفى وفوض إليه المكتفى جميع الأمور توفى سنة ٢٩١ ترجمته بالمنتظم ٤٦/٦ .

(٢) هو خالد بن يزيد الكاتب الشاعر له ترجمة فى طبقات الشعراء لابن المعتز والأغانى ٤٥/٢١ ومعجم الأدباء وفوات الوفيات وتاريخ بغداد ٣٠٨/٨ .

ما الذى يَلْحَقُك ؟ فقال : أ كثَرُ آفتى هؤلاء الصبيانُ فإنهم يَزِيدُون علىّ حتى أَعْدَم بقيّةَ عقلى وأصيرَ إلى ما شاهدتموه منى . وأخذ يُنْشِدُنا لنفسه ، ويُورِد الحسَنَ من شعره . وطاب لنا يومُنا معه . وأحبّ أخى أن يَمتحنه فى قولِ الشعر ، وهل هو على ما كان أم قد اخْتَلّ ، فقال له : أريدُ أن تعمَل شيئاً فى الفراقِ الساعةَ ، فأخذ الدواة وفكّر وقال :

عَيْنِى أ كُنْتُ عليكِ مُدّعِياً أم حين أَزْمَعَ بَيْنُهم خُنْتِ
إن كنتِ فيما قُلْتِ صادقةً فعلى فراقِهِمُ ألّا بِنْتِ

وحدّث محدِّثٌ عمّن حضر مجلسَ أبى الحسن بن الفرات فى يومٍ من أيام نَظَرِه أنّ نسوةً رفعْنَ إليه قِصّةً يشكون فيها رِقّةَ أحوالهن (١) ، وانتسبن إلى أنهن بناتُ ابنِ رستمٍ ،فقدّر أنه ابن رستمٍ كاتبٌ كان بسُرَّ من رأى ، ووقّع بأن يُجْرَى عليهن دقيقٌ ودراهمُ فى كلِّ شهر . فلما انصرَفْن قال له أحدُ الكُتّاب : ليس هؤلاء النسوةبناتِ ابنِ رُستمٍ الذى أشار الوزير إليه ، وإنما هُنّ بناتُ ابنِ رستمٍ الذى كان مع بُغَا الشّرابى . فقال : لِيَكُنّ مَنْ كُنّ فقد أخذن رِزْقَهُنّ ، وإن حَضَر أولئك أجرَيْنا لهنّ أيضاً وأحسَنّا إليهنّ .

وحدث أبو الحسين أحمد بن محمد بن ميمون قال : كنت بحضرة أبى الحسن ابن الفرات فى بعض العشايا ، فقَطّ الفرّاشُ الشمعةَ التى كانت بين يديه قطًّا استعجل فيه ، فسقط منها شَرارٌ قَرُبَ منه ، وخاف الفرّاشُ فمضى مُبادراً ، وتبعه خادم كان يَرْؤُسُ على حواشيه لِيُنْكِر عليه ويضرِبَه ، فصاح الوزيرُ به وقال له : عُدْ إلى مكانك ، أتُراه البائسَ تعمّدَنى بما فَعَل واعتقد أَنْ يَحْرِقَنى ؟ وإنما اتفق ما اتفق على سبيل الغَلَط .

---

(١) رقة أحوالهن : فقرهن .

وحدث أبو الحسين قال : عرض أبو أحمدَ المحسِّنُ على أبيه عَمَلاً من أعمال المغرب الذى كان يتولَّى ديوانَه ، وقد أخطأ المُحَرِّرُ له فكتب سنةَ ثلاثٍ وتسعينَ ومائتين ، وأراد سنةَ ثلاثٍ وثلاثمائة . فقال الوزير أبو الحسن : هذا غَلَطٌ وكان يجب أن يكون سنة ثلاث وثلاثمائة . فأظهر المحسنُ الغيظَ على الكاتب ، فقال له الوزير : « كأنِّى بك عند خروجك وقد استدعيتَه ووبَّخته وعنَّفْتَه . فبِحَيَاتى عليك إن فَعَلْتَ [1] وعامِلْ كُتَّابَك وأصحابَك بفضل الحِلْم وحُسْنِ العِشْرةِ ولُطْفِ القولِ فإن الناس لا يَخْلُون من السهو .

وكانت عادتُه جاريةً مع كُتَّابه إذا وقف لهم على خطأ فيما يعملونه أن يُواقِفَ صاحبَه عليه من غير إنكار ولا تَهْجين ، ثم يُسَلِّمَ العملَ إليه ليتولَّى إصلاحه ، وإن طعَنَ أحدُهم على صاحبه فى عمله أنكَرَ قولَه وَردّه وسَهَّلَ على المخطىء خطأه وأقام فيه عُذْرَه .

وحدث محدث أن أحمدَ بن أيوب صاحبَ خبره رَفَع إليه يَذْكُر أنه كان له فى وزارته الأولى سبعةُ دنانيرَ بِرَسْمِ النَّوْبة . فلما تقلَّد الخاقانىُّ [2] قطعها وجعلها لرجلٍ ــ أسْمَاه ــ وسألَهُ ردَّهَا عليه . فوقَّع على ظَهْرِ رُقعته : أمَّا إسقاطُ الرجلِ المُثْبَتِ فلا أراه ولا أستجيزُه ، ولكن اطْلُبْ رَسْمَ رجلٍ ساقطٍ بأكثرَ مِنْ هذا الرزقِ لأُوَقِّعَ لك به ، وقد بلغنى أنّ هذا البائسَ قد التزَمَ على ما أُثْبِتَ باسمه جُمْلَةً .

ثم وَقَّع لأحمدَ بن أيوب بمثل ما كان له .

وعُرِضَ عليه كتابٌ من صاحب ديوان الجيش أو صاحب الإعطاء يَذْكر فيه أنه قد تَوَفَّر من جارى جماعةٍ ــ من المشايخ والزَّمْنَى [3] ومَنْ يَجْرى أمرُه هذا

(١) يعنى بحياتى عليك لا تفعل

(٢) يريد به أبا على محمد بن عبيد الله بن يحيى الخاقانى

(٣) المشايخ هنا : الكبار فى السن . والزمنى : المرضى .

المَجْرى أُسْقطُوا ـ نَحْوُ خمسمائة دينار ، . فوقَّع على ظهره : إن كان هؤلاء أَسَنُّوا وأُصيبُوا فى طاعة السلطان وخِدْمَته فَلْيُمْضَ أَمْرُهُمْ ، أو كانوا بُدَلاَء ودخلاء أُقيموا مُقَام غيرهم فَلْيُصْدَقْ عن صُوَرِتهم .

ثم أتبع ذلك بأن قال : أَمْضِ أَمْرَ جماعَتِهم ، ولا تُسْقطْ أحداً منهم فإننى أكره أن أقطع معيشة إنسان .

وعمِل قومٌ من الكُتَّاب لأحمدَ بن العباس بن عيسى بن شيخ ـ وكان رجلا كبيراً مُغَفَّلاً ـ توقيعاً بتضمينه آمُدَ وجميعَ ما كان إلى عيسى بنِ شيخٍ [1] وتَقَلُّدَ . ونَقْلِ غلْمانه مَنْ بِرَسْمِ الأحرار إلى رَسْم المماليك ، وزيادته فى أرزاقِه وأرزاقِ مَنْ معه ، وضَمِّ جماعةٍ من الرجال إليه ، وصار الشيخُ إلى ديوان المغرب ، وَتَنجَّزَ الكُتُبَ وأُخْرِجَتْ له الخُرُوج ، وبينما هو فى ذلك شَكَّ أبو أحمد المحسِّنُ فى بعض ما عُرِضَ عليه ، واستَثْبَتَ أباه فيه ، فأنكره واستعظم الإقدام عليه بمثله ، وأمر بإحضار الشيخ . فلما حضر غلَّظ عليه فى القول وقال له : ما حملك على هذا القول ؟ . فقال : خِدْمَتُك وأَنْ أُظْهِر كفايتى عندك ، وأراك قد استكثرتَ لى هذا العملَ ، وهذا بلدٌ لم نَزَلْ نتولاَّه، وقد تقلَّده أخى وابنُ أخى وما أنا بدونهما . وأقبل يخاطبه مخاطبةَ المُحَاجِّ المُناظر لا الجانى المُحَاذر . فضحك منه عندما سَمِعه من قوله . وعلم أنه اسْتُغْفِل واحْتِيل عليه . فقال له : عَرِّفْنى مَنْ أخرجَ هذه التوقيعاتِ لك ، فأقرَّ على جماعة من الكُتَّاب ، أُحْضِر بعضُهم وحُبسوا أياما ثم أُطلقوا ، ولم يَعْرِض للشيخ ولا لَحِقَهُ منه مكروهٌ .

وحدَّث محدث أن بناتِ محمدِ بن سعيد الأزرق الأنبارىِّ الكاتبِ ـ الذى

---

(١) فى ابن الأثير حوادث ٢٦٩ والطبرى وفيها توفى عيسى بن الشيخ بن السليل الشيبانى وبيده أرمينية وديار بكر . وفى حوادث سنة ٢٥٦ أن عيسى بن الشيخ عزل عن الشام وولى أرمينية

كان يَتَقَلَّدُ أمْرَ الجيش وقُبض عليه مع أصحاب عبد الله بن المعتز ، ومات فى حبس مؤنس – رفعْنَ إلى أبى الحسن بن الفرات أن وكيلا كان لأبيهنَّ غلبهنَّ على ماله وأنكَرَهُنَّ إياه ، وابتاع عَقَارات ومُسْتَغَلَّاتٍ به . فنظر إليهن نَظَراً رقَّ فيه لهنَّ ، ودمعت عيناه عطفاً عليهن ورأفة بهن ، وتقدَّم بإحضار الوكيل . فلما حضر خاطَبه على ما ادَّعيْنَه عليه ، فأنكر أن يكون محمدُ بنُ سعيد خَلَّفَ فى يده مالًا ، وجَحدَ ذلك جَحْداً شديداً . وأمر الوزيرُ أحَدَ أصحابه بالمسألة عن حالِ الرجلِ وما كان يتصرف فيه قبل أن يصحَبَ محمدَ بنَ سعيد ، وماتصرَّف فيه بعده ، وإعلامَه ذلك على صِحَّةٍ . فامتثل صاحبه مارسمه له ، وعاد وعرَّفه أن هذا الوكيل ماتصرَّف قبْلَ محمد بن سعيد ولامَعَه ولابَعْدَه تصرُّفاً يقتضى كسْبَه الذى فى يده . فأعاد إحضاره ، ولم يزَلْ يُرَاوِضُه إلى أن اعترف عنده ببعض ما ادُّعِيَ عليه ، وأشْهَدَ لبنات محمد بن سعيدٍ بشىء من العَقَار الذى كان ابتاعه . فأحْيَاهُنَّ بما استخلصه لهنَّ ، وسترهنَّ بما أعاده إليهن .

وذكر أبو القاسم بن زنجى أن أبا الحسن بن الفرات خُوطب فى معنى[1] أسماء بنتِ عيسى أختِ أبى الحسن علىِّ بن عيسى وزوجه علىِّ بن محمد بن داود ، وعُرِّفَ رِقَّةَ حالها واختلالَ أمرِها ، فرد عليها الضَّيْعَةَ المقبوضةَ عن محمد بن داود بكُوثى ونهرِ درقيط ، وأجْرَى عليها خمسمائة درهم فى كلِّ شهرٍ من ماله . فلما تقلَّد أبو الحسن علىُّ بن عيسى أخوها منعها ذلك .

ووجدت ثَبْتاً بما كان أبو الحسن بن الفرات يخاطب به السيدةَ والأمراءَ وأولادَ الخلفاء والولاةَ والكبراءَ وأصحاب الأطرافِ وعُمَّال الأعمال وسائر الطبقات فى كتبه توقيعاً به إليهم أيّام وزارته الثالثة . وقد تغيرَت الرسومُ ووَهَتِ الأمورُ

---

(١) هى مصدر ميمى من عنى الأمر لفلان : حدث ونزل به أو من عناه : شغله وأهمه

ووقَعَ التَّسَمُّحُ منه فيما كان من قبلُ يُضايق فيه ، فأوردته مُتعجِّبا ومُعَجِّباً من التفاوت الشديد بين ما كان و بين ما نحن عليه الآن ، فإننا اليوم فى انخراقٍ قد زاد وأسْرَف، وتمادى وماوَقَفَ ، حتى أن الملوك ومن بَعْدَهم من الوزراء قد أَنِفُوا من ذِكرِهم بسيِّدِنا ، واستقَلُّوا خطابهم بمولانا ، فعدل الناس بأولئك إلى الحضرةِ الشريفة ، والحَضْرَةِ العاليَة والحضرة السامية ، و بالوزراء إلى مثل ذلك . ثم كَنَوْا عن الخلفاء بالموقف الأشرف المقدس ، وذكروه بالمقام الأطهر النَّبَوِىّ ، ونقلوا الملك إلى الأشرف والأعظم . وقالوا فى الدعاء : نوَّره الله ونصره الله : إلى ما بعد ذلك من المغالاة والمبالغة. وانتهت هذه الحال إلى أن شاركهم فيها الأكابرُ من أصحاب الأطراف ، ووقفوا بالوزارة على الحضرة السامية . ثم ألحقوا بها: المظفَّرةَ والمنصورة ، مع النسبة إلى الألقاب كالوَزِيرِيَّةِ والعَمِيدِيَّةِ والكماليَّة ، وماجرى هذا المَجْرى ، وداخلهم فى ذلك مَنْ يَتْلُوهم من خلفائهم ، وأصحابُ الجيوش وأمراءُ العربِ والأكراد .

واتَّسَع هذا الباب ، فدخل فيه كُلُّ من أراد من غير احتشام ولا ارتقاب . ولا أعرف معنى للموقِف ولا الحَضْرَةِ ، لأنه إشارة إلى غير شَخْص مُتَمَثِّل ، وعبارةٌ عن غير محسوس مُتَشَكِّل ، وما الذى يتعلَّق بالمخاطَب من ذلك ؟ أم أى موضع للدعاء إذا كان لِمَا لاحَظَّ له فيه ، ولا عائدةَ عليه منه ؟ ولقد استُخِير من هذا الأمر مالا جَمَال فيه ، ولا جلالة ولاعظم ولا فخامة . و إنما يُشَار إلى الحَضْرَة والمَوْقِف كما يشار إلى الباب الذى يَطْرُقُه الزُّوَّارُ والوُفود ، والمجلس الذى يكون فيه المُثُولُ والقُعُود ، والمقام الذى يكون فيه الحُضُور والوُقُوف . فأما الخُلَفَاء فذكرهم بالسَّادَةِ وأميرِ المؤمنين — التى لا يُشاركون فيها ، ولا يُجاذبون عليها — أولى وأعلى من هذه الفقاقيع التى لاتُفِيد معنى .

وأما الملوك والوزراء فذكرهم بالسيادة والملك والوزارة [وماهو] جارٍ ذلك المجرى

[كان أحرى] ولَخَلَصُوا من المشاركة الواقعة ، وحصلت لهم منزلة الانفراد بهذه السِّمَةِ الرائعة ، وإنما تَبِين الرُّتَبُ إذا تفاوتتْ ، وتظهر المنازل إذا تباينَتْ ، وأمّا أنْ يُبْتَدَرَ الرئيسُ [و] المرؤوسُ بحالة (١) واحدة ، ويُجْرَوْا فى طريقة جامعة ، فإن ذلك يَدْعو إلى التَّساوى وَيَخْلط الأَدْوَنَ بالعالى ، ولو أُعِيد الوقوفُ بالخلفاء على : سَيِّدِنا ومولانا أمير المؤمنين ، وأُفْرِد الملوكُ بمولانا الملك ، واقْتُصِر بالوزراء على : سَيِّدنا الوزير ، واتُّبِع فى ذلك ما كان معهوداً من قَبْلُ ، وَطُبِّقَ مَنْ بَعْدَهم على حُكْم منازلهم ، وقَدْر مواقعهم ، لكان التمييزُ موجوداً ، والاختلاط مفقوداً ، على (٢) أنه لم يكن يُعْرَف فيما مضى مولانا ، ولا مولاى ، ولاسيدى ، وإنما كان التكاتُبُ والتخاطب بالدعاء فقط .

ولقد بلغنى أن بعض خواصِّ المقتدرِ بالله ـ رحمة الله عليه ـ سأل أبا الحسن علىَّ بنَ عيسى زيادةَ أحدِ العُمَّالِ المتقدِّمين فى خطابه ، وكان يخاطبه : بأعزك الله . فامتنع عليه امتناعاً شديداً ، وعاوده حتى وعده . وكتب إلى الرجل : بأعزك الله . ـ ممدود مابين العين والزاى ـ فقال ألم يَعِدْنى الوزير بالزيادة ؟ قال : قد فعلت . قال : فى أى شىء ؟ قال : كنتُ أجمع بين العين والزاى . وقد مَدَدت بينهما مَدَّةً وهى الزيادة .

فكان القومُ على هذه الصورة من المناقشة لِيَبِين الترتيبُ فيها ويَلُوحَ التطبيقُ فى مجاريها .

فأما عصرنا هذا فقد اختلفت الرسومُ وانقلبت الأعيانُ فيه ، وقلَّت المراعاةُ لما كانت موكولة به ، وصارت ملوكُه المُدَبِّرُون للأمر يُخَاطِبُونَ وزراءَهم بمولاىَ الأجلِّ وزيرِ الوزراءِ أدام الله علوه .

---

(١) فى الأصل : حالة

(٢) فى الأصل : وعلى .

ومَنْ بَعدهم من أصحاب الجيوش وأمراء العربِ والأكراد ، وخلفاء الوزراء ومَنْ جرَى مجراهم بالأجلّ . على الكناية . ويجمعون فى الأجلِّ بين وجوهِ الكُتَّاب والأتراكِ والحواشى وحتى القضاةِ والشهودِ . فأما الألقابُ فقد خرجت عما يُحَاط به ويُوصف أو يَأْتِى عليه حَصْرٌ ، وصار لقبُ الأصغرِ أعْظَمَ من لقب الأكبر . ومن أُنمُوذَجِ هذا الإفراط والاختلاط أننى كنتُ أُشاهد الوزراء فى آخرِ أيامِ عَضُدِ الدولة [١] ، وأيَّامِ صمصام الدولة [٢] يذكرون عنهما بأبى فلانٍ فلانِ بنِ فلانٍ أدام الله عزه . وأراهم وأرى خُلفَاءهم وأصحاب الدواوين ونظراءهم وزعماء الجيوش ومَنْ يتلوهم من القواد وخواصِّ الناس من سائر الأصناف يَنْزِلون من دوابِّهم فى الباب العام من دار المملكة فى أماكن ما يَقْنَعُ اليوم بما كان الوزراء إذْ ذاكَ منها كاتِبُ طائفةٍ من الأتراكِ ، وكان البوابون يَدْعُون بدابَّة الوزير غلام الأستاذِ ، مُطْلَقاً بغير كُنْيَة . ومن بعدِه بالكنى الذين يُفَضّلون فى مراتبِ أربابها بإعلاء الصوت وخفضه . وبُعْدِ المَدَى وقُرْبه ، ويقتصرون فى الأقلِّ الأدنى على اللَّفْظِ المُدْغَمِ الذى لا يُرْفَع ولا يَكادُ يُسْمَع ، هذا فيمن يتميز أدنى تَميُّزٍ . فأما الجمهورُ الأكبرُ فلا يُفْعَلُ معهم ذلك ، وأوْسَطُ الكُتَّاب والحواشى يُدْعَى بدابتّه اليومَ بغُلاَم الرئيس الأجَلِّ ، والأجَلِّ مع اللقب إن كان ، مع غير تمييزٍ ولا ترتيبٍ . لا جرم أنَّ الرُّتَبَ قد نزلت لَمَّا تساوتْ ، وسقطتْ لما توازَتْ . ولم يَبْقَ لها طَلَاوةٌ يُشَارُ إليها ولا حلاوةٌ يُحَافَظُ عليها . حتى لقد بلغنى عن مولانا الخليفة القائم بأمر الله [٣] — أطال الله بقاءه — أنه قال : لم تَبْقَ رُتبة لمستحِقٍّ .

---

(١) عضد الدولة من ملوك البويهيين تولى الملك بعد وفاة أبيه ركن الدولة أبى على الحسين بن بويه سنة ٣٦٦ وتوفى سنة ٣٧٢ .

(٢) صمصام الدولة هو ابن عضد الدولة تولى الملك بعد موت أبيه ٣٧٢ وقتل صمصام الدولة فى ذى الحجة من سنة ٣٨٨ .

(٣) هو أبو جعفر عبدالله تولى الخلافة سنة ٤٢٢ بعد وفاة أبيه القادر بالله وتوفى سنة ٤٦٧ .

ومن أطرفِ طريفٍ أن السلطان ـ أطال الله بقاءه ـ يذكر القضاةَ والشهودَ بالأجلّ والجليل . وقاضي القضاةِ يُوَقِّع إليهم بما يقول فيه : أبو فلان فلانُ بنُ فلانٍ ـ أيده الله ـ يفعل كذا .

ومعلوم أن ذلك مما يتفاوت ويتباين ولا يتناسب ، وعهدى وأنا أُوَقِّع فى قِصص المتظلّمين فى أيام صمصام الدولة عن أبى إسحاق جدى فى ديوان الإنشاء إلى قضاة الحضرة الناظرين فيها : أبو فلان فلانُ بنُ فلانٍ القاضى أعزه الله، والقاضى مُؤَخَّر ، وربما تقدَّم لمن تَمَيَّز . وإلى قضاة النواحى : فلانُ بنُ فلانٍ الحاكمُ ، بغير كُنْيةٍ ولا دعاء ولا ذِكْرِ قَضَاء .

وأما المَنَاشِير فلم تَجْرِ العادةُ فيها بذكرِ أحدٍ بِكُنْيةٍ ولا دعاء . وقد فُعِل فى زماننا ذلك على الزيادةِ والتناهى . والعِلَّة فى ألَّا يُذْكَرَ الناسُ بالكُنْية والدعاء أنَّ ذِكْرَ السلطان يكون فيها بألقابه خاصَّةً من دون الدعاء ، فلا يجوز أن يقع التَّمَيُّزُ عنه . فظاهر قولنا : هذا كتابٌ من فلان لفلان ، إخبارٌ عن الكتاب ولذلك يُقال فى الكتب عن الخلفاء : من عبد الله أمير المؤمنين إلى فلان، إما بلقب وكنية ، وإما بكنية بغير لقب أو باسم دون الكنية واللقب . ولا يُدْعى للمكتوب عنه حتى إن استَتَمَّ التصديرَ اسْتَوْقَفَ[(١)] الدعاء بعد قولهم : أما بعد . فقيل : أما بعدُ، أطال الله بقاءك وأمتع بك . وما شاكل ذلك وما كان الأصلَ .

فما تغيَّر عن الرُّسوم الصحيحة واسْتَوْقَفَ من هذه الفقاقيع الطريفة إلا أبو الحسن علىُّ بنُ عبدالعزيز بن حاجب النعمان . فإن القادر بالله[(٢)] ـ صلوات الله عليه ـ منعه

(١) استوقف يبدو أنها استعمال يراد به بدأ وأنشأ .

(٢) تولى الخلافة سنة ٣٨١ وتوفى ٤٢٢ وعمره ست وثمانون سنة وعشرة أشهر .

بعد فخر الملك [١] أبي غالب من مخاطبة أحد من الوزراء بمولانا . فلما ورد أبو محمد ابن سهلان [٢] إلى بغداد كتب إليه : بسيدنا . فأنكر أبو محمد ذلك ، ورمى بالرقعة وقال : يزيدني وينْقصني عما كان يخاطب به أبا غالب ، لا أرضى بهذا ولا أقبله ولا أقرأ له رقعة به .

ومضت مدة فكتب إليه : بالحضرة العالية الوزيرية — على ما يُكْتب الآن — فاستنكر ذلك وقال : هذا فرار من : مولانا . ولا أقنع به . فقيل له : هذا أجلُّ وأعظمُ ، وأعلى وأفخم ، وما منعك من : مولانا . إلا لأن الخليفة حظر عليه خطابَ أحدٍ بمولانا سواه . فَقَبِلَ هذا القولَ وتصوَّر زيادةً به لا نقيصةً . فاقتفى الناسُ أثره فيه . ثم أخرج أبو الحسن في ذكر الخليفة : الحضرةَ المقدسة النبوية . اختراعا جعله قُرْبَةً فصار سُنَّةً ، وأشْرَكَ [٣] به : السُّدَّةَ النبويةَ . وَمَضَّى من هذا الفن ماخَرَقَ به العُرْفَ والعادةَ ، وأسقَطَ معه القوانينَ القديمةَ المعهودةَ ، وتجاوز هذه المنزلةَ إلى أن صارت كتابتُه عن الخليفة بالخدمة ، وَتَصَرَّف في ذلك حتى قال : قالت الخِدمةُ ، وفعلت الخدمةُ ، وسُئلت الخدمةُ . حتى رأيت بخط أبي الحسن بن أبي الشوارب القاضي في ترجمةِ رقعةٍ : خادمُ الخِدمَةِ الشريفةِ فلانُ بنُ فلان .

ومضى من يعرف الأصول ، ونشأ من لم يعرف ولم يسمع إلا بهذه الفروع ، فخالها الصحيحَ ، وتعدَّى الأمر من حال إلى حال ، في الباطل والانتقال ، حتى أفضى هذ إلى الاختلال والانحلال .

* * *

---

(١) ولي العراق لبهاء الدولة البويهي سنة ٤٠١ والوزارة له ثم من بعده لسلطان الدولة ثم قبض عليه سلطان الدولة وقتله سنة ٤٠٦ .

(٢) تولى الوزارة لسلطان الدولة البويهي سنة ٤٠٦ بعد قتل فخر الملك ثم ولي العراق لسلطان الدولة سنة ٤٠٩ ثم غضب عليه، انظر ابن الأثير حوادث ٤٠٩

(٣) في الأصل : اشترك

المخاطبات عن أبى الحسن بن الفرات

أولادُ المقتدر بالله : أطال الله بقاء الأمير . والدعاء عِدَّةُ سطور . والترجمة : عبدُه ، علىٌّ بن محمد ، بغير كنية .

السيدة أم المقتدر بالله : مثلُ ذلك .

الخالة : أطال الله بقاء الخالة .

والدعاء عدة سطور . والترجمة : للخالة أطال الله بقاءها . من علىٍّ بن محمد .

أولاد المعتضد بالله والمكتفى بالله : أطال الله بقاءك ياسيدى . والدعاء عدة سطور والترجمة : لأبى فلان ، بأجل دعاء ، من على بن محمد .

ثمل وزيدان القهرمانتان : أطال الله بقاءكِ . ويُتِمُّه بثلاثة سطور دعاء . والعنوان : لثمل أو لزيدان القهرمانة ، من أبى الحسن . ثم زاد زيدان خاصَّة : يا أختى.

نصر بن أحمد[١] صاحب خراسان، وثلاثة أسطر هى : أطال الله بقاءك ، وأدام عزك وتأييدك ، وسعادتك وكرامتك ، وسلامتك وعافيتك ، وأتم نعمته عليك ، وزاد فى إحسانه إليك ، وفضله لديك ، وجميل مواهبه عندك ، وجزيل قَسْمِه لك ، وجعلنى من كل سوء ومكروه فداك ، وقدمنى قبلك . والفصول : أدام الله عزك . وفى آخر الكتاب : فإن رأيت ... والعنوان : لأبى فلان ، أطال الله بقاءه وأدام عزه وتأييده وسعادته وسلامته ونعمته . من على بن محمد ـ بلا كنية ـ .

مؤنس المظفر[٢] : أطال الله بقاءك ، وأعزك وأكرمك ، وأتم نعمته وإحسانه

---

(١) هو نصر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد السامانى صاحب خراسان وما وراء النهر ولى بعد قتل أبيه سنة ٣٠١ وعمره ثمان سنوات وتوفى سنة ٣٣١ انظر ابن الأثير حوادث ٣٠١ .

(١) قتل سنة ٣٢١ قتله الخليفة القاهر بالله وقد كان من كبار القواد ولقب بالمظفر سنة ٣٠٩ لقبه الخليفة المقتدر وأنشأ بذلك الكتب عنه إلى أمراء النواحى ، انظر المنتظم ١٥٩/٦ حوادث سنة ٣٠٩ .

إليك . العنوان : لأبى الحسن أطال الله بقاءه ، من أبى الحسن .

أبو القاسم نصر الحاجب[1] وأبو القاسم يوسف[2] بن داود ابن أبى الساج لمّا جُمعت له أعمالُ أرمينية وأذربيجان والرى وقزوين وزنجان وأبهر .

أطال الله بقاءك ، وأدام عزّك ، وأكرمك ، وأتم نعمته عليك وأدامها لك . والعنوان : لأبى القاسم أدام الله عزه نصر الحاجب مولى أمير المؤمنين ، من أبى الحسن .

شفيع اللؤلؤى وشفيع المقتدرى و بشر الشرابى و بدر الحُرمى ومفلح الأسود[3] وهارون بن غريب الخال[4] وأحمد بن بدر العم ونازوك وياقوت[5] : أعزك الله وأطال بقاءك ، وأكرمك وأتم نعمته عليك . العنوان : لأبى فلان أعزه الله . من أبى الحسن .

فلان مولى أمير المومنين ، أمير الشام وأجنادها ، والمسمعى ، ومن يتقلد فارس وكرمان ، وصيف البكتمرى ـ وهو يتقلد جند قنّسرين والعواصم وأنطاكية ـ ونجح الطولونى . أمير أصبهان ، ومن يتقلد الموصل وقردى و بزبدى وديار ربيعة : أعزك الله ومدّ فى عمرك وأتمّ نعمته عليك و إحسانه إليك . العنوان : لأبى فلان أدام الله كرامته .

من يتقلد ديار ربيعة وديار مضر مفردا ، وأمراء الثغور الشامية ، والثغور الجزرية ، محمد بن أحمد بن بدر العم ، وأمير واسط ، محمد بن عبد الله الفارقى ، أمير البصرة ، وأحمد بن هلال صاحب عمان ، أمير همذان وماه البصرة وماه الكوفة والإيغارين ، غريب الجيلى ، وغريب الكبير ، وأبناء رائق وفريد إذا لم يكونوا ولاة :

---

(١) كان حاجباً للمقتدر توفى سنة ٣١٦ انظر المنتظم ٦/٢٢٠ .

(٢) انظر عنه ابن الأثير حوادث ٣٠٤ ومابعدها وقتل سنة ٣١٥ .

(٣) كل هؤلاء من الغلمان الذين صاروا قادة وأصحاب سلطان .

(٤) هو ابن خال الخليفة المقتدر وقتل سنة ٣٢٢

(٥) قتل سنة ٣٢٤ .

مدّ الله فى عمرك وأكرمك ، وأتمّ نعمته عليك وإحسانه إليك . العنوان : لأبى فلان أكرمه الله .

أمير الرحبة وهيت وعاملها ، وعمال المشرق ، وأمير ماسبذان ، ومهرجا تقذق ، أمير الطيب وقرقوب وجوخى ، المسمى صاحب أيذج والبنيان وواسط والزموم : أكرمك الله وأبقاك ، وأتمّ نعمته عليك ، وأدامها لك . العنوان : لأبى فلان أعزه الله .

عبد الله بن حمدان ، وجعفر بن ورقاء ، ومن يجرى مجراهما إذا لم يكونوا ولاة : مد الله فى عمرك ، وأتمّ نعمته عليك وإحسانه إليك . العنوان . لأبى فلان أدام الله كرامته .

ولباقى القواد : أكرمه الله .

صاحب اليمن والتيز ومُكران ، والمتقلد الكوفة وأعمالها : أكرمك الله ومدّ فى عمرك ، وأتم نعمته عليك وأدامها لك . العنوان : لأبى فلان أكرمه الله .

أبو أحمد الحسن ابن الوزير : أطال الله بقاءك . وتمام سطرين . العنوان : لأبى أحمد أطال الله بقاءه وأدام عزه وتأييده وسعادته .

وباقى الولد بمثل ما يدعى لمؤنس [1] إلا ابنَ دولة الأصغَر فإنه كان يكتب على العنوان : لأبى علىٍّ أبقاه الله طويلا فى عافية وسلامة .

وكذلك كان يكتب عبيد الله بن سليمان إلى القاسم ابنِه إلى أن استخلفه على الوزارة .

---

(١) لعلها محرفة عن الحسن لأن الكلام يدل على أنه يكتب لبقية أولاده مثله إلا ابن دولة الأصغر فإن خطابه كان مغايراً لإخوته .

أصحاب الدواوين

ثلاث طبقـــات

الطبقة الأولى : مثل شفيع المقتدرى وطبقته

الطبقة الثانية : مثل المسمعى وطبقتـــه

الطبقة الثالثة : مثل عامل ديار ربيعـــة

العمـــــال

عامل مصر مثل أميرها ، عامل الشام مثل أميرها ، عامل فارس مثل أميرها ، عامل أصفهان مثل أميرها ، عامل البصرة مثل أميرها ، عامل الثغور مثل أميرها ، عامل الأهواز إذا اجتمعت أعمالها مثل عامل فارس ، عامل الرى مثل عامل أصفهان.

فأما حامد بن العباس فكان يُجرَى فى الدعاء مُجْرى أمير الشام وعاملها ، إلى أن أرْفَق ابنَ الحوارى وأمَّ موسى القهرمانة وأصحابَ الدواوين مالًا جليلا فأُلْحِق بصاحب مصر ، ودعاؤه : أدام الله عزك وأطال بقاءك وأكرمك وأتم نعمته عليك وإحسانه إليك. العنوان: لأبى محمد أطال الله عزه حامدِ بنِ العباس . من أبى الحسن[(١)].

القضـــاة

أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول ، وأبو عمر محمد بن يوسف : أعزك الله وأكرمكَ ، وأتم نعمته عليك وأدامها لك . والعنوان : لأبى فلان أدام الله كرامتـه فلان بن فلانـ ، من أبى الحسن .

---

(١) فى الأصل لأبى محمد أطال الله عزه من أبى الحسن حامد بن العباس .

أبو محمد الحسن بن عبد الله بن أبى الشوارب ، وأبو عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملى : مدّ الله فى عمرك وأدام كرامتك ، وأتمّ نعمته عليك و إحسانه إليك . العنوان : لأبى فلان أدام الله كرامته فلان بن فلان . من أبى الحسن .

أبو عبد الله بن أبى موسى وأبو الحسين عمر بن الحسن الأشنانى — و إليهما إذ ذاك القضاء فى نواحٍ جليلةٍ وهما مقيمان بالحضرة — وأبو طالب بن البهلول قاضى مصر إذا كان واحداً ، والقاضى بفارس ، والقاضى بالأهواز إذا اجتمعت له أعمالها ، والقاضى بأصبهان والقاضى بالرى : مد الله فى عمرك وأكرمك وأتم نعمته عليك وأدامها لك . العنوان : لأبى فلان، أكرمه الله فلان بن فلان . من أبى الحسن .

قاضى الجبل سوى الرىّ وقاضى مهرجا نقذق وماسبذان وقاضى واسط ومن يَجرى مجراهم : أكرمك الله وأبقاك وأتم نعمته عليك وأدامها لك . العنوان : لأبى فلان أبقاه الله فلان بن فلان .

فأما قضاة طساسيج السواد إذا فرقت طسُّوجاً طسُّوجاً : حفظك الله وأبقاك وأمتع بك . والعنوان : لأبى فلان حفظه الله . ومن الجانب الآخر : فلان بن فلان .

أصحابُ المظالم والحِسْبَةِ وأسواقِ الرقيق والعِيارِ والمواريث على طبقتين . الطبقة الأولى : من يتولى مصر والأهواز أو فارس أو الرى وأعمالها وأصبهان ، وخطابهم : أكرمك الله وأبقاك ، وأتم نعمته عليك وأدامها لك . والعنوان : لأبى فلان ، أبقاه الله فلان بن فلان من أبى الحسن .

الطبقة الثانية : باقى المحتَسِبة والمطالِبين : حفظك الله تعالى وأمتع بك .

عامل طساسيج السواد ، وعامل المستغلاّت بالحضرة ، وعامل الجوالى بها ، وعامل سوق الغنم ، وعامل دار البطيخ والقطن : مثلُ المحتسبة، إلا ابنَ بطحا مُحْتَسِبَ الحضرةِ وسوقِ الرقيق خاصّةً فإنه يُجْرَى مُجْرَى الطبقة الأولى :

الذُّرَّاع (١) والمهندسون – إذا اجتمع لواحد منهم أعمالٌ كثيرة – فخطابهم : حفظك الله وأبقاك ، وأمتع بك . وإذا كانوا ذا عمل واحد : حفظك الله وعافاك . والعنوان : لأبى فلان أكرمه الله . ويُبيِّضُ الجانِبَ الآخرَ .

المستحثون ؛ يُدْعى لهم مثلَ ما يُدْعى لِلذَّرَّاع (٢) الجليل .

التجار المبتاعون للغلاّت : عافانا الله وإياك من السوء . والعنوان : إلى فلان ابن فلان ، بغير كنية .

المنفقون فى الإعطاء – إذا جُمعت للواحد منهم أعمال مصر أو أعمال الشام كلها أو الأهواز أو فارس أو الرى أو الجبل أو أصفهان – فخطابهم : أكرمك الله وأبقاك ، وأتم نعمته عليك وأدامها لك . والعنوان : لأبى فلان أبقاه الله فلان بن فلان . من أبى الحسن .

وإذا كان إليهم ما دون ذلك : فأبقاك الله وحفظك وأتم نعمته عليك . والعنوان : لأبى فلان حفظه الله ، فلان بن فلان ، من الجانب الآخر (٣) .

يوسف بن فنحاس ، وهارون بن عمران وزكريا بن يوحنا وجهابذة الحضرة ، يوقع إليهم توقيع : أبقاك الله . وعلى رأسه : أبو فلان فلان بن فلان أبقاه الله .

صاحب ديوان البريد والخرائط، مثل الطبقة الثالثة من كتاب الدواوين ، وإذا تقلد البريدَ على الوزيرِ وأصحابِ الدواوين قائدٌ أو خادمٌ ، وانفرد بذلك دون غيره مما هو أجلُّ منه ، كُوتب : أعزك الله وأطال بقاءك وأكرمك، وأتم نعمته عليك وإحسانه إليك .

---

(١) الذراع جمع ذارع وهو الذى يذرع أى يقيس .
(٢) فى الأصل : الذراع .
(٣) أى يكون فلان بن فلان من الجانب الآخر .

فأما أبو مروان عبد الملك بن محمد بن عبد الملك الزيّات الخرائطى فكان يتولّى ديوانَ الخرائط المسمى ديوانَ البريد وحدَه ثلاثين سنة ، وكان يكاتب : مد الله فى عمرك ، وأكرمك ، وأتم نعمته عليك ، وأدامهالك.

أصحاب البُرُدِ وسائر النواحى

الطبقة الأولى ممن يتقلد الأعمال الجليلة : أكرمك الله ، ومدفى عمرك ، وأتم نعمته عليك وأدامها لك . والعنوان : لأبى فلان فلان بن فلان ، أكرمه الله ، من أبى الحسن .

والطبقة الثانية منهم : أكرمك الله وأبقاك ، وأتم نعمته عليك وأدامها لك .

والطبقة الثالثة : حفظك الله وأبقاك وأمتع بك .

وعلى مثل ذلك يُكاتَبُ أصحابُ الخرائط فى النواحى .

وأصحابُ الوزير الذين من قِبَلِه : أبقاك الله .

وحدث أبوعلى بن هبنتى القُنَّائى قال . كان بشر بن علىٍّ كاتبُ حامدٍ صديقاً لى ولأبى يعقوبَ أخى . فلما تقلد أبو الحسن بن الفرات الوزارة فى الدفعة الثالثة ، واسْتَعَرَتِ الدنيا ناراً بِشَرِّ ابنه المحسن ، وتَسَلُّطِهِ وتَبَسُّطِه ، طلب بشراً وأبا محمد بن عينونةفى جملة من طلبه ، وتتبعَّه وكبس عليه[1] واستقصى فى أمره . فأما بشرٌ فإنه أخذ لنفسه عند القبض على حامدٍ صاحبِه بأن استَتَر وأخفى نفسه [و] شخصه . وأما ابن عينونة فإنه حصل عنـدى حُصُولا لم أُعْلِم أخى به خوفاً من أن يُحَلَّفَ فيَدُلَّ عليه . واتفق أن كتب أخى إلى بشر رُقعةً ضمَّـنَها كلَّ إرجافٍ وفُضول وما اطَّلع

---

(١) كبس عليه أى هاجم المنازل بحثاً عنه .

عليه من تَقَرُّرِ الأمر لأبى القاسم الخاقانى وقُرب تقلُّدِه إياه ، وأنه قد أحكم له مايُرِيد منه . وأجابه بشر فى تضاعيفها بما شا كل الابتداء من غير تحفُّظٍ ولا تحرُّز ، فاختلطت الرُّقْعَة بين يَدَىْ أخى بمكاتباتٍ وحُسباناتِ ضَيْعَتِه وغير ذلك مما لا فِكْرَ فيه .

وكتب أبو أحمد عبيد الله بن محمد أخو أبى إبراهيم موسى بنِ محمد — وكان يتولى نَصِيبين — إلى المحسّن بما قال فيه : إن أردت ابنَ عينونة وعبدَ الرحمن بن عيسى ابن داود فهما عند ابن القُنَّائى . فما شعر أبى وأخى فى يوم الأحد النحس إلا بمريبٍ خادمِ المحسن قد كبسهما فى جماعةٍ من الرَّجَّالة ، وفتش جميع الدور والحجر والبيوت ، ولم يُبْقِ غايةً إلا بلغها فى الاستقصاء والاحتياط . فلما لم ير أحداً عدل إلى ما كان بين أيديهما من رِقاع وحساب ، فجمعه وحمله إلى المحسن ، وفى جملته رقعةُ بشرٍ المشتملةُ على العجائب . ورأى أخى ذلك ، فمات فى جلده ، ولم يَقْصِد دارى أحدٌ اكتفاء بما جرى على دار أبى وأخى ، وعَلِم ابنُ عينونة ، وكان فى الوقت سكرانَ لافَضْلَ فيه لحركة .

فحدثنى أبو منصور فرخانشاه صِهْرُنا قال : كان خبرُ الرقعة عندى ، وقد علمتُ أنها حَصَلَتْ فى جُملة ماأخذه مُريبٌ من الرقاع التى بين يدى أبى يعقوب . فأنا على مِثْلِ النار للإشفاق عليه منها ، ولم أزل أمشى خلف مُرِيبٍ وهو متأبِّطٌ لِماَ أخذه إذ انسلَّت الرقعةُ بعينها بتفضل الله جل وعز من بين سائر الكتب والرقاع ، وسقطت إلى الأرض ولم يشعر مُريبٌ بها ، وأخذتها أنا وبادرت إلى مُسْتراحٍ وطرحتها فيه ، وهدأت نفسى عند ذلك . قال أبو على بن هبنتى : ومضى أبى وأخى مع مريب إلى المحسن ، ووقفَ على الكُتب والرِّقاع وقرأها ، فما وجد شيئاً أنكَره وخاطبَهما بالجميل والاعتذار ، وعرَّفهما السبب الذى من أجله أنفذ إليهما . وكتب

الوزير أبو الحسن أبوه يُنكر عليه ما فعل ، وانصرفا مكرّمين ، وزالت البليّة المَخُوفة بانسلال تلك الرقعة من بين الرقاع المأخوذة ، ولله الحمد والمنة .

وحدث أبو عليّ قال : خرج إليّ في يوم من أيام وزارة أبي الحسن عليّ بن الفرات الأخيرة ـ وقد ابتدأ الحسنُ ابنُه في مصادرة الناس وقتلِهم ، وقتلَ أحمدَ بن حماد الموصلي وغيرَه ـ سعيدٌ وعبدُ الله ابنا الفرخان ، وأنا في ديوانهما ، فقالا لي : كنا الساعةَ مع الوزير في أمرٍ طريف . قلت : فما هو ؟ قالا : قال لنا : عَمِل أبو مَعْشَرٍ [١] مَوْلدي ، وحكم فيه بأشياء عظيمة صحّت كلُّها وقال : إنّ عَلَيَّ في سنةِ سبعين من عمري نكبةً عظيمة يكون سببُها بعضُ وَلَدي وأنا في السبعين . وقد دخل هذا الفتى ـ أعني الحسنَ وَلَدَه ـ من مكاره الناس فيما نسألُ اللهَ السلامةَ من عاقبته . قلت لهما : فأيّ شيء قلتما له ؟ قالا : ماقلنا له شيئاً . قلت : قد غششتماه ، فإنه كان يجب أن تُشيرا عليه بقبْضِ يدِه وصَرْفه ، وأن يَسْتَعْمِل من الخير ما يُقرِّبه إلى الله وإلى الناس . قالا : لم نَجْسُر على أن نُواجهه بهذا الرأي ، ولكنّ أباك مُتمكِّن منه ، فقل له حتى يُشيرَ عليه به . فقلت : أبي لا يُنْكَبُ بنكبته ، وأنتما أولى بالإشفاق عليه ، وعلى نفوسكما . قال أبو علي : وكنت قد حصّلْتُ طالعَ وقتِ نَظَرِه ومولدِ الحسنِ ابنِه . فجعلت أنظر فيهما وأسير الكواكب منهما حتى عرفت من ذلك يومَ نكبته ، وصرت إلى أبي بشرِ بن فرجويه قبل ذلك بخمسة عشر يوما فذكرتُه له ونبهته عليه ، وحذرته من أن يقع كما وقع في الدفعة الوسطى . فقال لي : ما أصنع وأنا منوط بهذه الأعمال التي تَرَى . وبماذا أحتجّ على صاحبي ؟ قلت : تعالَلْ وتأخَّرْ . قال : لا يتم لي ذلك إلّا بأمره . قلت : فاللهَ اللهَ أن تحكيَ له مما عرّفْتُك إياه شيئاً ؛ فإنه يقْبُح مواجهتُه به . ولكن اذْكُرْ ما عليه الناس من

---

(١) هو الفلكي المشهور جعفر بن محمد الذي تنسب إليه الطوالع مات سنة ٢٧٢ انظر ابن خلكان .

الإرجاف ، وما يُتَحَدَّثُ به من كَوْنِ [1] الاختلاط ، وما جرى عليك حين أخذْتَ من المكروه الغليظ فى جسمك ، وأنك تخاف أن يَلْحقك مثلُه فتتلَفَ وتستأذنه فى التعالُلِ والتأخُّر . فإنى ألازم الديوان مع خليفتك أبى محمد المادرائى ولا أُفارقه حتى يقضِىَ الله بما هو قاض . قال : نعم .

واجتمعنا من غدٍ فخلا معى وقال لى : جاريتُ الوزير ما جرى بيننا على جهته فقال لى : من قال لك هذا ؟ فإنه قد صدق فيه وأصاب ، ونصح لك فى الرأى ، لأن أبا معشر حكم فى مولدى بنكبة مَرِّيخيَّة فى سنة سبعين ، وهـذه سنةُ سبعين ، وقد بقى من الأيام إلى الوقت الذى قاله أبو معشر كذا وكذا يوما . قلت : فلان . قال : قد سَرَّنى أن كان فى هذه المنزلة من الصِّنَاعة ، فاقْبل ما أشار به ولا تخالِفْه ، فأنا ماضٍ الآن لأستتر ، فالزم أنت الديوان ولا تُخِلَّ به ، ومن سألك عنى عرِّفْه أننى عليل حتى ننظر ما يكون . قلت : اسْتَخِرِ الله .

ثم مضى واستتر أياما ، ثم لم أشعر به إلا وقد حضر الديوانَ ، فسألته عن سبب حضوره مع قرب المُدَّة . قال : أرجو ألَّا يكون لما حكمت به وحذَّرتَ منه أصلٌ ، ومتى تطاول انقطاعى عن صاحبى لم آمن فساده علىّ

فما مضت ـ شهد اللهُ ـ خمسةُ أيامٍ حتى قُبِض على ابن الفرات ، وكان تقديرى له أن ينكب فى يوم الاثنين ، فنكب فى يوم الثلاثاء بعـد يوم التقدير ، وحصل فى الحبس ، وأفلتَ أبو بشر . فحدثنى الموكَّل ـ كان ـ بابن الفرات قال : مكث أيَّاما كاسِفَ البال شديد الإشفاق ، حتى إذا كان يوم ضُرِبَتْ فيه عنقه جَزِع جزعا شديدا وقال لى : ويحَك ، جاء الوزير اليوم ؟ قلت : لا . قال : أرجو الله وأتوكل عليه . فسألته عن قصته . قال : قد حكم لى أبو معشر فى مولدى أننى متى سلمتُ

(١) كون هنا مصدر لـكان التامة أى من وجود الاختلاط .

فى هذا اليوم انحسرَتِ المحنةُ عنى ، وزالت المخافةُ عَلَىّ ، وتجدّدَتْ لى حالٌ جميلة ، فأنا قلقٌ إلى أن يتَصَرَّم النهار . فما زال على هذه الصورة حتى سَمِع الحركةَ وأصواتَ الرجالِ والغلمان . فقال لى . ما الخبر ؟ قلت . الأمير نازوك قد حضر . قال : إنَّا لله و إنا إليه راجعون ! ذهبتُ (١) والله . ولم يكن بأسرع من أن دَخَل عليه فضَربَتْ عُنقَه .

وحدث أبو القاسم بن زنجى قال : تَظَلَّم إلى ابن الفرات فى وزارته رجلٌ من أهل السواد من بعض العُمَّال . وذكر أنَّ ضيعته قطيعة (٢) ، ورَسْمُها قديم ، وأنه قد عُومل فيها على معاملة الإستان (٣) ، وسأل إنصافَهُ و إزالة الظلم عنه ، وحمْلَه على رَسْمِه ، وكتبَ إليه رقعة فى هذا المعنى ، فوقَّع عليها بإخراج الحال (٤) . فأُخرج من ديوان السواد خَرْجٌ حُكِىَ فيه : أنه رُجِعَ إلى جماعة (٥) العامل للسنة الماضية فوُجِد فى التخريج : قَدْ أُجْرِىَ فيها البَيْدَرُ الذى تَظَلَّمَ لأجله على معاملة الإستان (٦) .

فلما عُرِض ذلك على أبى الحسن عَرَّفَه وُجوبَ الحُجَّةِ عليه ، وأن العامِل لم يَتَحَيَّفْهُ فيما فعله .

وأقامَ على الظُّلامة ، وأنَّ غَلَّته لم تُقْسَم فى السنة الماضية إلَّا على مُقَاسَمة

---

(١) قد تكون محرفة أيضا عن : دهيت .
(٢) قطيعة : منحة وهبت له .
(٣) أى معاملة أهل الإقليم أو الضريبة المختصة بأهل الإقليم .
(٤) يعنى إخراج الملف الخاص بها ومعرفة ضرائبها .
(٥) الجاعة لعله يراد بها هنا : الكشوف .
(٦) أى وجد أنها قد عوملت للمعاملة المختصة بأهل الإقليم ، من العام السابق .

القطائع [1] . وكان يُكثر من الحضور فى أيام جلوسه للمظالم ، ويُعاود التظلّم ، ويقف له فى الطريق ، ويسأله تأمّلَ أمرِه والتقرُّبَ إلى الله تعالى بإنصافه . فلما ألحّ وألحفَ تقدم إلى أحمد بن يزيدَ المديرِ بأن يُحْضِرَه جماعَةَ [2] العامل لينظُرَ فيها بنفسه . فأحضره إياها ، وتأمّلها وتتبّعها ، وحسَبَ مبلغ ما يجىء من الغَلّة فى سائر أعمال الناحية على أن تلك الغلة جارية فى معاملة الاستان — ومبلغَ ما يجب فيها على رسم القطائع [3] ، ووجد الحيلة قد وقعت من بعض أعداء أصحاب الضَّيْعَة فى حكِّ مَوْضع رَسمها فى القطائع وإثباته فى الإستان [4] . فاستدعى صاحِبها وأعلمه بالصورة ، وأن الذى أراد الإساءة به وإفسادَ معاملته لم يُحْسِن التَّأَتِّى [5] لذلك ، لأنه اقتصر على إصلاح موضع قِسمة الغَلّة دون تَتَبُّع مواضع الحَمْل ، وأن رَسْمَه صحيح لاشُبهة فيه . فشكره ودعا له ، وسأله الـكِتابَ إلى العامل بإجرائه على رسمه فى القطائع . فتقدَّمَ به . ثم عرفه أنه يتَخَوَّفُ أن يُثْبِتَ فى ديوان الناحيـة ماحُمِـل من غلّتها على غـير الرسم الصحيح ، وسأله التوقيعَ بإطلاقه له وردِّه عليه . فوقّع له بذلك ، وكان الرجل يدعو لابن الفرات ويقول : أىّ وزير يتفرغ لى حتى يتتبـع جُمَـل الجماعة [6] من أولها إلى آخرها ، ويُحَصِّل ارتفاعَ الناحية بأسرها حتى يظهرَ له موضعُ الحيلة علىَّ ؟

وكان عُبيد الله بن الحسن النرسى رفع جَمَاعَتَه لأعمال السِّيب الأعلى لسنة اثنتين

---

(١) يعنى أنه أصر على أن خراجه فى العام السابق لم يكن إلا على نظام ضرائب الأرض المقطعة وليس كما قيل من أنه عومل معاملة أهل الإقليم .

(٢) جماعة العامل يريد بها كشوف العامل .

(٣) يعنى أنه حسبها على فرض ضريبتها باعتبار معاملتها كمعاملة أهل الإقليم وحسبها على فرض ضريبتها باعتبارها أنها إقطاع .

(٤) المراد أنه تبين له أنها كشطت من موضعها الذى كانت فيه وأثبتت فى الحساب الآخر الذى هو معاملة أهل الإقليم .

(٥) التأتى : الحيلة والقصد لها

(٦) لعله يراد بجمل الجماعة : كل الـكشوف .

وثمانين ومائتين إلى ديوان الخراج ، فنظر فيها أحمدُ بنُ محمدٍ الهرجُ الكاتبُ ، وعمل لها مُعاملةَ تحصيل ، فوجد بقايا المعاملةِ شديدةَ الاضطرابِ ، فقابل بها الجماعةَ ولم يجد فيها خَطَأً ، فقال : لابد أن يكون لهذا الاضطراب سببٌ ، وتتبّعَ مواضع الجُمَلِ التي تقتضيها معاملةُ التحصيل ، فكان قد عَقَد جُمْلةَ النفقات في المعاملة بألوف دنانير[١] ، وأرّجَ[٢] النفقاتِ التي عَقَد منها تلك الجُملة ، فعجزت ألفا وثلاثمائة دينار . وأخرج البابَ إلى أبي الحسن عليّ بن محمد بن الفرات ، وكانت إليه خلافةُ أبي العباس أحمدَ بن محمدٍ أخيه على ديوان الخراج ، فأحضرَ أحمدَ بنَ إبراهيم ابنِ أفلح العكبريَّ كاتبَ النرسي ، ووقفه على ذلك ، فلم تكن له حُجَّةٌ فيه ، وعرفه النرسيُّ ماجرى ، فلامَ كاتبه وقال له : لابُدَّ من أن تقف على دُسْتُورِ الجماعة وأقابلك عليه . وكان النرسيُّ عاملاً كاتباً فَهِماً بالحساب ، وتقابلا ، فوجد النرسيُّ أحمدَ ابنَ إبراهيم كاتبَه قد أغفل عند التحرير الاحتسابَ بألفٍ وثلاثمائة دينار انصرفتْ في النفقة على بَثْقٍ[٣] بالسّيب الأعلى . فصار إلى أبي الحسن بن الفرات وَوَقَفه على موضع السَّهْوِ من الكاتبِ ، وأعطاه رفع الداريج[٤] بالنفقة ، فلم يقبل أبو الحسن ذلك منه . ثم استظهر[٥] بالرجوع إلى مارفع من هذه الجملة إلى مجالس الأصل والجماعة والسودان ، فكانت النسخة واحدةً ، وقد أُغْفِل إيراد هذه النفقة في كل منها ، فألزمه المالَ كَمَلًا[٦] ، ولم يلتفت إلى ما أحضره إياه من رفع الداريج . وهذا حقٌّ في حكم الكتابة لايُدْفَع .

---

(١) أي استظهر واستخلص جلة المعاملة فوجدها ألوف دنانير .
(٢) أرج يراد بها وازن النفقات بما استخلصه فوجد عجزاً قدره ألف وثلاثمائة دينار .
(٣) البثق : الشق في جسر النهر ليفيض منه الماء .
(٤) لعله يراد به أنه أعطاه البيان الذي أدرجت فيه نفقة البثق أو أن الداريج هو المتتبع والمراجع للأعمال ورفع الداريج يراد به تقريره الذي رفعه .
(٥) استظهر : استعان . (٦) كملا : كاملا أو كله .

وكان أبو الحسن عليّ بن أحمد بن يحيى بن أبى البغل كتب إلى الوزير أبى أحمد العبّاس بن الحسن — وهو يتولى له أعمال البصرة — كتاباً عدّدَ فيه آثاره ، وذكر أنه قد عَقَد صدقاتِ أراضى العرب بالبصرة لسنةِ ثلاثٍ وتسعين ومائتين بمائة ألفٍ وعشرة آلاف دينار ، وأن غيره عقد ذلك لسنةِ اثنتين وتسعين ومائتين ستّةً وتسعين ألف دينار . وأخرج الكتاب إلى ديوان الخراج ، فنظر بعضُ كُتّاب المجالس فيه ، ورجع إلى مواقفه أبى الحسن بن أبى البغل لسنة اثنتين وتسعين ومائتين ، فوجدها مرفوعة لعشرة أشهرٍ من هذه السنة ، وقد أورد فيها من مال الصدقات نَيِّفاً وثمانين ألف دينار . ثم كَتَبَ بعد ذلك بما ارتفع إلى وقت انقطاع العرب ، فكان تَتِمّةَ تسعينَ ألفَ دينارٍ ونَيِّفٍ . ونظر فى جماعته لسنة اثنتين وتسعين ومائتين ، فكان ماعَقَده من ارتفاع مالِ الصدقة فى أرض العرب مثلَ ذلك ، واتفق ما أوجبَتْه المواقفةُ وتضمّنَتْه الكتبُ الواردة . وأخرج فى ذلك خَرْجاً إلى ابن الفرات. وكان ابن الفرات يقصد ابن أبى البغل ، ويَتَتَبّعُ عثراتِه ، ويُبدى مساوِيَه ، لميله — كان — إلى أبى الحسن عليِّ بن عيسى وعمّة أبى عبد الله محمد بن داود ، ومحمدِ بن عبدون ، وانحرافِه عن ابنَيِ الفرات .

فلما وقف أبو الحسن بنُ الفرات على ما أخرجه الكاتب . دعا بالجماعة والكُتّاب ، وقابل على ما ذُكر فى الباب ، فوجده صحيحاً لا شُبهة فيه . والتمس من ابنِ عمر خازنِ الديوان كتابَ ابنِ أبى البغل بالتقدير لسنةِ ثلاثٍ وتسعين ومائتين وكُلَّ كتاب له يتضمن التقدير . فحَمَل إليه ثلاثةَ كتب فى ذلك قد أورد فيها آثاره ، وزيادةَ تقديرِ مال الصدقة لسنةِ ثلاثٍ وتسعين ومائتين على عبرتها[1] لسنة اثنتين وتسعين ومائتين . فلما قرأ ابنُ الفرات الكتب أمره بتحرير الخراج وإنفاذه إلى

(١) لعلها يراد بها على مقدار حسابها .

الوزير أبي أحمد . فلما قرأه الوزير أمر بمطالبة ابن أبي البغل بالمال ، وكتب إليه فيه كتابا طويلا عُمِلَ في الديوان ، فأجاب عنه بأن الارتفاع ـ الذي ذكره في كتبه الوزيرُ بالتقدير ، ونسبه إلى العبرة لسنة اثنتين وتسعين ومائتين في الصدقة بأراضي العرب بالبصرة ـ هو مع ارتفاع الشعيبي والولدى ، وأن الكاتب غلط في النقل ونسب جميع المال إلى الصدقة ، وأنه إذا تُؤُمِّل ارتفاعُ الشعيبي والولدى وُجِد ستةَ آلاف دينارٍ وهو قَدْرُ الخِلَافِ .

وكتب إلى أصحابه المائلين إليه بِنُسْخَةِ جوابه ليعرفوا الصورة فيه ويعارضوا ابنَ الفرات في مجلس الوزير أبي أحمد بما أورده من حُجَّته . وكان الوزيرُ أبو أحمد أيضاً على عنايةٍ بابن أبي البغل شديدةٍ . فلما وقَفَ على الكتاب خاطب ابنَ الفرات في ذلك بحضرة الكُتَّاب فقال : الآن وجب المالُ ـ أيد الله الوزيرَ ـ ولَزِمَه الخروجُ منه ، لأنه اعترف بصحة ما أُخْرِج ، وادَّعى السهوَ الذي لا يُقْبَل من العمال بعد نُفُوذِ كتبهم بالارتفاع ورفعِهم حسباناتِهم به إلى الديوان . وضَحِكَ من المعارضين له ضَحِكَ مُتَعَجِّبٍ منهم . وقال : ما ظننتُ أن أحدا يَذْهَبُ عليه هذا الموضِعُ أو يلحقُه منه شكٌّ . فَوَرَد على القوم ما حيَّرهم وأدهشهم وقطَعَهم . وأمر الوزيرُ حينئذ بإنفاذ الرنداق [1] إلى ابن أبي البغل لمطالبته بالمال ، وذلك بعد أن أحضر ابنُ الفرات الكُتُبَ والجماعات ، وواقف الوزيرَ والكُتَّابَ واعترفوا بكَوْن الحقِّ معه . وانحدر الرنداقُ إلى البصرة ، وحَمَل ابنَ أبي البغل من داره إلى ديوانِ البلدِ وأقامه على ساقٍ [2] وعامله وخاطبه بما زاد فيه على ما أُمِرَ به ، ولم يبرحْ حتى أخرجَ ابنُ أبي البغل المالَ إلى مجلس العطاء ، وأطلق للجند وأورد جماعةَ سنةٍ

---

(١) الرنداق لعله يشبه كلمة الرسول .

(٢) أقامه على ساق : أي على شدة ، من قولهم : قامت الحرب على ساق .

ثلاثٍ وتسعين ومائتين منسوباً إلى وجْهِه ، وهو من العَيْنِ ستةُ آلاف دينارٍ وكسرٌ.

وكان أبو الحسن بن الفرات فى وزارته الأولى قلّد نصر بن علىٍّ بَرَازَ الرُّوز والبَنْدَنيجَين من أعمال طريق خراسان . فلما رفع الحسابَ بذلك إلى ديوان الخراج أخرج الكُتَّابُ عليه أنه احتسب فى الجارى برُبْع العُشْر فى الارتفاع وأوجبه عن ستمائة ألف درهم ، ونظر فى جماعته وما أورده فيها فوجد المال خمسمائة وسبعين ألف درهم . وأَخرج عليه التفاوتَ بين المبلغين وهو ثلاثون ألف درهم . وأجمع الكُتَّابُ على مناظرته ومواقفته ، فضجّ وقال : قد رضيت بحكم الوزير ، طَالِعُوه بالصورة ، وأَنْفِذُوا إليه المؤامرة ، وكان مُتَخَلِّياً فى دار حُرَمه . فضحك وأمر بإيصال الجماعة إليه ، وأصحابُ المجالس يومئذ أبو القاسم عبيد الله بن محمد الكلوذانى ، وأبو منصور عبد الله بن جبير ، وأبو الحسين الصقر بن محمد ، وأبو الحسن أحمد بن محمد بن سهل ، فدخلوا ومعهم نصرُ بنُ علىٍّ فقال له ابنُ الفرات : ويلك يانصر ، عملتَ لنفسك مؤامرة ، مَنْ كان أخذك بذكر الارتفاع ؟ ولِمَ لم تَقْبِضْ جاريَك وتُمْسِك عنه ؟ قال : أخطأتُ أيها الوزير . فقال : خَطَاؤُك [١] يُلزِمك المال . ثم ألزمه ربع العشر فى الثلاثين وأخذ خطَّه به .

وكان من طريف ماأَخْرَج على نصرٍ أيضاً أنه كتب عند تقلُّدِه بَرازَ الرُّوز والبَنْدَنيجَين فذكر أنه وُجِدَ فى بعض البيوت من غَلَّةِ السنة الماضية نَحْوٌ من مائةِ كُرٍّ [٢] بالمُعَدَّلِ حِنْطَةً وشعيرا . ثم أورد فى حسابه ستين كُرًّا ، فأوجب عليه التتمة . فقال [٣] : إنما كتبتُ : بنحو مائةِ كُرٍّ .وَرَضى بحكم الوزير أبى الحسن .

---

(١) الخطاء : هو الخطأ .

(٢) الكر : مكيال يقارب أربعين إردبا .

(٣) فى الأصل المطبوع : وقال إنما كتبت « بفتح التاء للمخاطب » .

فأنفذ الكُتَّابُ الخَرْجَ بذلك إلى حضرته . فوقَّع بخطِّه : النَّحْوُ: من واحدٍ إلى تسعة ، فإذا تجاوز للعشرة لم يَجُزْ أن يُقال فيه : نحوٌ .

فلما وَقَفوا على ذلك وضعوا عنه عشرةَ أكرار ، وألزموه ثلاثين كُرًّا حنطة وشعيرا .

وكان أبو أحمد الحسن بن محمد الكرخى يتقلَّد المَسْرُقانَ من أعمال الأهواز فى وزارة أبى أحمد العباس بن الحسن ، فعُمِلَتْ له مؤامرةٌ عُرضت على أبى الحسن ابن الفرات ، فلم يكن فيها — على ما ذُكِرَ — بابٌ واحد يَظْهَرُ وجوبه ، وأُخْرِج فى باب المرافق ما جَرَتِ العادة بالتأوُّلِ فيه . فقال أبو الحسن : هذا لا يُخْرِجُ مثلَه كُتَّابُ الحضرة إذ كان رَجْماً [1] لا يقوم على مثله بَيِّنَةٌ . وحضره المظفَّر بن المبارك القُمِّى بعد مُدَيدَةٍ قريبة ، وقد كانت له ضَيْعَةٌ بالأهواز قد باعها عَلَى أبى الحسن ابن الفرات، فاستدعى منه حِسَاب وكيله فيها ليستدِلَّ منه على رُسُومِها ومعاملاتها ، وجاءه به فى بعض العشايا ، فقرأه . ووجده للسنة التى كان الحسنُ بن محمدٍ الكرخىُّ مُقَلَّداً فيها . وقد احتسب الوكيلُ فيه نحْوَ خَمسمائة دينار ، ونسبها إلى الحسن بن محمد وعُمَّاله وخُلفائه على سبيل المَرْفق : فأنفذ فى الوقت من أحضر الحسن بن محمد الكرخىَّ وأحمدَ بن محمد بن سهل والصقرَ بن محمد وعبيدَ الله بن محمد الكلوذانى ، فحضروا ، ووجدوه يَتَمَيَّزُ غيظا ، ودعا بالمؤامرةِ التى كانت عُمِلت للكرخىِّ فاطَّرَحها ، وأقلَّ المبالاةَ بها ، وأخذ فى مناظرته على ما أَخْرج من المرافق ، فاحتجَّ بما يَحْتَجُّ به مثلُه فى ذلك ، وعرض عليه وعلى الكُتَّابِ حسابَ ابن المبارك القُمِّىِّ وقال له : يا عدو الله يا خائن ، يا لص ، تأخذ من ضَيعةٍ واحدة ورجُلٍ واحد خَمْسمائة دينار مَرْفِقاً وتَقْدِيرُها نِصْفُ ارتفاعه ! فكم أخذت من أهل الكورة ؟ وما أحتاج أن أنظر فى غير هذا . فَبُهِتَ الحسن وَوَرَدَ عليه ما لم يَكُنْ فى حسابه :

---

(١) رجما : تخمينا .

ثم قال : قد أخطأتُ،وأنا بين يديك . فأخذ خَطَّه طائعا ـ بعد أن قبّل يده مرارا ـ بسبعة آلاف دينار ، فأدّى من ذلك خمسة آلاف دينار . ثم استشفع عَلَى [١] ابنِ الفراتِ ، وعرّفه سوءَ حالِه وقصورَ يده ، فسامحه بالبقية ، وردَّ خطَّه عليه ، وقلّده بابلَ وخُطَرْنِيَةَ .

وحدث أبو القاسم بن زنجى قال : حدثنى أبى قال : كان أبو العباس وأبو الحسن ابنا الفرات يُكْرِمان عبيد الله [٢] بن عبد الله بن طاهر ويعرفان حَقَّه وقُدْمَتَه [٣] . فبعث إليه أبو الحسن فى بعض الأيام مع أبى عبد الله محمد بن عبد الله ابن رشيد الكاتب بجملةٍ وافرة ، وحمّله رسالةً جميلة يَعِدُه فيها بما يتلو ذلك ويتْبَعُه من مراعاته وتفقُّدِه . قال ابن رشيد : فأوصلتُ المحمولَ إليه ، وأوردت القول معه عليه . فشَكَرَ ثُمَّ شكر ، ثم قال فيه أبْلَغَ قول ، وكتب إليه :

أَياديك عندى مُعْظَمَاتٌ جلائِلُ ... طِوالُ المَدَى ،شُكْرِى لَهُنَّ قَصيرُ
لئن كنتَ عن شُكرى غنيًّا فإننى ... إلى شُكْرِ ما أوليتنى لَفقيرُ

قال : فقلت له : هذا ـ أعز اللهُ الأمير ـ حَسَنٌ . قال : أحسنُ منه ما سَرَقْتُه منه [٤] . فقلت له : إن رأيتَ أن تعرفنيه فافعَل . قال : حديثان حدَّثنا بهما أبو الصلت الهروى بخراسان عن أبى الحسن الرضا [٥] عن آبائه عليهم السلام قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « أسرعُ الذنوب عقوبةً كُفران

(١) استشفع عليه بإنسان : استعان به عليه ليشفع له عنده .
(٢) راجع ترجمته فى ابن خلكان والمنتظم ٦/١١٧ توفى سنة ٣٠٠ .
(٣) القدمة : السابقة فى الأمر والتقدم .
(٤) يريد أن الذى أحسن من هذا الشعر هو القول الذى سرق معناه منه .
(٥) أبو الحسن الرضا هو على بن موسى له ترجمة فى ابن خلكان ومقاتل الطالبيين ٥٦١ مات فى أيام المأمون وقيل مات مسموما سنة ٢٠٣ .

النِّعمة » وبهذا الإسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يُؤْتَى بعبدٍ فيوقَفُ بين يَدَىِ الله تعالى فيأْمرُ به إلى النار فيقول : يارب ، لِمَ أمرت بى إلى النار ؟ فيقول : لأنك لم تشكُرْ نعمتى . فيقول : يارب ، أنعمتَ بكذا فشكرتُ بكذا . فلا يزالُ يُحْصى النِّعَمَ ويُعدِّدُ الشُّكْرَ . فيقول الله عزَّ وجلّ : صَدَقْتَ عبدى ، إلّا أنك لم تشكر من أنعمْتُ عليك على يَدَيْه » .

وانصرف ابنُ رشيد بالخبر إلى أبى الحسن ، وهو فى مجلس أبى العباس أخيه ، وعرّفه ما جرى ، فاستحسن أبو العباس الحكايةَ عن عبيد الله ، وبعث إليه بصلةٍ أوفرَ من صلة أخيه على يَدَىِ ابن رشيد . فَحَكَى أنه لما أُوصل ذلك إليه سُرَّ سرورا شديدا وكتب إلى أبى العباس :

شُكْرِى لك معقود بإيمانى   حُكْمٌ فى سِرِّى وإعلانى
عَقْدُ ضميرٍ وفمٍ ناطقٍ   وفِعْلُ أعضاء وأَرْكانِ

قال : فقلت : هذا أحسن من الأول . فقال : أحسن منه ما سَرَقْتُه منه . قلت : وما هو ؟ قال : حدثنى أبو الصلت الهروى بخراسان عن أبى الحسن الرضا عن أبى الحسن موسى بن جعفر الكاظم [١] عن الصادق [٢] عن الباقر [٣] عن السجّاد [٤] عن السبط [٥] عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليهم السلام . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الإيمان عَقْدٌ بالقلب ونُطْقٌ باللسان وعَمَلٌ بالأركان » .

---

(١) راجع ترجمة له فى ابن خلكان وتاريخ بغداد ١٣/٣٢ ومقاتل الطالبيين ٤٩٩ توفى سنة ١٨٣ أو سنة ١٨٦ كما فى مروج الذهب .

(٢) ترجمته فى ابن خلكان وهو جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب مات سنه ١٤٨

(٣) هو محمد بن على بن الحسين ترجمته فى ابن خلكان مات سنة ١١٣ .

(٤) المراد به على بن الحسين ترجمته فى ابن خلكان ، مات سنة ٩٤ .

(٥) المراد به الحسين بن على بن أبى طالب .

وعدتُ إلى أبى العباس فعرّفته ما ذكره عبيد الله فاستحسنه . واتفق أن حضر المجلسَ ابنُ راهويه الفقيه وكان متهما بالنصْب[1] فقال:ما هـذا الإسناد ؟ فقال له ابن رشيد : هذا سَعُوط الشيلثا الذى إذا سُعِط به المجنون برَأَ .

قال أبو القاسم بن زنجى :قال لى أبو جعفر محمد بن القاسم بن الكرخى:قال لى أبو القاسم بن محمد : ما حضرتُ مجلس رئيس قطُّ إلا وَوَعدتنى نفسى بالقيام بما يقوم به والزيادةِ عليـه إلا أبا العباس بن الفرات ، فإننى كنت أعلم من نفسى القصور عما يقوم به،لبراعته فى كل حال،واستقلاله بالعظيم من الأعمال .

وحدث أبو عبـد الله زنجى قال : كان عبد الله بن الحسن النرسى وإخوتُه يتقلّدون عِـدَّة نواحٍ من سَقْىِ الفرات،فاستقصى عليهم أبو العباس وأبو الحسن ابنا الفرات فى المُعاملة استقصاءً غَلُظ عليهم ، وتخوّفُوهما معه ، وعَدَلوا إلى استخصامهما ومظاهَرةِ أعدائهما ومساعدتهم عليهما ، وأقبلوا يذكرونهما ويذكرون مافى أيديهما من الضِّياع ، وما يتحصَّل لهما من الارتفاع . فتقدم أبو العباس إلى أبى الحسن أخيه أن يَعملَ لمـا يتقلَّدونه من الأعمال عَمَلًا ، ويُخْرِج مايَلزمهم من مَرْدود الجارى والاحتسابات الباطلة ، ولايَحْتَسب لهم إلا بالواجب الصحيح ، ويرجعَ إلى ما كتبَ بهأصحابُ البُرُدِ والأخبار فيما وصل إليهم من الأموال والاستثناء على مُبتاعى الغَلَّاتِ . فعمل ذلك وجَوّده ، وأحضره أبو العباس ، فوجده يشتمل على ثلاثمائة ألفِ دينار ، فاستحسنه ووافقه على أن يجعله فى الديوان ، فأىّ وقتٍ أَنْكَرَ أحدٌ من النرسيين أمْراً أظهره . ولم يمض إلا أيامٌ يسيرةٌ حتى بلغ أبا العباس اجتماعُهم مع محمد بن داود ومحمدِ بن عبدون وإفاضَتُهم فى ذِكْره وذكر أخيه أبى الحسن ، وأنهم قد جمعوهما على مخاطبة أبى القاسم عبيدِ الله بن سليمان فى بابهما ، وأن يضمنا له عنهم مالًا وافراً من ضِياعهما ، ولم يزالا بهما إلى أن خاطبا عبيد الله فى ذلك . وواجهوا أبا العباس

(١) النصب يراد به المعاداة لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه .

وأبا الحسن بِذِكْرِ الضمان ، فثبت أبو العباس وأقلّ الحفْلَ بهم ، وقال لعبيد الله : هـذا كلامٌ فارغ لا محصولَ له ، وتشنيعٌ باطل لا حقيقةَ لشيء منه ، وإنما دعاهم إليه الاستقصاء فى المعاملة ، وعليهم ـ أيها الوزير ـ ما اقتطعوه من أصول الأموال ، وسرقوه من الغَلَّات ، وزادوه فى الاحتسابات ، ثلاثمائة ألف دينار ، أنا أُصحِّحها عليهم بالشواهد الظاهرة ، والدلائل الواضحة . فلما سمع ذلك عبيدُ الله خاف أن يَتَّصِل خبرُ المجلس بالمعتضد بالله ـ رحمةُ الله عليـه ـ فسلَّمهم إليه ومَكَّنه منهم . ووجَّه أبو العباس من وقته إلى دورهم من كَبَسها ، وحَمَل ما كان فيهـا من الأعمال والحسبانات والكُتُبِ والرِّقاع . ونقلهم إلى ديوانه ، وأقبل يناظرهم على بابٍ بابٍ مِمَّـا أخرج عليهم ، حتى أخـذ خطوطهم به ، وأحضرَ عبيدَ الله بن سليمان ذلك ، فاستحسنه ، وطُولبوا بالمال فأدَّوْه .

قال أبو عبد الله زنجى : وقد كان النرسى الأكبرُ عبـدُ الله بن الحسن صارَ إلىّ فى بعض الأيام مُسلِّماً علىّ ، ثم سألنى إجمال خِلَافته [(١)] بحضرة أبى العباس ابن الفرات ، وحفظَ غيبه ومراعاةَ ما يَجْرِى من ذِكْرِه ، ووضع غلامُه بين يدىّ صُرّةً فيها ثلاثمائة دينار، وتَخْتَيْنِ [(٢)] فيهما ثيابٌ ،وسامنى قَبُولَ ذلك فامتنعت ،وقال : إنى لا أُكلِّفك أن تكشفَ لى سرًّا لصاحبك ولكن تُشْعِرنى بما يجرى من ذكرنا فقط . فقلت : متى ضمنتُ لك هذا لم أَفِ به ، ولكننى أُحْسِنُ المَنابَ عنك ، وأقضى ما يَعْرِض من حوائجك ولا أُعلمك ذلك ولا أَمْتَنُّ به عليك . وأما هذا المحمولُ فَعَلَىَّ وَعَلَىَّ ، وحلفتُ يمينا غَمُوساً [(٣)] إن قبلتُه على وجْهٍ وسببٍ . فنهض وترَكه بين يدىّ ، وتقدَّمْتُ إلى بعض غلمانى بأخذه وإتباعه به ، وردِّه عليه، وحذَّرتُه من أن

---

(١) إجمال خلافته لعلها تجميل حاله خلفا عنه فى ذلك أو هى محرفة عن إجمال حاله أى تجميل حاله وتحسينها . (٢) التخت من معانيه خزانة الثياب .

(٣) اليمين الغموس هى الشديدة التى يتعمدها صاحبها أو هى التى لا كفارة لها .

يَرْجع وهو معه ، فأبطأ الغلامُ طويلا ، ثم عاد وعرّفني أنه لَحِقه ، وقد نزل في دار بعض الوجوه ، ولم يَزَلْ يسأله ويَتلطّف به إلى أن تقدّم إلى غلامه بأخذه .

فلما قَبَض ابنا الفرات على النرسيين ، وأُخِذَ ما كان في منازلهم من الأعمال والكتب وحُمِل إلى دارهما ، ومَيَّزاه ، وجدا فيه ثَبْتاً بما بَرّ به النرسيون أسبابَهُما . قال أبو عبد الله : وكنتُ جالسا قريبا من أبي العباس ، ومعي أبو منصور وأبو نوح عبد الله وعيسى[1] ابنا جبير وجماعةٌ من الكتاب ، فأنا أُحدّثهم بحديث قد شغلني عما سواه إذ وقع هذا الثَّبْتُ في يد أبي العباس فأخذه وأنفذه إلى أبي الحسن أخيه ، وهو قريب منه ، وقال : انظُرْ فيه هل ترى اسماً لصاحب الزاى — يريد زنجى — فقرأه وتأمله ثم رده عليه وقال : ما فيه ذِكْرٌ له . فأعاده إليه ثانيا وقال : ارْدُدْ نظرك فيه . فأعاد قراءته وردّه وقال : ماله فيه ذكر . كلُّ هذا ولا أعلم صاحِبَ الزاى مَنْ هُوَ ، حتى قال لى أبو منصور بنُ جبير : أيها المشغول بالحديث قد افتضح اليومَ الخلقُ غَيْرَك ، واسودّت الوجوه وابيضّ وجهُك . فقلت : بماذا ؟ قال . وُجد فيما أُخِذ من دور النرسيين ثبت بما رفعوه إلى واحدٍ واحدٍ من أسبابِ أستاذنا ولم يُوجَدْ لك فيه ذِكْرٌ ولا اسْمٌ . فحمِدتُ الله وشكرته على ما وَفّقني له . ولمَّا فَرَغ أبو العباس دعاني إلى حُجْرَةِ خَلْوَتِه ، فدخلت وهو جالس ، ومعه أخوه أبو الحسن ، فشكراني على خروجي من جملة مَنْ قَبِلَ بِرّ النرسيِّين وجزياني خيراً عن حفظِ الأمانة ، واستقامةِ الطريقة ، وخاطباني أجْمَلَ خطابٍ ووعداني أحسنَ وعْدٍ ، وحَلَفَا على أنني قد أصبحتُ لديهما كأحدهما . ولم تزَلِ الحالُ تزيد معهما وعندهما إلى آخر المدة . وكان النرسيون بفضل عداوتهم لهما قد توَصّلا إلى برِّ كُتّابهما وخُزّانهما وحُجّابهما

(١) في الأصل ومعى أبو منصور وأبو نوح وعبد الله بن عيسى ابنا جبير .

وغلمانها والفرّاشين والقَهارمة في دورها ، ومَنْ يَتَوَلّى نفقاتِ حُرَمهما ، حتى لايخفى عليهم شيء من أمورها في خلواتهما ولامجالس أعمالها .

وقال أبو القاسم بن زنجى : كان حامدُ بنُ العباس قد اعترف بأنَّ له قِبَلَ جماعةٍ من أهل واسط نَحْوَ ثلاثمائة ألفِ دينار ، منهم علىُّ بن إسحاق وأبو أحمد بن المنتاب وابن شاندة وابن جناح وإسحاق بن شاهين . وكتب إليهم كُتُباً ـ بخطِّه ـ بتسليم ذلك إلى محمد بن على البزوفرى العامِل ـ كان يومئذ على أكثر أعمال واسط ـ وأنفذ الوزيرُ أبو الحسن علىُّ بنُ الفرات الكُتُبَ إلى محمد بن على ، وأمره بأخذِ المال من القوم وحملِه . فكتب محمدُ بن على يقول : إنهم أنكروا ما ادَّعاه حامدٌ عليهم وكتبَ بِتَسَلُّمِه منهم . ووقف الوزيرُ على ذلك ، فغاظه ، وعظم عليه ، وظن أنَّ غرضَ حامدٍ ـ فيما كتب به ـ المدافعةُ والتربُّصُ ومُضِىُّ الأيام بنُفوذ الكِتَابِ ورُجوعِ الإجابة . قال أبو القاسم : وكان ورودُ هذا الجواب في يوم الجمعة ، وأنا جالس بحضرته ، فأعطانيه ومعه الكُتُبُ المردودةُ ، ورَسَمَ لى الدخولَ إلى حامد وأن أقفَه على ماوردَ ، وأتْبِعَ ذلك بما تقتضيه الصورةُ من التحريك والغِلْظةِ في المخاطبة . فقمت ، ومشى بين يدىَّ الغلامُ المُوَكَّلُ بالدار التى كان حامدٌ فيها ، فلما أراد فتحَ بابها وكان مُقْفَلاً سمع حامدٌ صوتَ فَتْحِ القُفْلِ ، فارتاع ، وتَشَوَّف [1] ورآنى ، فسكن لأننى كنت أُكرمه وأعرف له حقَّ رئاستِه وجميلَ فِعْلِه بنا ، وكان غيرى ممن يدخلُ إليه يُسىء عِشْرَتَه ، ويلقاه بالقبيح فيما يخاطبه به . فأقرأتُه كتاب البزوفرى ، وأريته الكُتُبَ المردودة ، وعرَّفته ماوقع في نفس الوزير من أمرها ، وقلتَ : الصوابُ أن تكون الحالُ معمورةً ، والمواعيدُ صحيحة ، لئلا يتمكَّنَ طاعنٌ مِنْ طَعْنٍ . فذكر أن المالَ قِبَلَ القومِ على مبَالِغِه التى كتب بها إلا ألفَ

---

(١) تشوف : نظر وتطلع .

دينار شَكَّ فيه . وذكر أنه قد كان كتب بدفعه إلى أحد غلمانه ، فإن كان أُطْلِق [١] وُضِعَ من الجملة . وبَذَل إعادة المكاتبةِ وتأكيدَ القولِ على القوم بما لا يكون بعده مراجعةٌ . فقبلْتُ ذلك منه ، ووضع غُلامى الدَّرْجَ [٢] والدواة بين يديه ، وكتب إلى القوم بما استوفى الخطاب فيه . وأخذت الكتب وعدت إلى الوزير ، وابنهُ المحسِّنُ جالسٌ على يساره — وكذلك كان يجلس — ووضعْتُها بحضرته ، وعرّفته أن حامدا أنْكَرَ مخالفةَ القومِ وعَظُمَ عليه ردُّهُم الكُتُبَ ، وأعاد اليمينَ بحصول المال قِبَلَهُمْ ، وأنه قد جَدَّدَ مكاتبتَهم بما لا يتأخر معه صِحَّتُهُ من جهتهم : فقرأ الكُتُبَ ، وتقدَّم بإجابة البزوفرى عن كِتابه ، وأمره بإحضارهم ، وقَبْضِ المال منهم ، وحَمْلِهِ مُنفرداً عن مال الخراج . ففعلت ، وكتبتُ إليه بذلك ، وتأكَّدْتُ فيه ، وعرضتهُ عليه ، فقرأه وأمضاه ، ووقَّع فيه توقيعاً طويلاً يُلْزِمه فيه المبادرةَ بالمال وتَرْكَ تأخيرِه أو قَبُول احتجاجٍ فى أمْره ، وأمرنى بِخَتْمه وإنفاذه فى خريطةٍ مُحَلَّقَةٍ [٣] . وأصلحه صاحبُ الدواةِ فى الخريطة ، وجاءنى بها فعَنْوَنتها وحلَّقتها بإحدى عشرةَ حلقةً ، وأنفذتها إلى أبى مروان عبدِ الملك بن محمد بن عبد الملك الزيات ، وكان على ديوان البريد .

فلما خلا مجلسُ الوزير تقدَّمْتُ إليه وعرَّفْتُه سِراً أننى رأيت الشَّعرَ قد كَثُر على وجه حامدٍ وذراعيه ، ولم أَسْتَجِزْ سَتْرَ ذلك عنه ، فأَحْمَدَنى على مطالعته بذلك ، وأمر بإحضار الحسن المُزَيِّن ، وكان فى الدار ، وتقدم إلى بدْرٍ الخادم الحُرَمى بإحضار صِينيَّةِ المُزيِّن على مِثْل ما تَقَدَّمُ عليه إليه . وأمر بإدخال الحسن المزين والصينية إلى حامد ، وتقدم عقيبَ هذا بإصلاح الحمَّام على أنه هو الداخل ، ثم استحضر أبا زكريا

---

(١) أطلق : دفع له (٢) الدرج : ما يكتب فيه .
(٣) المحلقة : التى فيها حلق والخريطة : وعاء من جلد أو غيره .

يحيى بنَ عبد الله الدقيق قهرمانَه ، ورسم له بإحضار ثيابِ تاختجٍ [١] وقصَبٍ ودبيقيّ [٢] وعمائمَ ليختار منها لحامد ما يَصْلُح لخِلْعتين . فقال له يحيى : ليس فى الخزانة إلّا متاعٌ حمله التجّار وما قُطِعَ ثمنُه معهم . فقال : هاتِه . فليس يلزمنا لهم أكثرُ من أن نُعطيهم الثمنَ على سَوْمِهم . فمضى وأحضر عِدّة تُخُوتٍ اخْتِير منها بحضرته ما يكفى لِمبْطَنَتين ودراعتين [من] تاختج وثوبان [من] دبيقى لسراويلين وثوبان [من] قصب لقميصين وعمامتان [من] تاختج ، وأمره بإحضار الخياطين وألزمهم الفَراغَ عاجلًا من خِلْعَةٍ واحدة ليلبسها حامدٌ عند الخروج من الحمام . فذكر أن مَنْ بِرَسْم الدار من الخياطين تأخّروا لأنه يومُ جمعة ، فأنكر ذلك وقال : بِرَسْم الدار فَوْجَانِ أفتأخروا جميعا ؟ والآن فاستدع مَنْ على الطريق من الخياطين حتى يَفْرُغوا الساعة . وتفرّق الرسلُ فى طَلَبِ الخياطين إلى أن أَحضروا جماعةً منهم ، وسُلِّمَتْ إليهم الثيابُ ، ولم يزل يُراعيهم إلى أن قاربوا الفراغ من خِلْعَةٍ واحدة . وتقدَّم إلى بعض الغلمان بإنذار حامدٍ بإصلاح الحمام . وأعلمه بذلك فدخله . وأمر الوزيرُ بحَمْلِ الخِلْعة التى فُرِغَ منها إليه لِيَلْبَسها عند خروجه ، فلما خَرَجَ قُدِّمتْ إليه فامتنع من لُبْسِها . وعرَفَ الوزيرُ امتناعَه فأنكره ، وتقدَّم إلىّ بالمُضِىّ إليه والرِّفق به وإبلاغه رسالةً عنه فى هذا المعنى ، ففعلتُ ولَطُفْت به فى لُبْس الثياب فأبى وقال : ثيابى غيرُ محتاجة إلى تغيير . وعاودته فأقام على أمره . وَوَقع لى فى الوقت تخوُّفُه من حيلةٍ تتمّ عليه فى أَمْرِ الثياب ، فحلفتُ له على بُعْدِ الحال من ذلك وقلت : أنا أدخلُ الحمّام وأُفيضَ علىّ الماء ثم أَخرج وأتنشّفُ وألبس الثياب ثم أَنْزِعها لتلبسَها بعدى . وقلتُ : إن نية الوزير قد صَلَحت ، فلا تُفْسِدْها بما أنت عليه من

(١) نوع من الثياب كان يصنع فى نيسابور .

(٢) نسبة إلى دبيق وكانت تصنع فيها ملابس فاخرة .

هذا الامتناع . فَلَانَ فى القول ، وجدَّدْتُ اليمين فسكَنَ ولَبِسَ الثيابَ ، وعُدْتُ إلى الوزير فعرَّفْتُه ذلك فسُرَّ به . ثم تقدَّم بأَنْ يُحْمل إليه صينيةُ الطِّيبِ وبخورٌ كثيرٌ وماء وَرْدٍ فأُنْفذتْ واسْتَعْمل منها ما أراد . وخِفْت من أن يُعِيدَ الوزيرُ على ابنه المحسنِ ما جرى فيقَعَ عنده أقبحَ موقع فتقدَّمت إليه وسألته سَتْرَ ذلك عنه . فتبسَّم وجعلنى على ثِقَةٍ أَلَّا يَكُونَ لى فيه ذِكْرٌ .

ثم عدتُ إلى موضعى من المجلس . فلما قعدْتُ فيه سمعت أصواتَ المَلَّاحين فى طيَّارِ المحسن ، ثم اتصل ذلك بصُعودِهِ فحَمِدْت الله تعالى على ما وقع لى من مخاطبة أبيه بما خاطبتُه به قبل حضوره . ثم خِفْتُ أن يَجْرِى فى عُرْض الحديث ذِكرُ ذلك على غير عَمْدٍ ، فبينما أنا على هذه الجلة [1] من الإشفاق إذ وَافَى أبو صالح مفلحٌ الخادمُ الأسودُ برقعة من المقتدر بالله ــ رحمه الله ــ ورسالةٍ فاجتمعوا على السِّرار . وكتب الوزير أبو الحسن الجوابَ بخطِّه وعنونه وختمه ، وسلَّمه إلى مفلح ، وقد نُودِىَ بالصلاة وقتَ المغرب ، وانصرَف ، وانصرَف المجلس فى أَثَرِهِ . ولما عُدْت إلى منزلنا حدَّثتُ أبى بما جرى ، فاستصوب فِعْلى وقال لى : عرفَ اللهُ تعالى نِيَّتَك فوقاك ما تخوَّفْتَه .

وحدث أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الأنبارى زنجى قال: لما تقلَّد أبو الحسن علىُّ ابن محمد بن الفرات الوزارة الأولى استدعانى واستدعى أبا علىٍّ محمدَ بنَ علىٍّ بن مقلة، وبدأ فدفع لى دَرْجاً فيه ثبتُ الدواوين بالحَضْرَةِ وأرزاقِها ، وقال لى : اخترْ مِنْ ذلك ما تُحِبُّ أن أُقلِّدك إياه ، فأخذته وقرأته إلى آخره ، ثم أعدتُ نظرى فيه لأننى كلَّما رأيتُ شيئاً تَتَبَّعَتْهُ نفسى. فلما رأى ذلك قال : أنا أَعْرَفُ منك بما تريده، وقد قلَّدْتُك ديوانَ الدارِ ومكاتبةَ العمال بالسوادو الأهوازوفارس وكرمان وما يجرى معذلك من أعمال

(١) لعلها أيضاً محرفة عن الحالة .

الحرَمين وعمانَ وأذر بيجان وأرمينية وأصحاب الأطراف والأعمال الجارية بحضرتى، وأجريتُ عليك فى كلّ شهر خمسمائة دينار، فقدِّرْ ما تحتاجُ إليه لكُتّابك. فقدَّرْتُ ذلك بتفصيلٍ اشتملَتْ جملتُه على خمسةٍ وتسعين ديناراً، وتقدَّم إلى أبى على بن مقلة بأن يُوَقِّع لى بذلك، فوقَّع. ثم دفع الدَّرْجَ إلى أبى علىٍ وقال له: اختر منه ماتُريد. فأخذه أبو علىٍّ ودفعه إلىّ وقال لى: أُحبُّ أن تختارَ لى. فنظرتُ فلم أجد مايصلُح له أن يتقلَّده إلا ديوانَىِ الفصِّ والخاتَم، وجارِيهما فى كلِّ شهرٍ أَرْبَعُمائةدينارٍ، فعرَّفتهذلك. وسأل الوزيرَ تقليده إياهما، فتقدم إلىَّ بالتوقيعله بهما، فوقَّعتُ. ثم قال لنا: إنَّ بنى أخى وأهلى سيصيرون إلىَّ ويسألوننى أن أقلِّدهم بقيَّةَ هذه الأعمال، فإن كان فى نفوسكما أن تسألانى بقيَّةَ شىءٍ منها مُضافاً إلى ما قلدتُكما إياه فاذْكُرَاه لأُوَقِّع لكُماَ به. فشكرناه وعرَّفناه أن لاحاجة بنا إلى زيادة عليه. وتقدم إلىَّ بأن أُسَبِّب لنفسى وكُتَّابى بجارِى شهرين على عُمَّال الأهواز، وأُسَبِّب لأبى علىّ بن مقلة بمثل ذلك، ففعلت، وعرضت الكُتُبَ عليه، فأمر بإخراج نُسْخَتها إلى الديوان، وضَرْبِها بالعلامات، ورَدِّها إليه بعد ذلك. وجَرى الأمرُ على هذا، وأُعيدتْ إليه، فوقَّع فيها وأمر بختْمِها. وأحضر يُوسفَ بنَ فنحاس الجهبذَ اليهودىَّ وكان جهبذ الأهواز، فقال له: إن هذه الحالَ وافتْ ولم يتأهَّبْ أصْحابُنا لهـا، وقد سَبَّبْتُ أرزاقَهم على مالِ الأهواز، ولا بُدَّ أن تُقَدِّم لهم مال شهرين. فذكر كثرةَ الأموالِ التى أُلْزِمَ تعجيلَها من مُعاملة الأهواز، وأنه لا يتمكّن من غير ذلك، فلم يزَلْ معه فى مُناظرة حتى استجاب إلى إطلاق جارى شهرٍ مُعجَّلا فى ذلك اليوم. ثم أنفذت بشرى غلامى معه لقَبْضِ المال منه، وفعل أبو علىٍّ مثلَ فِعْلى، وانصرفنا، وفى منزل كلِّ واحد منا أُلوفُ دراهِمَ كثيرة. فتعجَّبْنا وتعجَّب الناسُ

من حُسنِ رِعايته ، وأنه لم يَبْدَأْ بأحدٍ قبلنا ، ولاشغلَتْه الحالُ التى دُفِع إلى مُعاناتها عن افتقادِ أمورِنا والعناية بمصالحنا .

وقال أبو القاسم بن زنجى : سمعت أبا الحسن بنَ الفرات يقول فى وزارته الثالثة فى سنةِ إحدى عشرةَ وثلاثمائة أنه أنفق على الدار التى كان ينزلهـا فى ذلك الوقت — وفيها قُبِض عليه ، وهى دارُ سليمان بن وهب وموقعها فى المخرّم ، وفى يَدِ الحاجب الكبير أبى منصور سَبَكْتكين الآن شىء منها ، وفى يد ابن لشكرون شىء آخر ، وفى أيدى قوم من قُوّاد الدَّيلم الباقى — ثلاثمائة ألفِ دينار . واشتهى فى وزارته هذه أن يَجمع حُرَمه وبناتِ إخوته وأصاغِرَ وَلَدِه فى الدار المعروفة بدار البستان ، من هذه الدار المعروفة [بدار] سليمان بن وهب [1] ، فتقدَّم بإصلاحها وتنظيفها وإنفاق ما يُحتاج إليه من تبييضها ، فبلغت النفقةُ خمسين ألفَ دينارٍ . وجلس وهم فيها يوماً واحداً ، ولم يَعُدْ بعد ذلك إلى الجلوس فيها معهم .

ومن أحاديث أبى العباس أحمد بن محمد أخى أبى الحسن فى فضائله مالا بأس بإيراده فى عُرْض أخباره .

قال عبيد الله بن أحمد بن أبى طاهر [2] : حدثنى بعض الكتاب قال : سمعت محمد بن عبدون يُحَدِّث فى مجلسه قال : جاء ابن سمعان صاحبُ بَدْرٍ المعتضدى إلى أبى النجم بَدْرٍ وقال له : أيها الأميرُ ، أحمدُ بنُ محمد بن الفرات لايَزال يستخِفُّ بنا ، ويَستهينُ بِرُسلنا ، وَيَجْبَهُهُم بالقبيح فيما يُوَصِّلُونه إليه ، ويَعْرِضونه عليه من التوقيعات بإقطاعاتك ، وهو عَدُوٌّ مُكاشِفٌ لهذه الدولة ، وصاحبُ إسماعيلَ بنِ بُلْبل .

---

(١) يعنى أنه ينقلهم من الدار المعروفة بدار سليمان ويضعهم فى الدار المعروفة بدار البستان .

(٢) هو الذى أكمل كتاب التاريخ بعد أبيه أحمد بن أبى طاهر المعروف بأحمد بن طيفور ، انظر ترجمة عبيد الله فى تاريخ بغداد .

فقال له بَدْرٌ : خذ نِحْرِيرا وامْضِ به إلى ديوانه وجئنى به . فجاءه به، فلما رآه قال له : أمسيطرٌ أنت على مولاى أم شريك له ؟ يُقْطِعنى الإقطاعات فتمتنع منها وتعترض فيها ! فقال له : اسمع أيها الأميرُ قولى ، فإن ثبتتْ عندك حجّةٌ لى فخفِّض من لومى وإلا عملتَ بعدها ما رأيتَ . أنت تعلم أن قِوامَ المُلْك بالمال ، وأن الجند لا يسمعون ولا يُطيعون إلّا إن أعطاهم ، و إن عَدِموا المال كان ذلك الدّاعِيةَ القويّةَ إلى ذهاب المُلْك وسَفْكِ الدماء وانقطاع السُّبُلِ وانتهاكِ المَحارم . وجميعُ المال فى عُنُقِى وعَلَىَّ فإذا خَرَجَت الضِّيَاعُ من الإِقْطَاع تبعها الخراج فتُحيِّفَتِ الحقوقُ، وأضيف إلى كل ناحية ما يجاورها ، وكان فى ذلك مالا خفاء به ممّا أعوذ بالله منه . قال له : صدقت يا أبا العباس — أيّدَك الله — ارْتَفِعْ فإن الحقّ فى يدك . و إنما تحرُس بهذا الفعلِ نعمةَ مولاى من أن تزول ، ودماء الخاصّةِ والعامة من أن تُراق ، وكُلٌّ من يخاطبنى فإنما يَتَّبِعُ هَوَاى ولا ينظر فى أعجاز[1] الأمور . أَحْضِرُونى خِلَعاً . فأَحْضَرَها [فمنحها] أبا العباس ، واحتبسه حتى أكل عنده وقدّمه فى مجلسه ، ودعا بِطِيبٍ طيّبه به . فلما أُحْضِرَتِ المِجْمَرَةُ قام أبو العباس ليتبخّر خارجَ المجلس ، كما كان أبو القاسم عبيد الله يفعل وهو كاتبه إذا أَمَر له بمثل هذا . فحلف بَدْرٌ أنه لا يتبخر إلّا بين يديه . فبخّره وخرج ، فأمر نِحْرِيراً وابنَ سمعانَ بالركوب معه إلى ديوانه على سبيل التَّكْرِمَة وقال له : يا أبا العباس ، لا ترَى قَطُّ منى إلّا ما تُحِبُّ بعد هذا اليومِ ولا تَجْرِى منى إلا مَجْرَى الأخِ ، ولستُ أُورد عليك توقيعاً بإقطاع ولا ضيعة بعد هذه الدفعة . قال : وسمعت أبا الحسن محمدَ بنَ عبدون يقول : سمعت بدْراً يقول بعد خروج ابن الفرات : لا يزال السلطانُ بخيرٍ ما دام فى كُتّابِه مثلُ هذا الرجل لولا عَجَلةٌ فيه

(١) أعجاز الأمور : عواقبها .

قال أبو القاسم بن زنجى حدثنى أبو عبد الله أبى قال : وافتْ رسالةُ أبى النجم بدرٍ فى ذلك اليوم إلى أبى العباس بن الفرات وأنا فى الديوان بين يديه ، فَوَجِمَ لها كُلُّ مَنْ حضر سواه ، فإنه بادر إلى لُبْسِ ثيابه ، واستدعى دَوَابَّه ، وركب من وقْتِه وسار إلى بدْرٍ . فعَدَل به ابنُ سمعانَ إلى داره ، فأجلسه فيها ، وعرف أبوالقاسم عبيدُ الله بن سليمان ذلك ، فقامت عليه القيامةُ منه ، وعظمت فى نفسه الحالُ فيه ، وبادر إلى بدْرٍ تخوُّفاً من أن يتَّصِل بالمعتضد بالله فيُنْكِرَهُ على بَدْرٍ ويَجْرِى ما يضيق صَدْراً به . ووصل عبيدُ الله إلى باب بَدْرٍ وسأل عن ابن العباس ، فعرَف انصرافَهَ مُكرما إلى ديوانه ، فحين سمع ذلك أراد الرجوع قبل لقائه ، فاستقبحه ، ودخل إليه . فابتدأه بدرٌ بالحديث ، ونسب الأمْرَ عنده إلى أجمل وجوهه ، وأخذ عبيدُ الله فى وصف ابن الفرات وتقريظه ، وذِكْرِ كِفايته وكِتَابَتِه فصدَّقه بدرٌ . وقال : ما ظننتُه على ما شاهدتُه منه . ولا يزال السلطان بخيرٍ وأمره مستقيما ، ما دام فى أعوانه مثلُ هذا الرجل . ولما عرف بدرٌ أنَّ ابن سمعان أدخل أبا العباس إلى داره قبل أن يُطالعه بخبره أنكر ذلك عليه أشدَّ إنكار ، وأغلظ عليه القول فيه أتمَّ إغلاظ ، وتقدم إليه بالإذن له والدخول إلى بين يديه ، وكان فِعْلُ ابنِ سمعانَ مافعله مِمَّا حلَّ ما كان فى نفس بَدْرٍ وخفَّفه .

وحدث أبو القاسم قال : حدثنى أبو عبد الله أبى قال : كانت للمعتضد ــ رحمة الله عليه ــ جاريةٌ يتحظّاها يقال لها فريدة ، فأمر بإقطاعها ضِياعا بمالٍ حَدَّه وبيَّن مبلَغَه ، فصار كاتبُها إلى أبى القاسم عبيد الله بن سليمان بتوقيع المعتضد بالله بذلك ، فقبله وَوَقَّعَ بامتثاله ، واختار كاتبُها ضِياعاً وبساتين بأكناف مدينة السلام من الجانب الشرقىِّ ، وعَرَضَ على عبيد الله بن سليمان الثبتَ بذلك فوقَّع بتسليمه . وصار الكاتبُ إلى أبى العباس بن الفرات به فقَبِله ، وطالب بتسليم ما فى الثبت من

الضياع والبساتين فامتنع عليه وقال : هذه مواضِعُ طَرَفِ أمير المؤمنين إذا ركب ولا يجوز أَنْ يُقْطع لأحد . فأقام على المطالبة بتسليم ذلك إليه ، وأقام أبو العباس على منعه إياه . ومضى الكاتب إلى فريدة ، فأعاد عليها ما جرى شيئاً شيئاً وقال لها : مضيت إلى الوزير فعرضت عليه توقيعَ الخليفة بما أمر لكِ به والتسميةَ بما اخترتِه فَقَبِلَ وَوَقَّعَ ، وصرتُ إلى ابن الفرات كاتِبه فدفعني وقال . إنه لا يُسَلَّمُ إليكِ الضِّياعَ والبساتينَ . وجرى عليّ من رَدِّه القبيح ما استحييتُ معه مِنْ كل مَنْ حضر عنده وهذا لا يُشْبه محلَّك من الخليفة وموضِعَك من جميلِ رأيه . وأتبع هذا القولَ بما يُشاكله من الطَّعْن على أبي العباس بن الفرات . فدخَلَتْ على المعتضد بالله وهي مُقَطِّبَةٌ كالسيف المُرْهَف ، وأعادت عليه قولَ الكاتب وقالت : وأيُّ شيء ينفعني من عنايتك بي ومحلِّي منك إذا كان كاتبُك يعارضك في أوامرك ولا يقبل توقيعك ؟ وسألته أن يُوَقِّعَ لها توقيعاً مُجَرَّداً بإمضاء الإقطاع على ما سُمِّيَ في الثبت ، فقال لها : لست أَتَّهِم ابنَ الفرات في معرفتِه بحقِّكِ . ومن المحال أن يمنعَ كاتِبَك مما أراده إلا بِحُجَّةٍ تقوم له بالعذر ، فَسَلِيه بأيِّ شيء أحتجَّ عليه ، ولأيِّ سبب منعه ، ليكون ما أُوَقِّعُ به بحسب ذلك . فاستعلمت الكاتب ، فذكر أنه قال له : هذه مواضع طرف أمير المؤمنين إذا ركب ، ولا يجوز أن يقع عليها إقطاعٌ لأحد . فقال المعتضد بالله : قد صدق ابنُ الفرات وأحسن فيما فعل ، أَرْدُدِي كاتِبَك إليه وسليه أن يختار لك بما لكِ ضِياعاً يَعُودُ عليكِ منها ما وقَّعْتُ به . فعاد الكاتب إليه برسالتها فاختار لها الضِّياعَ المعروفة بالفريديَّاتِ من بُزُرجسابُور ، وكتب بتسليمها إليها .

قال أبو القاسم : وهذا قريبٌ من حديث حدثني به عَمِّي أبو الطيب أحمد ابن إسماعيل فإنه قال : إن المعتضد بالله رحمه الله أقطع دُرَيْرَة حَظِيتَه التي قال فيها

عليُّ بن محمد بن بسام ما قال [١] إقطاعا ، وَوَقَّع به توقيعاً تَسَلَّمَهُ كاتبُها وصار به إلى أبى القاسم عبيد الله بن سليمان ، فوقَّع تحته بامتثاله . ثم جاء إلى أبى العباس ابن الفرات ، فوقع بالعمل عليه ، وأنشأ الكِتَابَ من حضرته بتسليم الإقطاع والتمكين منه ، عنايةً منه بأمرها ، وإيثاراً لاجتلاب شُكرها . وأمر المديرَ بإدارته فى الدواوين ، وإثباته ، وأخذِ علاماتِ الكتاب على رأسه وردِّه إلى حضرته من وقته ، فَفَرَغَ منه فى نحوٍ من ساعتين وسلمه أبو العباس إلى الكاتب وانصرف شاكرا . ومضى إلى أبى القاسم ميمون بن إبراهيم صاحبِ ديوان الزِّمام ، فعرض عليه التوقيع والكِتاب فقَبِلَ التوقيع وامتنع من إمضاء الكتاب ، وذكر أنه يحتاج إلى أن يُخْرِجَ إليه من ديوان الزمام عَيْنُ الإقطاع ليكون بما يُمْضيه على معرفة وبيِّنة . فالتمس منه توقيعا إلى أبى أحمدَ ابن أخيه ، وكان خليفتَه على الديوان ، فوقَّع له بذلك ، ودفع التوقيع إلى أبى أحمد . فماطله ودافعه ، ولم يزل يتردد إليه وهو يعده ويُخْلِفُه ، وعاد إلى أبى القاسم ميمونٍ مُسْتَمْدِياً به على خليفته ، وشاكيا من مَطْله ومُدَافعته ، فقال له : لا يجوز إمضاء الكتاب إلا بعد الوقوف على العبرة [٢] من الديوان . وحَمَل الكاتبَ ما عرض بقلبه ـ من الضجر بوقوف أمره ـ على أن صار إلى دُرَيرةَ وعرَّفها الصورة ، وخاطبها بما بعثها فيه على مراجعة الخليفة ، فدخلت إليه ، وأعادت ما ذَكره الكاتبُ عليه . ثم شكرت الوزير وذمّت ميمونَ

---

(١) فى هامش المطبوع ما يأتى : جاء فى حاشية : الذى قاله ابن بسام عند ما بنى الخليفة لحظيته البحيرة :

تَرَكَ الناسَ بِحَيْرَهْ وتَخَلَّى بالبُحَيْرَهْ
قاعِداً يضرب بالطبْـــل على فَرْجِ دُرَيْرَهْ

هذا وانظر معجم الأدباء ترجمة على بن محمد بن بسام ففيه هذا الشعر .

(٢) العبرة أصلها : المراجعة ومطابقة ما فى الديوان على ما فى الكتاب .

ابن إبراهيم ، واستدعت منه توقيعا بإنكارِ ما كان منه ، و إمضاءِ إقطاعها على ما أمر به وأمضاه وزيرُه وصاحبُ ديوانه . فقال لها : الخطأُ منك ومن كاتبك ، ولو كنتِ عملتِ ما يوجبه الحزم ويقتضيه الصواب لراج أَمْرُكِ وعُمِلَ كِتَابُكِ وتسلَّمْتِ إقطاعَكِ ، ولكن كاتبَكِ متخلِّفٌ لا يُحْسِن التَّأَتِّى لأمره ، ويُريد ما يُريده على شِدَّةٍ وصعوبة ، فقالت : يا مولاى ، وما كان الصواب ؟ قال : أن تبعثى إليه بثياب وألطاف كما يفعلُ الناس ، فإنك كنت تَستغنين عن خِطابى وخطاب وزيرى ، وكان ذلك أنفعَ لك وأعودَ فى العاقبة عليك . قالت : يامولاى ، فأحتاج إلى هذا مع موضعى منك وموقعى من عنايتك ؟! قال : إى واللهِ إنك لمحتاجة إليه . فعدلت عما كانت عليه ، و بعثت إلى أبى القاسم ميمونٍ تُخُوتًا فيها ثيابٌ فاخرة من قَصَبٍ ودَبيقىٍّ ، وطيباً كثيرا ، وراسلته بإنكارها على الكاتبِ تقصيرَه فى حَقِّه و إغفالَه ما وجَب أن يُقدِّمَه من ملاطفته و بِرِّه ، وسألته إمضاء الكتاب بإقطاعها . فقبل ما أنفذَتْهُ ، وأخذ الكتاب من يَدِ الرسول ، وعَلَّم عليه ، وسلَّم إليه خَرْجًا كان خليفتَه قد أخرجه ، واشتمل على عبرةٍ ثقيلة لا توجب إمضاء الإقطاع ، وعرَّفه إغضاءه عن ذلك ومسامحته إياها بالفضل (١) ، واعتمادَه موافقتها بهذا الفعل . فأعادت على المعتضد بالله ما جرى ، فاستصوب ما كان منها وقال لها : هذا أَنفعُ لك من عنايتى فى هذا الوقت وفيما بعده .

وكان أبو القاسم ميمونٌ يفتخر على الكُتَّاب بأنه أخذ مُصَانَعة بأمر الخليفة وأن ما فيهم من يَجْسر على مثل ذلك .

وحدث أبو القاسم بن زنجى قال حدثنى أبو الطيب أحمد بن إسماعيل عمى قال : مضيت فى يوم من الأيام على الرسم إلى الديوان بالثُّرَيَّا ، فبينما أنا أسير

(١) الفضل هنا : الزيادة .

إذ لحقنى فارس فسايرنى ، وأقبل يُحدثنى ويسألنى عن اسمى وكُنيتى ومنزلى وصناعتى ، فلما ذكرت له مكانى مع أبى العباس بن الفرات قال : كيف مذهبُهُ فى العمل ؟ قلت : أحسنُ مذهبٍ ، يستقصى حُقوقَ سلطانِه ويستوفى مناظرةَ عُمّاله ، ويَجِدُّ فى استخراج أمواله . قال لى : فكيف يجرى أمرُ هذا الوزير ؟ – يعنى عبيد الله بن سليمان – فإننى ما رأيت أشدَّ تخليطا منه ، ولا أفظَّ من حُجّابه ، ولا أكثر إخلافا للمواعيد منه ، قلت له : وكيف ذلك ؟ قال : لأنى رجل من الفرسان قد أَخَّر عنّى رزقى ، وأحوجنى إلى القدوم إلى الحضرة متظلِّما منه ، وأنا أجتهد فى أنْ يُطلق لى ما وجب من رزقى فليس يلتفت إلىّ ، ولا يفكر فىَّ ، وكلما رفعت إليه رُقعةً رمى بها ، ومتى وصَلَتْ إليه لم يَخْرُجْ عليها توقيعٌ ، فقد احترقتُ وهلكتُ وذَهَبَتْ نفسى وطالت على بابه مُدّتى ، فكيف يُمكن هذا الرجلَ – وهو على ما وَصَفْتُه لك – أن يَعمل أعمالَ الخليفة ويُدَبِّرَ أمْر مملكته ؟ قلت له : الذى نعرفه من مذهبِه ومعرفتِه وكفايته غيرُ ما ذكرتَه عنه ، وما يَدَعُ شيئا إلّا نظر فيه ، ولا مظلوما إلّا أنصفه . قال : الذى يبلغنى عنه أنه قد اصْطَلَمَ الدنيا ، وأخذ الأموال لنفسه ، فالجند يتظلمون ، وحاشية الخليفة يشكون ، والنواحى خراب . فقلت : ما أحدٌ من الحاشية إلّا وهو راضٍ ، والأموال كلها تُحمل إلى الحضرة وقدحَسَبَ لِلْعُمَّال أرزاقَ الشحن . والعِمَارةُ زائدة ، والأمورُ منتظمة. فقال: ما الآفةُ فى جميع ما يَجْرى إلا هذا الغلامُ الذى قد رفعه الخليفةُ ، وأعطاه مالا يستحِقُّه وصيَّر الناسَ عبيداً وخَوَلًا له . قلت : ومن الغلام الذى تعنيه ؟ قال : بَدْرٌ . وأقبل يَطْعَنُ عليه ، ويتكلَّم فيه . قلت : ما وَضَعه الخليفةُ إلا موضعَه ، والرجال حامدون له راضون برئاسته . ثم حَوّل وجهَه فنظر إلى كَوْكَبَةٍ [1] عظيمة من الفرسان قد

---

(١) كوكبة : فرقة وجماعة .

أقبلت ، فحرّك دابّتَه ومضى . فلم يَبْعُد حتى أقبل العسكرُ ، وجاء قومٌ يسألونّى عن الخليفة هل رأيته ، وأين أخَذَ [١] . فقلت لهم : ما رأيتُ الخليفة . قالوا : فهل مَرَّ بك فارس على دابّةٍ من صفته كذا ، وعليه من اللباس كذا وكذا ؟ قلت : نعم . قالوا : فأين مضى ؟ قلت : بين أيديكم ، فمن هو ؟ قالوا : المعتضدُ بالله . فَوَقعْتُ فيما لا يُنَادى وَلِيدُه [٢] ، وأقبلت أتذكر ما خاطبنى به وأجبتُه عنه ، حذراً من أن يكون وقع خطأٌ منى أو طعْنٌ على إنسان ممن سألنى عنه . وصرت إلى الديوان بالثريّا ، وأنا لا أعقل غمّا . فأنا فى تلك الحال إذ خرج عبيد الله بن سليمان من حضرة المعتضد بالله ، واستدعى أبا العباس بنَ الفرات ، وأعاد عليه كلّ ما جرى بينى و بين المعتضد بالله ، وأحْمَد عنده ما كان منى فى الإجابة عما سألنى عنه ، وجزانى الخير . وخرج أبو العباس فاستدعانى ، وسألنى عن حالى فى طريقى فأعدت عليه خبرَ الفارسِ وجميع ما جرى بينى و بينه ، فصدّقنى فيه . وقال : إن الوزير أعاد علىّ مثله . وأقبل يَحْمَد الله على حُسن توفيقه إياى فيما خاطبته به . ثم أوصانى بالتحفّظِ فيما أخاطِبُ به مَنْ يُسايرنى . والاحتراسِ من زَلَلٍ تَقَعُ فيه ، فصرت بعد ذلك لا أمرُّ فى طريقى إلا ومعى جماعة ، ومتى خاطبنى إنسان تحرَّزْتُ منه غاية التحرُّز .

وحدث أبو القاسم قال : حدثنى أبو عبد الله والدى قال : كنتُ يوماً بحضرة أبى العباس بن الفرات فى الديوان فى دار السلطان إذ جاءه خادم برسالة من المعتضد بالله ــ رحمه الله ــ يقول فيها : إنّه قد زوّج جاريةً فى داره من [٣] أحد غلمانه ،

---

(١) أين أخذ : أى طريق سلكه .

(٢) وقع فيما لا ينادى وليده . هو تعبير يراد به أنه وقع فى أمر عظيم بحيث إن الشخص ينسى فيه ولده ولا يتذكر اسمه .

(٣) المعروف أن زوج تتعدى بنفسها أو بالباء قال تعالى : « وزوجناهم بحور عين » وقال تعالى: « فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها » . واستعملت فى العصور المتأخرة مع من

وأنفذ إليه ألف دينار أمره أن يبتاع بها لها جِهَازاً ، وأن يفرغ من جميعه فى بقيَّة يومه .
فأجابه بالسمع والطاعة . ثم أمرنى بإثبات جميع ما يُحْتَاج إليه ، فأثبتُّه ، ونظر فيه
وزاد فيما أراد . ثم أحضر محمد بن عبد الوهاب وجماعةً ممن يَسْكُن إلى نهوضِه
وكفايته ، فأفرد كلَّ واحد منهم بِصِنْفٍ يبتاعه ، ودفع إليه من المال بقدر حاجته ،
ووصاهم باختيارِ ما يبتاعونه ، والاحتياطِ فى ثمنه ، والمبادرة بِهِ إلى حضرته فى الدار .
ومضوا ، ولم يزل يُرَاعيهم[1] إلى أن انصرفوا إليه بعد العصر بما ابتاعوه ، فنظر إليه
وارتضاه ، وقابل به الثبتَ الذى عمله فوجده قد انتظم جميعه . ثم تذَكَّر فقال :
يُحْتَاج أن يكون مع ذلك كبريتٌ وحُرَّاق وأحجارُ النارِ وسُرُجٌ . وتقدم بإحضار
ذلك فأُحْضِر . وطلب الخادمَ ، فخرج وسلَّم إليه المتاعَ وثبتاً به ، وحمله الخادم ومن
معه إلى حضرة المعتضد بالله . فلما عُرِض عليه شاهده شيئاً شيئاً وقابل به الثبت ،
فوافق أحمد المعتضد فِعْلَ أبى العباس فيما تفقَّده وقال : مَنْ راعى هذا الأمر هذه
المراعاةَ حتى لم يُخِلَّ بشىء مما تدعو إليه الحاجة لحقيقٌ بتدبير المملكة ، وموضعٌ
للاعتماد والتعويل . ووقع عنده ما كان منه أَلْطَفَ مَوْقِع وأحسنه .

وحدث أبو القاسم قال : حدثنى أبو عبد الله أبى قال : لما شَخَص أبو القاسم
عبيدُ الله بنُ سليمان إلى الجبل مع بدرِ المعتضدىِّ استخلف أبا الحسين القاسمَ ابنَه
على الوزارة وضاقت الأحوال على أبى الحسين ، واشتدت المطالبة بالاستحقاقات ،
فدعتْه الضرورة إلى طلب مائتى ألف دينار من المعتضد بالله قَرْضاً إلى أن تَرِدَ
الأموالُ فيردَّ عِوَضها . وخاطبه فى ذلك ، وسأله إسعافَه . فأجابه إلى إطلاق ما استدعاه
منه إن حضر أحمدُ بنُ محمدِ بن الفرات وضَمِنَ ردَّه . فحملتِ القاسمَ الحاجةُ على أن
سأل أبا العباس ضَمَانَ المال للمعتضد بالله ، فاستعفاه من لقائه ، وعَرَّفه كراهِيَة

---

(١) يراعيهم هنا يراد بها يرقب حضورهم .

الدخول إليه ، وكان القاسمُ لذلك أكره ، لكنّ الضرورة دعته إلى ماخالف رأيَه وإيثارَه فيه ، فأخذه معه ، واستأذن له على المعتضد بالله ، فأوصله . فلما مثل بين يديه استدناه وقرّبه ، وأقبل يسأله عن نواحى السواد ، وما يرْتفع منها ومِنْ عبرها القديمة فى الوقت الذى افتُتِحَتْ فيه . ثم تجاوز ذلك إلى نواحى البصرة ونواحى الأهواز ثم فارس وكرمان وسجستان وفرج بيت الذهب والقندهار والسند والهند والصين ، ثم نواحى خراسان والجبل ، ثم نواحى الموصل وديار ربيعة ومضر وأجناد الشام ومصر والإسكندرية وما وراء ذلك من البلدان . وهو يُجيبه بارتفاع ناحيةٍ ناحيةٍ ، وفى أيام مَنْ فُتِحَتْ ، ويشرح له أحوالها ، فاستعظم المعتضدُ بالله ماشاهده وسمعه منه ، وأعجبه إعجابا شديدا ، وأقبل عليه إقبالا كثيراً شق على أبى الحسين القاسم ، وندم معه على الجمع بينه وبينه . ثم سأل أبا العباس عما عنده فى أمر المال الذى التمسه القاسمُ منه فعرّفه صِدْقَ الحاجة إليه ، وضَمّنَه رَدَّه إلى بيت مال الخاصة ، فَضَمِنَ له ذلك عند افتتاح الخراج واتساع الارتفاع ، فوقّع إلى صاحب بيت المال بإطلاقه ، ووقع إليه وإلى صاحب بيتِ مال العامةِ بألّا يَقْبَلَا توقيعاً للقاسم فى شىء من المال إلا بعد أن يكون فيه توقيع أحمدَ بن محمد بنِ الفرات ، وأعلمه أن اعتماده فى استيفاء الأموال وجَمْعِها عليه لايعرف فيها سواه . وانصرف القاسم كئيباً حزيناً بما جرى ، ولم يَنْفُذْ له من بَعْدُ توقيعٌ بإطلاق مالٍ إلا مايُوَقّع فيه أبو العباس .

وكتب القاسم إلى أبيه بصورة المجلس ، فكتب إلى أبى العباس يشكرُه على ما كان منه ، وإلى القاسم يُوَبّخُه ويُعَنّفه على فِعْله ، وقال له فى فصل من كتابه : كنتُ ظننتُ أن السنّ حنّكتْكَ ، والأيام قد ثقّفَتْكَ ، حتى ورد كتابُك بما ورد به .

ثم أتبع ذلك بالخطاب القبيح بما يشا كله ، وأعلمه أنه قد أخطأ وأساء ، وجنى على نفسه وعلى أبيه جناية لا يُمكن تَلافيها ، وأنه كان يجب أن يستسلف المال من التجّارِ ويلتزم فى ماله ومالِ أبيه قَدْرَ الرِّبح فيه ولا يفعلَ ما فعله .

قال أبو القاسم : وسمعت جماعة من الكتاب يذكرون أن السواد لم يرتفع لأحدٍ بعد عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه بمثل ما ارتفع له إلا المعتضدَ بالله فإن أبا العباس أحمد بن محمد بن الفرات رفعه فى أيامه ثلاثمائة ألف وأربعين ألفَ كُرٍّ شعيرا مُصَرَّفاً بالفالجَ (١) ، وباع الكُرَّين بالمعدل من الحنطة والشعير بتسعين ديناراً (٢) فكان ثمن الأكرار أربعة آلافِ ألفٍ وثمانين ألف دينار ، وحصَّل من الخراج وأبواب المال أكثر من ألفِ ألفِ دينار ، فإذا أضيف إلى ذلك فَضْلُ الشروط والمُقاطعَات والإيغارات ، بلغت الجملةُ ما حُصِّل لعمر بن الخطاب رضوان الله عليه .

قال أبو القاسم : وسمعت مشايخ الكُتَّاب يقولون : إنه لم يجتمع فى زمن من الأزمنة خليفةٌ ووزيرٌ وصاحبُ ديوان وأميرُ جيش مثلُ المعتضد بالله وأبى القاسم عبيد الله بن سليمان وأبى العباس بن الفرات وبدر . فكان التدبير مع هؤلاء الأربعة مطَّرِداً ، والأمر منتظما ، والعمارة وافرةً الأموال دارَّةً ، حتى اجتمع فى بيت المال — بعد النفقات الراتِبَةِ والحادثةِ وإطلاقِ الجارى للأولياء فى سائر النواحى وجميعِ المرتزقة بها وبالحضرة تسعةُ آلافِ ألفِ دينار فاضلةً عن جميع

(١) الفالج : مكيال ومصرفاً بالفالج : مباعا مع كيله بهذا المكيال .

(٢) لا يكون هذا هو الثمن ولعل فى الكلام تحريفا لأن النتيجة التى ذكرها لا تتفق إلا إذا باع الكرين بأربعة وعشرين دينارا وبهذا يحصل الناتج أربعة ملايين وثمانين ألف دينار .

النفقات . وكان المعتضد بالله ــ رحمه الله ــ قد اعتقد أنْ يُتِمَّهَا عشرةَ آلافِ ألفِ دينار ، ثم يَسْبُكَها ويجعلَها نُقْرَةً[1] واحدة ويطرحها على باب العامّة لِيَبْلُغَ أصحابَ الأطرافِ أنّ له عشرةَ آلافِ ألفِ دينار ، وهو مستغنٍ عنها ، فاخْتَرَمَتْه[2] المَنِيَّةُ ، قبل بُلُوغ الأُمْنِيَّة .

وحدث أبو القاسم قال : حدثنى أبو عبد الله أبى قال : تأخرت عن أبى العباس ابن الفرات فى يومِ جمعة ، وأقمت عند بعض أهلى بالجانب الغربى ، وحضرتنا مغنيتان محسنتان فاندفعتْ إحداهما وغنت[3] :

قَايَسْتُ بين فِعالها وجَمالها ... فإذا الملاحة بالخيانةِ لا تَفِى
والله لا كلَّمْتُها وَلَوَ انَّها ... كالشمس أوكالبدر أوكالمكتفى

وضربت الأخرى وغنَّتْ :

ياذا الذى حَلَف العشيَّةَ جاهداً ... أَلَّا يُكَلِّمنى فِعالَ المُسْرِفِ
قد جُرْتَ فيما كان منك وإنه ... ليزيد قُبْحُ الجوْرِ عند المُنْصِفِ

قال : فاستحسنت أن أجابت الثانيةُ الأولى بجواب فى وزن الصوت وقافيته ومعناه . وصرت إلى أبى العباس بن الفرات من غدٍ ، وسألنى عن سبب تأخرى عنه ، فأعلمته إياه ، وحدثته حديث المغنيتين وما غنَّتَا به ، فعجب منه ومضى إلى أبى الحسين القاسم بن عبيد الله فأخبره . فكانت سبيلُه فيه سبيلَه[4] وقد كان أبوالعباس سألنى عن قائل الشعر . فقلت : هو لعبد الله بن المعتز ، وحضر القاسم بحضرة المكتفى بالله ، فأعاد عليه الحديث فقال له : لمن الشعر ؟ فقال : لعبيد الله بن عبدالله

(١) النقرة من معانيها : القطعة المذابة من الذهب والفضة
(٢) اخترمته : أدركته وأخذته (٣) انظر الديارات
(٤) يعنى أنه تعجب كتعجب أبى العباس بن الفرات .

ابن طاهر . فقال : قد بلغني عنه خَلَّة (١) ، فاحْمِل إليه ألف دينار، وأعلمه أنني لا أُخليه من مثله في كلِّ مُدَّة . وانصرف القاسم وعَرَّفَ أبا العباس ماجرى ، وما حُمِل إلى عبيد الله من الدنانير . قال أبو عبد الله : وأخبرني أبو العباس بما جرى فقلت : الشعر لعبد الله بن المعتز . فقال: قد أتاح الله لعبيدالله بن عبد الله الرِّزْقَ من حيث لم يحتسب، وهذا مالا حيلة للمخلوقين فيه .

وحدث أبو القاسم عن أبيه أنه كان جالساً بحضرة أبي العباس بن الفرات في يوم سبت وقد ابتدأ المطر، وهو يريد المضيَّ إلى دار أبي القاسم عبيد الله بن سليمان ، إذ وردت عليه رقعةُ محمد بن إبراهيم بن الخصيب وفيها :

انْعَمُوا آل الفراتِ واشْرَبوا بالْبُكُرَاتِ
يوم سبتٍ ورذَاذٍ وجَوارٍ مُحْسِنَاتِ
ماقرى(٢) كسرى أنوشِرْ وانُ هذا في الصفات

فعمل على القعود ، وأضرب عن الركوب ، و بعث إلى محمد بن إبراهيم في الحضور، واستدعى أبا الحسن أخاه ، ومرَّ لنا أطيبُ يوم .

وكتب أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بخطه إلى أبي العباس أحمد ابن محمد بن الفرات :

ياوليَّ الإمامِ هَنَّأَكَ اللـه بدِين الهُدَى وشهْرِ الصيام
وبكُلِّ الأعياد في الدين فاسعَدْ أمَدَ الدهر عابرَ الأيَّامِ
عالياً غاية الذُّرَى كالِئَ(٣) الديـنِ رئيساً أقصى مدى الإحرام(٤)

(١) الخلة من معانيها الحاجة والفقر
(٢) هكذا في الأصل : وقرى الضيف: أضافه ، وقد تكون الكلمة محرفة عن : مارأى أو ما دري أوهي : ما قرى أي ماصنع .
(٣) كالئ الدين : حارسه
(٤) الإحرام : الدخول في حرمة لا تهتك .

أنت قُطْبُ الدُّنيا تدور عليه   ما أُدِيرَتْ وحافِظُ الإسلام
أنت بالدِّين فى الزمان مُهَنَّى   وله فى يديك عَقْدُ الذِّمام
وتُهَنَّى الدنيا وأعيادُها منـ   ـك بطول البقاء والإحتكام
والمَرَاقى فى المجد والأمر والنَّهْـ   ـيِ وأعلى الإعزاز والإكرام
واتِّصالِ الإحسان منك إلى النا   س وشَفْعِ الإيصالِ بالإنعام
أنت عنوانُ كلِّ مجد وتاريـ   ـخُ المعالى وسيِّدُ الأقوام
حارِسُ الإرْثِ والخلافةِ والسلطـ   ـان والدَّهْـرِ كُلِّه والأنام
عَلَمُ الدَّهْرِ فَابْقَ فيه تجاهاً   عَلَماً للمنار والأعلام
جَمَع اللهُ كلَّ خيرٍ ومأمو   ل وسُؤْلٍ ونعمةٍ للهُمَامِ
جامعاً للوزير كلَّ تمامٍ   من أقاصى المُنَى بِكُلِّ دَوامِ
ذا دعائى وصَلْتُه بثنائى   وَمُنَاىَ انْتَظَمْتُها فى نِظامِ
مُقْسِماً بالوفاء والشكر والإخْـ   ـلاص والنُّصْحِ غايةَ الإقْسَام

وحدث أبو القاسم بن زنجى قال : سمعت أبا الحسن علىّ بن محمد بن الفرات يقول : كثُر القول فى حفظ أبى جعفرٍ أحمدَ بن إسرائيل الكاتبِ الأنبارىّ ، فأَحبَّ أخى أبو العباس أن يقف على صِحّة ذلك من بُطْلانه ، فمضى إليه ، وأخذنى معه ، ودخلْنا داره ، وقصدْنا مجلسه، فوجدناه قد نهض منه يريد الرُّكوب، فقال لى أخى : فاتَنا كلُّ ما قدَّرْناه . وسلَّمنا عليه ومشينا معه . فبينما نحن فى تلك الحال إذ جاءه خليفةٌ لبعض العُمَّال بكتاب ضخم من العامل الذى كان يخلفه، فدفعه إليه ، وفضّه ، وأخذ الغلام طَرَفه ، وأقبل يَهُذُّه[1] عليه هَذًّا سريعاً مُتَّصِلاً حتى انتهى إلى آخره . ثم رمى به إلى الكاتب وقال له : وَقِّع عليه بأن يجاب

(١) يهذه : يسرده .

بكذا وكذا . ومشى إلى الموضع الذى يركب منه وركب . فقال أخى : أعطى الله عهدا إن كان قرأ الكتابَ أو دَرَى ما فيه ، وإنما فعل ما فعله لِيُرِيَنا أنه قد قرأه وفهمه . وتقدم إلى بعض غلمانه بِطَلَبِ صاحب الدواة ، وبَذْلِ شىء له على إخراج الكتاب إلينا لنقرأه وَنَرُدَّه من وقته ، ففعل ذلك ، وجاءنا بالكتاب فقرأناه ، وقرأنا التوقيع عليه ، فوجدناه قد انتظم بسائر معانى الكتاب . فعلمنا أن الذى تُحُدِّث به عنه حَقٌّ لا تَزَيُّدَ فيه .

وحدث أبو القاسم عن عبد الله أبيه قال : كان أبو العباس بن الفرات يَحْتَبِسنى عنده فى أيام خلوته للأُنْس ، قال : فحضر عنده فى بعض الأيام عِدَّة مغنِّيات ، وغنت إحداهن لأبى العتاهية :

أَخِلاَّىَ بى شَجوٌ وليس بكم شَجْوُ … وكُلُّ فتًى من شَجْوِ صاحبه خِلْوُ
رأيتُ الهوى جَمْرَ الغضَا غير أنَّه … على حَرِّه فى حَلْقِ ذائِقِهِ حُلْوُ

فقال أبو العباس : هذا خطأ ، وإنما يجب أن يكون الباردُ ضدَّ الحارِّ والحُلْوُ ضدَّ المرِّ . فقلت له : فكيف كان يجب أن يقول ؟ قال : كان يقول :

غدوتُ على شَجْوٍ وراح بِىَ الشَّجْوُ … وكلُّ فتى من شجوِ صاحبه خِلْوُ
وبا كَرَنى العُذَّالُ يلْحُون[1] فى الهوى … وَمُرُّ الهوى فى حَلْقِ ذائِقِهِ حُلْوُ

فلم يبق أحد ممن حضر إلَّا عَلِم أن الذى قاله أحسن وأصوب .

وحدث أبو القاسم عن أبيه قال : تقدم أبو الصقر إسماعيل بن بلبل إلى أبى عبد الله محمد بن غالب الأصفهانى[2] أن يَكتبَ إلى العُمَّال فى النواحى كُتُباً يَدْعوهم فيها إلى الاستكثار من العمارة ، ويأمرهم بمطالبة الرَّعِيَّةِ بها ، فكَتَبَ

---

(١) يلحون : يلومون ويعذلون .

(٢) كان يتقلد ديوان الرسائل، وأوقع به القاسم بن عبيد الله، انظر مروج الذهب : « ذكر جمل من أخبار المكتفى بالله » .

الكُتُبَ وأحضَرَها أبا الصقر ، فاستحسنها وتركها بين يديه . وأقبل أبو العباس أحمد بن محمد بن الفرات ، فدفعها أبو الصقر إليه وقال له : اقرأها وانظُرْ ما أحسنَ ما أورَدَه أبو عبد الله فى هـذا المعنى . فقرأها ، ووجـدَهُ قد افتتحها بأن قال : « الحمدُ لله الذى استعْمَرَ عِبَاده فى أرضه لِيُخْرِجَ رِزْقَهُمْ منها وليكْفتهمفيها»[١]. ثم قال بعد ذلك : ولو لم يكن من فضيلة الازدراع إلَّا قولُ الله عز وجل فى محكم كتابه : « كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ »[٢] فلما قرأها أَدْرَجها[٣] ، وأمسك عن إيراد شىء فى معناها ، فقال له أبو الصقر : ما عنـدك فيها ؟ وأَطْنَبَ فى وَصْفِها ، فعارضه أبو العباس فى ذلك . فقال له : ما الذى أنـكرتَه ؟ قال : ابتدأه بأن قال : الحمد لله الذى استعمر عباده فى أرضه ليُخرج رزقهم منها وليكفتهم فيها.فلم يَدَع لهم نَفْساً[٤]. ثم ثَنّى بأن جعل الآيات التى جعلها الله فى نبيِّه وأصحابه عليهم السلام مَثَلًا للزرع ، وهـذا خلاف ما جاءت به الرواياتُ ، وفسَّرَه المفسرون . فعلم أبو الصقر أن الأمر على ما قال ، وكلَّفه كَتْبَ الكُتُبِ من جهته، ودفع المكتوبة إليه . وكانأبو عبدالله محمد بنُ غالب يَعْتِب على أبى العباس لِمَا كان منه فى ذلك .

وحدث أبو القاسم عن أبيـه قال : خلا أبو الحسن علىُّ بن محمد بن الفرات للشرب فى وزارته الأولى ، فى الدار المعروفة بالدار الجديدة من دار سليمان بن وهب . وحضرت أنا وجماعةٌ من كُتَّابه ، وحضَرَ من المغنيات بين يدَىِ الستائرِ ومِنْ ورائها مالا يُحْصَى كثرة ، وأُحْضرت من أوانى الذهب والفضة مالَهُ القيمةُ الوافرة .

---

(١) يكفتهم : يميتهم .

(٢) سورة الفتح الآية ٢٩

(٣) أدرجها : طواها .

(٤) لم يدع لهم نفسا : أى إرادة أو همة .

يومٌ يومٌ حسنٌ طيِّبٌ إلى وقت العصر ، وإذا العباس الفرغانىُّ حاجبُه قد دخل وقال : ياسيِّدَنا ، قد حضرت بِدْعَةُ[1] الكبيرةُ وهى فى طَيَّارها تستأذن للوصول . فأطرق مُفكِّراً ثم رفع رأسه وقال : ارْفَعوا ما هاهنا من الأوانى . فَرُفع إلَّا قليلا ، ونهضت المغنيات اللواتى كُنَّ قُدَّام السِّتَارة ، وأَمَره بالإذْنِ لها . فدخلتْ ووقفتْ بحضرته ثم تقدَّمَتْ وقبلتْ يده وقالت : بلغنى أن سيدى الوزيرَ قد نَشِطَ للشُّرْبِ فحضرْتُ للخِدمة . فأمرها بالجلوس ، وجلست وطلبت العود ، فجىء به ، وغنَّتْ فجوَّدتْ ، واستحسن أبو الحسن ما أتَتْ به ، وطَرِب عليه وشَرِب . ثم أخذ رُبْعَ قِرْطَاسٍ كان فى دواته ، وكتب شيئاً وقطعه ، ودفعه إلىَّ وقرأتُه فكان :

إذا بِدْعَةٌ جَوَّدَتْ عُودَهَا ... تَذَلَّلَ فى ضَرْبِها كُلُّ صَعْبْ

تُغَنِّى فَتَجْنِى ثِمَارَ القُلُوبِ ... وتُهْدِى سُرورا إلى كُلِّ قَلْبْ

فاستحسنتُ ذلك ، وكانت بدعةُ بالقُرْب منى . فقلت لها : اسمعِى إلى ما وصَفَكِ الوزيرُ به . وأنشدتُها البيتين ، فَسُرَّت وفرحتْ ، وقامت مسرعةً فقبَّلت يدَه ثمّ الأرضَ وعادت إلى موضعها وقالت : بالله ياسيدى إلَّا أَعدْتَ الشِّعْرَ علىَّ حتى أُحفظَه ، ففعلتُ وحفظتْه وأدارَتْه فى حَلْقِها ، وعَمِلَتْ له لَحْناً من وقتها ، ثم ضربَتْ وغنَّتْه ، فجاء فى نهايةِ الحُسْنِ . ونَشِط أبو الحسن ، وتقدَّم بِرَدِّ المجلس ومن كان فيه إلى ما كان عليه . ولم يزل ذلك الصوتُ صَوْتَنَا عَلَيْها بَقِيَّةَ ليلتنا . فقال أبو القاسم : فقلت لأبى عبد الله أبى : فَلِمَ كَرِهَ حُضُورَ بِدْعة وهى من آلة الشرْبِ وموصوفة بالحِذْقِ فى ذلك الوقت ؟ قال لأنَّه كان يتَّهِمُها بنقْلِ أخباره إلى المقتدر بالله رحمه الله .

قال أبو القاسم : وكان لأبى الحسن بن الفرات مَطبخانِ فى داره . فأما مطبخ

(١) لها ترجمة فى المنتظم ٦/١٢٩ توفيت سنة ٣٠٢ .

الخاصَّة الذى يُطْبَخ فيه فلا أحصى ما كان يدخله من الغنم والحيوان لكثرته . وأما مطبخ العامَّة المرسوم بما يُقدَّم إلى خلفاء الحجَّاب المقيمين فى الدار ويُفْرف منه للرَّجَّالة والبوَّابين وأصاغر الكُتَّاب وغلمان أصحاب الدواوين فكان يُسْتعمل فيه فى كلِّ يوم تسعون رأساً من الغنم وثلاثون جَدْياً ومائتاقِطْعَةٍ دَجاجاً سِماناً وفراريج مُصَدَّرة ، ومائتا قِطْعَةٍ دُرَّاجاً ، ومائتا قطعة فِراخاً . وهناك خبَّازون يخبزون الخبز السَّمِيذَ [١] ليلا ونهارا ، وقوم يعملون الحَلْواء عملا متصلا ، ودار كبيرةٌ للشَّراب . وفيها ماذيان [٢] يجعل فيه الماء المبرد ويُطْرحَ فى الثَّلْج كدراً ، ويُسقى منه جميعُ من يريد الشُّرْب ، الرجَّالَةُ والفرسانُ والأعوان والخُزّان ومن يَجرى مَجرى هذه الطبقةِ من الأتباع والغلمان ، ومُزَمَّلاتٌ [٣] فيها الماء الشديد البَرْدِ . وبرَسْم خِزانة الشَّرابِ خدَمٌ نِظَافٌ ، عليهم الثياب الدبيقيّة السَّرِيّة [٤] ، وفى يَدِ كلِّ واحد منهم قدحٌ فيه سِكَنْجبين [٥] أو جُلَّاب [٦] ومِخْوَضٌ [٧] وكوز ماء ومنديل من مناديل الشراب نظيف ، فلا يتركون أحدا ممن يحضرُ الدارَ من القواد والخدم السلطانيّين والكُتَّاب والعُمَّال إلا عرضوا ذلك عليه . وفى جانب الدار أدراجٌ [٨] كثيرةٌ لأصحاب الحوائج والمتظلّمين حتى لا يَلْتَزِم أحدٌ منهم مؤونةً لِمَا يَبْتاعُه من ذلك،وأنصافُ قراطيسَ وأثلاثٌ .

قال أبو القاسم : وحدثنى أبى قال : كان أبو الفضل بن الحجَّام النحويُّ

(١) الخبز السميذ : ما كان من الدقيق الأبيض .
(٢) الماذيان : الأنبوبة ولعلها تشبه « الزمزمية » .
(٣) المزملات : الجرار والحوابى جمع مزملة .
(٤) السرية : الجيدة .
(٥) السكنجبين: من نوع الشراب .
(٦) الجلاب : العسل أو السكر يعقد بماء الورد .
(٧) المخوض لعله أداة للغرف .
(٨) الأدراج هنا جمع درج : وهو ما يكتب فيه .

يكثر الجلوس إلى جانبى فى دار أبى العباس أحمد بن محمد بن الفرات يحادثنى ، فاتفق أن جلس يوما على رَسْمه ، واستمددْتُ من الدواة فترشَّشَ من ذلك المداد ، على ثيابه ، فأخذ قلماً من دواتى وقرطاساً من بين يدى وكتب إلى أبى العباس :

يا سيِّدى ومُؤَمَّلِى فى كُلِّ حادثةٍ وَرَيْبِ
لكَ كاتِبٌ شَابَ الكِتا بَةَ بالبلاغةِ أىَّ شَوْبِ
فإذا جلسْتُ بجنبه جَعَل اسْمَه صِبْغاً لِثَوْبِى

يعنى « زِنْجىّ » فضحك أبو العباس مما كتب به ، وأمر فحُمِلَتْ إليه عدَّةُ أثواب من دبيقى وقصب وغير ذلك .

قال أبو القاسم : حدثنى عمى أبو الطيب أحمد بن إسماعيل قال : كان معنا فى الديوان خازنٌ شيخ قد خَزَن فى الدواوين فى سُرَّ من رأى ، يُعرف بجعفر الحَرَامى ، فكان يقول كثيراً : ما استطَعْتَ ألَّا تَبيت مَغموماً فَافْعَلْ فكنت أسمع هذا الكلام منه صَفْحاً[1] . فلما كان بعد مُدَّة ، وأنا أكتب بين يدىْ أبى العباس أحمد ابن محمد بن الفرات وأُخَفِّف عنه . جاءنى رجل من التُّنَّاء[2] بالسَّواد ، ومعه توقيعٌ بِنَقْلِ مُقَاسَمَةِ بَيْدَرٍ له من رسمٍ ثقيلٍ إلى رسمٍ خفيف ، ذكر أن أبا القاسم عبيدَ الله بن سليمان وقَّع له به ، وتوقيعُ أبى العباس بن الفرات فيه بالعمل على مُوجبه . فاسْتَرَبْتُ بالتوقيع فشككت فى صِحَّته ، و بذل لى مائةَ دينار على إمضائه ، وكَتْبِ الكتاب بمقتضاه . ففعلْتُ وأخذت المائة دينار وتسلَّم الكتاب . فلما كان الليلُ وأَوَيتُ إلى فراشى اجتهدتُ فى النوم فامتنع علىَّ ، وذكرت ماعملْتُه وتجوَّزْتُ فيه ؛ فضاق صدرى ، وساء ظنى ، وقلت : هذا الذى كان يُحَذِّرُنى منه جعفرٌ الحرامىُّ ، وندمتُ على

(١) صفحاً : بدون انتباه ولامبالاة أو معرضاً عن ذلك .
(٢) التناء : أهالى البلاد المقيمون بها جمع تانئ .

ما كان منى ، وتقلَّبت على الفراش من غير أن يدخل النومُ عَيْنَىَّ ، وحدثت نفسى بالركوب وقَصْدِ الرَّجُل . وقد كان ذكر لى فيما جَرى بيننا من الحديث أنَّ منزله فى الجانب الغربى فى سِكَّة كذا من سِكَك المدينة ، فلم يُمكن ذلك لأنه كان أوَّل الليل ، ثم لم أزل على حالى فى القلق طويلاً ، حتى إذا زاد ما بى تقدَّمْتُ إلى غلمانى بأن يُسْرِجُوا لى و بالخروج إلى الشارع ، والمسألة عَمَّن بتلك الطريق ، فخرجوا وعادوا يذكرون أنه ما مَرَّ أحد . ثم أمرتهم بأن يُسْرجوا لى على كل حال ، وأسرجوا وحملوا بين يدىَّ شمعة، وركبتُ وسرت ، فإذا الشرائحُ[1] ممدودةٌ ، وأبواب الدُّروب مغلقةٌ ، فما تهيَّأ لى فتحُ شىء منها إلا ببِرِّ الحرَّاس . ولم أزل على ذلك حتى انتهينا إلى رأس الجسر من الجانب الشرقى ، فكان البابُ مُقفلا ، فسأل الغلمانُ الموكَّلَ بهفَتْحَه ، فأبَى ، و بذلوا له دراهم عن ذلك فلم يقبلها . ووقفتُ إلى أن وافى فُرَانِقٌ[2] مِنْ قِبَلِ بَدْرٍ غُلامِ[3] المعتضد بالله بكتاب منه إلى بعض أهل الدَّولة النازلين فى الجانب الغربى ، ففتح له البابَ وجاز وجُزْتُ معـه . ثم وصلت بعد اجتهـاد إلى دار الرجل ، وتقدم غلمانى إلى بابه فدقُّوه ، وطالعهم مِنَ السَّطْح ، وسألهم عما يريدونه ، فأشعروه بحضورى ، فأمهل قليلا ثم فتح الباب ، وأَذِن فى الدخول ، ورآنى فأنكر مجيئى فى مثل ذلك الوقت ، وقال : لو كتبتَ إلىّ لجئتك ! فما الذى تُحِبُّ الآن ؟ فقلت وَقَع علىّ سهوٌ فى الكتاب الذى كتبتهُ لك ، وخفتُ أن يقع عليه من يَتَتَبَّعُنى وتَتَطَرَّقُ من قوله قباحةٌ علىّ . فقال : هذا قولٌ لا يَجُوز على مثلى ، ومن المحال

---

(١) الشرائح جمع شريجة : وهى فلقة العود . ويعنى بذلك الأخشاب التى تترس بها الأبواب .

(٢) الفرانق : الرسول .

(٣) أمر بقتله المكتفى بالله ، انظر مروج الذهب « ذكر جمل من أخبار المكتفى وسيره » وذلك فى سنة ٢٨٩ وله ترجمة فى المنتظم ٦ / ٣٤ .

أن يخرج عن يدك ما فيه لَحْنٌ وخطأٌ ، ولعلك فكَّرْت فى شىء آخر من أمر الكتاب نَفْسِه ، فقلت : لا بُدَّ من إحضاره ، فقال : تَوَقَّفْ قليلا . ثم قام وغاب لحظة وجاء ومعه صُرَّةٌ فيها خمسون دينارا ، وقال : تلك مائةٌ وهذه خمسون دينارا ، وليس فى كلِّ وقت يعرض مثلُ ذلك ، وكم فى الدواوين من توقيع يجرى هذا المجرى ولا يُؤْبه له ولا يُتَنَبَّه عليه ؟ ورغبنى فيها ترغيبا كِدْت معه أن آخذها . ثم ذكَرت محلِّى من أبى العباس بن الفرات ، وموضعى من خدمته ، ومكان أخى منه ، وأننى أقدر أن أُفيد معه وفى جملته الفوائد الكثيرة ، فتماسكْتُ وامتنعت ، وعاوَدْتُه المطالبةَ بالكتاب ، ووضع غلامى بين يديه المائَةَ الأولى . فقال : أُحِبُّ أن تتوقَّفَ قليلا . وقام ثم رجع ومعه الكتابُ وخمسون دينارا أخرى ، وقال : هذه مائتا دينارٍ ، وهذا الكتاب ، فاختر ما تُريده منهما وخذه . وأعاد من تَهْوين القصَّةِ وتجديدِ القول الداعى إلى الرغبة ما كادت به يدى تمتدُّ إلى الدنانير . ثم راجعت الفِكْر ، وأشفقت من ظهور الأعداء [على] الأمر ، وفسادِ الجاه ، وأخذتُ الكتاب ومزَّقْتُه ، ونهضت وركبت . فلما توسَّطْتُ الجسرَ رميته مُخَرَّقًا فى الماء ، وعُدْت إلى منزلى ، وكنت أنزل بسوق العطش . وقد بقيت سُدْفَةٌ[1] من الليل ، فطرحْتُ نفسى على الفراش ، ونمت نوماً طيِّباً ، وزال ما كنت عليه من سوء الفكر واستشعار الخوف ، وأصبحت وسألتُ غلمانى عما عندهم من الطعام ، وأنفذت إلى جماعةٍ كانوا يُعاشروننى ، فحضروا وأكلنا ، وحضر النبيذ وشربنا ، وجاءنى غِلامى وقال : غلامُ أبى العباس بن الفرات بالباب يَستدعيك . فأدخلته وأجلسته معنا ، فأكل وشرب ، وقلت له : عرِّفه أننى عند بعض أهلى بالجانب الغربى . فمضى ، ولم يَبْعد أن جاء غلامٌ آخرُ يطلبنى ، ففعلت به كمثل فعلى بالأول ،

---

(١) السدفة : الظلمة .

فانصرف . وقلت فى نفسى : لَأَنْ ألقى أبا العباس مُعْتذرا من تأَخُّر يوم عن خِدْمته أَوْلَى من أن ألقاه مُعتذراً من مثل ذلك الذنب الكبير . فأقمت على جملتى بقيَّة يومى ، و باكَرْتُه من غدٍ ، فسألنى عن سبب تَأَخُّرى فأعلمتُه كونى عند بعض أهلى بالجانب الغربى . ومضت أيَّامٌ ، وورد كتابُ العامل الذى تلك الضيعةُ فى عمله وفى دَرْجِهِ حَزْرُ [1] الغَلَّة وقد نَسَب كلَّ بيدر إلى مقاسمته ؛ وعلى مِثل هذا كانت الحُزُور تَرِد . فقرأه أبو العباس على رَسْمه حرفاً حرفاً ، ووجد قد حُـكِىَ تحت اسم بيدر من البيادر : عمـا وَرَد الـكِتَابُ بنقْلِه من مقاسمة كذا إلى مقاسمة كذا . فَلما قرأه اخْتَلَط وأنـكر ذلك وقال : ما أذكره ، ومتى أمرنا بنقل المقاسمات الثقيلة إلى المقاسمات الخفيفة ؟ واستدعى أبا عبـد الله أخى ، وتقـدَّم إليه بأن يكتب إلى العامل بإنكاره ما وقف عليـه من الحـكاية التى حكاها فى الحزر ، وَيُرِدَّ الـكتاب الذى وصل إليه فى هذا المعنى بعينه . فـكتبَ ذلك ، ومضت أيامٌ فلم أشعر وأنا بحضرته إلا بكتابِ العامل قد ورد جوابا عما كُوتب ، وفى دَرْجِهِ الـكتابُ الذى طُلِبَ منـه . وقرأه أبو العباس بن الفرات ، وأقبل يدفعه إلى واحد واحد من الـكتاب الذين فى مجلسه ، و يسأله عن صاحب خَطِّه . ثم دفعه إلىّ فلما قرأتُه ذكرتُ اسم البيدر ، وقلتُ فى نفسى : أىُّ شىء كان أسوأَ حالًا منِّى لو كان بخطى وقد ورد فى مثل هذا المجلس الحافل ؟ ولم يعرف أحدٌ من الحاضرين الخطَّ ، وسلمه إلى أحمد بنِ يزيد المدبرِ وقال له : امضِ به إلى الديوانــ ، وخُذْ خطوط أصحابِ المجالسِ وخلفائهم بمـا عندهم من العلم به ، وجئنى بنسخته إذا وجدتها من مواضعها .

---

(١) الحزر : التقدير .

قال : وسبقَ الخبرُ إلى الـكُتَّاب ، وقد كان الرجلُ صاحبُ البيدر برَّهُمْ بجملة حتى أثبتوه عندهم ، فما منهم إلّا من قطَعَه وأَخْرَجه من شَكِّ [1] الورق ، ورمى به فى المُستراح ، أو أعطاه غلامه حتى أخرجه من الديوان وخبأه فى خُنِّه أو تحت الأرض . ولمـا دار عليهم ابنُ يزيدَ أنـكروا وجحدوا ما فيـه من علاماتهم وخُطُوطِهم فأخَذ خطوطَهم على ظَهْرِ الـكتاب بما ذكروه ، وجاء به إلى أبى العباس . ونحن فى تلك الحال إذ جاءت إليه رقعةٌ من مُتَنَصِّحٍ يذكر فيها اسمَ الرجلِ الذى كتب الـكتاب وموضِـعَ مَنْزِلِه ، فدعا أبو العباس العباسَ الفرغانىَّ حاجبَه ، وأمره بـكَبْسِ الدار وطلَبِ الرجلِ ، فإن وجده أحضره وإن لم يجده أَنْهَبَ كُلَّ ما فيها . فمضى ومعه ثلاثون راجلا فـكبس الدارَ ، ولم يظفرْ بالرجل ، فنهب الرَّجَّالةُ والأتباعُ ما كان فيها ، وعرفَ الرجُلُ الخبرَ فاستتر مدة ، ثم خرج إلى الموصل هاربا ، ولم يزل مقيما بها إلى أن مات أبو العباس ، فحمدتُ الله وشكرته على ما وفّقنى له ، وخلّصنى منه ، وعلمت أنه لا شىء أنفع من الصِّحَّة ولا أجلُّ من الأمانة .

قال أبو القاسم : وحدثنى أبى قال : كان أبو العباس بن الفرات يميل إلى أبى خازمٍ القاضى ويُـكْرِمه ويُقْبل عليه إذا حضر عنده ، ويتحدث معه ، وكان أبو خازم أديباً حافظاً ، فحضر يوما عند أبى العباس ، وجرى الحديثُ بينهما ، إلى أن أنشده أبو خازم :

أأنت الذى أخبرتَ أنك ظاعنٌ   غداةَ غــــدٍ أو رائحٌ لهَجيرِ

وقلتَ يَسيرٌ نِصْفُ شَهْرٍ أغيبُه   وما نِصْفُ يَوْمٍ غَيْبَـةً بيسيرِ

قال له أبو العباس : أتحفظ فى هذا الشعر غيرَ ما أنشدتَه ؟ قال : لا . قال : بَلَى

---

(١) شك الورق : يراد به انضمام بعضه إلى بعض كما ترتب الملفات مأخوذ من قولهم: شك الشىء إلى الشىء إذا ضمه إليه .

أنشدنا أبو مُحَلِّمٍ قال : أنشدنا الأصمعيُّ [1] لبعض العرب :

وما أَنسَ مِلْأَشْيَاءِ لا أَنسَ مَوْقِفاً ... لنــــا ولها بالسّفْحِ سَفْحِ ثَبِيرِ

ولا قَوْلَهَا يوماً وقد بَلَّ جَيْبَهَــــا ... سَوَابِقُ دَمْعٍ للفراقِ غَزِيرِ

أأنت الذى أخبرتَ أنك ظـاعِنٌ ... غَدَاةَ غــــدٍ أو رائحٌ لهجيرِ

وقلتَ يسيرٌ نِصْفُ شهر أغيبُــــه ... وما نصفُ شهرٍ غيبــــةً بيسيرِ

قال : فقلت له : ألا قال نصفُ لحظةٍ ، نصفُ ساعةٍ . قال : إنّ العرب تتهالك فى أشعارها أحياناً ، وتترك أحْياناً فيه نَفَساً . فعجب أبو خازم من حفظه وزيادته على ما كان عنده ، وطلب الدواةَ وكتب الحكايةَ والزيادة عنه وقال له : ما جئناك بفائدة إلا وانصرفنا من عندك بفوائد .

وحكى أبو القاسم عن أبيــه قال : كان أبو العباس بنُ الفرات أذْكَرَ الناسِ وأحفظَهم لما يَمُرُّ به من قليل وكثير ، فقال لى يوماً . ما اشتهيتُ أن أحفظ شيئاً قَطُّ إلَّا حفظتُه . وما آسى من عمرى إلَّا على ثلاثِ سنينَ أفنيتها فى عِلْمِ إقليدس ، كيف لم أُفنها فى الفقه ؟ قال : وكان أعلم الناس بالفقه على سائر المذاهب .

وقال أبو القاسم : تأخَّرتْ أرزاقُ الكُتَّاب فى وزارة حامدِ بن العباس ونَظَرِ علىِّ بن عيسى تأخُّراً طويلًا . فلما تقلّد أبو الحسن بن الفرات الوزارةَ الثالثةَ ، وعرف ذلك ، أنكره ، وعجب من استمراره ، وأنفذ المستحِثّين إلى العمال للمطالبة به ، فقبضوا فى مدَّةِ عشرةِ أشهرٍ جارِىَ أربعةَ عشرَ شهراً ، وكان شديدَ التعصُّب لهم ، والعنايةِ بأمرهم . ولقد سمعته يوماً وقد خاطبه مخاطبٌ على أن يجعلَ جارِىَ بعضِ الكُتَّابِ

---

(١) الأصمعى : هو عبد الملك بن قريب ، له ذكر كثير فى اللغة والأدب ، انظر ترجمة له فى ابن خلكان وتاريخ بغداد ونزهة الألبا وغيرها .

لـكاتبٍ فى ناحيته ، وهو يقول : قطع اللهُ رزقى يوم أَقطع رِزْقَ كاتبٍ . وَوَقَّعَ للذى سُئل فى أمره بجارٍ مُسْتَأْنَفٍ .

وقال أبو القاسم : سمعتُ أبا الحسن بن الفرات يقول فى وزارته الثالثة ، وقد ذكر حالَ السواد وجلالَته : إن الإحسان إلى الرعيَّـة يزيد فى ارتفاعه ، ولولا خوفى من أن يجلس فى هذا المَجلس من لا يعرف غَرضى فيما أفعل ، ويجْعَله تَسَوُّقًا[1] علىّ عند من لا يَفهم، لنقصْت المزارعين ثلاثة أقفزة فى كُلّ كُرّ من مقاسَمة الإستان التامّ، ثم كان يُنْظَر بعد ذلك كم يزيد فى الارتفاع بهذه المسامحة .

وحـكى أبو القاسم قال : كان[2] أبو الحسن بن الفرات يُطْلِق للشعراء فى كل سنـة من سِنِى وزارته عشرين ألفَ درهم رَسْمـاً لهم سوى ما يصلهم به متفرّقاً وعند مديحهم إياه . فلمـا كان فى وزارته الأخيرة تذكر طُلَّاب الحـديث وقال : لعلّ الواحد منهم يبخل على نفسه بدانِقٍ ودُونِه ، ويصرف ذلك فى ثمنِ وَرَق وحِـبر ، وأنا أحقُّ بمراعاتهم ومعاونتهم على أمرهم . وأطلق لهم من خزانته عشرين ألف درهم .

قال أبو القاسم : وكان فى جهتى رجل يعرف بأبى بكر محمـد بن إبراهيم البرنىّ فأخذت له منها ثلاثمائة درهم ، وأخذت لأبى سعيد الحسن بن على العدوى[3] خمسمائة درهم ؛ وكان جَارِى وقد سمعتُ منه سماعاً كثيرة . وأخذت لأبى العباس أحمـد بن عبد الله بن عمار[4] ـ لأنه كان يجيئنى ويُقيم عندى وسمعت منه أخبار المُبَيِّضَةِ[5]

---

(١) تسوقاً : تكسباً (٢) تجارب الامم ٥/١١٩

(٣) توفى سنة ٣١٩ له ترجمة فى المنتظم ٦/٢٣٨ .

(٤) له ذكر كثير فى الأغانى فهو من رجال سند أبى الفرج الأصفهانى كما ذكر فى الفهرست وذكرت له مؤلفات منها أخبار أبى نواس .

(٥) المبيضة أصحاب المقنع وهم فرقة من الثنويه لبسوا البياض مخالفة للعباسيين المسودة .

ومقتلَ حُجْرٍ وكِتَاب صِفّين وكتاب الجمل وأخبار المقدَّمى وأخبار سليمان بن أبى شيخ وغير ذلك ــ خمسمائة درهم . وتمَّ لى أخذُ هذه الدراهم لمن أخذتُها له ــ وهم مُحَدِّثون لا من طُلَّاب الحديث ــ بفضل الجاه يومئذ .

وقال أبو القاسم : كان أبو الحسن بن الفرات قد تقدَّم إلى والدى أبى عبد الله بأن يستأمِرَه فى كلّ توقيع يَرِدُ عليه ، فكان يفعل ذلك ، وحضره فى بعض الأيام رجلٌ بتوقيع فى آخِر رُقعةٍ قد كتبها يشكو فيها حاله ، ويسأل إجمال النظر فى أمره بإجراء خمسةَ عشرَ ديناراً فى كل شهر وتسبيبها على بعض الجهات ، فلما قرأه عرّفه ما أمر به الوزير من استئذانه فى كلّ توقيع يَرِد ، وسأله عما يُحِبُّه فى ترقيعه : من رده عليه ــ لأنه كان قد استراب به ــ أو عرضِه والاستئمار فيه . فآثر الاستئمار ، وأعلمه أنَّه يفعل ذلك فى يومه ، وأنه يجب أن يعود إليه فى غده لِيُعَرِّفه ما يكون منه فيه . وعرض والدى التوقيع على أبى الحسن ، فلما قرأه أنكره وعرّفه أنه مزور ، وتقدم إليه بإحضار الرجل الذى أوصله إليه ليضربه بالسوط ، ويَشْهرَه على جمل ويُخَلِّدَه الحبس ، ويجعله أدبا وعظة لغيره ممن يُحَدِّث نفسه بمثل هذا الفعل ، وأكد القول عليه . وحضر الرجل من غد مُتَعَرِّفاً لما جرى فى أمر التوقيع ، فأشار عليه والدى بالانصراف والإمساك وألَّا يعيد قولًا فى ذلك . فامتنع امتناعا دعاه إلى أن شرح له الصورة ، وأشعره بِغلظِ القصة وقال له : أنا أُخالف الوزير فيما أمرنى به ، وأُعرِّفه متى سألنى عنك أنك لم تَعُدْ إلىَّ . فذكر أن توقيعه صحيح ، وأنه لا يبالى بالحضور والوصول إلى حضرة الوزير ، ولا يَدَعُ عند ذلك إقامة حُجَّته وإبراء ساحته . فراجعه وحذّره إشفاقاً عليه؛ وهو مقيم على أمره . ثم قال : فأتقدَّمُك إلى الدار . قلت : الاختيار إليك . فانصرف .

قال أبو عبد الله : وتشاغلت بالنظر فى حوائج من كان عندى من أسباب

المقتدر بالله ـ رحمه الله ـ وغيرهم . فلما فرغتُ ركبتُ ، ووجدتُه قد سبقنى ، ودخلت إلى أبى الحسن بن الفرات فقال لى : أينَ الرجلُ صاحبُ التوقيع ؟ فقلت : هاهو حاضر . فأمر بإيصاله إليه . فلما رآه انتهره وزَبرَه [1] وقال له : تُقدِم على التزوير ؟ وتقدَّم بحملِهِ إلى صاحب الشرطة ليعاقبه ويشهره ، ثم سأله عن نسبه ، فأعلمه أنه ابن عم العباس بن الحسن . فلما ذكر ذلك له سكن غضبُه ، وأقبل عليه فتعرَّف منه خَبرَ واحدٍ واحدٍ من أهله ، ووصف له حالهم . فقال له : ما الذى حملك على مافعلته ؟ فقال كُتَّابك الذين بحضرتك ، لأنى قصدتهم وسألتهم إيصال رقعة لى إليك أستعطف بها رأيك ، وأستدعى فيها إحسانك ، فما منهم من فعل ، وأحوجنى فعلهم إلى أن جعلت هذا التوقيع سبباً للوصول إلى مجلسك ، وشكوى حالى إليك . فأخذ التوقيع وَوَقَّع تحته بإمضائه ، ورسم لى مراعاتَهُ فيه حتى يسبَّب له على حيثُ يَرُوج منه . ثم دعا أبا العباس أحمد بن مروان وكيلَه فى داره ، وتقدم إليه بأن يُطْلِق له عاجلًا ثلاثةَ آلاف درهم يصرفها فى مؤونته ، وأن يقيم له فى كل شهر خمسة عشر ديناراً من ماله سوى الجارى السلطانى الذى أمرنا بإجرائه له . فلما خرج إلىَّ قال لى : أيُّما كان أعرف الوزير ، أنا أو أنت ؟ وعجب الناس من كرم ابن الفرات ورعايته لأهل البيوتات وذوى النعم والأقدار .

قال أبو القاسم : وحدثنى أبى قال : كان أبو القاسم عبيد الله بن سليمان قد قلد أبا عبد الله جعفر بن محمد بن الفرات أعمال بهرسير والرومقان وإيغار يقطين ومايجرى مع ذلك . وكان لأبى عبد الله محمد بن غالب الأصبهانى هناك مقاطعة ، وتتبعها جعفر بن محمد فوجد فيها فضلاً كثيراً حَمَلَه على أن وكّل بغلّاتها إلى أن

(١) زبره : زجره .

يرد عليه الكتاب بالإفراج عنها أو غير ذلك . وشقّ ما كان منه على محمد ابن غالب ، وكتب إلى عبيد الله بن سليمان رقعة فى هذا المعنى، وأورد فى آخرها أبياتَ شعر فيها :

أيظلمنى عاملُ البهرسيرِ ويركبُ منّىَ صَعْبَ الأمورِ
ويُبْطِلُ من سُننى ما جرى ويَضْغَمُنى ضَغْمَ ذِئْبٍ عَقُورِ

وأوصلها من يده إلى عبيد الله ، وكان أبو العباس أحمد بن محمد بن الفرات حاضراً ، فأعطاه عبيدُ الله الرقعةَ وقال لمحمد بن غالب : الأمر إلى أبى العباس فى الإمضاء أو الفسخ . فقال أبو العباس : فإنى قد أمضيت . وأخذ القلم من الدواة ووقع بإمضاء المقاطعةِ ، والإفراج عن الغلة . فكان محمد بن غالب يشكره على ذلك بعد عيبه عليه مما جرى فى أيام أبى الصقر إسماعيل بن بلبل .

وحدث أبو القاسم قال : اجتمع كُتّابُ أبى الحسن بن الفرات يوما بحضرته ، وذلك فى وزارته الأخيرة ، فذكر كلُّ واحد منهم ما لحقه من الشدائد فى استتاره ، فحدثه أبو عمرو سعيدُ بن الفرخان النصرانىُّ أنه كان فى موضع وأراد الانتقال عنه ، فخرج قبل طلوع الفجر ، فلما توسّط الطريق تبعه إنسان لا يعرفه . وأخذ فى غير الوَجْهِ الذى أراده ، وتبعه ، وخرج منه إلى غيره ، وهو يمشى معه . قال أبو عمرو : فلما كاد الصبح يُسْفِر وقفت وقلت : أنا رجل خائف ، وأريد أن أقصد موضعاً أستتر فيه ، وقد قارب الوقتُ الذى قدرته أن يقرب باتّباعك إياى . قال لى : قد عرفتُك ، وما قصدت فيما فعلته إلّا الجميل معك ، ولو أردت الاستتار لكانت مَعوضة ، وهذا منزلى لك وبين يديك،وأسألك أن تَعْدِل إليه وتَعمل على المُقام فيه . فنظرت فإذا الوقتُ قد أزف ، ولا يمكننى الوصول إلى الموضع الذى أردت قصده إلا مع طلوع الشمس . فمضيت معه ، وتقدّمنى واتّبَعْتُه حتى وصل إلى منزله ،

ودخل وأدخلنى ، فوجدت داراً طيبة ، وفيها فرش نظيف ، وأكرمنى ومهَّدَ لى[١] ، وجلس دونى وقال لى : اعلَمْ ـ جعلنى الله فداكَ ـ أنى رجل مُزَيِّن ، وأرجع إلى سعةِ حالٍ ولى ثلاثون غلاما ، لكل واحد منهم منزلٌ مثلُ منزلى ، فتقيم عندى ماأحببتَ ، فمتى ضاق صدرُك وأحببتَ الانتقال نقلتُك إلى منزلِ واحدٍ واحدٍ منهم ، فأقمتَ فيه شهرا ، ولعل المدة ـ فى فَرَجِ الله عنك و بُلُوغِك مَحَابَّك ـ أن تكون أقصر من ذلك ، و بالعاجل قد أفردت لك دارا ، وأعددت فيها جميع ماتحتاج إليه ، حتى لا تستعمل شيئاً مما نستعمله نحن ، فربما لم تستنظفه .

ونهض من عندى وغاب ساعة وقال : إذا شئت ياسيدى .

فقمت وأدخلنى إلى دار متصلة بداره ، قد فُرِشت بفرش نظيف ، وجعل فيها ما يُحتاج إليه ، من طَسْت و إبريق وجِرَارٍ وكِيزان وقُدور وغَضَائر[٢] وجامات[٣] وسُكْرُجات[٤] وصوانى وأطباق وقنانى وأقداح ، وإذا جارية سوداء واقفة . فقال : تكون هذه بين يديك متولِّيَةً لخدمتك ، وأنا صاحبُ خَبَرِكَ ، فإذا كان عشية انصرفتُ إليك بما أسمعه . فشكرته وجزيتُه الخير . ومضى وطبخ لى ما أردتُ ، وأحْضِرْتُ من الشراب ما طلبتُ ، وكان يجيئنى فى آخر كل نهار فيحدثنى بما يعرفه فلم أزل على هذه الحال مدة أربعة أشهر لا أعدم شيئاً مما أريده . ثم ضاق صدرى وأحببت الانتقال ، فأشعرته بذلك ، فاختار لى واحدا من أصحابه ذكر تَقَدُّمَهُ عنده وثقته ، فأشار بالنُّقْلَة إلى داره . فمضيت إليه معه ، فكان منزلُه قريبا من منزل مولاه ، وخدمنى وما قصَّر فى معرفةِ حقِّى والقيامِ بما أريده ، وأقمت عنده شهرا ،

---

(١) مهد له : هيأ له ، وفى الأصل : مهدنى .

(٢) الغضائر جمع غضارة وهى قصعة كبيرة . وفى الأصل غضار .

(٣) الجامات : جمع جامة وهو الكاس .

(٤) السكرجات : جمع سكرجة وهى الصحفة التى يوضع فيها الطعام .

وأردت الانتقال ، فعرّفت المزينَ ذلك ، فأشار بالرجوع إلى منزله ، فرجعت ولم تمض إلا أيام يسيرة حتى فرّج الله عنا ، وكشف وجوهنا بالوزير أدام الله تأييده .

فقال له الوزير أبو الحسن بن الفرات : فأىّ شىء عملتَ فى أمر هذا الرجل ؟ وبأى مكافأة كافأته على جميل فعله ؟ قال : لا والله أيها الوزير ما عملت معه قليلا ولا كثيرا . فقال له : بئس ما فعلتَ . فإنك قد فضحت المستترين ، وضيَّقْتَ عليهم مذاهبهم . والآن أنا أولى بقضاء الحق عنك منك . أَنْفِذْ إلى الرجل وجئنى به . قال ابن الفرخان : فقلت لكاون غلامى : امض إلى المزين الذى كنا مستترين عنده فجىء به ، وعَرِّفه أن الوزير يريده . فمضى فلما بَعُدَ قال لى الوزير : ارْدُدْه وتقدم إليه بأن يُورِد عليه رسالةً جميلة يَسْكُنُ إليها ، وأن يُحْضره على رفق وإكرام قال : فرددته وأوصيته ، ومضى الغلام ، وتشاغل أبو الحسن بالنظر والعمل ، وتشاغلنا بالتوقيع والكتب . ثم جاء الغلام وعرّف أبا عمرو بن الفرخان حُضُورَ المزين ، وعرف أبو عمرو الوزيرَ ذلك . فقال : يدخل . وخرج الحاجب فأوصله إلى المجلس ، فوقف على بعد ، فاستدناه وامتنع ، فألَحّ عليه فدنا ، وأمره بالجلوس فأبى أشدّ الإباء، ولم يزل به حتى جلس . ثم قال له : لَمْ تتأخَّرْ مقابلةُ أبى عمرو لك عن جميل ما أوليته إياه إلا لأنه خرج على حال مُختلّة ، وذات يَدٍ قصيرة ، وأنا أتولّى ذلك عنه، ولقد أحسنتَ بارك الله عليك وفعلت ما يفعله الأحرار . فقام وقال : قد وصلتُ أيها الوزير إلى أعظم الجزاء بوصولى إلى هذا المجلس ، وسماعى لهذا الخطاب ، وبلغتُ غايةَ أملى ، ونهايةَ أُمْنِيَّتِى بذلك . وما بَلَغْتُ ما كان فى نفسى من قضاء حقه — وأشار إلى أبى عمرو — فأمر أبو الحسن بإحضار أبى العباس أحمد بن مروان وكيله ، فحضر وأسر إليه شيئاً لم نعلم ما هو ، فخرج ، وأخذ المزينَ معه ، ثم عاد بعد ساعة وحدّثه مالم نسمعه ، فأخرج رأسه من سِرَارِه وقال : أرأيتم مثل ما نحن فيه مع هذا

المزين ؟ تقدّمْتُ إلى ابن مروان بأن يدفع إليه خمسة آلاف درهم ، فعرفني أنه امتنع من قبولها ؛ وذكر سعة حاله واستغناءه عنها . ورُدَّ إليه ابنُ مروان برسالة فى هذا المعنى ، فمضى وعاد فذكر إقامته على الامتناع ، فأمر الوزير أبا عمرو بن الفرخان بأن يقوم إليه ، ويلطُفَ به ويرفُقَ ، ولا يَدَعَه حتى يقبل ما أطلقه ، وقال : لعله استقل الخمسة آلاف درهم ، فلتُجْعَل خمسمائة دينار . فأحضرْه وألزمه أخذها ، وعَرِّفه أنه إن امتنع من ذلك غضبت عليه وأنه يُفْسِد ما قد حصل له فى نفسى . فقام أبو عمرو ساعة ثم عاد وقال ما زلت معه فى مراوضة وملاطفة حتى قبلها وانصرف شاكرا . فبقينا وبقى الناس زمانا يتعجبون من فعل المزين وكبر نفسه . وكرم ابن الفرات ومكافأته عن كاتبه .

قال أبو القاسم بن زنجى : كان أبو الحسن بن الفرات قد كاتب يوسف بن ديوداد بن أبى الساج فى أمر الرىّ ، وطالبه بحَمْلِ ما وجب من مالها على أنها ضَمَانٌ فى يده . فأجاب بأنه لم يضمن ضمانا يتعين عليه الخروجُ منه ، ويُسْأَلُ أبو الحسن عما عنده فى ذلك – يعنى علىَّ بن عيسى وكان إذ ذاك مصروفا منكوبا فى اعتقال أبى الحسن ابن الفرات – فسأله عن ذلك ، فذكر أنه ضَمَّنه الأعمال ، وأن وثيقة الضمان عند صاحب الديوان . وكان أبو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد يتقلّد ديوان المشرق ، وهذه الناحيةُ جاريةٌ فيه ، فطولب بذلك ، وأحال على أبى الفتح الفضل بن جعفر بن محمد ابن الفرات[1] وكان خليفته على الديوان . ورجع إليه فذكر أن الوثيقة حُملتْ إليه ، ووقف عليها ، وردَّها بعد أن حملها إلى صاحب الديوان . واعتقل أبو الحسنِ بنُ الفرات الفَضْلَ بن جعفر بهذا السبب ، وجرت خطوب فى هذا المعنى ، وذلك فى سنةِ إحدى عشرةَ وثلاثمائة بعقب صرف حامدٍ عن الوزارة وعلىِّ بنِ عيسى عن خلافته ،

(١) تولى الوزارة للمقتدر سنة ٣٢٠ كما تولاها للراضى سنة ٣٢٤ .

وأوجبتِ الصورة طَلَبَ ذلك فى الخزانة المنقولة من دار علىٍّ بنِ عيسى إلى دار أبى الحسن بن الفرات .

قال أبو القاسم : فأمرنى أبو الحسن بأن أَدْخُلَ الخزانَة ، وأُقلّب مافيها من الأعمال ، وألتمِسَ وثيقةَ الضمان ، وفعلت ، وكانت خزانةً عظيمةً فى بيت يُعْرَف بالدمشقى فى داره المعروفة بسليمان بن وهب فى المخرّم ، والأعمالُ تكاد تبلغ السقف. وكان يَمُرّ فى عُرْضِ ما أُفتش عنه نُسَخُ ما كتبه علىٌّ بنُ عيسى إلى ذكا الأعورِ ، المقيمِ كان بمصر ، ثم إلى تكينَ الخاصَّةِ المتقلدِ لها بعده وإلى الحسين بن أحمد المادرائى ومحمد بن جعفر القرمطى ونجح وابن رستم وغير هؤلاء من الولاة ، فأقرأها وأجدها فى نهاية الحسن . وربما أخذتُ بعضها وأجد فى خلال ذلك حُزُوراً[1] وكُيُولًا وكُتُباً من المُنفقين فى العساكر بما توفّر من أموال الرجال ، وبما وقفوا عليه من حال البدلاء والدخلاء لم يخرج إلى الدواوين ، وأَجمع ذلك وأُخرج إلى الوزير أبى الحسن إضبارةً منه فى كلّ يوم . فكان يَعْجَب من علىٍّ بن عيسى وتَرْكِه وإخراجِ هذه الأعمالَ إلى الدواوين ويطعن عليه بذلك ويقول : ياقوم ، سمعتم من يُؤَخّر إخراجَ تقدير الغلات وحَزْرها وكيلها وكُتُبَ المنفقين بما توفّر من المال إلى الدواوين ؟ لم لا يتناقَلُ كِبارُ الكُتّاب وأصاغرهم هذه الأعمالَ ويثبتونها فى مجالسهم ويقابلوا عليه ماعندهم ؟ وأيةُ حجّة تكون لنا على الأعمال والعُمّال إذا احتسبوا بمال الرجال على العبر من غير حطيطة ؟

وكان فيما أخرجتُه فى بعض الأيام إليه عَمَلٌ عَمِلَه عثمانُ بن سعيد ــ المعروفُ بابن الصيرفى صاحب ديوان الجيش ــ لما يراد للجيش فى مدة سنة ، وقد أورد فيه حال المماليك لخمسة أشهر ، فحين وقف عليه جزانى الخيرَ على إخراجه إليه ، وذكر أن

(١) حزور : تقديرات .

نصرا القشورى طالبنى بحضرة المقتدر بالله بإطلاق مال المماليك لستة أشهر ، وادعى أن على بن عيسى كان يطلق لهم على ذلك ، وأن هذا العمل يُبْطِل قوله سِيَّما وهو بخط ابن الصيرفى كاتبِه وصاحبِ ديوانه . فأخـذه معه ، وانحدر إلى المقتدر بالله ، وواقف نصرا الحاجب عليه بحضرته ، فوقع له بذلك من المقتدر أحسنُ موقع ، ولنصر أقبحُ موقع .

قال أبو القاسم : وكان فى هـذه الخزانة كُتُبٌ إلى على بن عيسى ممن كان يُشْخِصه من القاسم بن دينار وأحمد بن محمد بن رستم وزيد بن إبراهيم والحسين ابن أحمد المعروف بأبى زنبور المادرائى وأبى بكر محمد بن على المادرائى فيها، العجائب ، ودفترٌ منسوب الى الحلّاج (١) فيه آداب الوزارة ، وغير ذلك من رقاع المقتدر بالله ووالدته إليه ونسخ أجوبتها .

قال أبو القاسم : وكان أبو الحسن بن الفرات قد استظهر فى أمر الموسم لسنة إحدى عشرة وثلاثمائة استظهاراً شديداً ، لأنه أحبَّ أن يَجْرى أمرُه فى أيامه على أفضل ما جرى عليه فيما قبلها ، وأطلق لأبى الهيجاء (٢) بن حمدان فى وقتٍ واحد بإطلاق واحدٍ مائةَ ألفِ دينار ، وأخرج إلى من نَفَذَ فى القافلة الثانية ما قدّره أبو بكر عثمان بن سعيد صاحبُ ديوان الجيش ، وكذلك لمن صَدَر فى القافلة الثالثة ، وكان أكثر من مائة ألف دينار . وأزاح العِلّة فى ثمن جميعِ ما احتيج إلى ابتياعه من الحضرة ، وابتيع ذلك وحُمِل ، وانتظم أمرُ القوافل ، وتوجهت بأجمعها

---

(١) لعله هو الحسين بن منصور الحلاج اتهم بأنه ادعى الألوهية أو النبوة ، انظر قصته فى تجارب الأمم ٥/٧٦ وصلة عريب من ٨٦-٩٦ والمنتظم ٦/١٦٠-١٦٤ وابن الأثير حوادث سنة ٣٠٩ ذكر قتل الحسين الحلاج .

(٢) هو عبد الله بن حمدان كان إليه طريق السكونة وطريق مكة انظر تجارب الأمم ٥/١٢٠ وابن الأثير حوادث ٣١٢ .

من الحضرة . واتصل بأبى الحسن بن الفرات أن القرامطة قد تحركوا للفساد وهمّوا باعتراض الجيش ، فكتب إلى أبى الهيجاء كتابا بخطّى [١] يعرّفه ما بَلَغه ، ويوصّيه ويُحَذِّره ، ويأمره بالتيقّظ والتحفظ وإذْكاء [٢] العيون فى جميع الطرق ، وأجابه من القصر جوابا أنفذ فى دَرْجِه [٣] كتابا فى جِلْد يَضْمَنُ فيه المالَ والدَّم ، وقد أشْهَد فيه جماعةَ الشهود والوجوه والتُّنّاء فى البلد . فلما قرأه أبو الحسن سرّته قُوّةُ نفسه ، وضاق صدرُه من هذا الفعل الذى هو جار فى سبيل البَغْى . وحدث فى تلك السنة ما حدث على الحاجِّ [٤] مما زاد به القلقُ والانزعاج ، وأنفذَ نزارَ ابنَ محمد وغيرَه من القواد لتلقّيهم ، وأطلق صَدْراً كبيراً من المال ابتاع به من الحضرة القُمُصَ والسراويلات والعمائم والأردِية والأُزُر لِيُدْفَع ذلك إلى من يحتاج إليه ، وحمل مالًا واسعاً فَفُرِّق على الناس بحسب أحوالهم وما يتحمّلون به إلى منازلهم .

وحدث أبو القاسم قال : كان أبو العباس وأبو الحسن ابنا الفرات ينزلان فى أيام أبى الصقر إسماعيلَ بن بلبل فى ربض حُميد ، وكان حَدُّ دارهما من الموضع الموازى لسكّة الحوض إلى درب أبى سورة ، وهو حد الدار المعروفة بالعروض . — وعهدى بهما وفيها بستانٌ كبير كثيرُ النخل والشجر ، وبيتٌ أحمرُ السقف والحيطان يُعرف ببيت الدم . ثم قُبضتْ وبيعتْ مع أن أصلها وَقْفٌ ، وابتاعها جماعةٌ وتنقل المِلْكُ فيها من واحد إلى آخر . فمن ذلك الدارُ التى فى الطرف وتوازى

---

(١) أى بخط أبى القاسم بن زنجى راوى الخبر .

(٢) إذكار العيون: بث الجواسيس ومن يستطلعون الأخبار .

(٣) فى درجه : فى داخله .

(٤) راجع فى ابن الأثير حوادث ٣١٢ ذكر أخذ الحاج .

سكة الحوض ، فإنها حصلت لأبى الحسين محمد بن عبيد الله العلوى الكوفى ، ثم انتقلت إلى ورثته . ومن ذلك دورٌ وحُجَرٌ وغُرَفٌ كثيرة تلى هذه الدار صارت لجماعة من الناس ، ومن ذلك دارٌ كانت لعثمان بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمى ، ويليها دارٌ لعلىٍّ بن عبد الرحمن المعروف بابن هانئ الكوفى ، ثم دارٌ كبيرةٌ واسعةٌ مَلَكَتْها نزهةُ الملقمة . وهى تنتهى إلى آخر دور بنى الفرات .

ولجعفر بن قدامة فى أبى الحسن بن الفرات [1] :

يابنَ الفراتِ ويا كريـ ... ـم الخِيمِ محمودَ الفَعَالِ [2]
ضُيِّعتُ بعدك وَاطُّرِحـ ... ـت وبَانَ للناس اختلالى
وتغيرت ـ مذ غَيَّرَتْ ... أحوالَكَ الأيامُ ـ حالى
لَهفــا أبا حَسَنٍ على ... أيَّامِكَ الغُرِّ الخوالى
لهفا عليهـا إنها ... بليَتْ بأحوالٍ بَوَالِى

لا يجوز فى « لهفا » التنوين لأن تفجع المَرْزِئَةِ [3] « لهفاه » فحذفت الهاء فى الوصل وبقيت الألف على سكونها .

وله أيضاً فيه :

لمَّا خلوتُ من الفوا ... ئد والمنافعِ والصِّلاتِ
وعَدِمْتُ فى الأعياد ما ... عُوِّدْتُ من كُلِّ الجهاتِ
وَبقِيتُ فيهـا حائراً ... كالسَّفْرِ ضَلُّوا فى الفلاة [4]
ناديت يا سقْياً ويا ... رعيا لِعَصْرِ ابن الفُراتِ

---

(١) هذه الأبيات فى معجم الأدباء فى ترجمة جعفر بن قدامة .
(٢) الخيم : الطبيعة والسجية ، والفعال : الفعل الحسن والكرم .
(٣) فى الأصل : لأنه تفجع المرأة . (٤) السفر : المسافرون .

مَلِكٌ أَشَمُّ مُسَوَّدٌ رَطْبُ الأنامِلِ بالهِبَاتِ
يُعْطِي الرَّغيبَ [١] ولا يمن ولا يُنَغِّصُ بالعِدَاتِ

وله فيه أيضاً :

لمـــا غَدَوْتُ وفى الحشا نــارٌ مُضَرَّمَةٌ تُشَبُّ
والفِكْرُ والأحزانُ مَشْحون بهـــا جِسْمٌ وقلبُ
أنشدت ما قال ابن جَهْم [٢] وهو بالأشعار طَبٌّ [٣]
أَمْلَقْتُ بَعْـــدكَ يا عليٌّ ونــالنى ما لا أُحِبُّ

وحدث أبو الحسن على بن عبد العزيز بن حاجب النعمان قال :

كان الفضل بن الحسن الواسطى يتولَّى بَيْعَ غلَّاتِ أبى العباس وأبى الحسن ابنى الفرات، وكانت عظيمة لكثرة ضِياعهما وزيادةِ ارتفاعهما . فاتفق أن مات ، فأقاما مَقامه عبدَ الوهاب بن أحمد بن ماشاء الله أحد غلمانه الرفَّاشين [٤] بين يديه ، وقدَّماه ورفعا منه وَنَوَّهَا باسمه ، وأكسباه مالًا جزيلًا ، فَتَأَثَّلَتْ به [٥] حاله وصُرِف أبو الحسن عن وزارته الأولى . فَخَدَمَ عليَّ بن عيسى وباع غَلَّاتِه . فلما عاد أبو الحسن بن الفرات إلى الوزارة ثانياً لم يُؤَاخِذْه بخدمةِ على بن عيسى ، وأَجراه على رَسْمِه فى بيع غلاته ، وخاطب أبا عُمَرَ القاضيَ فى قَبُولِ شهادته وإظهار عدالته . وقُبِضَ عَلَى ابْنِ الفرات ، وتقلَّد الوزارةَ حامدُ بنُ العباس ، وخَلَفَه على بن عيسى ورؤساء الناس [٦] ، فلما صرف

(١) الرغيب : المرغوب فيه، والعطاء : الكثير .
(٢) ابن جهم : هو على بن الجهم من شعراء الدولة العباسية له ترجمة فى الأغانى وطبقات ابن المعتز وابن خلكان وغيرها .
(٣) الطب معناها هنا : الحاذق الماهر بعمله .
(٤) الرفاشون: جمع رفاش وهو من يجرف القمح .
(٥) تأثلت : تجمعت وتأصلت ويريد تحسنت .
(٦) هكذا فى الأصل ولعلها وخلفه على بن عيسى فى رياسة الناس أو ورأس الناس .

حامد ووزر ابن الفرات الوزارة الثالثة قَبَض على ابنِ ماشاء الله ، فأنفذ مفلحٌ الأسودُ خادمُ المقتدر بالله ـ وله القَدَمُ المتمكِّنَةُ ، والمنزلة المتقدِّمة ، والدَّالَةُ [١] القَوِيَّةُ على ابن الفرات لقيامه بأمره عند عوده فى هذا الوقت إلى نظره [٢] ـ يسأله فى بابه [٣] ، وحضر كاتبُه برسالته فى معناه . فقال ابن الفرات : الأُستاذ هو الصاحب ، وأمرُه المُمْتَثَل ، وأنت أيها الرسولُ المأمون ، لكننى أُحضر ابنَ ماشاء الله ، وأُقفه بين يديك على مانسمعه ، فإن أردت بعد ذلك أن تأخُذَه سَلَّمْتُه إليك ولم أُراجِعْكَ فيه . ثم تقدَّم بإحضار ابن ماشاء الله ، فحضر يَرْسُف فى قيوده، فأمر بنزع الحديد عنه ، فنُزِع من وقته ، ثم قال له : اجلس، فامتنع، فكررعليه القول فجلس . ثم أحلفه يميناً استوفاها عليه أنه يَسمع مايقول له ويُجيب بما عنده من غير تَقِيَّـةٍ ، ولا تَوْرِيَةٍ ولا مُوَارَبَةٍ ، ومتى ذكرله ما فيـه تَزَيُّد رَدَّهُ أو تعنُّتٌ دَفَعه ، وناظره مناظرة النظير لنظيره من غير مراعاة لموضعه ، ولا احتشام لمكانه . فلما فرغ من ذلك قال له : ألم يكن الفضلُ ابن الحسن الواسطى بَيِّعى وبَيِّعَ أبى العباس أخى ، وله الحالُ والجاهُ والمنزلة والوجاهة بمعاملتنا وتولى غَلَّاتِنا وكنتَ رَقَّاشاً بين يديه ؟ قال : بلى . قال : فلما مات ألم نصطنعك ونُقِمْكَ فى خدمتنا مقامَه ونرتبك الترتيب الذى شاع ذكرُك فيه ؟ ومالَ الناسُ إلى معاملتك به من أبى الحسن علىّ بن عيسى خَصْمِنا وغيرِه من أصحاب السلطان حتى كثر مالُك وتريَّشَتْ حالُك ؟ قال : بلى . قال : فلما سَخِط السلطانُ علىّ وانصرفْتُ عما كنت أخدمه فيه أَلَمْ تَعدِل إلى أبى الحسن علىّ بن عيسى ـ وهو عدوى ـ تعامله وتداخِلُه ؟ قال : بلى . قال : ثم عُدْتُ إلى خدمة السلطان فهل

---

(١) الدالة: يراد بها المنزلة التى تجعله صاحب سلطان عليه .

(٢) يعنى بذلك أنه قام بأمره حتى عاد إلى النظر فى أمور النـاس بأن صار بسبب سعى مفلح وزيراً .

(٣) يسأله فى بابه : يريد بها يخاطبه فى شأنه .

وَاخَذْتُك بذلك أو نَقِمْتُه عليك أو عَدَلْتُ فى خدمتى عنك ؟ قال : لا . قال : فهل استعنَّا بك فى نكبة ، أوحمَّلناك من أَمْرِنا كُلْفَةً ، أوحَمَلْتَ إلينا قَطُّ مرعاةً أو ملاطفة أو فعلت ذلك مع أحد من أسبابنا فى وقت استغناء أو حاجة ؟

قال : لا . قال : أفلم نرفع من قدرك وألزمنا أبا عمر القاضى قبولَ شهادتك حتى زِدْتَ على الأماثل من نظرائك ؟ قال : بلى . ثم قال له المحسنُ ابنُه وكان حاضرا : أما جئتك ليلة فى سُمَيرِيَّة ومعى خديجةُ بنتُ الفضل بن جعفر بن الفرات بنتُ عمى وزوجتى وثلاثون بَدْرَةً عَيْناً نقلْتُهَا على كتفى إلى المسجد المجاور لدارك بشارع الماذيان وعَلَى قريبٍ من سوق الطعام ، وأجلستُ المرأة تحفظ البِدَرَ ، وطرقتُ بابك مُتَخَفِّياً ، وعلىَّ كِنَانَةٌ سوداء ، و بيدى طبرزين ، ودفعتُ البابَ ففتحتْ لى جاريَتُك وهجمتُ عليك وأنتَ وحُرَمك فى صُفَّةِ [1] دارك فارتعتَ وقلتَ : من أنت ؟ فلما تبينتَ وجهى قلتَ : سَيِّدُنا الوزيرُ ؟ قلتُ : لستُ الوزيرَ أنا سُرورٌ غلامُ خديجةَ بنتِ الفضلِ بن جعفر ، اخرُجْ معى وأَبْعِدْ من معك عنك . فخرجت . ونقلنا البِدَرَ إلى دارك ، ومعها زوجتى وقلتُ لك : هذه خديجة بنتُ عمى وزوجتى وهى طالق منى ثلاثا بتاتا إن كان هذا المالُ لى أو لأبى ، بل هو مِلْكُها وإرثها عن أبيها ، وهو وديعة لهـا عندك ، وأمانةٌ فى عنقك ، لا تُعْطِ أحدا منه دينارا فمـا فَوْقه سواها . فقلتَ : نعم . وتسلَّمت البِدَر ؟ قال : نعم . قال : أفلم أخاطِبْك بعدَ مُدَّةٍ من ذلك على أن تُقْرِضَنى من الجُمْلة بَدْرَتين ، فما فعلتَ ، واعتذرت بما كان جرى فعذرتك وقلت لك : إنما اعتبرتُك واختبرتك ؟ قال : نعم . فقال له أبو الحسن بن الفرات : أفلم نُحْضِر الشهودَ عند مصادرتنا وقد جُمِعَ الناسُ للكشف عن حالنا و بَقِيَّةٍ إن كانت بَقِيَتْ من أموالنا ، ثم انتهى الأمر يومئذ إلى استحلافنا فحلفنا أَنَا والمحسنُ

(١) الصفة : تشبه السقيفه .

ابنى بالأيمان المغلَّظة السلطانية والمشتملة على العتاق والطلاق وصدقة المال أنه لم يَبْقَ لنا موجودٌ ولا مذخور ولا مودوع ، وأقسمنا بعد القسم بالله بحق رأس أمير المؤمنين على مثلِ ذلك ، وأحللناه من دمنا إن كُنّا كاذبين ؟ قال : نعم . قال : أفلم تسمع اليمين وأنت تعلم أننا صادقان فيها بخروج ما عندك عمّا نملكه مع ما قاله لك المحسنُ فى أمره أنه لزوجته من دونه ودون غيره ، وأنه مال ورثَتْه عن أبيها ، ما استفادَته منا ؟ قال : نعم . قال : أفلم تَقُمْ فى ذلك المجلس مع عِلمك ما تعلم وقلت كذب ، له عندى ثلاثون بَدْرَةً عَيْناً أودعنيها ابنُه المحسنُ ؟ ولو لم نُبَلِّغْكَ ما بَلَّغْنَاكَ ونُقَدِّمْك من منزلة الشهود إلى ما قدمناك لَمَا حَضَرْتَ مِثْلَكَ ذلك المجلسَ . ويا ليتك لمَّا فعلتَ ما فعلت صَدَقْتَ عن باطن الأمر ، فقد كان يَسَعُك أن تُعْطِيَ ما أُعطيتَ وتُسَلِّمَ ما تَسَلَّمْتَ بعد أن تَذْكُرَ ما جرى بين المحسن وبينك .

فلما سمع كاتب مفلح من قول ابن الفرات لابن ما شاء الله ماقال واعترافه له بجميع ذلك نهض وقال : أستودع الله الوزير . وانصرف ، وأمر الوزير بِرَدِّ ابن ما شاء الله إلى محبسه ثم قتله . وقال الناس : إن كان دَمٌ لا يُطَالِبُ اللهُ به ابنَ الفرات فَدَمُ ابنِ ما شاء الله .

وحدث القاضى أبو على التنوخى قال : حدثنى أبو الحسن الأزرق التنوخى قال : حدثنى بعض أصحابنا قال : حدثنى أبو على بن مقلة قال :

كنت أكتب بين يدى أبى الحسن بن الفرات قبل وزارته ، فلما وزر قال لى فى يوم نظره : أَحْضِرِ ابن الأكوش وعشرةَ أنفار من التجار وبِعْ عليهم ثلاثين ألف كُرٍّ من غلاّت السواد ، واستثنِ فى كلّ كرٍّ بدينارين ، وطالبهم بتعجيل مال الاستثناء فى ثلاثة أيام . ففعلت ذلك ، وكتبت لهم بالتسليم ، وأُنسيتُ مطالعةَ الوزير لشغل قطعنى . ثم عرفته إياه . ثم استأذنته فى تسليم المال إلى من يراه ، فقال:

يا سبحان الله ، أقدرت أنى استثنيت به لنفسى ؟ لقد قبحتَ فى هـذا الظن ، إنما أردت أن أصلح حالك به وأبيِّن صحبتك بمكانه ، فخذه واصرفه فيما تحتاج إليه ، فقبَّلت يده ودعوت له ، وانصرفت إلى منزلى وما أتمالك فرحا ، فطالبتْنى نفسى منذ حصل لى ما حصل من المال بمعالى الأمور وكبير المنازل .

وحدث القاضى أبو على قال : حدثنى أبو جعفر طلحة بن عبد الله قال : حدثنى أبو محمد الحسن بن محمد الصلحى قال : قال لنا أبو الحسن بن الفرات يوما وقد جرى بحضرته أمْرُ رجلٍ قد أسرف فى الظلم : الظلم إذا زاد رفع نفسه .

وقال أحد مشايخ الكتاب : سمعت أبا الحسن بن الفرات يُمْلى على كاتبٍ بحضرته إلى وكيلٍ فى ضيعته : استكْثِرْ من غَلَّة المقاسمة فإنها لنا دون الأكَّار ، وتوسط فى الشتوىّ فإنه لنا وللأكرار ، وقَلِّلِ الصيفىّ فإنه للأكار دوننا .

وحدث أبو الحسن محمد بن عبد الرحمن الروذبارى قال : حدثنى أبو بكر ابن فتح الوراق قال : وقف عَلَىَّ أبو الحسن بن جعفر بن حفص الكاتب ، وكان جَمَّاعَة للكُتُب قد قرأ وسمع ، فقال لى : كنتُ يا أبا بكر فى مجلس الوزير أبى القاسم — يعنى عبيد الله بن سليمان — فجرى ذِكْرُ الفيروزج [1] فوصف أبو العباس ابن الفرات أجناسه بأحسن وصف وأبلغ شرح ، وخرج من ذلك إلى ذكر أصناف الأحجار ومعادنها وخواصها وفضائلها ، حتى استغرق المجلس ، واشتمل عليه دون من كان فيه من الرؤساء والعلماء ، فمن أين علم ذلك ؟ قلت : من كتاب هو عندك . قال : فما هو ؟ قلت : كتاب الأحجار ، ولكن حَفِظَ أبو العباس وأنْسيت أنت . قال لى : أحب أن تجيئَنى لِتُخْرِجه .

وحدث أبو الحسن الروذبارى قال : مرَّ أبو العباس بن الفرات فى طريق له

(١) الفيروزج : نوع من الجواهر الكريمة .

على أرحاء عبد الملك وقد عطش ، فنظر إلى باب رحبة فيها دُكّان ، عليه شيخ كبير اللحية ، نظيف البِزّة ، له رُوَاء وهيئة ، يعرف بالمرىّ ، فقال لأحد غلمانه : استسق لنا من هذا الشيخ ماء . ففعل الغلام ، وقام الشيخ مسرعا ، فجاء بثلجيّة نظيفة فيها ماء بارد ، فشرب وانصرف أبو العباس إلى منزله ، فلم ينزع خُفّه حتى أنفذ من سأل عن خبره ، فتعرّف اختلال حاله ، فأمر بحمل مائتى دينار إليه ، وأجرى عليه فى كل شهر عشرة دنانير برسم الكُتّاب ، فما زال يقبضها حتى مات .

وحدث أبو بشر بن فرجويه فى وزارة أبى الحسن بن الفرات الثانية قال : بينما نحن فى ليلة من الليالى الشتوية نعمل ؛ إذ خرج إلينا من حضرة الوزير أبى الحسن توقيعٌ بخطّه مع خادم من خدمه ، وقد مضى من الليل قطعة ، يقول فيه : خرجتُ يا أبا بشر — جُعِلْتُ فداك — لأُهريق الماء ، فوجدت ريحا قد هَبّت، فوقفت حتى عرفتها ، وهى ريح إذا نشأت مرّت على السِّكْرِ[1] الفلانى من أنهار الجامدة وأفسدته وقطعته ، فاكتب الساعة إلى وكيلنا بهذه الناحية ، وإلى ابن المشرف المهندس فى المصير إلى الموضع ومراعاته ، وإصلاح شىء إن كان اختل منه ، وإعداد آلةٍ عَتيدة تكون عنده ، وَوَكِّدِ القول فى ذلك غاية التأكيد ، ولا تعتمد على حامد بن العباس فيه ، فإنه لا يَهتمّ به . وقعد الخادم عندنا حتى كتبتُ الكُتُب .

ومن طريف أحاديث أبى الحسن بن الفرات فى معرفته بالأمور ماحدّث به أبو علىّ الحسن بن حمدون ، فإنه قال : كنت مع يوسف بن ديوداد بنواحى باب الأبواب[2] ، وهو السّدّ الذى كان أنوشروان عمله بين الخزر وأرض فارس ، وطول

---

(١) السكر : السد .

(٢) فى الاصل الباب والابواب ، وانظر معجم البلدان : باب الابواب .

السور مسيرة يوم ، وله مروحة فى البحر طولها ستمائة ذراع ، تمنع مراكب الخزر من الدخول ، والباب من حديد ، والسور من حجارة مهندمة ، فى كلّ حجر ثقبان فيهما عمودان من حديد ، قد صُبَّ عليهما الرصاص ، والمروحة التى فى البحر على هـذا العمل . فاتّفق أن سقطت هذه المروحة ، ودفعت يوسفَ بن ديودادَ الضرورةُ إلى أن قصد الموضع ، ونزل عليه لإصلاحه ، وجمع المهندسين وذوى الخِبرَة بالأعمال ، فقدَّروا له ستين ألف دينار تنفق على إعادة المروحة . وكتب إلى الوزير أبى الحسن ابن الفرات يعرفه الخبر ، و يعتذر إليه من تأخير المال الذى واقفه عليه بهـذا الحادث الذى حدث فى هـذا الموضع ، فوالله ما كان إلا مقدارُ مسافةِ الطريق حتى ورد علينا كتابُ ابن الفرات يقول فيه : فهمت كتابك ـ أطال الله بقاءك ـ بما شرحتَه من حال المروحة الساقطة ، وماقُدِّرَ لهـا من المـال للنفقة . وقد قرأنا فى الأخبار أن أنوشروان لإشفاقه على هذا الموضع أعدّ له ما يكفيه ، فأَحْضِر مشايخ أهل البلد وذوى الأسنان العالية منهم ، وسَلْهُم هل سقطت المروحة قبل هذه الدّفعة ؟ فإن كانت سقطت فقد استعملت الآلة فيها ، و إن كانت لم تسقط فاطلب الآلة وسَلْ عنها فإنك تجدها ، وعَرِّفْنى ما يكون منك إن شاء الله .

قال ابن حمدون : فلما ورد الكتاب على يوسف أحضر المشايخ وسألهم عن ذلك ، فلم يجد أحداً يذكر أو يخبر أن هذه المروحة سقطت قبل هذه الدفعة ، وسألهم عن الآلة وموضعها فلم يكن فيهم من يعرف حديثها إلّا رجلٌ منهم فإنه قال : سمعت مشايخى يتذاكرون خبَرَها ، وأنها مدفونة على قرب من المروحة . فلم يزل يُفَتِّش عنها حتى وجدها وأخرجها ، فكانت كاملة من حجارة منحوتة منقوبة ، وأعمدةٍ من حديد مفروغ منها ، ورصاصٍ وسائرِ ما يُحتاج إليه ، فاستَعْمَلَها ، ولم يُؤَد من المال إلّا قدر أُجرة الصُّنَّاع .

وحضر أحد العمال بحضرة أبي الحسن بن الفرات . فلما ناظره على ما أراده لم يَذْهَبْ فيه ولم يَجِئْ . فقال له : ياهذا ، إن كنت تزوجْتَ امرأتَك على شرط أنَّك كاتب فقد بانَتْ منك وحَرُمَت عليك ، لأنك خِلْوٌ من الصناعة مُنْسَلِخٌ منها .

ولما تقلَّد أبو الحسن بن الفرات الوزارة قال أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر : ما افتقرت الوزارة إلى أحد قطُّ مثلَ افتقارها إلى هذا الوزير المتقلِّد ، على أنه لم يتجدَّدْ عليه منها إلا الاسم ، فأما أعمالها فما زالت دائرةً عليه وعلى أبي العباس أخيه . ولقد دخلتُ يوما إلى أبي القاسم عبيد الله بن سليمان وهما بين يديه فرأيته يقف على الرِّقاع ثم يرمى بها إليهما ، وينظر مايقولان فيأمر به ، حتى ذكرت قول القائل:

خَلِيفَــــةٌ مُقْتَسَمٌ بَيْنَ وَصِيف وَبُغَـا
يقــول ما قالا له كما يقــول الْبَبَّغَا

وقال خفيف السمرقندىّ : لما قام[1] المعتضد بالله واستوزر عبيدَ الله بن سليمان قال له : قد دَفَعْتَ إلىَّ مُلْكاً مُخْتَلاًّ ، ودُنيا خراباً ، وأُريد أن أعرف ارتفاعَ النواحى لأُجْرِىَ النفقاتِ والرواتبَ على مُوجب ذلك ، فاعمل به عملا مشروحا ، وَأْتِنى به وعَجِّلْه . فخاطب عبيدُ الله كُتَّابَه وأصحابَ دواوينه على ذلك فوعـدوه واستنظروه . وكان أبو العباس وأبو الحسن ابنا الفرات محبوسين مُصادَرِين ، وعرفا ما التمسه المعتضدُ بالله فبذلا القيام به والفراغ منه فى ثلاثة أيام ، وَوَفَّيَا بذاك و بلغَا المرادَ منه . وعلم عبيدُ الله أن الخبر سيصل إلى المعتضد بالله فكلَّمه فيهما واستأذنه فى استخدامهما والاستعانة بهما .

وحكى أبو بكر الصولى قال : خاطب يحيى بنُ علىٍّ المنجِّمُ أبا الحسن بن الفرات فى أبى حاتم محمد بن حاتم المزنوى ، وأنه يريد الخروج إلى بلده ، ويخاف التَّتَبُّعَ

(١) انظر الخبر فى ابن خلكان ترجمة على بن محمد بن الفرات .

لأجل رِزْقه ، وسأله إسقاط جَارِيه ، والإذنَ له فى الخروج الذى اعتزمه . فضحك وقال : ما أوجبتُ له فى الرزق فأَقْطَعَه ، ولو كنتُ موجِباً له لَما رآنى اللهُ وأنا أُوَقِّع بقطعِ رزق أحدٍ ، فإن شاء فَلْيُقِمْ ، و إن شاء فلْيَخرجْ .

ودفع أبو الحسن إسماعيل القاضى إلى أبى الحسن بن الفرات رُقعةً ذَكَر فيها أن ضيعته الفلانيةَ قطيعةٌ ، وقد تأوَّل عامِلُ الناحية عليه وادَّعىَ أنها إستان [١] . فلما وقف عليها قال : هذه الضَّيْعة كانت فى إقطاع زبيدة ، وانتقلت إلى إسحاق بن إبراهيم المُصْعبى ، و باعها ابنه محمد ، فاشتراها ابنُ فلان السى [٢] وتوفى فصارت لورثته فقال له أبو الحسن : أنا اشترَيتها من ابنه فلان . قال : فما فعلت حِصَّة أخيه ؟ قال : لولده ، وهم شُركائى فيها . فوَقَّع إلى العامل : هذه الناحية من القطائع القديمة ، فأمضها على رَسْمها ولا تَعْرِضْ لها . فعجب الناس من حِفْظِه ما حَفِظه .

وحدث أبو الحسن أحمد بن العباس بن الحسن [٣] قال : كنت بحضرة الوزير أبى أحمد والدى [٤] وعنده كُتَّابه ، وهو يتصفَّح رِقاعاً بين يديه ، فرمى واحدة إلى محمد بن داود ، وكانت من صاحب الخبَر . فلما قرأها محمد اضطرب وقال : كَذَبَ كاتبُها أيها الوزير . قال له وماذا يكون لوصدق ؟ ثم رمى بأخرى إلى أبى الحسن علىّ بن عيسى تتضمن ذِكْرَ ماله من الغَلاَّت بسوق الطعام فتغير وجهُه وارْبَدَّ لونُه وقال : كذب كاتبها أيها الوزير والذى لى فى الأحراز هناك دونَ المبلغ المذكور . ورمى إلى محمد بن عبدون بثالثة فقرأها وجَحد ما فيها . ثم رمى رابعة إلى أبى الحسن بن الفرات فلما نظر فيها ضحك وقال له : أنا أذكر ما عندى فى معناها . وجلس إلى أن

---

(١) استان : أى أنها يسرى عليها من الخراج ما يسرى على أهل البلد .

(٢) غير واضحة فى الأصل

(٣) توفى سنة ٣٠٥ انظر صلة عريب حوادث ٣٠٥

(٤) يريد به والده العباس بن الحسن الوزير الذى قتل سنة ٢٩٦ .

تَقَوَّض [1] المجلس ولم يبق عند أبي غيرى ، ثم قال له : قد كذب صاحب الخبر أيد الله الوزير ، فإن لى بسوق الطعام وعند الباعة أضعاف ما ذَكَره ، فإن كان قوله فى غيرى مثل قوله فىَّ فقد حَابىَ وصانَع وكَذب ولم يَصْدُق ، وأنا مستغنٍ عن جميع ما أشرتُ إليه ، ومستظْهِرٌ على الزمان بأكثرَ منه ، ولله الحمد والمِنَّة . بلى ، لى إلى الوزير حاجة أسأله الإنعام علىّ بها . قال : ما هى ؟ قال : لا أقولها إلا بعد أن يَشرط لى الإجابةَ إليها . قال قد شرطتُ وفعلتُ ، قال : عندى خَمسُمائة ألفِ دينار أنا فى غَناء عنها ، فليأذن لى الوزير فى أن أبنى بها داراً لأبى الحسن ، وأبتاع له ما يحتاج إليه فيها وأجعل ما يبقى من المال فى خزانته ، فإنه فى دار الوزير ، وموضعُه ومكانُه يقتضيان إفرادَه بدارٍ وأثاث وَتَجمُّلٍ وحَالٍ . فقال له أبى : بل يزيدك الله يا أبا الحسن ويضاعف مالك وحالك ويرينى لك فى الشهرِ الواحد ضِعْفَ ذلك ويجريه على يدىّ فى قَضاء حَقِّك . فقال له نقض الوزير شرطى ، وأخلف وعدى ، وما أقنع منه إلا بالوفاء . فجعل يشكره ويدافعه وأبو الحسن مقيم على أمره ومُلِحٌّ فى سؤاله ، ثم قام على رجليه وأخذ يضرع إليه ويكرر القول عليه ، حتى قال له : قد قبلتها فلتكن لى قِبَلَك إلى أن أعرِّفك من بَعْدُ رأْيى فيها . فعند ذلك أمسك وانصرف . وأقبل أبى يقول لى بعد خروجه : ما أعلم أن الله تعالى خلق مثل هذا الرجل فى سَعَة نفسه ، ولا مثلَ أولئك فى ضيق نفوسهم وجَحْدِهم القليلَ مما نُسب إليهم ، واعتراف هذا بأضعاف ما ذَكَرَ أنه له ، ثم بذْله اياه هذا البذلَ من نِيَّةٍ خالصة صادقة . ثم أخذ أبى ينشد ويردد :

عَزَمْتُ على إقامة ذى طُلُوحٍ لأَمْرٍ ما يُسَوَّدُ مَنْ يَسُودُ

قال أبو الحسن : ودخل جَدِّى ونحن فى ذلك ، فحدثه بما جرى ، وقال له : قد

---

(١) تقوض المجلس : انفض .

والله سَرَّنى ما شاهدتُه منه ، وعلمت أنه رِدْء (١) للملك ومَفْزَعٌ متى دعته إليه حاجة.
قال : وكان أبى رُبَّما يمازحه ويقول له : ما خَبَرُ تلك الجارية ؟ فيقول : أ كْمَلُ ما كانت ، أفيأذن الوزير فى حملها ؟ فيقول لا بل تكون على حالها .

وعرض عليه فى وزارته الثانية ــ وقد جلس للمظالم ــ رجل عُمَرِىٌّ رُقْعَةً تتضَمَّنُ شكوى حالِه ورِقَّتها ، وأن عليه دَيْنا قد ضاق ذَرْعُه به ، وعلى ظَهْرِها توقيعُ أحدِ الوزراء بأن يُقضي دينُه من مال الصدقات ، فقال له : يا هذا ، إن مال الصدقات لِأقوام بأعيانهم لا يتجاوزهم ، ولقد رأيت المهتدى بالله رحمة الله عليه وقد جلس للمظالم ، وأمر فى مال الصدقات بما جرى هذا المجرى ، فقال له أهلها : ليس لك يا أمير المؤمنين ذلك ! فإن حَمَلْتَنا على أمرنا وإلّا حاكَمْنَا إلى قضاتك وفقهائك . فحاكمهم فخاصموه . وإن شئت أنت حاكمْتُك . فقال له العمرى : لا حاجة لى إلى المخاصمة . قال : الآن نعم أواسيك وأقضى دينك . وفعل ، وكان مبْلغه خَمْسمائة دينار .

وحدث محمد بن داود بن الجراح قال : قال ابن أبى بدر وغيره : أنشدنا أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن الفرات لنفسه :

وَعلَّمْتنى كيف الهوى فحملته ... وَعَلَّمَكُمْ صَبْرِى على ظُلْمِكُمْ ظُلْمِى
وأَعْلَمُ ما لى عندكم فيَرُدُّنى ... هَوَاىَ إلى جَهْلٍ فأُقْصِرُ عَنْ عِلْمِ

وله أيضا :

لا تَلْحَنى لستُ سامِعَ الْفَنَدِ (٢) ... عَدَلْتَ بى عن مناهج الرَّشَدِ
إن كنت لم تَصْطَبِر لحادثةٍ ... فالصبر فى الحادثات من عُدَدِى

---

(١) الرده : الناصر والعون
(٢) الفند : الكذب أو الخطأ فى القول .

وقال أبو الحسن على بن محمد بن الفرات فى وزارته الثانية بحضرة أبى منصور ابن جبير : تأملت ماصار إلى السلطان من مالى فوجدته عشرة آلاف ألف دينار وما أخذت من الحسين بن عبد الله الجوهرى[1] فكان مثلَ ذلك . إلا أن فيما أخذ من الجوهرى متاعاً وجوهراً .

وللقاضى أبى جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول فى أبى الحسن بن الفرات فى وزارته الثالثة :

قُلْ لهـذا الوزيرِ قَوْلَ مُحِقٍّ بَثَّـه النُّصْـحَ أَيَّمَا إبْثَاثِ
قد تَقَلَّدْتَهَا مرارا ثـلاثاً وطلاقُ البَتَاتِ عِنْدَ الثلاثِ

ووقع بيدى ثبتٌ أخرج من ديوان المغرب فى أيام الراضى بالله بما أخذه الحسن ابن على بن محمد بن الفرات من الخطوط ممَّن قَبض عليه وصادره فى أيام وزارتهم الثالثة ، نسختها :

أحمد بن محمد بن إبراهيم البسطامى عن النصف ممن بقى عليه من مصادرته فى سنة ثلاثمائة ، سبعةَ[2] آلاف وثلثمائة دينار .

على بن الحسن الباذبينى الكاتب عما تولاه بالموصل أحدَ عشرَ ألف دينار .

أبو الفضل محمد بن أحمد بن بسطام ، خمسين ألف درهم .

محمد بن عبد الله الشافعى عما تصرف فيه لعلى بن عيسى ، ثلاثين ألف دينار .

محمد بن على بن مقلة عما تصرف فيه ، ثمانين ألف دينار .

محمد بن الحسن المعروف بأبى طاهر . مائةَ ألفِ دينار .

الحسن بن أبى عيسى الناقد عما ذَكَر أنه وديعةٌ لعلى بن عيسى ، ثلاثة عشر ألف دينار .

---

(١) هو المشهور بابن الجصاص وقد تقدم ذكره .
(٢) نصبت على : أخذ منه .

ومن الحسن بن أبي عيسى صُلْحاً عن نفسه ، أربعة آلاف دينار .

إبراهيم بن أحمد المادرائى ، عشرين ألف دينار .

عبد الواحد بن عبيد الله بن عيسى عن بقية مصادرة والده ، ستة وثلاثين ألفا وثلاثمائة وثلاثين دينارا .

أحمد بن يحيى بن حانى الكاتب عن مصلحة وجبتْ، عشرة آلاف دينار .

إبراهيم بن أحمد بن إدريس الجهبذ عن صلحه ، ستة آلاف دينار .

محمد بن عبد السلام بن سهل عما عنده من الوديعة لمحمدِ بنِ عليٍّ وإبراهيم بنِ أحمد المادرائى، أربعة آلاف دينار .

عبد الوهاب بن أحمد بن ماشاء الله عن صلحه، أربعين ألف دينار .

على بن حسن الباذبينى صلحا عما تصرف فيه بالموصل ، وقتل، مائتى ألف درهم.

محمد بن عبد الله بن الحارث عن صلحه ، عشرةَ آلاف دينار .

محمد بن أحمد بن حمَّاد صُلْحا عما تصرف فيه بأعمال الموصل وغيرِها وقتل بعد أيام يسيرة ، مائتين وخمسين ألف دينار .

إبراهيم بن أحمد المادرائى عن الباقى عليه من جملة خمسين ألف دينار، خمسة عشر ألف دينار .

أبو عمر محمد بن أحمد ، بن الصباح الجرْجَرائى عن ضمانة الباقى من مصادرة أبى ياسر إسحاق بن أحمد ، مائة الف درهم .

أبو عُمر بن الصباح أيضا عن الباقى على أبى العباس أحمد بن محمد بن على الجرجرائى المعروف بقرقر، ثلاثة آلاف دينار .

على بن محمد الحوارى ، وقُتِل ، سبعَمائة ألف دينار

عبيد الله بن أحمد اليعقوبى ، مائة ألف درهم

هارون بن أحمد بن هارون الهمذانى ، سبعة آلاف دينار .

الحسن بن إبراهيم الخرائطى صُلْحا عما اقتطعه من مال الرئيس ، مائة ألف درهم

الحسين بن على بن نصير أخو نصير بن على ، مائةَ ألف درهم .

عبد الله بن زيد بن إبراهيم ، ألفين وخمسين دينارا .

ومن عبد الله بن زيد صُلحا عن نفسه ، خمسة عشر ألف دينار .

على بن محمد بن أحمد بن السمان عن ورثة قرقر ، ألفين وخمسمائة درهم .

على بن مأمون بن عبد الله الإسكافى كاتب ابن الحوارى ، وقتل ، ستين ألف دينار .

أبو بكر أحمد بن القاسم الأزرق الجرجانى عن ضياع على بن عيسى ، عشرة آلاف درهم .

الحسين بن سعد القطربُلى ، مائةً وثلاثين ألف درهم .

محمد بن أحمد بن ما سراد [١] ، ألف ألفٍ وخمسمائة ألف درهم .

أبو الحسن محمد بن أحمد بن بسطام ، ثلاثةَ آلافِ ألف درهم .

أحمد بن محمد بن حامد بن العباس ، خمسين ألف درهم .

يحيى بن عبد الله بن إسحاق عما تصرف فيه مع حامد ، سبعين ألف دينار

حامد بن العباس ، وقُتِل ، ألف ألفٍ وثلاثمائة ألف دينار

محمد بن محمد بن حمدون الواسطى ، مائة وخمسين ألف دينار .

أبو الحسن على بن عيسى ثلاثمائة ألف وأحدا وعشرين ألف دينار .

---

(١) غير واضح في الأصل .

إبراهيم بن يوحنا جهبذ حامد بن العباس ، مائة ألف دينار .

أبو محمد الحسن بن أحمد المادرائى ، ألف ألفٍ ومائتى ألف دينار ومنه أيضاً بخطٍّ آخر ، ألفَ ألفِ دينار .

أبو بكر محمد بن على المادرائى ، ألفَ ألفِ دينار وألف دينار وبخطٍّ آخر أيضاً ، عشرة آلاف دينار .

سليمان بن الحسن بن مخلد ، مائة وثلاثين ألف درهم .

فذلك من العَيْنِ سبعة [١] آلاف ألف وخمسمائة ألف وخمسة وسبعين ألفا وستمائة وثمانين ديناراً ومن الورق خمسة آلاف ألف وثلاثمائة ألف درهم [٢] .

قيمة الوَرق عَيْنا على التقريب ثلاثمائة وثمانين ألف دينار [٣] .

ويكون الجميع من العين ثمانية آلاف ألف دينار وأربعين ألف دينار [٤] .

وحدث أبو العباس أحمد بن محمد بن الفرات أن منجما أخبره أنه لم ينزل زُحَلُ فى برج السُّنبلة إلا حدثت حادثة ، وقد جرت العادة بذلك على مُضىِّ الأوقات ، ومن ذلك أنه نزل هذا البرج سنة ثمانٍ للهجرة فكان فى تلك السنة فتحُ خَيبر ومكة ، ونزل فى سنة ثمان وثلاثين ، فكانت حرب صِفِّين بين علىٍّ عليه السلام وبين معاوية ، ونزل فى سنة ثمان وستين وكان فيها حرب المختار وعبد الملك وقصّة عبد الله بن الزبير ، ونزل فى سنة ثمان وتسعين فمات سليمان بن عبد الملك

---

(١) الجملة هى ٦٨٠/٥٧٥/٦ ولعله نسى مليونا فى ذكره لمصادرات الأشخاص أو أن الكلمة حرفت من ستة إلى سبعة .

(٢) الجملة هى ٥٠٠/٤٧٢/٥ ولا شك أن هناك سقطا فى أرقام آلاف الدراهم فمثلا رقم على ابن محمد بن أحمد بن السمان وهو ٢٥٠٠ درهم مبلغ قليل فى المصادرات ولم يذكر فى الجملة المدونة فى الكتاب رقم مئات .

(٣) معنى هذا أن الدينار عندهم كان يساوى أربعة عشر درهما تقريباً .

(٤) على حسابه السابق تكون الجملة ٦٨٠/٩٥٥/٧ وعلى ما جمعناه تكون الجملة ٦٨٠/٩٥٥/٦ .

وانتقل الأمر إلى عمر بن عبد العزيز ، ونزل فى سنة ثمان وعشرين ومائة فظهر أبو مسلم وجرت قصة مروان بن محمد . ونزل فى سنة ثمان وخمسين ومائة فمات المنصور ونزل فى سنة ثمان وثمانين ومائة فأوقع الرشيد بالبرامكة . ونزل فى سنة ثمان عشرة ومائتين فتوفى المأمون . ونزل فى سنة ثمان وأربعين ومائتين فتوفى المنتصر وقتل المتوكل . ونزل فى سنة ثمان وسبعين ومائتين فتوفى الموفّق . وحدث من الأمور ما حدث .

وحدث أبو عبد الله زنجى قال : لما توفى أبو العباس أحمد بن محمد بن الفرات أحضرَ المكتفى بالله القاسمَ بن عبيد الله وسأله عنه ، فعرّفه وفاتَه وعزّاه عنه ، واستأذنه فيمن يُقلِّده الديوان مكانه ، فأعلمه ما كان يسمعه من المعتضد بالله أبيه فى وصف بنى الفرات وذِكْرِ كفايتهم ، وأمَرَ بإقرار أبى الحسنِ عَلَى دواوينه ، وسمع خفيفٌ السمرقنديُّ ذلك فأنفذ إلى أبى الحسن سِرّاً فطالعه وهو جالس للعزاء عن أبى العباس أخيه ، وأعلمه أنه أمْرٌ يجب كتمانه إلى أن يظهر من غير جهته ، وأنفذ إليه القاسمُ أبا علىٍّ وأبا جعفر ابنيه مُعَزِّيَيْنِ له ولأبى محمد الفضل وأبى الخطّاب العباس وأبى جعفرٍ محمدٍ بنى أبى العباس ، وسار إليه وإليهم أبو أحمد العباس بن الحسن وأبو الحسين ابن فراس ، مُعَزِّيَيْن ، ولم يبق أحد من القُوّاد والكُتّاب والقضاةِ وسائر الطبقات إلّا فعل مثل ذلك . فحضر أبو الحسن بنُ الفرات بعد انقضاء أيام العزاء الديوانَ ، ونظر فى الأعمال ، وأمضى ما كان تأخر إمضاؤه منها . وكان فى نَفْسِ القاسم من أبى العباس وأبى الحسن ما لا يتمكّنُ من إظهاره فى حياة أبى العباس ، فلما تُوفِّىَ عاوَدَ محمدُ بنُ عبدون الوقيعة فى أبى الحسن ، وأغرى القاسم به ، وحمله مع عِلّته على مطالبته بما كان أخرج عليه . فأمر بإحضار الأعمال التى كانت عُملت له ، وجلس للنظر فيها ، ومواقفه عليها فى يوم الثلاثاء قبل وفاته بثمانية أيام ، وأقبل يناظر أبا الحسن

وهو وَقِيذٌ[1] من علته ويَشَمّ الروائح الطيبة طلباً للتماسك فى قُوَّته . فلما زاد مايجده أشار عليه إسحاق بالإمساك لئلا يزيد احتدادُ طبعه ، ودعا بماء وردٍ فَرَشَّه على وجهه وانقضى المجلس . واشتغل القاسم بنفسه وتوفى فى يوم الأربعاء لستّ ليالٍ خلون من ذى القعدة سنة إحدى وتسعين ومائتين بعد أن كاتب المكتفى بالله ، وعرفه اشتدادَ مرضه ويأسه من بُرْئه ، وأشار عليه بالتعويل فى مكانه على العباس بن الحسن كاتبِه ، ووصفه بما رغَّبه فيه به . وكانت فارسُ الدَّايةُ على عناية بأمره ، لأن القاسم استكتبه لها فأحسن خِدْمتها ، فأشارت على المكتفى بالله ـ وكان كثير القبول منها ـ بالتعويل عليه ، والتفويض إليه ، ففعل . وخرج المكتفى بالله إلى سُرَّ من رأى ، ومعه العباس ابن الحسن ، وهو مُعْتقد للقبض على أبى الحسن بن الفرات هناك . فذكر أبو عبد الله زنجى أنه خرج مُتَّبِعاً لأبى الحسن بن الفرات ، فلقيه أبو القاسم ميمون بن إبراهيم المادرائى منصرفاً عن وداعه ، وسأله عن مقصده ، فعرَّفه أنه لاحق بأبى الحسن ابن الفرات ليكون معه ؛ فأشار عليه بالعود إلى منزله وأوحى[2] إليه بإشفاقه من حادث يحدث عليه . قال : فقلت : لا يَحْسُن التأخُّر عنه ، وكِفَايَةُ الله من دون ما يُشْفق منه[3] وسار المكتفى بالله والعباسُ بن الحسن وأبو الحسن بن الفرات ، وأنا فى الصحبة ، ووصلنا إلى الأحمدى وليس مع أبى الحسن من كُتَّابه غيرى وغير أبى منصور بن جُبير .

فلما كان فى بعض الأيام حضرت عنده على رسمى ، وقُدِّم الطعام ، ودعانى إليه فامتنعت وقلت : إننى صائم . وسألنى عن سبب ذلك وألَحَّ ، فعرفته أننى رأيت

---

(١) الوقيذ : من معانيها الشديد المرض.

(٢) فى الأصل : وارح يقال : أوحى إلى فلان : كلمه بكلام يخفيه عن غيره .

(٣) يعنى أنه يدعو له : بأن تكون عناية الله وكفايته حائلة دون ما يخاف منه .

فى المنام أبا العباس أخاه وهو يقول لى : قل لأبى الحسن أخى : لَسْتَ تَغْتَمُّ بعد هذا اليوم .

فسر بما حدثته به وقال : أنا أحقُّ بالصوم . وأمر برفع المائدة وجلسنا ، فنحن فى ذلك حتى وافاه خادم أسود مسرعٌ قد علا وجهَه الغبارُ ، فدنا منه وسارَّه ثم انصرف . والتفت أبو الحسن إلىَّ وقال : قد حقق الله رؤياك ، هذا رسول خفيفٍ السمرقندىِّ يُمْلِينى عن خفيفٍ أن أمير المؤمنين المكتفى بالله ركب فى هذا اليوم يتصيَّد ومعه العباس بن الحسن ، وأنه قال له : إن جماعة من الكتاب قد غَلبوا على ضِياع للسلطان ، وعليهم من حقوق بيت المال ما يُحتاج معه إلى القبض عليهم وارتجاع ما حصل فى أيديهم . وأذن له فى تدبير أمرهم بما يراه ، قال : فلما انصرف دنوت من أمير المؤمنين وقلت له : إنما أراد العباس ـ بما قاله لك ـ أبا الحسن بن الفرات ، وأن المعتضد بالله كان يُوَثِّقه ويوثق أبا العباس أخاه ، ويعول عليهما فى تدبير الأعمال وحفظ الأموال . فقال لى : إذا كان الأمر على ذلك فبادر إلى العباس وتقدم إليه بألَّا يعرِض لأبى الحسن بن الفرات ولا يُغيِّرَ شيئاً من أمره، ويعمل ما شاء فى غيره . ففعلت وبادرت إليه بمن قال له هذا لئلا يعجل إلى أمر من الأمور . فسجد أبو الحسن بن الفرات شكراً لله تعالى وتصدق بصدقة كثيرة . وصحح يومئذ ثلاثين ألف دينار عند صاحب بيت المال وأخذ خَطَّه بقبضها ، وصار إلى العباس فأعلمه أن الكلام قد كثر والخوضَ قد طال فى ذكره وذكرِ ما كان فى يده من ضِياعه وأملاكه وما خدم به وكلاؤه من حقوق بيت المال مما لا تعرف حقيقة الدعاوى فيه ، وأنه صحح لبيت المال ثلاثين ألف دينار صُلحا عن هذه القُروف [1] المشتبهة ، وحسما لمادة الأقوال المختلفة ، وتخفيفا عن قلب

---

(١) القروف : التهم جمع قرف أو قرفة .

الوزير والاهتمام بأمره ، وسلم إليه الخط بالقبض . فأظهر العباس إنكاراً لفعله وقال له : عَجِلتَ إلى ما وجب أن تتوقف عنه ، وتُعَرِّفنى ذلك وعزمك فيه . وأورد جميلا كثيراً فيما خاطبه به .

ولما لم يجد العباس طريقاً إلى ما همّ به فى أبى الحسن بن الفرات عدل إلى الإقبال عليه والتفويض إليه . وعاد المكتفى بالله من سفره بعد أن ضاقت صدور أصحابه وندمائه من طول مُقامه وشدة البرد الذى يلاقونه والقَشَف[1] الذى يقاسونه ، وقال يحيى بن على المنجم أحد جلسائه :

قالوا لنا إن فى القاطول مشتانا ونحن نأملُ صنعَ الله مولانا
والناسُ يَأْتَمِرُون الرأىَ بينهمُ والله فى كل يومٍ مُحْدِثٌ شأنا

وغُنِّىَ للمكتفى بذلك ، فسأل عن قائله فقيل : يحيى بن علىّ المنجم. فأمر بالرحيل إلى بغداد وشكر الناسُ يحيى بنَ علىٍّ عَلَى شِعره .

ولما حصل العباسُ بن الحسن بالحضرة عاوَدَ محمدُ بن داود ومحمد بن عبدون وعلىٌّ بن عيسى الوقيعةَ فى أبى الحسن بن الفرات والإغراء به ، والإطماعَ فيه ، والكلام على حاله .

قال أبو عبد الله زنجى : وحضرت مع أبى الحسن فى دار العباس ، فوجدناه جالساً فى مجلسه ، والجماعة المذكورون بين يديه ، إذ نهض وأقام الكُتَّاب على انتظاره ، وخرج كاتبُه فاستدعى أبا الحسن ، فدخل إليه ، ولم يَشُكَّ الحاضرون أنه يَقْبض عليه . قال أبو عبد الله : واشتَدَّ إشفاقى ، وزاد خوفى ، وتأخَّر عنده طويلا . والقوم مُتَشَوِّفون إلى علم ما جرى فى أمره . ثم خرج العباس وأبو الحسن معه ، وقعد

(١) القشف : سوء الحال ورثاثة الهيئة وضيق العيش .

وأقعدَه عن يمينه ، وأقبل عليه بوجهه ، وزاد فى تقريبه و بَسْطه ، ونظر بعضُ الجماعة إلى بعض واجمين بما يشاهدونه ، ومتعجبين من انعكاس ما كانوا يُقَدِّرونه . ثم نهض أبو الحسن منصرفا إلى داره ، وصَحِبْتُه ، ووصل فما استقر به مجلسُه حتى سألتُه عن خبره ، وما جرى عليه أمرُه مع العباس ، فقال : دعانى ودخلت إلى حجرةٍ ما دخلت إليها من قبل ، فوجدته جالسا خاليا بنفسه و بعضِ حواشيه ، فتقدَّم إلى الحاجبِ بإخراج كلِّ من يقرب من موضعه ، والجلوسِ على الباب ، ومنعِ كلِّ من رام الدخول ، وانفردنا جميعاً و بدأ يذكر مايعتقده فىَّ من الجميل ، وما هو عليه من المحاماة عنى ، وأنه قد حُمِل فى أمرى على أشياء فوقف عنها مراعاة لِحَقِّى . ثم قال : إن كان فى نفسك من هذا الأمر – يعنى الوزارةَ – شىء سَلَّمتها إليك وخلَّيت عنها لك ، على أن تحرسنى فى نفسى ومالى وحُرَمى وولدى . فأعلمته أننى أحسن حالًا منه مع الأثقال التى عليه ، وأننى أرجع من المالِ والنِّعمة والأملاك والضيعة والجاه والقُدرة إلى ما أستغنى به عن زيادة . وراجعنى مراجعةً بعد مراجعة . فلما رآنى مُقيما على على حالٍ واحدة قال . فإذا كان كذلك فأنا أتصور أن الأمر من بعدى صائر إليك ، وأُوصيك بولدى وحرمى ، فقلت : بل يُبقيك اللهُ و يطيل عمرك ولا يُخلى مكانك منك ، ولا يُرينى سوءا ولا محذورا فيك . فلم يقنع إلا بأن استحلفنى ثم مدّ يده إلىّ وعانقنى وقال : أمرُنَا الآن واحدٌ ، و يدُنا واحدة ، فلا تلتفت إلى هؤلاء الكتاب وأقوالِهم ، ولا تَفَكَّر فى كلامهم وتشنيعاتهم ، وَثِقْ بما لك عندى من مَزِيَّةِ المراعاة وزيادة المحاماة . فشكرته ودعوت له وأعلمته قُوَّة نفسى الآن به ، وخرجنا . فكان ما رأيتَ من فعله . قال أبو عبد الله : فسُرِرت كلَّ سرور بما حدثنيه . ثم رَدَّ العباسُ بعقب ذلك إلى أبى الحسن الزمامَ عَلَى عَلِيٍّ بن عيسى . وأعفاه من ديوان الجيش ، وقد كان سألَ القاسمَ بنَ عبيد الله إعفاءه منه فلم يفعل .

وقيل إن أبا الحسن تصدق عند إعفائه بعشرة آلاف درهم .

ولما قُتِل العباس بنُ الحسن ووزر أبو الحسن بن الفرات قَبَضَ على أولاد العباس فى جملة من قُبِض عليه . وأُدخلت اليدُ فى جميع أملاكهم فحدث أبو عبد الله زنجى قال : التمس أبو الحسن بنُ العباس بن الحسن لقاء أبى الحسن بن الفرات فَمُنِـعَ منه ، فألحّ فى ذلك إلحاحاً طُولع به أبو الحسن فأمر بإحضاره ، فحضر وقال له: احفظْ فينا أيها الوزير وصية أبينا لك وما أخذه لنا من عهدك . قال : ومتى كان ذلك ؟ قال : فى اليوم الذى خلوْت فيه معه فى الحجرة ، وصَرف كلَّ من كان بين يديه وقريباً منه ، وكان من حديثكما فيما تفاوضتماه كذا وكذا . قال له : ومن أين عرفت ذاك ولم يكن معنا ثالث ؟ قال : كنت فى الرُّواق خلفَ الباب ، وسمعت ما جرى بينكما كلَّه . قال : صدقتَ وقد كنتُ أُنسيت ذلك . ثم أمر بإطلاقه وإطلاقِ إخوته والإفراجِ عن أملاكهم التى تخصُّهم . ثم قلَّدهم بعد ذلك الدواوين .

وحدث أبو عبد الله زنجى قال : حضرت مع أبى الحسن بن الفرات مجلس أبى أحمد العباس بن الحسن وهو وزير ، وبين يديه الأعمال ينظر فيها ، إذ مرَّ به كتاب من الحسن بن محمد القصرى المعروف بابن زياد — وإليه الصدقاتُ بقصر ابن هبيرة — جوابا عما كوتب به من حَمْلِ ما اجتمع عنده من مالها . فلما نشره قرأ فى العطف الذى وراءه : ضربتُ وجهك ياعباس بلا حَوْلَ ولا قُوّة إلا بالله . فاستشاط غضبا واختلط غيظاً وقال : مَن ابنُ زياد الكلبُ حتى يلقانى بما لَقِيَ ، ويستعمل من الجرأةِ واطِّراحِ المراقبة ما استعمل ؟ ! ودفع الكتاب إلى أبى الحسن بن الفرات وقال له أنفذ إليه مَنْ يسحبه إلى الحضرة على وجهه ، ويعامله من المكروه بما استدعاه لنفسه ، وإذا ورد لم يبرح من الديوان إلا بعد الخروج مما عليه . وقام أبو الحسن ومضى إلى ديوانه وتصفح ما قُدِّم إليه من الكتب ، فقرأه ، ولحظ فى طَيِّ عنوانه

ضربتُ وجهكَ ياعليّ بن محمد بلا حول ولا قوة إلا بالله . فاغتاظ أبو الحسن مثل غيظ العباس وأكثر ، وأمر بإنفاذ من يجرُّه من القصر إلى الحضرة ثم قال : لا ، ولكن الْتَمِسُوا ثلاثة أنْفُس من المستحثّين الغلاظ الفظاظ وأنفذوهم إليه وواقفوهم على ألا يفارقوه إلّا بعد تصحيح ما عليه ، وأوجبوا لكلّ واحد منهم فى اليوم دينارين يأخذونها منه . قال أبو عبد الله بن زنجى : والتفت إلىّ وقال : اكتُبْ لهم منشورا ينفذون به، ونَدبَ من يخرج ، وكتبت المنشور ، وحُمل إلى حضرته مع غيره مما كنت كتبته ، فأوّل ماوقع بيده المنشور ، فأخذه وقرأه وعزله إلى جانبه ،وأقبل يقرأ ماسواه إلى أن استغرق قراءة الجميع . ثم قال لى وأنا جالس بين يديه : قد ــ والله ياأبا عبد الله ــ ضرب ابنُ زياد وجهنا بشىء لا نقدر معه على أن نسىء به، خَرِّق المنشورَ وأَضْرِب عن إنفاذ المستحثين ، واكْتُبْ إليه أن يُعَجِّلَ حَمْلَ ماعليه ولا يُحْوِجَ إلى إنفاذ من يُقيم عنده ويُثقِل عليه مؤونتَه . ففعلت ذلك ، ومضى الأمْرُ عليه ، ولم يَعُدْ من العباس فيه قول .

ووجدت نسخة ما كتب به أبو الحسن بن الفرات عن نفسه إلى ولاة البلاد عند تقلُّده الوزارة وزَوَالِ فتنة عبد الله بن المعتز فكانت :

نِعَمُ الله عند أمير المؤمنين ــ أطال الله بقاءه ــ تتجدَّدُ فى سائر أوقاته ، وتتوكّد فى جميع حالاته ، فليس يخلو منها قاهرة لأعدائه وناصرة لأوليائه ، واللهُ سبحانه وتعالى يُعينه على أداء حقّها والقيام بشكرها ، إنه ذو فضل عظيم . وكان جماعة من جِلّةِ الكُتّاب والقوادِ ووجوه الغلمان والأجناد حسدوا أبا أحمد العباس ابن الحسن ــ رحمه الله ــ على محله ومنزلته ، وما قام به لأمير المؤمنين ــ أيده الله ــ من عَقْدِ بيعته ، فسَعَوْا فى إتلاف مُهجته ، وإزالة نعمته ، وتوصّل إليهم عبدُ الله ابن المعتز بمكره وخديعته ، فأوحشهم من أمير المؤمنين ــ أطال الله بقاءه ــ وشيعته ، وحَسَّنَ لهم الخروج عن طاعته ، فنكثوا وَمَرقوا ، وغدروا وفسقوا ، وشهروا سيوف

الفتنة ، وأضرموا نيرانها ، وأظهروا أعلامها . وتفرّد الحسين بن حمدان بأبى أحمد فقتله ، وَثَنَّى بفاتِكٍ المعتضدىِّ فأتلفه ، وقصد المارقونَ دارَ الخلافة ، ووصلوا إلى جدرانها ، وحرقوا عِدَّةً من أبوابها ، ووفق الله الغلمانَ الُحجريَّة والخدم والأولياء المصافيَّة لمنازلتهم ومحاربتهم ، فانصرفوا مفلولين . واجتمعوا إلى عبد الله فعاقدوه وبايعوه ، وتسمى بالخلافة فى ليلته ، ووازره محمد بن داود بن الجراح على ضلالته ، وصَبَّحهم[1] من غلمان أمير المؤمنين أدام الله تمكينه وخاصته وذوى البأس من رعيَّته مَنْ حَسُن دِينه ، وخلص يقينُه ، فتحصَّنوا بالإبعاد فى الهرب لما خافوه من شِدَّة الطلب ، وأُسِر جماعة من أصحاب عبد الله بن المعتز وكُتَّابه ، منهم : يُمن الكبير ووصيف بن صُوارتكين وخطارمش[2] وعلى الليثى ومحمد الرقَّاص وسرخاب الخادم ، وأبناء دميانة ومحمد بن عبدون وعلى بن عيسى بن داود ابن الجراح ومحمد بن سعيد الأزرق والمعروف بأبى المثنى[3] ، ومحمد بن يوسف المكنى أبا عمر ، وحُملوا إلى دار أمير المؤمنين ، وحَصَلوا فى أعظم البُوس ، وأضيق الحبوس . ولما خمدت النائرة[4] ، وسكنت الثائرة ، استدعانى أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ وأوصلنى إلى حضرته ، وخصنى ببره وتَكْرِمته ، وفوّض إلىّ تدبير مملكته ، وقلدنى سائر دواوينه مع وزارته، وخلع علىّ خِلَعاً ألبسنى بها جلالا وقدراً، وجمالا وفخراً ، وعُدْت إلى دارى مغموراً بإحسانه ، مثقلا بأياديه وامتنانه، وأسأل الله معونتى على طاعته ، وتبليغى غاية رضاه وإرادته بمنه ورحمته . وقد أوْبقَتْ عبدَ الله

---

(١) فى الأصل : صحبهم. وأضاف إليه الناشر الأول كلمة «ما» فصارت: وما صحبهم ، لكن صبحهم هى المتفقة مع المعنى بدون زيادة على أنه قد سبق مثل هذا الخطاب فى صفحة ١٠٠ وفيه : وما صحبهم .

(٢) فى تجارب الأمم ٥/٧ خرطامش ولم يرد فى الخطاب المشار إليه فى صفحة ١٠٠ .

(٣) هو القاضى أحمد بن يعقوب كما فى تجارب الأمم ٥/٧ .

(٤) النائرة : الفتنة والعداوة .

ابن المعتز ذنوبُه ، وأسلمَتْهُ عيوبُه ، وحصل فى قبضة صافى مولى أمير المؤمنين مأسورا مقهورا . وأوجبت الحال إطلاق صلةٍ للأولياء وافرةِ المبلغ ، وأنا بتجديد البيعة متشاغل وللخدمة مواصل ، والأمور جارية على أجمل مجاريها ، وأفضل المحابِّ فيها ، والحمد لله رب العالمين . وعَرَّفْتُك ما جرى لِتُعْلِمه أهل عملك وتزداد اجتهادا إلى اجتهادك ، وكفاية وغناء على كِفايتك وغنائك ، وتكتب بما يكون منك فى ذلك إن شاء الله.

وكان أبو الحسن بن الفرات خاطب محمد بن داود وهو يتولى عطاء الجيش فيما يطلقه بغير صَكٍّ ولا حُجَّة ، وأخرج عليه مما أطلقه من بيت المال بِصَكَّيْنِ مُثْبَتَيْنِ مُكَرَّرين مائةً وعشرين ألف دينار ، واقفه على ذلك بحضرة العباس مواقفة اعترف بها محمدُ بن داود ، واعتذر بالسهو فى فعله . وجَدَّدَ ذلك أنْ أمَرَ العباسُ صاحبَ بيت المال بألَّا يُطْلِقَ شيئاً فى إعطاء وإنفاق إلَّا ما عَرَفه أبو الحسن وأذن فيه ، وثبتَتْ علامَتُه على الصَّكاك به ، وكان مما قاله أبو الحسن لمحمد بن داود : أنا أجمعُ الأموال وأُحَصِّلُها وأنتم تفرقونها وتُفَرِّطون فيها ! فقال له محمد : التفريط والتضييع كان فى أيامك — يعنى أيام نَظَرِه فى ديوان الجيش — فقال له أبو الحسن : قد كُنْتَ أَحَدَ كُتَّابى إذ ذاك وفى بعض مجالس الإطلاق ، فإن عرفتَ خيانةً فاذْكُرْها أو إضاعةً فاسْتَدْرِكْها . وقال له العباس . حالُك يا أبا الحسن فى الضبط والاحتياط معروفةٌ ، وطريقَتُك فى الاستيفاء والاستقصاء معلومة ، وما بك إلى هذا القول حاجة .

وكان أبو الحسن على بن عيسى حَضَرَه بحضرةِ العباس بن الحسن لمناظرة أبى الحسن بن الفرات على ما كتب به إبراهيم بن عيسى ومحمد بن عيسى العرمرم أخواه فى ضيعة أبى الحسن بن الفرات بكورة كَشْكَر ، وضِياعِه بناحية الأجمتين وما غَيَّرَ

من معاملتها وخفَّف من مُقاسمتها . فلما بدأ عليٌّ بن عيسى يذكر ما كتب به أخواه وأورده قال العباسُ بن الحسن لأبى الحسن بن الفرات : ما عندك يا أبا الحسن فى ذلك ؟ قال له . ما أعرف من أمر ضِياعى شيئاً ، لأن العُمال قد أدخلوا أيديَهم فيها مُنْذُ نيِّفٍ وعشرين شهرا ، وأخذوا الحقوقَ السلطانية فيها على ما أرادوه واقترحوه منها ، وما تكلمت ولا تظلمت انصراف قَلْبٍ عنها ، ولكنه قد وجب عَلَى محمد بن عيسى من ثمن الأرز بالسِّيبين أكثرُ من ثمانية آلاف دينار لا عذر ولا حجة له فى دفعها ، ولما كاتبته بحملها والخروج منها كتب فى أمر ضيعتى بما كتب، والأمر للوزير، وهو أعلى عيناً فيه . فأمر العباس عند سماعه ذلك بإنفاذ مَنْ يَسْتَحِثُّ محمدَ بن عيسى فيما أُخرج عليه ، ويُطالبه بالخروج منه ثم صرفه من بعدُ . وتقدم إلى أبى الحسن بن الفرات بأن يعمل له عملاً يستقصى النظر فيه ويَكْشِف أمره فيما تولاه وقام به . وقال له أبو الحسن : ومِمَّا أَسْأَلُه صَرْفُ جَعْفَرٍ أخى عما يتقلَّدُه ، فإن عليّ بن عيسى قد قصده وأنفذ إليه من المستحثين من ثَقَّل به عليه ، وإذا انقطعَتِ المعاملةُ بينه وبينه زال بذلك تَسَوُّقُه عليه وعليّ به . فأجابه العباس إلى صرفه .

وكتب أبو الحسن بن الفرات إلى عامل طريق خراسان مما تولاه بيده : قد اشتهرت بأحكام الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهديين ، رحمة الله عليهم أجمعين ، فى الخراج مذ افتُتِحَتْ نواحيه ، وَوُضِعَتِ الطسوق فيه ، بالرسوم الجارية والسُّنَنِ الباقية التى سَنَّها أفضلُ سلف ، وعمل بها أعدلُ خَلَف ، ليس فى شىء منها حكمان مختلفان ولا طُسْقَان متفاوتان ، فى صقع واحد ، لمسلم أو معاهد . وبطريق خراسان وكلوذاى ونهرِ بين مُعَاملات محطوطَةُ الوضائع ، فى الإستانِ والقطائع ، لطائفة دون أخرى ، سببها ما شرطه محمد بن جعفر فى سِنِى ضمانه . وأحق المشروط عند الفقهاء بالإبطال ،

ما يجرى على سبيلِ حيلةٍ وإدغال [1] ، فانْقُضْ كلَّ شرط ورسم يعودان على مال السلطان ـ أعزه الله ـ بنقْضٍ أو ثلم ، واستَوْفِ خراج ذلك على أكمل طُسُوقه ، وأفضل حقوقه ، حتى تنحسم تلك الأطماع ، ويتوفر على يدك الارتفاع إن شاء الله . وكُتِب للنصف من رجب سنة ست وتسعين ومائتين .

ولما تقلد أبو الحسن بن الفرات الوزارة فى أول مرة أجرى كُلًا من حُجَّابه وكُتَّابه وأصحابه على رسمهم ، وأقرهم على ما كانوا يتولونه من أمره ، ولم يستبدل بهم ، ولا استزاد فيهم ، لاكتفائه بمن كان معه عن غيرهم . وكانت أخلاقه وهو وزيرٌ مثلَه وهو صاحب ديوان . ومن رسمه أن يَغْدُوَ إليه الكتاب فيواقفهم على الأعمال ، ويسلِّم إلى كل منهم ما يتعلَّق بديوانه ، ويوصيه بما يريد وَصَاتَه به . ثم يروحون إليه بما يعلمونه من أعمالهم ، فيواقفهم عليها ، وعلى ما أخرجوه من الخروج ، وأمضوه من الأمور ، ويُقيمون إلى بَعْضٍ من الليل . وإذا خَفَّ العمل ، وقد عُرِضَتْ عليه فى أثنائِه الكتب بالنفقات والتَّسبيبات والإطلاقات والحُسْبانات ، نهض من مجلسه ، وانصرفت الجماعةُ بعد قيامه . وكانت علامته تحت بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله رب العالمين .

وحدث أبو القاسم بن زنجى قال : ورفع إلى أبى الحسن بن الفرات أن جماعة الكُتَّاب فى ديوان الجيش المتولِّين للعطاء احْتَسَبوا على الجند بما لم يعطوهم إياه ، وأخذوه لنفوسهم ، واقتطعوه من دونهم ، فأنكر ذلك ، وعَظُم فى نفسه ، وكشف عنه فوجده صحيحاً ، ورأى الإقدام على مثله غليظاً . فقبض على القوم الذين فعلوه ، فمنهم من ضربه وأدَّبه ، ومنهم من ارتجع منه ما حصل فى يده ، ومنهم من صفح عن جُرْمه . وكان فى الجماعة أبو القاسم الحسين بن على بن كُرْدى ،

---

(١) إدغال : غش .

وقد اعتُقل ، فكتب إلى أبى عبد الله والدى يسأله خطابَ الوزير فى بابه والتلطف فى إطلاقه . واتفق أن دعا الوزير أبا عبد الله إلى طعامه على رسمه ، فلما حضر امتنع من الأكل ، فقال له الوزير : ما سبب امتناعك ؟ قال : إننى ما أَطِيب نفساً بأن آكل وابن كُردىٍّ قريبى فى الحبس يُعَرَّضُ للمكروه . وأتبع ذلك بالمسألة فى أمره وهِبَةِ ما عليه له ، فأجابه جواباً جميلا ، وتقدم بتخلية ابن كُردى ، وتسليمِه إليه ، والصفح له عما يُطالب به . ثم قال له . تَقَدَّمِ الآنَ كُلْ . قال أبو القاسم : ولم يكن بيننا و بين ابن كردى نَسَبٌ ولا قُرْبى . و إنما قال أبى ما قاله تأكيداً للخطاب فى بابه .

وحدث أبو القاسم بن زنجى قال : استدعى أبو الحسن بن الفرات فى بعض الأيام أبا علىٍّ بن مقلة وأبا عبد الله والدى فى وقت العصر ، على خلوة لم يحضرها غيرها ، وقال لأبى علىٍّ : اسْتدْعِ قِرْطاساً يُكْتَبُ فيه . فأحضره صاحبُ الدواة ثُلُثَ قرطاس ، وقال له : وَقِّعْ بأن يُكْتَبَ إلى على بن أحمد بن بسطام بوصول كُتُبه بما قَرَّر عليه أمر المادرانِيِّينَ ، وأننى وجدته مخالفاً لما أمرته به . وما تُوجبه الجملةُ المحصَّلة عليهم وهى ثلاثة آلاف ألف وكذا دينار ، وكذا منها من جهة كذا وكذا ، ومن جهة كذا وكذا ، حتى استوفى الإملاء بتفصيل الجملة المذكورة ، وفيها أنصاف دينار وأثلاثه وأرباعه وما دون ذلك . ووصَلَ القوْلَ بما ملأ به الثُلُثَ . واستدْعى أبو على ثُلُثاً آخر ، واستَتَمَّ الأمر فيه وفيما أراد خطابه به فى معانيه ، فكان ذَرْعُ الثُّلُثَيْنِ اللذين كتب فيهما نحو ستين ذراعا . ثم قال لأبى عبد الله أبى: اكتب إلى علىَّ بن أحمدَ عَلَى مُوجب ذلك . فقال له : والله أيها الوزير ما يحتاج إملاؤك إلى أكثر من أن تُثْبت فى أوله وآخره الدعاء ، فإنه قد أتى على كل غرض ، و بلغ فيما يُرَاد كلَّ مَبلغ . فقال : تأَمَّلْهُ على كل حال وتفقَّدْه وَقِفَّ معانِيَه . قال

أبو القاسم : ولقد حدَّثتُ بعضَ الرؤساء هذا الحديثَ فى مجلسٍ حافلٍ قد صعِن على ابن الفرات فيه بنَزَارة الكلام ، فعجب منه ، وقال لى : لولا أنْ ذكرْتَه لمَا صَدَّقْتُه .

وحدث أبو القاسم بن زنجى قال : رسم أبو الحسن على بن محمد بن الفرات فى وزارته الثانية أن يُدْعى أبوالحسن موسى بنُ خلف وأبوعلىٍّ محمدُ بن على بن مقلة وأبو الطيب محمدُ بن أحمد الكلوذانى وأبو عبد الله محمدُ بن صالح وأبو عبد الله والدى وأبو بشرٍ عبدُ الله بن الفرخان النصرانى وأبو الحسين سعيدُ بن إبراهيم التسترى النصرانى وأبو منصور عبد الله بن جبير النصرانى وأبو عمرو سعيد بن الفرخان النصرانى فى كُلِّ يوم إلى طعامه فكانوا يحضرون مجلسه فى وقته ، ويقعدون من جانبيه و بين يديه ، ويُقَدَّم إلى كل واحد منهم طبقٌ فيه أصناف الفاكهة الموجودة فى الوقت من خير شىء ، ثم يُجعل فى الوسط طبق كبيرٌ يشتمل على جميع الأصناف وكلُّ طبق فيه سِكّين يَقْطع بها صاحبه ما يحتاج إلى قطعه من سفرجل وخوخ وكمثرى ، ومعه طست زجاج يرمى فيه التُّفْل ، فإذا بلغوا من ذلك حاجَتَهم واستوفروا [(١)] كفايتهم ، شيلَت الأطباقُ وقُدِّمت الطسوتُ والأباريق فغسلوا أيديهم ، وأُحضرت المائدةُ مغشَّاة بدبيقىٍّ فوق مكبَّةِ خيازر [(٢)] ومن تحتها سُفرة أدم [(٣)] فاضلة عليها ، وحواليها مناديل الغَمَر [(٤)] من الثياب المعصور [(٥)] فإذا وُضِعت رُفعت المكبَّةُ والأغشية ، وأخذ القوم فى الأكل ، وأبو الحسن بن الفرات

---

(١) استوفروا : استوفوا :
(٢) الخيازر : جمع خيزرانة ، فالمكبة مصنوعة من الخيزران .
(٣) الأدم : الجلد .
(٤) الغمر : الدهن ويريد بذلك المناديل التى تستعمل ساعة الأكل « فوط المائدة » .
(٥) المعصور : المجفف ولعلها يراد بها المضغوطة لتكون كالمكوية .

يُحدثهم و يباسطهم و يؤانسهم . فلا يزال على ذلك ، والألوان تُوضع وترفع أ كثر من ساعتين ، ثم ينهضون إلى مجلس فى جانب المجلس الذى كانوا فيه ، و يغسلون أيديهم ، والفَراشون قِيامٌ يصبون الماء عليهم ، والخدمُ وقوف على أيديهم المناديلُ الدبيقية ، ورَطْلِيَّاتُ [1] ماء الورد لمسح أيديهم وصَبِّه على وجوههم ، فمن كانت له من الكتاب حاجة قام إليه وخاطبه فيها وسأله إياها ، ومن أراد إطلاعه على سِرٍّ يجب الانفرادُ معه فيه فَعَلَ مثلَ ذلك . ثم يُخْرِج وظائف [2] الكُتَّاب وغلمانهم والخُزَّان ومَنْ دونهم وسائر من جَرَتْ عادته بالوظيفة ، على طبقاتهم ، وأتبع ذلك بتفرقة وظائف الثَّلْجِ على أصحاب الدواوين والكُتَّاب والمقيمين فى الدار .

وحدث أبو القاسم بن زنجى قال : كثر الإرجاف بأبى الحسن بن الفرات فى آخر وزارته الثانية ، وكان كُتابه إذا ركب فى يوم الاثنين والخميس إلى دار السلطان استتروا ، و إذا عاد إلى داره ظهروا وحضروا . فلما كان قبل القبض عليه بأيام كتب إليه المقتدر بالله يلتمس منه حمل مائتى ألف دينار من أموال الواحى . فخلا بأبى الحسن موسى بنِ خلف ، وكان يثق به على سره ، و يستشيره فى أمره ، وعَرَّفه ما طلبه المقتدرُ بالله منه ، فقال له . لا تفعل ومتى فعلتَ أطمعْتَه فى نفسك ومالك ، وطالبك فى كلِّ وقت بما تعجز عنه قُدْرَتُك . ورجع أبو الحسن فى ذلك إلى أبى بشر عبدالله بن الفرخان ، فأشار عليه بمثل ما أشار به موسى بن خلف . وأعلم أبا عبد الله والدى ما جرى ، واستعلم ما عنده فى ذلك ، فقال له : الأعمال فى يديك ، والأموال محمولة إليك ، وما يتعذَّر هذا القدرُ عليك ، إماتقدمةً من مالك ، أوأخذاً له من جهابذتك

---

(١) الرطليات لعلها أوان سعتها رطل .

(٢) وظائفهم : مقرراتهم من الطعام وغيره .

ومعامليك ، ودَفْعُ الشيء (١) أولى من تَعَجُّلِه ، ومتى جرى ـ وأعوذ بالله ـ أَمْرٌ أَخَذَ أكْثَر مِمّا وقع الالتماس له .

فلم يَدَعْه موسى بن خلف ، وأقام على ما أورد من رأيه . وأجاب أبو الحسن ابن الفرات المقتدرَ بالله بالاعتذار والاحتجاج وتكثيرِ ما عليه من المُؤَن والنفقات والأعطيات والإطلاقات . واحتدَّ الإرجاف بعَقِب هذه الحال احتداداً شديداً ، وكتب إليه المقتدر بالله يُعلمه رأيَه الجميل فيه وإحمادَه الكثير له ومُقامَه على النيَّةِ الصادقة فى بابه ، وحلفَ له بتُرْبة المعتضد بالله على سلامةِ باطنه ، وأنه لا يعتقد تغييراً لأمره ، ولا استبدالًا بنظره . ووقف أبو الحسن على ذلك فَسُرَّ به ، وسكن إلى ما عرفه منه ، وأطلع كُتَّابه عليه ، فاستبشرت الجماعةُ وزال عنها الشك والمخافة . ووجم والدى وأمسك ، وتبيَّن أبو الحسن منه ذلك ، فأدناه إليه ، وقال له : أراك ساكتاً وعن جملتنا فى السكون خارجا ، فما الذى وقع لك ؟ فقال له : أما أنا فقد زادتنى هذه الرقعة استيحاشاً ، وملأتنى خوفا وإشفاقا ، لأنه لم يتجدد ما يقتضيها ويوجب ابتداءنا بما فيها . فقال له : أنت يا أبا عبد الله بعيدُ النظر سيئُ الظن ، يَحْملك فرْطُ الشفقة عَلَيَّ إلى تَصَوُّر هذه الأسباب ، وأرجو أن يُكذبَ اللهُ تقديرَكَ ، ويجرِيَ عَلَيَّ جميل العادة . وكان هذا يوم الثلاثاء ، فلما كان يوم الخميس الثلاثين من جمادى الأولى سنة ست وثلاثمائة مضى على رَسْمه فى أيام المواكب إلى المقتدر بالله ، ووصل إلى حضرته ، ووقف بين يديه ، وخاطبه فيما احتاج فيه إلى خطابه ، وانصرف إلى داره ، وعرف كُتَّابه خبره ، فظهروا وحضروا ، ونظروا فى الأعمال ، وأعطى كُلًّا منهم ما يتعلق بديوانه ، ودعا بالطعام فأكل ، ثم قام

---

(١) لعلها الشر .

إلى بيت منامه ونام ، وانتبه وقت العصر ، وجدد الوضوء ، وصلّى فى الدار المعروفة بدار الصلاة ، وجلس على مُصَلَّاه يُسَبِّح ، وما عنده إلا ساكنٌ صاحب دَوَاتِه وغلامان من غلمانه . فبينما هو على ذلك إذ هجم أبو القاسم نصر القشورى الحاجب إلى موضعه ، ومعه عِدَّة كثيرة من الرَّجالة وقال : أمير المؤمنين أطال الله بقاءه يأمرك بالحضور . فقال : بثيابِ الموكب أم بدرّاعة ؟ قال بدُرّاعة . فقال له : حينئذ أوصيك يا أبا القاسم بالُحرَم خيراً . وأخذه وأنزله فى الماء [1] إلى دار السلطان ، بعد أن وكّل بجميع من فى داره من الكتاب والأصحاب .

وحدث أبو القاسم بن زنجى قال : كنت فى دار حامد بن العباس ، وهو وزير بباب خراسان المعروفة بدار حجرة ، إذ أدخل الفراشون إلى حضرة حامد رجلا مُكَوَّراً فى كساء أسود ، ثم سمعنا صوتَ صراخ وَوَقْعَ الصَّفع ، وحامدٌ يقول للصافع : جَوِّد . والرجل المصفوع يقول : اللهَ اللهَ قد ذهبَتْ والله عينى . وهو يقول له : إلى لعنة الله يا ابن كذا ويا زوج كذا . ويُسْرِف فى الشتم ويبالغ . ويقول له الرجل : لا تَسُنَّ أيها الوزير هذه السُّنَّةَ على أولاد الوزراء . ويقول له : وأنت من أولاد الوزراء ؟ ثم يزيده صَفْعاً وشتما ، فلما لم يَبْقَ فيه بقيَّةٌ أمرَ بردِّه إلى حيث كان فيه ، فأخذه الفراشون وحملوه ، وجاء أحدهم إلى الموضع الذى كنت فيه ، فأخبرنا أن الرجُلَ الحسنُ بنُ أبى الحسن بن الفرات ، وأنه مُقيَّدٌ بقيدٍ ثقيل ، وعليه جُبَّةُ صوفٍ قد غُمِستْ فى النِّفْطِ مزرورة فى عُنقه ، وأنهم رَدُّوه إلى الحجرة التى كان فيها وحبسوه فى الكنيف منها ودلَّوا رأسه فى بئره .

وقال أبو القاسم : وقمتُ إلى أبى عبد الله والدى لأحدثه بذلك ، وهو جالسٌ مع بشر بن علىّ النصرانى صاحب حامد وخليفته . فابتدأ وسألنى عن الصياح الذى

---

(١) أى أنزله فى سفينة .

سمعه ، فأعلمته بالصورة ، فانزعج ، وأقبل على بشر بن علىٍّ يُعَجِّبُه . فقال له بشر : هذا رَجُلٌ مُحَيَّنٌ ، [1] وهؤلاء القوم يَلُون عليه منذ ثلاثين سنة ، ويقومون بأمره ويُحسنون عَوْنَه ، فلما مَلَكَ من أمرهم ما مَلَكَ عاملهم بهذه المعاملة ، وما هذا إلاّ إدبارٌ وسوءُ توفيق . ولم يزل حامدٌ يُرَدِّدُ المحسِّنَ فى صنوف العذاب وَيَحمِلُه على كل حال ، إلى أن كَلَّمَ المقتدرُ بالله فى أمره ، وبُذِلَ لأبى القاسم بن الحوارىّ مالٌ على إخراجه عن يده ، فسعى فى ذلك إلى أن تَمَّ نقلُه إلى دار السلطان ، وأقام بها أياما ، ثم سُلِّم إلى أبى القاسم بن الحوارى وحصلَ فى داره ، وخاطب المقتدرَ بالله من بَعْدُ فى إطلاقه إلى منزله فأذن فيه .

وأقام يتعرف أخبار علىٍّ بن عيسى وحامدِ بن العباس وما يُقررانه ويُدَبِّرانه ويُصْلِح حواشِيَ المقتدر بالله ويستميلهم ، وَيعمّرُ ما بينه وبينهم . وانتشبتْ بينه وبين أبى نصرٍ بشرِ بن عبد الله النصرانىِّ الأنبارىِّ كاتبِ مُفْلِحٍ الخادم مَوَدَّةٌ ، وتردَّدَتْ مراسلة ، ثم جمع بينهما أبو سهل نصرُ بنُ على الطبيبُ النصرانىُّ كاتبُ المحسن فى دارٍ بين القصرين على شاطىء دجلة . وقال له المحسن ، إنه يصحح للمقتدر بالله ثلاثة آلاف ألف دينار ، وألفاً وخمسمائة دينار فى كل يوم إذا أطلق أبا الحسن أباه واستوزره وسلم إليه حامد بن العباس وعلىّ بن عيسى ومكّنه منهما ومن مناظرة المادرائيين واستيفاء ما عليهم . وكتب بذلك رُقْعَةً سلَّمها إلى بشر بن عبد الله كاتب مفلح ، وتفرقا ، ومضى بشرٌ إلى مفلح وعرفه ماجرى ، وأن الذى بَذلَه المحسِّنُ جملةٌ كثيرة يَرْغَب فيها المقتدرُ بالله ، ومتى تَمّ الأمر وصحّ المال بواسطته تضاعفَ جاهُه وأَحْمَده سلطانُه ، ولم يَعْدَمْ من أبى الحسن والمحسن معرفةَ حَقِّه وقضاء حوائجه .

(١) عين : غير موفق للرشاد

وأشار عليه بالـكلام فى ذلك ، وعَرَض الرقعةَ التى كتبها المحسن ، فقبل وفعل ، وعاونته القهرمانة زيدان ، واجتمعت معه على إيراد ما يُورده . فلما وقف المقتدر بالله على رقعة المحسن أنفذها إلى أبيه أبى الحسن وقال له : أنت قَيِّمٌ بهذا الضمان وملتزم له ؟ فقال : نعم . واستدعاه من موضعه حتى سَمِع قوله ، وعقد عليه الوفاء بما قاله . فلما كان يوم الخميس لسبع ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وثلاثمائة حضر أبو الحسن علىُّ بنُ عيسى دار السلطان ، ومعه جماعةٌ من القواد والغلمان على رسم الموكب ، وجلس فى المجلس الذى جرت العادة بجلوسه فيه ، إلى أن يُستأذَن له . ثم خرج إليه من قبض عليه ، وأُنفذ إلى داره ودور إخوته وكُتَّابه وأصحابه وَوُكِّل بها ، واسْتُظْهِر على ما فيها . واستدعى المقتدرُ أبا الحسن بن الفرات من حيث كان مقيما فيه من داره ، وحضر المحسنُ ابنُه وكان قريبا من الدار ، وخَلَع عليهما وحملهما على حُمْلاَن [١] بمراكبِ ذَهَبٍ ، وتقدم إلى الأمراء والقواد والغلمان والخدم وسائر الطبقات بالركوب معهما إلى دارهما .

ومن فضائل أبى الحسن بن الفرات والمأثور من ذكائه أنه وَقَع تَشَاجرٌ بين ولد المكتفى وعلىٍّ بن المقتدر بالله فى أجمة هواتا من أعمال القصر ، وادَّعى كلٌّ من الفريقين أنها له ، وأوجبَتِ الصورةُ أن وَقَّعَ إلى عامل سُوق المِسْك بالحظْرِ على ثَمَنِ مايَرِد من صُيُود هذه الأَجمة إلى أن تَبِين صُورَتُها . وكان المقتدرُ بالله يُوَقِّع فى وقتٍ لعلىٍّ ابنِه وفى آخَرَ لولدِ المكتفى بالله، فلما زاد وقوف هذا الأمر وتأخَّر فَصْلُهُ وظهورُ الحقِّ فيه لمستحقِّه ، أحضر أبو الحسن بن الفرات خادماً لولد المكتفى بالله ، ووكيلا لعلىّ بن المقتدر بالله يُعْرف بالحربى، للمناظرة والحكومة ، وقال أبو الحسن للخادم : ممن ابتعتم هذه الأجمة ؟ قال : من ولد بدر اللانى . فأمرهما بالخروج والجلوس فى الدار

(١) الحملان : ما يحمل عليه من الدواب وتكون فى الهبة خاصة .

بقر به إلى أن يدعوها ، وأحضر ابْناً لبدر اللانى كان من أحد خلفاء الحجاب ، وسأله عما عنده من الحسبانات التى لوكلائهم بنواحى القصر . فذكر أن الأملاك والضياع لما خرجت عن أيديهم أقلوا المراعاة للحسبانات فذهبت وهلكت ، ولم يبق منها باقٍ . فقال له : امض إلى دارك وسَلْ وفَتِّش وأحْضِرْ ماتجده . فمضى وعاد بعد ساعة ومعه حسابٌ ذكر أنه وجده لبعض وكلائهم ، فأخذه منه وسلّمه إلى أبى منصور عبد الله بن جبير وكان بين يديه ، وقال له : تَصَفَّحْه وانظُرْ هذا الحق من الأجمة كيف أُورد ، وإلى أىّ شىء نُسِب . فقرأه أبو منصور وردّه إليه وقال : مالهذا الحقّ ذِكْرٌ فيه . فقال : هذا محال ، وأخذ الحساب وقرأه وتأمله تأمُّلًا استوفاه ثم وضع يده وقد تصفَّح ثُلثيه على موضع وقال : هاهنا يجب أن يكون ماتَطلبهُ منسوباً إلى وجهه . ووقف ساعة ثم دعا بالخادم والوكيل وقال لهما : هذا الحدُّ منسوب إلى الإلجاء [1] لا إلى المِلْك . أفتعرفان فى يد من كانت هذه الأجمة من قبل ؟ قالا : لا . قال : كانت فى يد فلان فى سنة إحدى وأربعين ومائتين ، ثم انتقلت فى سنة ثلاث وخمسين إلى يد فلان ، ثم انتقلتْ فى سنة أربع وستين إلى إبراهيم بن فورعره ، ثم انتقلت فى سنة خمس وثمانين إلى فلان . ولم يزل يذكر حالها وقتاً بعد وقت إلى أن دخلَتْها يدُ بدْرٍ اللانى . قال المحدث بهذا الخبر : فقلت لإنسان كان إلى جانبى : كيف يذكر الوزير سنة إحدى وأربعين وفيها مولده ؟ورأى شفَتَىَّ تتحركان بالقول، فقال لى : ماقلت ؟ ودافعته فكرر سؤالى وقال لى : قل ماقلت . فصدقته عنه فقال : أحسنت ــ بارك الله عليك ــ فيما تأملت وتتبعت . إنى لما دخلت الديوان فى حال الحداثة كان أستاذى الذى أخدُمه أسَنَّ مَنْ فيه ، فكنت إذا مَرَّ بى رَسْمٌ كان مِن

---

(١) يقال لجأ فلان ماله تلجئة : جعله لبعض الورثة دون الآخرين . وهو مأخوذ من الإلجاء كأنه ألجأ إلى فعل ما يكره .

قبلُ سألتهُ عنه وحفظت مايقوله فيه ، أو جرى شيء فى أيامى حفظته ، وكان هذا مما عرفنيه .

وحكم بالمِلْكِ لولد المكتفى بالله ، وطالَبَه صاحِبُهم بتسليم ما اعْتِيق[1] من ثمن الصيد ، فوَقَّع بذلك ، وكتب إلى المقتدر بالله بما كشفه وحكم به .

وحدث أبو عبد الله زنجى قال : توفى[2] أبو عيسى أحمد بن محمد بن خالد المعروف بأخى أبى صخرة فى يوم الأربعاء لسبع ليال بقين من شعبان سنة إحدى عشرة وثلاثمائة فى وزارة أبى الحسن على بن محمد بن الفرات ، وخلَّف أموالًا وأملاكاً كثيرة ، ولم يخلِّف ولداً . فتعرض أصحاب المواريث لتركته ، وبلغ أبا الحسن بن الفرات ذلك فأنكره ، ومضى إلى المقتدر بالله وقال له : قد كان المعتضد بالله والمكتفى بالله رفعا المواريث وأزالاها وأنت أولى من أمْضَى فِعْلَهما وأَجْرَى سنتهما . فأمره بفعلِ ذلك والتقدُّم به ، وفعل وأزال التوكيلَ عن دار أبى عيسى أخى أبى صخرة والاعتراضَ عمّا خلَّفه ، وسلَّم جميعَه إلى الورثة ، وأشهدَ عليهم بتسلُّمه . وأمر بأن يكتب إلى العمال فى سائر النواحى برفع المواريث ، فكتب أبو الحسن محمد بن جعفر بن ثوابة بما نسخته :

أما بعد[3] ، فإن أمير المؤمنين يُؤْثر فى الأمور كلِّها ما قرَّبه من الله جلَّ جلالُه ومِنْ طَاعته ما اجْتَلَبَ له منه جزيلَ مَثُوبته ، وحَسُنَتْ به العائدةُ على كافَّة خَلِيقته ورَعِيَّته ، لِمَا جَعَل[4] الله عليه نيَّته من العطف عليها ، وإيصال المنافع إليها ،

(١) اعتيق = تأخر تسليمه . وكان قد حظر أن يدفع ثمن مايرد من صيود هذه الأجمة كما تقدم

(٢) انظر صلة عريب سنة ٣١١ هـ .

(٣) صلة عريب حوادث ٣١١ .

(٤) لعلها أيضاً : لما جبل . وجبله الله : خلقه وفطره ، ويقال : جبله الله على الكرم : فطره عليه .

وإزالة الإعنات عنها ، وإبطال رسوم الجور التى كانت تعامل بها ، وإحياء سنن الخير وإيثاره لها ، جارياً مع الكتاب والسُّنَّة ، عاملا بالآثار عن الأفاضل من الأئمة ، وعلى الله يتوكل أميرُ المؤمنين ، وإليه يُفوِّض وبه يستعين .

وأنْهَى إلى أمير المؤمنين أبو الحسن علىُّ بنُ محمد ما يلحق كثيراً من الناس من الإعنات فى مواريثهم ، وما يُتناول على سبيل الظلم من أموالهم ، ويُحكَم فيه بخلاف ماجرت به السُّنة ، وأنه قد كان عبيدُ الله بن سليمان أنهى إلى المعتضد بالله — صلواتُ الله عليه — حالَ المتقلِّدين لأعمال المواريث ، وما يَجْرى على الرعية من مطالبتهم إياهم بأحكام لم يَنْزِلْ بها كتابُ الله عزّ وجل ولا جَرَتْ بها سُنَّةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أجمع أئمَّةُ الهدى — رحمة الله عليهم — عليها ، فكتب — صلواتُ الله عليه — إلى يوسف بن يعقوب وعبد الحميد بن عبد العزيز القاضِيَيْن — كانا بمدينة السلام وما يتَّصل بها من النواحى فى أيامه — يسألهما عن الحال عندهما فى مواريث أهل المِلَّة والذِّمَّة . فكتب عبد الحميد — رضى الله عنه — كتابا فى مواريث أهل المِلَّة ، حَكَى فيه أن عمر بن الخطاب وعلىّ بن أبى طالب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود — رضوان الله عليهم ومن اتَّبعَهم من الأئمة الهادين رحمةُ الله عليهم — رأوا أن يُرَدّ على أصحاب السهام من القرابة ما يَفْضُل عن السهام المُفْتَرَضة فى كتاب الله تبارك وتعالى من المواريث إذا لم يكن للمتوفَّى عَصَبَةٌ يحوز باقى ميراثه، وجعلوا — رضى الله عنهم — تَرِكَةَ من يُتَوَفَّى ولا عَصَبَةَ له لذوى رَحِمه إن لم يكن له وارثٌ سواهم ، ممتثلين فى ذلك أمر الله سبحانه إذ يقول : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِى كِتَابِ اللهِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1] وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى توريثه من لا فَرْضَ له فى كتاب الله تعالى من الخال وابن

---

(١) سورة الأنفال الآية ٧٥ .

الأخت والجدَّة . وكتب يوسف بن يعقوب إليه كتابا فى مواريث أهل الذِّمّة حكى فيه ما رُوِى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن المسلم لا يَرِثُ الكافر ، وأن الكافرَ لا يرث المسلم وأنه لا يَتوارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْن . ووصف يوسف فى كتابه أن السُّنَّة جرتْ بأن أهل كل ملة يُوَرِّثُون مَنْ هو منهم إذا لم يكن له وارث من ذى رَحِمِه .

وعرَّف أبو الحسن أميرَ المؤمنين [أن] ما قرَّر عليه حامدُ بنُ العباس الأمْرَ – مِنْ تتبُّعِ المواريثِ وتقليدِ جبايتها عُمَّالًا يَجْرون مَجْرى عُمَّال الخراج – شىءٌ لم يكن فى خِلافة من الخلافات إلى أن مضى صَدْرٌ من خلافة المعتمد على الله – رحمه الله – فإن يدا دخلت فيها فى ذلك الوقت على سبيل تَأَوُّلٍ بما رُوِى عن زيد بن ثابت – رحمه الله – دون غيره ، فأزالها المعتضد بالله صلوات الله عليه . ثم أعاد ذلك الرسْمَ الجائرَ والأثرَ القبيحَ السائرَ حامدُ بنُ العباس بظُلْمه وتَعَدِّيه وتهوُّره وتَسَطِّيه وتأوَّل على الرعية بما لم يُرْضِ اللهَ عزَّ وجلَّ فيه . فأمر أميرُ المؤمنين بأن يُرَدَّ على ذوى الأرحام ما أوجب اللهُ عز وجل ورسولُه – صلى الله عليه وسلم – وعُمر بن الخطاب وعلىُّ بن أبى طالب وعبدُ الله بن العباس وعبد الله بن مسعود – سلام الله عليهم ومن اتبعهم من أئمة الهدى رضى الله عنهم – رَدَّه من المواريث عليهم ، وأن تُرَدَّ تَرِكةُ مَنْ مات من أهل الذمة ولم يُخَلِّف وارثا على أَهْلِ ملته ، وأن يُصْرَف جميعُ عمال المواريث فى سائر النواحى ويُبْطَل أمرُهم ، ويُرَدّ النظرُ فى أعمال المواريث إلى الحكام على ما لم يَزَلْ يَجْرِى عليه قَبْلَ أيّام المعتمد على الله . ورأى أميرُ المؤمنين أن من الحق لله عليه فيما قلَّده من خلافته ، وألبسه من جلباب كرامته ، وألزمه من رعاية عباده فى بلاده الدانية والقاصية ، ونواحى سلطانه القريبة والبعيدة ، أن يَعُمَّ جميعَهم بعدله وإنصافه ، ويتناولَهم بفضله وإحسانه ، ويَسُنَّ لهم سُنَّةَ الخير فى أيامه ، ويُزِيلَ

عنهم البوائق والعوارض التى تُوجَدُ بها السبيلُ إلى أن تُنْقص أموالُهم وَيتَوَصَّلَ فيها إلى ظلمهم و إعناتهم ، وأن يُجْرَى الأمر فى المواريث على ما كان جاريًا عليه فى أيام المعتضد بالله صلوات الله عليه ، وتَرْكَ تبديله والحَذَرَ من إزالته وتغييره ، و إذاعةَ ما أمر به و إظهارَه وقراءته على الناس فى المسجدين الجامعين بمدينة السلام ليكون مشهورا مُتَعَالَمًا ، والخبرُ به إلى الأدانى والأقاصى واصلا . فاعْلَمْ ذلك من رأى أمير المؤمنين وأمْرِه واعْمَل عليه و بِحَسَبِهِ إن شاء الله والسلام عليك ورحمة الله، وكتب أبو الحسن يوم الخميس لإحدى عشرة ليلةً بَقِيَتْ من رجب سنة إحدى عشرة وثلاثمائة .

ونسخة ما كتب به أبو خازم إلى بدر المعتضدى جوابَ كتابه إليه فى أمر المواريث .

وصل كتابُ الأمير يذكر أنه احْتِيج إلى كتابى[1] بالذى أراه واجبا من مال المواريث لبيت المال ، وما لا أراه واجباً منه ، وتلخيصِ ذلك وتبيينِهِ ، وأنا ذاكر للأمير الذى حَضَرنى من الجواب فى هذه المسألة والحجّة فيما سأل عنه ليقف على ذلك إن شاء الله .

الناس مختلفون فى توريث الأقارب ، فَرُوِى عن زيد بن ثابت أنه جعل التركة إذا لم يكن للمتوَفَّى مَنْ يرثه — من عصبة وذى سهم — لجماعةِ المسلمين و بيتِ مالهم ، وكذلك يقول فى الفَضْلِ بعد السُّهْمَانِ[2] المُسَمَّاة إذا لم تكن عصبةٌ ، ولم يُرْوَ ذلك عَن أحدٍ من الصحابة سوى زيدِ بنِ ثابتٍ ، وقد خالفه عمرُ بن الخطاب وعلىٌّ بن أبى طالب وعبد الله بن مسعود وجعلوا مايَفْضُلُ من السُّهْمَانِ ردًّا على أصحاب السهام

(١) كتابى : كتابتى أى إلى أن أكتب .

(٢) السهمات : جمع سهم والسهم النصيب المفروض .

من القرابة ، وجعلوا المال لذى الرَّحِم إذا لم يكن وارثٌ سواه . والسُّنَّةُ تُعَاضِد ما رُوِى عنهم ، وتخالف ما رُوِى عن زيد بن ثابت . وتأْويلُ القرآنِ يوجب ما ذهبوا إليه ، وليس لأحد أن يقول ، فى خلاف السنة والتنزيل ، بالرأى . قال الله تعالى : ﴿ وَأُولُو ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَابِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1] فَصَيَّر القريبَ أولى من البعيد ، و إلى هذا ذهب عمرُ وعلىٌّ وعبد الله رضى الله عنهم ومن تابعهم من الأئمة ، وعليه اعتمدوا ، و به تمسكوا ، والله أعلم .

ولو كان فى هذه المسألةِ ما لا يَدُلّ عليه شاهد من الكتاب والسُّنَّةِ لكان الواجبُ تقليدَ الأفضل والأكثرِ من السابقين الأوّلين ، وتركُ قبول من سواهم مِمَّنْ لا يَلْحَق بدرجتهم بسابقته . وإذا رُدَّ أمرُ الناس إلى التَّخَيُّر من أقاويل السلف فهل يُحِيل أو يُشكل على أحد أن زيداً لا يَفِى عِلْمُه بعلم عمر وعلىٍّ وعبد الله ؟ و إذا فضلوا فى السابقة والهجرة فَمِنْ أين وجب أن يؤخذ بما رُوِىَ عن زيد بن ثابت واطِّرَاحُ ما رُوِى عنهم ؟ وقد استدَلُّوا مع ذلك بالكتاب فيما ذهبوا إليه . وبالسنة فيما أَفْتَوْا به . والرِّوَاية ثابتةٌ عن النبى صلى الله عليه وسلم بتوريث من لا فَرْضَ له فى الكتاب من القرابة ، فمن ذلك ما ذُكِرَ لنا عن مُعاوية بن صالح ، عن راشد ابن سعد ، عن أبى عامر الهوزنى عن المقدام بن معدى كرب عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الخالُ وارِثُ مَنْ لا وارث له ، يَرِثُ ماله ويَعْقِلُ عنه » . وكذلك بلغنا عن شريك بن عبد الله عن ليثٍ عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم مِثلهُ . وعن ابن جُرَيج عن عمرو بن مسلم عن طاوس عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال مِثْلَ ذلك . وذُكِر عن عُبَادة بن أبى عباد ، عن محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن يحيى بن حَبَّان عن عَمِّه واسع بن حبَّان قال :

---

(١) سورة الأنفال الآية ٧٥ .

تَوُفِّيَ ثابتُ بنُ الدحداح فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعاصم بن عدى : أَلَهُ فيكم نَسَبٌ ؟ قال : لا . فدفع تركته إلى ابن أخته . فقد أوجب عليه السلام بما نَقَلَتْه عنه هذه الروايةُ توريثَ من لا سَهْمَ له من القرابة مع عدم أصحاب السُّهْمَان المبينة فى الكتاب ، وأعطى الجدَّة السدس من الميراث ولا فَرْضَ لها ، وفى ذلك الاتفاق وفيما صَيَّرَ لها من السدس دليلٌ على أنَّ [من] لا سهم له — من القرابة — فى معناها ، إذا بطلَتِ السِّهَامُ ، ولم يكن من أهلها ، وأنه أولى بالميراث من الأجنبى . والمَرْوِيُّ عن زيد بن ثابت أنه جَعل الفَضْلَ عن سهام الفرائض وكُلَّ المال — إذا سقطت السهام بعد أهلها — لجماعة المسلمين ، فجَعَلهم كُلَّهُم وُرَّاثاً ، وجَعْلُ ما يَصير لهم من ذلك — فى خلاف مال الْفيء المَصروف إلى الشِّحْنَة وأرزاق المقاتلة وإلى المصالح إذا كان ذلك — يكون ، فيما رُوِى عنه ، للناس كافَّة ، وعَدَدُهم لا يُحصى ، فغيرُ ممكن أن يُقَسَّمِ ذلك فيهم وهم متفرقون فى أقطار الأرض مشارِقها ومغاربها . وإذا امتنع ذلك وخرج إلى ما ليس يمكن فَسَدَ ، وثبَتَ ما قلناه من قول أكابر الأئمة .

وقد تأوَّل بعض المتَأَوِّلين قولَ الله تعالى : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ فقال فيه : كان الناس يتوارثون بالحَليف دون القرابة ، فلما أوجب الله المواريث لأهلها من الأقارب منع الحَليف بما فرض من السُّهمان ، فغَلِطُوا وصَرَفوا حُكْمَ الآية إلى الخصوص ، فذلك غيرُ واجب مع عدم الدليل ، لأن مَخْرَجَها فى السَّمْعِ مَخْرَجُ العموم . وبعدُ ، فلو كان تأويلُها ما ذهبوا إليه ، وكانت السهامُ التى نَسَخَتْ ما يَرِثه الحليفُ قبلَ نزول الفرائض ، لوجب فى بَدْء ، وما قالوا [1] : إذا كان لا وارث للميت من أصحاب السهام أن يكون الحليفان فى التوارث على أوَّلِ فَرْضِهما وعلى المُقَدَّم من حكمهما ، لأن الذى منعهما — إذا ثبتَ

(١) أى لوجب من أول الأمر ولما قالوا .

هذا التأويلُ ـ مَنْ له سَهْمٌ دون مَنْ لا سهم له . فإذا ارتفع المانِـع رَجَع الحُـكْم إلى بدئه . ولا اختلاف بين الفريقين أن الحليف لا يرث الحليف اليوم ، وإن كان لا وارث سواه ، وهذا يدُلّ على فساد تأويلهم ، وعلى أن المرادَ فى الآية التى أوجبت الحَقّ للأقارب غيرُ الذى ذَهبوا إليه ، فإن الله سبحانه إنما أراد بمعناها اختصاصَ القريبِ بالإرث دون البعيد . وقد يَلْزَمُ مَنْ ذَهَب إلى الرِّوايةِ عن زَيْدٍ وتَرَكَ الرِّوايَةَ عن عُمَرَ وعليٍّ وعبد الله ـ عليهم السلام ـ جانبا ، وأسْقَطَ التَّعَاقُلَ[١] بين الأجنبى والقريب أنْ يَجْعَل ذا الرحم أَوْلَى ، لأنه[٢] يَفْضُل الأجنبيَّ بالقرابة . وترتيبُ المواريث فى الأصل يَجْرِى على تَقَدُّم مَنْ فَضَل غيرَه فى المناسبـة كالأخ للأبوالأم ، والأخ للأب ، وابنِ العم للأب والأمّ وابن العم للأب ، وأخصهما[٣] قرابة أَوْلاَهُما بالميراث عند جمع الجميع . قال الله تعـالى : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِى أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾[٤] وَوَلَدُ الولَدِ مَنْ سَفَلَ منهم ومن ارتفع يَعُمُّهم هـذا الاسم ، إلا أن الأقربَ منهم فى معنى الآية أحَقُّ من الأبعـد . فإذا كان ذلك كذلك كان القريبُ أولى من الأجنبى بالتركة للرَّحِم التى يَقْرُب بها دونه .

وبَعْدُ ، فإن العلماء نَفَرٌ يسير لا يعرفون الصواب فى هذه المسألة إلا فيما رُوِى عن الخليفتين عُمر وعليٍّ صلوات الله عليهما وما رُوِى عن ابن مسعود ، ثم لم يقتصروا فى المبالغة والدليل فى توريث ذى الرحم إلَّا على ما رُوِى عن عبد الله بن العباس جد

---

(١) التعاقل : الالتزام بالديات والاشتراك فيها .

(٢) فى الأصل : لايفضل .

(٣) فى الأصل: واختصاصها . وما أثبتناه يعنى به وأقربهما قرابة بمعنى أن الأخ الشقيق وهو أقرب قرابة أولى بالميراث من الأخ لأب ويحجبه وأن ابن العم الشقيق وهو أقرب أولى بالميراث من ابن العم لأب ويحجبه .

(٤) سورة النساء الآية ١١ .

أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ وترجمانِ القرآن ، وبحرِ العلم ، ومَنْ كان إذا تكلم سكت الناس ، ومن دعا له النبيُّ صلى الله عليه وسلم فقال : « اللّهُمَّ فَقِّهْهُ فى الدِّين وعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ » . ودعوةُ النبي صلى الله عليه وسلم مستجابة ، ومَنْ كان أعلمَ بتأويل القرآن فاتّبَاعه فيـه أَوْجَبُ . وقد رُوِى عن ابن عباس مثلُ ذلك من قَوْلِ عمر وعلى وعبد الله والجماعة ، وما زالت الخلفـاء من أجداد أمير المؤمنين ـ أعزه الله ـ يستَقْضُون الحُـكَّام فيقضون برد المواريث على الأقارب ، ولا ينـكرون ذلك على من قضى به من قُضَاتهم، ولا يرَونه مُتجاوزاً للحقِّ فيه ، وما عُرِفت الجماعةُ بغيرهذا الاسم إلا منذ نَحْوِ عشرين سنة . وأميرُ المؤمنين أَوْلى مَن اتَّبَـع آثارَ السلفِ ، واقتدى بخلفاء اللهِ، ومَالَ إلىأفضَلِ المذْهَبَيْنِ . و إلى اللهِ الرغبةُ فى عِصمةِ الأميرِ وتسديدِه . والحمدُ لله ربّ العالمين .

وحدث أبو الخصيب كاتبُ أحمدَ بنِ العباس قال : حدثنى حامد قال : دخلتُ إلى عبيد الله بن سليمان وهو وزيرُ المعتضد بالله ـ رحمه الله ـ فوجدته خاليا ، وعنده أبوالعباس بن الفرات ، وعبيدُ الله يُعاتبه ، فلم يَحْتَشِمْنِي لعلمه بما بينى و بينه ، فسمعته يقول لأبى العباس : ولـكنك تَميـل إلى فلانٍ وفلانٍ [1] وابن بسطام . فقال له : أما فلان ـ أيها الوزير ـ فميـلى إليه لأنه أسعفنى فى وقْتِ نـكبتى وعنـد مصادرتى بخمسين ألفَ دينار ، ومن عاوننى بماله ، وأشركنى فى حاله ، فقد استحقَّ منى أن أُصْفِيَهُ الوُدَّ وأُخْلِصَ له العَقْدَ [2] . وأما ابن بسطام فرجل كاتب [3] له علىَّ رئاسة ، وحقُّ الرئاسة لا يُنسى ودَيْنُها لا يُقْضَى .

---

(١) يبدو أنها زائدة فى الـكلام إذ لم يرد ذكر للفلان الآخر .
(٢) لعلها أيضاً : العهد .
(٣) لعلها أيضاً : كانت . وهو الأصوب .

وحدَّث مُحدِّث قال : قلت لأبي العباس بن الفرات يوماً على شُرْبٍ ـ وقد رأيته يَلْعب بالخصوم وأرباب الظُّلَامات لعبا ، فتارة بالحُجَجِ الديوانيّة وتارة بالحجج الفقهية ـ : ياسيدي هل قَطَعَكَ أحدٌ في مناظرة ؟ فقال أمّا بالحجة فلا . بل[1] كابَرَنى رجل مرَّة فحرْت في جوابه ، وانقطعت في يده ، وذلك أن محمد بن زكريا المعروف بوزير الإسكافي كان صنيعة لي ، فتولَّى الضياع بواسط ، وحضر من تكلَّم عليه وبذَلَ مواقفته على ما فرَّقَه ، فرسم لي عبيد الله بن سليمان مكاتبته بالحضور ، فقلت له : هـذا ـ أعز اللهُ الوزيرَ ـ وقتُ العمارة ، وإذا أخلَّ العاملُ بها وقع التقصيرُ فيها ، واحتجَّ علينا بأننا قطعناه بالاستدعاء عنها . قال : فأخِّرْهُ إلى أن يفرُغ منها . فأخَّرته شهوراً ، ثم عاود المتظلِّمُ منه القولَ فيما تكلَّم عليه به ، وأمرني عبيدُ الله باستدعائه ، فقلت : هـذا وقتُ التقدير ، وبه يُحْصَر الارتفاعُ . قال : فأخِّره . فأخرته شهرين ، ثم عاود المتظلمُ ، وعاودني عبيد الله . فقلت : قد شَبَهَتِ[2] الغَلّات وما تفسد إلا بالحَزْرِ . فقال المتظلم : كيف تَسمحُ نفسُ أبي العباس بإحضار مَنْ عَمَرَ ضِياعه وأضاف إليها خَوَاصَّ السلطان وأملاكه ونقلَ إليها أكرَةَ الوَزِير ؟ ! فضياعُه كالعرائس المَجْلُوَّات ، وضِياعُ الوزير كضياع الأرامل[3] والأيتام .

قال أبو العباس : وعمل كلامُه واللهِ في عبيد الله . فابتدأتُ أحلف على كذبه واستحالةِ قوله ، فمنعني وقال : حَسْبُكَ الآنَ . وكتَبَ منشوراً بخطِّه بإشخاصه ، وأنفذَ به مُسْتَحِثًّا ، وحُمِلَ وَزِيرٌ[4] ، واعتقله وصادره .

---

(١) في الأصل : بلي .

(٢) شبهت : أشكلت ، ويعني أن الغلات الآن مجموعة دون أن تحصى وإحضار هذا العامل قبل الإحصاء سيدعو إلى التخمين فيها . وهذا التخمين مفسد لها .

(٣) لعلها أيضاً : وضياع الوزير كالأرامل .

(٤) أي حمل محمد بن زكريا المعروف بوزير الإسكافي .

وحدث محدِّثٌ قال : رأيت أبا العباس بن الفرات يُناظر شيخا مُزَيِّناً بيادوريا قداحتال فى تخفيف مقاسمة بيْدَره وقال له : فى أيَّةِ سنةٍ قُسم هذا البيدر على ماادَّعَيْته فى المعاملة ؟ قال : السنة التى ملـكْتَ فيهـا ـ أيدك الله ـ البيدرَ الفلانىّ والبيدرَ الفلانىّ . حتى عدَّ عشرة بيادرَ فى عدَّةِ طَسَاسيجَ من خواصٍّ السلطانِ التى استضافها إلى ضياعه . فورد عليـه من قوله ما أدهشه وأسكته ، وأمضى مقاسمةَ بيدره وصرَفَه .

وحدث أبو عبد الله بن الماسح الكاتب قال : حدثنى أبو الحسن علىُّ بن عيسى ، وقد جرى ذكر الجهبذة ، وقال : ما أعجبَ ما جرى فى أمرها بنواحى المغرب . وذلك أنها لما صَحَّت فى أيام المعتضد بالله؛ وكتبتُ لعبيد الله بن سليمان على الديوان ، أمرنى أن أعمل عملا بارتفاع الموصل والزَّابَات ، فعملتُه وعرضتُه عليـه ، فاعترضه أبو العباس بن الفرات على رَسْمِه فى مثل ذلك وما تقتضيه خلافتُه لعبيد الله ، وقال لى : ما أرى لِمَالِ الجهبذةِ فى هذا العملِ ذِكْراً . فقلت له : هذا ما لا أعرفه فى أَصلٍ ولا مُضافٍ ، فإن يكن من مال السلطان فهو بمنزلة ما يُؤْخذ من الذَّيْلِ ويُرْقَعُ به الجَيْب ، أو يكن من مال الرَّعيةِ فهو ظلم ، وطريقٌ للجهابذة إلى أخذ أموال المعامَلين . وهذه نواحٍ افتُتِحَت قريبا ، وسبيلها أن يُعاملَ أهلُها بالإنصاف، وتُخفَّفَ عنهم المُؤَن لِتَحلوَ لهم سياسةُ السلطان . فقال : هـذا باب من أبواب الارتفاع ، ولا يجوز أن يترك ويضاع [1] ، فيلحقنا من السلطان استبطاء وإنـكار . وتَقْدِيرُ ما يجب فى هذه النواحى من ذلك عشرةُ آلاف دينار ، فما هو إلَّا أن سمع الوزيرُ ذِكْرَ السلطان وعشرة آلاف دينار تزيد فى الارتفاع حتى قال : سبيلُ

(١) فى الأصل : ولا يضاع .

هذه النواحى سبيلُ غيرِها من نواحى السواد . فأمسكتُ ، واستمرَّ بلاء الجهبذةِ على الناس إلى حين انتهينا .

وحدث أبو الحسن بن مانى الكوفى الكاتب قال : حدثنى على بن حسين الجهظ كاتبُ أبي العباس أحمد بن محمد بن ثوابة قال :

جرت المناظرة يوما بين أبى العباس بن ثوابة وأبى العباس بن الفرات فى حساب باروسما الأعلى بحضرة عبيد الله بن سليمان . فأقام ابن ثوابة الشاهد على صِحَّة ما رفعه، والبرهان على عامِلِ ابن الفرات فى تأوُّله . وأخذ ابن الفرات يُبَاهِت [1] فى نُصرَة قوله . فقال ابن ثوابة : كيف أنتصفُ منك يا أبا العباس وأنا أناظرك بالحجة ، وأنت تُعارضنى بفضلِ القدرة ، وتزعمُ أن هذا الوزير أسيرٌ فى يديك ؟ قال : فنظر عبيدُ الله إلى منْ حضر وقال : اشهدوا أننى أسيرٌ فى يَدَىْ كلِّ كافٍ . قال : يقول [2] ابن ثوابة : قد علمنا .

قال : وتظلم أهل السارية من أهل بادوريا إلى المعتضد بالله وحَكَوْا أن أهل سَقْيِ الفرات وَاطئُوا العُمَّالَ والمهندسين على ظُلْمِهم وكتمان ماعندهم فى أمر أبواب قنطرةِ دِمّا ، ووافقوهم على تضييقها ليتوفَّر المـاء عليهم . فتقدَّم المعتضد بالله إلى بدر بالخروج مع القاسم بن عبيدالله ومن استنصحه القاسم من أصحابِ الدواوين ومشايخِ العمال والمهندسين وقضاة الحضرة وطائفةٍ من الشهود وابن حبيب الذَّرَّاع ومن يختاره من الذُّرَّاع للوقوف على ما وقعت الظلامة منه ، وكشْفِ الصورة فيه . فخرجا وفى القوم علىٌّ وجعفرٌ ابنا الفرات ، ومحمد بن داود بن الجراح وعلى بن عيسى، وإسماعيل ابن إسحاق وأبو الخازم القاضيان ، وإبراهيم بن عبد الله عامل بادوريا وجماعةٌ من

(١) يباهت : يأتى بالبهتان والزور .
(٢) لعلها : فقال ابن ثوابة ، أو : قال : ويقول ابن ثوابة قد علمنا .

تُنّاَنها وشيوخها ، ووصلوا إلى الموضع واستَدْعَوُا الدَّهاقين[1] بسقى الفرات ، واستقرّ الأمر على أن ذُرِعَ البابُ الكبيرُ بذِراع السواد ، فكان ستّةَ عشرَ ذراعا ، وذُرِعَت الأربعةُ الأبواب الصغَارُ ، فكان كل واحد منها ثمانيةَ أذرع ، وكان مَقَام الماء على الصَّبِّ الذى قُسِمت عليه الأبواب فوق الدكّة[2] أربعة أذرع ونصفاً فى أيام الطِّنْكاب[3] وقلة الماء . وسئل أهل بادوريا عما عندهم ، فأقاموا على أنّ عَرْض الباب الكبير خمسةٌ وثلاثون ذراعا ، وقارَبُوا أهل سَقْى الفرات فى الأبواب الصِّغار وقالوا : لولا أنّ سعةَ الباب ما ذكرنا لما أمكن انحدارُ زورقٍ فى الباب ولا طَوْفٍ[4] من أَطْوَافِ الزَّيتِ والخشبِ ، وأنكر أهلُ الأعلى قولَهم ، وطالبوهم بالشاهد عليه ، فلم يأتوا به ، واختلفت الأقوالُ مع الإجماع على أنه فوق العشرين الذراع. فقال أبو الحسن بن الفرات للقاسم بن عبيد الله : قد كَثُرَ أيها الوزير الاختلاف وَالتلاحى والأقاويل والدَّعاوى ، فليأمر بِكَتْبِ ما يقوله كلُّ فريق لِيَتَحَصَّل ويُعلمَ ، ولا يقَع عنه رجوعٌ من بَعْدُ . فأمر بذلك ، وأُخذت الخطوطُ به. ثم قال ابن الفرات : فيسألهم الوزيرُ : هل كانت قراقيرُ[5] الرُّمَّان وأطوافُ الزيت والخشبِ تنحدر فى الباب أم لا ؟ قالوا : بلى . قال : فليُنْفِذ الوزير ثِقَةً من ثِقاتِه مع صاحبٍ للقاضى حتى يَذْرع عرض قراقير الرُّمَّان التى تَرِدُ دجلة من هذا الباب . فذُرِعت عشرةُ قراقير ، فكانت سَعَتُها ما بين عشرين ذراعا . وكُتِب بذلك إلى المعتضد بالله ، وأقام القوم بمكانهم إلى أن ورد أمره بأن يُجعل الباب الكبيرُ

---

(١) الدهاقين : الرؤساء، وأيضاً التجار، جمع دهقان .

(٢) لعله يراد بها القاعدة .

(٣) الطنكاب : ضحولة الماء وقلة غوره ويعنى به أيام عدم الفيضان .

(٤) الطوف : ما يعوم على وجه الماء وقد تشد أخشاب أو قرب فتصير كهيئة سطح ويركب عليه فوق الماء أو تحمل عليه الأثقال .

(٥) القراقير : أنواع من السفن .

بالذراع السوداء اثنين وعشرين ذراعا ، والأبوابُ الصغارُ على رَسْمِها .

وحدث محمد قال : كان أبو الحسن بن الفرات يَسْتَظْهِر [١] فى نفقات المصالح ، ويستكثر من إعداد الآلات على الأماكن التى تُخَافُ الحوادثُ منها ، فلما ولّى علىُّ ابن عيسى العباسَ بن منصور على المصالح أظهر العِفَّةَ وقلَّلَ النفقة ، ونسب ابن الفرات فيما كان يفعله إلى التفريط والإضاعة . وقُدِّرَ للنفقة على بَزَنْدٍ من بَزَنْدَات نهر الرُّفَيل ثلاثون ديناراً ، فلم يُطْلِقها ، وقال : نفقةُ هذا البَزَنْدِ واجبة على صاحبِ الضَّيعة لأنها قَطيعةٌ . فأحْدَثَ فِعلُه انفجار البَثْقِ [٢] المعروف بأبى الأسود فى نهر الملك ، فخرج إليه إبراهيم بن عيسى وأنفق عليه سبعمائة ألف درهم ، وذهبَ من ارتفاع السلطان ببهرسير والرومقان وإيغار يقطين أضعافُ ذلك، وكثرت البثوق والجباياتُ فى نفقاتها والمضرّة بحوادِثها .

وحدث أبو بكر بن ثوابة قال : سمعت أبا الحسن بن الفرات يقول : حدثنى أبو العباس أخى قال : قال لى عبيد الله بن سليمان : قد ألحَّ علىّ أميرُ المؤمنين بأن أجعل بالجانب الغربىِّ بإزاء داره مَيْدَانا يكون تَكْسيره [٣] مائتى جَريب . فقلت : أعوذ بالله أيها الوزير من ذلك . قال: فإنى لا أجترئ على مخالفته ومراجعته . قال له أبو العباس : فإذا عاودك فاذْكُرْنى له لأُعَرِّفه ما فى ذلك عليه . فعاود المعتضد بالله عبيدَ الله بن سليمان وضَجِرَ عليه من تأخيره ما أمره به . فقال : يا أمير المؤمنين ، بالباب أحمد بن محمد بن الفرات ، فإذا شرفه أمير المؤمنين بالوصول إلى حضرته ذكَر ما عنده فى ذلك . فأذِن له ، فحضر وسلَّم وخدَمَ ، فقال له المعتضد بالله : ما عندك ؟ فقال: طساسيج السوادِ يا أمير المؤمنين أربعةٌ وعشرون

---

(١) يستظهر : يحتاط .

(٢) البثق : موضع الكسر من الشط .

(٣) تكسيره : مساحته .

طسُّوجا، أجلُّها طسوج بادوريا وهو اثنا عشر رُسْتاقا ، أجلُّها رُستاق الـكَرْخ وهو اثنتا عشرةَ قرية ، وأجلُّها ما على دِجلة ، وكلُّ جريب منـه يساوى ألف دينار ، ويُغِلُّ ألف درهم ، أَفيَرى أمير المؤمنين إضاعة مائتى ألفِ دينار يَشيع خـيرُها فيما لا فائدة فيه ؟ قال : لا والله ، فاطلبوا لنا موضعا آخر . قال : يكون ما بين الحلبة والرَّحبة . فتقدَّم بالعمل على ذلك .

قال أبو بكر : وسمعت أبا الحسن بن الفرات يقول : أصلُ العمارة وزيادة الارتفاع حِفْظُ البذور ، ولن يَتِمَّ ذلك إلا بالعدل .

ويقول : الضَّمان يذهب بالارتفاع كما يذهب السَّاكنُ بالعقَار .

وسمعته يقول : سبيل العامل أن يُؤَدَّب على الزيادة فى المساحة كما يُؤَدَّب على الاقتطاع منها .

قال : ووقَّع يوماً بحضرتى إلى بعض العمال ــ وقد رَفع إليه صاحب الخبَر أنه صَفع واحداً من التُّنَّاء لتقاعده بأداء الخراج : فى الحبسِ للتُّنَّاء مأدَبة ، فلا تعاملْ بعدها أحداً بهذه المعاملة فأُمكِنه من الاقتصاص منك .

قال : وسمعته يقول : أحسنتُ إلى بعض الأَكرة والمزارعين فى ناحيةِ كحلةَ من طسوج الأنبار بنحو مائة درهم ، فأخلف علينا ذلك عشرة آلاف دينار ، وذلك أنه صار الرَّجل المُسَامَحُ إلى بعض البلدان فذَكَر أنه أُحسن إليه فى معاملته بمائة درهم، فرَغِبَ أهل البلد فى الانتقال إلى قُرَى كحلة، فانتقلوا وعمروا ، وارتفعت فى تلك السنة بعشرة آلاف دينار ، ووكيلُنا فيها محمود بن صالح .

قال أبو بكر : كتبت إلى أبى الحسن بن الفرات أسأله أن يَرُدَّ إلىَّ شيئاً أتولاه وأجعل جارِيَه لأبى علىِّ أبى . فوقَّع لى بخطه : وصَلَتْ رقعتُـك ــ جعلنى الله فداك ــ

والأعمالُ كثيرةٌ ، غير أنك تكره القضاء ، والعِمالة فلا تدخل فيها ، والحِسْبَةَ فلا تَصْلح لك ، والمظالِم فتجْرِى مَجْرى الحكم والذى يصلُح لك أن تُعْقَد عليك الغَلَّاتُ فى عِدَّة طساسيج تختارُها من السواد ، فإن أردتَ جميع غَلَّاتِ السواد كان ذلك لك مبذولا ، فاعْمَل على ذلك فإنه أصلحُ لك وأعودُ عليك إن شاء الله .

وذُكِر أنه كان بمدينة السلام رجلٌ من أهل الأهواز يتحلَّى بالقضاء ، وكانت له حالٌ واسعةٌ ونعمة ظاهرة ، وعادتُه جارِيَةٌ بالحيلة على الناس وأخْذ أموالهم بالتَّمويهات والتزويرات . فصار إليه رجل من أهل إسكاف بنى الجُنيد وسأله أن يسعى له فى تقليده ناحيةً أسماها . فتركه أياماً ، ثم دفع إليه كتاباً بتقليدها ، وأعلمه مُوَافَقتَه الوزيرَ أبا الحسن علىَّ بن الفرات على تَقْدِمَةِ خمسين ألف درهم . فأخذ الرجلُ الكِتَاب ، وأقرض[1] من بعض التجار المالَ وسلَّمه إليه ليَحْمِلَه إلى الوزير ، وواعده إلى البكور إليه فى غَدِ ذلك اليوم للقاء الوزير وَوَدَاعه ، وفارقه . وغدا إليه على وَعْدِه فلم يرَهُ ، وخاف أن ينْتَهِى إلى الوزير خبرُه بالحضرة فيُنْكِره ، فدخل إليه وتقدم فقبَّل يده واستأمره فى الخروج . فقال له الوزير : إلى أين ؟ قال : إلى حيث قلَّدْتنى . قال : ما قلَّدْتك شيئاً . فأخرج الكُتُبَ وعرضها عليه ، فلما قرأها الوزير عجب منها ، وسأل عَمَّن تَنَجَّزَها له . فأَسْمى القاضِيَ وأعلمه أنه أخذ منه خمسين ألفَ درهمٍ باسمه ، فأمر بطلبه فَطُلِب فقيل إنه هرب . فقال الوزير : الحيلةُ عَلَىَّ تَمَّتْ . ووقع فى الكتب وأمضاها وكتب له بالعِوَض عن المال وأمره بالنفوذ .

وحدث أبو الحسن علىُّ بن جعفر الهمذانى الكاتب قال :

لما تقلد أبو الحسن بنُ الفرات الوزارةَ حضره من عمال علىِّ بنِ عيسى العباسُ

(١) أقرض من بعض التجار : أخذ منهم قرضاً .

ابنُ موسى بن المثنى ، وابنُ أمينة ، وأحمدُ بنُ محمد بن سمعون وكان يَخْلف أبا ياسرٍ على أعمالِ الأنبار ، وأَمَرَ بأن يُخْرَج إليه تقديرُ الغَلَّات من النواحى التى كانوا يتقلدونها ، وأُخْرِج .

ونظر فى تقديرات ابنِ المثنى ، وكان يتولَّى كُوثى ونهر دَرْقيط ، فوجده يعجز نحوَ ستةِ آلاف كُرٍّ بالفالج ، وقال له : من أنت ؟ فقال . العباسُ بنُ موسى ابن المثنى من أهل هُمَيْنيا . فقال ابنُ الفرات : كان المُثَنى بندارا [1] ويحلف على الـكذب أكثر ممـا يحلف [2] على الصِّدق وقد حُلِقَتْ نِصفُ لِحْيته على اقتطاعٍ اقتطعه .

ونظر فى تقـدير أبى ياسر فوجـدهُ يعجزُ اثنى عشر ألفَ كُرٍّ ، وقال لابن سمعون : من أين أنت ؟ قال : من أهل جَرْجَرَايا . فقال . لم أعرف بجرجرايا هذا الاسم ، ولـكنك من قَرْيَةِ البرت ، وكان أبوك هُرْكَ [3] فلان . ونظر فى تقدير ابن أمينة فوجده يعجز ثمانية آلاف كُرّ . فقال : يا أبا الحسن علىَّ بنَ عيسى ، شَغَلْتَ نفسك بأخلاق المملـكة والنَّظَرِ فى عُلُوفة البطّ ، والحطِيطةِ من أرزاق الناس وما يَجْرى هذا المَجْرى من الصغائر المُسْتَهْجَنات ، لَعمارَةُ بيْدَرٍ واحـدٍ أصْلَحُ للسلطان وأَعْوَدُ عليه من توفيرك ما تقرَّبْتَ به إليه .

ثم تقدَّم بمحاسبة الجماعة .

---

(١) البندار : التاجر
(٢) فى الاصل وتحلف . . . . مما تحلف
(٣) هرك : أبله ساذج وهى كلمة فارسية .

محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان

أبو على محمد بن عبد الله بن يحيى بن خاقان [1]

كان أبو على أكبرَ وَلدِ أبيه ، وتقلد بعد وفاته ديوانَ زِمَامِ الخَرَاج والضِّياع السلطانية فى وزارة الحسن بن مخلد [2] . فلما صُرِف الحسن وتقلَّد سليمان بن وهب [3] قلَّده نفقاتِ أبنية المعتمد على الله بالمعشوق فى الجانب الغربى الذى من سر من رأى ، ثم صرفه المعتمد فلازم بيته إلى أن تقلد أبو القاسم عبيد الله بن سليمان فرد إليه البريد بِكُورتَىْ ماسبذان ومِهْرِجا نقذَف . وكان أبو القاسم عبدُ الله ابنُه صَحِبَ أبا القاسم عبيدَ الله بن سليمان عند حصوله بالجَبَل مع بدر المعتضدى فضمَّه إلى أبى عبد الله محمد بن داود بن الجراح ، وأبو عبد الله يتقلد ديوان الإشراف ، فَرَدَّ إليه الإنشاء فيه ، وَوُلِّى أبو عبد الله محمد بن داود ديوانَ الجيش فنقله إليه ، وأقام أبو عَلِىٍّ على البريد وعبدُ الله ابنُه فى ديوان الجيش إلى أن تغيرت الأمورُ فى فتنة عبد الله بن المعتز ، وتقلد أبو الحسن ابن الفرات ، فخافه أبو علىٍّ لشىء أنكره منه ، واستتر عنه ، وأقام على الاستتار والسعْيِ على ابن الفرات ، إلى أن قُبِضَ على ابن الفرات وتقرَّرَتِ الوزارةُ لأبى علىّ ، وأنفذ إليه من دار السلطان ، وظَهَر وحضر ومعه ابناه عبدُ الله وعبدُ الواحد وذلك فى اليوم الرابع من ذى الحجة الذى وَقَع القبض فيه على ابنِ الفرات ، ووصل إلى حضرة المقتدر بالله فقدَّمه وأكرمه وقلَّده وزارتَه وتدبيرَ أموره ، وانصرف وعاد من غَدٍ وخُلع عليه وحُمِل على فرس بمركب ذهبٍ ، وركب ومعه الحجاب والغلمان والقواد ، وأقطعه المقتدر بالله ما فى

---

(١) انظر تجارب الامم د /١٢٧ وصلة عريب ٢٠ والفخرى ٢٣٥ وابن الأثير حوادث ٢٩٩

(٢) كانت وزارته فى سنة ٢٦٤ للمعتمد .

(٣) كانت وزارته فى سنة ٢٦٤ للمعتمد أيضاً .

يد ابن الفرات من الضِّياع العباسية ، وأجرى له خمسةَ آلاف دينار فى كل شهر على رَسْمِ ابن [(١)] الفرات ، ولعبدِ الله ألف دينار ولعبد الواحد خَمْسمائة دينار ، ووهب له دارَ صاعد بن مخلد على دجلة ، وأعطى ورثَته شيئاً عنها ، وأشهد عليهم بها وعمرها ونزلها . وقلَّدَ أبا القاسم عبدَ الله ابنَه العرْضَ على المقتدر بالله وكتابة الأمراء ، وخلع على عبد الواحد أخيه وعوَّل على أبى الحسن بن أبى البغل فى مناظرة ابن الفرات ومطالبتِهِ فاستخرج منه صدرا كبيراً . ثم ورد أبو الهيثم العباسُ بن محمد بن ثوابة من الموصل ، فولَّاه ذلك ، فجدَّ أبو الهيثم بأبى الحسن بن الفرات وكُتَّابه وأسبابه وعَسَفَهم ، وزاد فى الاستقصاء عليهم ، وإيقاع المكروه بهم حتى حصل منه ومنهم الجملة التى ذكرناها فى أخبار ابن الفرات . وتقدَّمَ أبو الهيثم عند الوزير أبى عَلِيّ بهذا الفعل ، فقلده ديوان الدار الكبير ، وبسطَ يدَه حتى أمر ونهى ، وعزل وولّى ، وغلب على أكثر الأعمال . وكانت فيه سَطْوةٌ وخُشونةُ جانبٍ ، فاستجاز الجَزْفَ [(٢)] واستعمل العَسْف ، وقسَّط على أصحاب الدواوين والقضاة وأسباب السلطان مالًا على وَجْهِ القرض الذى يُسَبِّبُ لهم عوضَه على النواحى ، وصادر قوما من الكتاب منهم المادرائيون ، فلم تقع هذه الأسباب موقعاً فيما تدعو إليه الحاجة ، ولا أثَّرَت إلَّا القباحةَ والشناعة . وحَوَّل من بيت مال الخاصة إلى بيت مال العامة ألفَ ألفٍ وستَّمائةِ ألفِ دينارٍ فى مُدَّة نَظَرِ أبى علىّ الخاقانى على سبيل القرض ، ولم يُؤَدَّ من عوض ذلك سوى أربعين ألفَ دينار . وكان فى أبى علىّ إهمال للأمور واطِّراح للأعمال وتَلَوُّنٌ فى الأفعال ، فكانت الكتُبُ تَرِدُ عليه وتصدر جواباتها عنه من غير أن يَقِفَ عليها أو يأمُرَ بشىء فيها ، وإذا أُخرجتْ إليه جوامِعُها تركها أياماً فلم

(١) أى كما كان يأخذ ابن الفرات من المقرر له وهو وزير .
(٢) الجزف : التخمين .

يطالعها ، وربما وردت رسائلُ بحمول ، وكُتُبٌ فيها سَفاتِجُ بمال فتبقى أياماً لا تُنْفَضّ، وإذا قُلِّدَ عاملٌ أُتْبِعَ بمن يَعْزِله قبل وصوله إلى عمله وأُتْبِعَ الصارِفُ بمن يصرفه . فقيل إنه اجتمع فى خان بِحُلوان سبعةُ أنفس ، وقد قُلِّدَ كلٌّ واحد منهم ماءَ الكوفة فى عشرين يوماً . وبالموصل خمسةٌ قد قُلِّدوا قردى وبزبدى ، وأنهم اجتمعوا وتشاركوا ما دُفِعوا إليه ، وخرج عن أيديهم من نفقاتهم وما بَذَلوه عن تقليدهم على أن ينَالوا من مالِ العمل ما قدَّموه وأنفقوه ، واستظهروا لنفوسهم به وخَلَّوا العَمَل على آخرِ من وَرَد الناحيةَ . وكان إذا سُئل حاجة دَقَّ صَدْره بيده وقال : نعم وكرامة ، حتى لُقِّبَ دقّ صدره بذلك ،و بسط يده وأيدى أولادِه وكُتَّابه بالتوقيعات بالصِّلات والإطلاقات ، والإقطاعات والتسويغات وتخفيف الطُّسُوق والمعاملات ، وأَخْذِ المَرَافِق على إضاعة الحقوق وإسقاط الرسوم ، فَسَخُفَت الوزارةُ وأَخْلَقَتِ الهيبةُ ، وزادت الحال ، فى إخلال الأعمال ، ووقوف الأموال ، وقصور الموادِّ ، وتضاعُف الاستحقاقات ، واشتداد المطالبات ، وشغب الجند شَغْباً بعد شَغْب وتَسَحَّبُوا [١] على السلطان تَسَحُّباً بعد تَسَحُّبٍ ، وأخرجَ إليهم من بيت مال الخاصة الشيءَ بعدَ الشيء الذى بلغ تلك الجملةَ المذكورةَ . حتى إذا انحَلَّ النظامُ وبان الانتشار [٢] وتصوَّر المقتدرُ بالله الصورةَ فيما تَطرَّق من الوهن على المملكة، شاور مؤنسا الخادم فيمن يُقلده الوزارة . وجاراه ذِكْرَ ابن الفرات ، وَرَدَّه فقال : لم يَطُلْ يا أمير المؤمنين العَهْدُ بعَزْله ، وَرُبَّمَا ظَنَّ الناسُ وأصحابُ الأطراف أنّ عَزْله كان طمعاً فى ماله . وأصحابُ الدواوين الذين دَبَّروا الأمور والأعمال منذ أيام المعتضد بالله هم ابنا الفرات ومحمد بن داود بن الجراح ومحمد بن عبدون وعلىٌّ بن عيسى بن داود بن

---

(١) تسحبوا : أدلوا وأفرطوا عليه واجترءوا .

(٢) الانتشار هنا : التفرق .

الجراح ، فأما ابنا الفرات فقد توفى منهما أبو العباس وتقلد الآخر الوزارة وجُرِّب نَظَرُه وَأَثَرُه . وأما محمد بن عبدون ومحمد بن داود فقد مضيا عَقِب فتنة ابن المعتز ، ولم يَبْقَ من الجماعة من هُوَ أَسَدُّ تَصَرُّفاً ، وأشَدُّ تعففاً وأظهرُ كفايةً ، وأكثرُ أمانة ، من على بن عيسى . فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يأمر باستقدامه واستخدامه ، لم يَعْدَم إحْمادَ الرأى فى بابه .

فأمره بإنفاذ يَلْبَق لإحضاره ، وَوَقفَ الخاقانىُّ على أمره ورُسِم له استدعاؤه واستخلافه على الدواوين . فكتب إلى عج بن عاج بإنفاذه ، ووجَّهَ مُؤنس يَلْبَق حاجِبَه ليلقاه ، وتدافع الأمرُ إلى أن وصل يلبقُ إلى مكة ، وشهد الموسم مع أبى الحسن علىّ بن عيسى ، وقضيا حَجَّهما وأقبلا . وعند أبى علىٍّ أنه يَقْدَمُ على القاعدة التى تقرَّرت معه فى استخلافه على الدواوين ، ولم يكن ذلك كذلك ، وإنما أريد لِيُقام مُقامه ، حتى إذا انكشف له باطنُ السرِّ فى بابه ، تَوَصَّل إلى إصلاح خواصِّ المقتدر بالله وبِطانته ، ونَقْضِ مادُبِّر فى أمر علىٍّ بن عيسى وتسليمه إليه ، وَرتَّب على ماظَنَّ أنه أَخَذَ بالوثيقةِ فيه . وورد أبو الحسن علىُّ بنُ عيسى ابن داود فى سُحْرَةَ اليوم العاشر من المحرم سنة إحدى وثلاثمائة ، ووصل إلى حضرة المقتدر بالله وقتَ صلاةِ الصبح . وبكر أبو علىٍّ الخاقانىُّ ومعه ابناه إلى الدار على رسمه ، وهو واثق بأن أبا الحسن علىَّ بن عيسى يُسلِّمُ إليه ، وجلس فى المجلس الذى جرتْ عادتُه بالجلوس فيه إلى أن يُؤْذَن له فى الوصول . وقُلِّد أبو الحسن الوزارةَ وانصرف إلى داره ، وَوُكِّل[1] بأبى علىٍّ وابنيه وابنِ سعد حاجبه وأبى الهيثم بن ثوابة وجماعةٍ من كُتَّابه ، فكانت مُدَّةُ نَظَره سنةً واحدةً وشهراً وخمسةَ أيام .

وحُكِىَ أن السببَ فى تقليد الخاقانى الوزارةَ أن دستنبويه أمَّ ولدِ المعتضد بالله

(١) انظر أيضاً المنتظم ٦/١٢١ .

قامتْ بأمره مع المقتدر بالله ، لأنه بذل لهـا مائةَ ألفِ دينار . وبلغ أبا الحسن ابنَ الفرات ماهو سائِع فيه فَهمَّ أن يقبض عليه ، فاستتر وجدَّ ابنُ الفرات فى طَلَبِه، فَنَبَّهَ على أمره ، وظَنَّ أن نفوره منه أفْضَلُ فيه عنده ، وأُشيرَ عليه بأن يؤمنه ويُولِّيَه بعض الدواوين ليزول الخوضُ فى بابه ويختلط بِكُتَّابه، فلم يفعل . فكان أبو علىّ يُنَمِّس على[1] الخدم بالصَّلاةِ وإظهار التَّسَنُّنِ ، فإذا وافاه خادمٌ برقعة أو رسالةٍ تَرَكه زمناً طويلًا إلى أن تَتِمَّ صلاتُه ، وكان يُطيلها ثم يتبعها بالتسبيح ، فيصفونه بالدِّيانة ، ويميلون إليه بهذه الوسيلة .

أخبار أبى علىّ المنثورة

حدَّث أبو الحسن علىُّ بن هشام قال : حـدثنى أبو عبد الله الحسن بن على الباقطانى ، وأبو الفضل بنان بن بنان وعلى بن عيسى الزندانىُّ النصرانيان قالوا :

حدثنا أبو علىٍّ محمد بن عبيد الله الخاقانى قال : لمَّا تمادت الأيام بمـا وعدنيه المقتدر بالله من القبض على أبى الحسن بن الفرات وتقليدى الوزارة استَعْظَمَ الحال فى نكبته وأشفق من حادث يَحْدُث بذاك فى دولته ، وعلمت أنه لا ينفع فى ذاك إلَّا إعمالُ الحيلة . وكنت أتتبعُ الأخبارَ فى استتارى فجاءتنى فى بعض الأيام امرأة من عجائزنا وقالت : رأيتُ الساعة عَمارِيَّةً[2] على بِغَال ، وجُنداً وغلماناً يمضون إلى باب الكُنَّاس يريدون الكوفة ، وربما كان ذاك لخارجيٍّ خَرَجَ وفَتْقٍ حَدَثَ . فكتبتُ إلى أبى عيسى يحيى بن إبراهيم المالكىِّ أسأله عن هذا الأمر ، وكان ظاهراً مُتَصَرِّفاً ، فأجابنى بأن مُلَاحاةً[3] جرتْ بين هشام بن عبد الله وعبد الله بن جبير

---

(١) نمس عليه الأمر تنميساً : لبسه عليه لبساً .
(٢) العمارية : شبه الهودج .
(٣) الملاحاة : المنازعة .

كاتِبَى ابن الفرات فيما يحتاج إليه من الإبل والبقر والغنم للأضاحى فى عيـد النَّحْر ، ورسوم الأولياء والحواشى .

قال أبو الحسن : وكان الرسم جارياً بأن يفرق على القواد والفرسان والغلمـان الحجرية والرجَّالة والخدم والبوابين والفراشين وأصحاب الرسائل والفرانقيين ووجوه الـكتاب وأصاغرهم وخُزَّان الدواوين فى كل عيد . مِن شاة إلى عِدَّةِ بُعْران[1] ، وتُنْحَر فى المُصَلَّى سبعون ناقة ويُلْتَزم على ذلك مالٌ جليل ، فأسقطه علىّ بن عيسى فى وزارة حامدِ بن العباس واستيلائه على الأمور . قال المالـكىّ : فأشارَ ابنُ جبير على ابن الفرات مُغايظةً لابن الدردى الذى ضَمَّنَه إقامةَ الأضاحى ، وإظهاراً لِتَوَفُّر فيها أن يُقَلِّدَ ذلك رَجُلًا أسماه ، وكان من أولاد الـكُتَّاب مَتَخَلِّفاً مُنْزِقاً[2] فقلّده ، وأمره بالخروج إلى الـكوفة لتحصيلِ ما يراد من هذه الأضاحى فى فُسْحة من الوقت ، قال الخاقانى : فتجَلَّف الرجل وخرج بهذا الزِّىِّ والصَّفَفِ[3] وترك العمارية فارغة ليَبْعُد عن البلد ثم يَرْكَبها وركِب الدواب فتأتَّتْ لى الحيلةُ فى الحال ، وكتبت رُقعة إلى أم موسى القهرمانة أقول فيها قد أحضَرَ ابنُ الفرات رجُلًا عَلَوِيًّا قريبَ النسب من صاحب الخال الذى قتله المـكتفى بالله ، وعزم على إجلاسه فى الخلافة يومَ عيدِ النحر ، والجُنْدُ والناسُ متشاغلون بصلاة العيد ، وإن من الدليل على ذلك إنفاذه عامِلًا من ثِقاته إلى الـكوفة ومعه عماريةٌ خرجت فارِغَةً ظاهراً ، لم يَخْفَ خَـبَرُها لركوب العلوى فيها متخفِّياً ليحصل بالقرب من بغداد قبل الوقت الذى يفعل فيـه مايفعل . قال :

(١) البعران : جمع بعير وهو الجمل .

(٢) فى الأصل متنزقاً . والمنزق من أنزق الرجل سفه بعد حلم .

(٣) الصفف مايلبس تحت الدرع .

وعظَّمت القصة وقلت . إن لم يُعَالَج ابنُ الفرات تمَّت الحيلةُ الموضوعة . ثم سألتها مطالعة الخليفةِ والسيدةِ بذلك ، وكتمانَه عن كلّ أحد بعدهما لئلا يَنمّ الحديث إلى ابن الفرات فيَبْطُل مارتَّبْتُه . ففعلت أمُّ موسى ، وأنفذَ المقتدر بالله شفيعاً خادمِ السيدة إلى القصر على وجه التَّصَيُّدِ (١) حتى عرف خبر العمارية الفارغة ، ورأى زِيّ العامل الذى هو أَكْثَرُ مِنْ عمله . فلم يَشُكَّ المقتدرُ بالله فى صِحَّةِ ماذكرتُه ، واستظْهَرَ (٢) بأن شافَهَ مؤنساً وغريباً الخالَ بذلك ، وكانا عَدُوَّى ابن الفرات ومعى فى التدبير عليه ، فقالا : هو خَبَرٌ مُستفيضٌ . وقَوَّياه فى نفسه ، وقالا له : إن لم تعالجه امتَنَع من حضور الدار ، واعتصم بمن يُساعده من الجيش على كثرتهم .

فقبض عليه فى يوم الأربعاء الثالث من ذى الحجة من سنة تسع وتسعين ومائتين .

قال أبو الحسن بن هشام : فحدثنى أبو عبد الله بن عبد الأعلى الإسكافىّ كاتبُ نصرٍ القشورىّ الحاجبِ قال : كنت بحضرة صاحبى فى يوم القبض على ابن الفرات ، فرأيته قد خاف خوفاً شديداً ، فقلت : ما الخبر أيها الأستاذ ؟ قال : ويحك ، جاءنى الساعةَ خادم ممن أُعوِّل عليه فى مراعاة أخبار الخليفة ، فعرّفنى أنَّه شاهده وقد جمعَ جماعةً من خواصِّ خَدَمه ، وأقامهم حواليه بالسِّلاح ، وأَسْبَل السُّتُور والستائر فى الدار التى هو وهم فيها ، وهذا لِأَمْرٍ كبيرٍ ما أعلم ماهو . فما مضت ساعةٌ حتى وافى أبو الحسن بنُ الفرات ، وخرج نصرٌ الحاجبُ فتلقاه على رَسْمه ، ودخل إلى دار الوزارة المرسومة به ، وأنفذ نصرٌ يستأذن فى وصوله . فخرجتْ رسالةُ الخليفة : بأنى

---

(١) التصيد هنا : اقتناص الأخبار .

(٢) استظهر : استعان وقوى أمره .

فى دار خَلْوَةٍ ، فَقُلْ له يدخل وحده مع بعض الخدم ، ولا يصحبه منكم أحـدٌ ، واحبس[1] أنت القوادَ واصْرِفْهم ، فليس هو يومَ وصول .

فدخل ابن الفرات مع الخدم ، وقبض عليه نذيرٌ الُحرمى وخدمُ السيدة فى طريقه ، وعَدَلوا به إلى حيث حبسوه فيـه ، وعرف نصرٌ الحاجب الحال فأشفق من القبض عليه أو صَرْفِه ، ولم يزل مُرَوَّعاً إلى أن تَصَرَّم النهارُ . فعلمت أن أولئك الخدمَ أُقيموا لخوف المقتدر بالله ألَّا يَتِمَّ له القبضُ عليه ، وأن الجيش رُبَّمَا هجموا فمنعوا منه .

قال أبو الحسن : وكان الرسم إذا دخل الوزير على الخليفة وخَدَمه أَلَّا يُقبَضَ عليـه فى ذلك اليوم ، لا فى داره ولا مُنصرفاً عن حضرته ، إيجاباً لحقِّ الوصول وحُرْمته ، و إنما يُقبَض عليه فى بعض المرات عند[2] دخوله من قبل أن تقع عينهُ عليه . وكان أيضا من الرسم أن يكون للوزير دارٌ مُفردةٌ فى دار الخلافة يجلس فيها وينظر ، مُنذ أيام صاعدٍ و إلى أيام الخاقانى الأكبر ، ويجلس الخواصُّ والحواشى بين يديه . فلما ولى الخاقانىُّ صارفاً لابن الفرات جلس فى دار الحاجب متقرِّباً إليه ومُدارياً له ، وفعل علىُّ بنُ عيسى بعدَه مثلَ فعله . فلما عاد أبو الحسن بن الفرات إلى الوزارة عاد إلى الدار الأولى المفردة ، وشَقَّ ذاك على الحاشية ، وتقلَّد حامدٌ فجلس فى دار الحَجَبة ، ورجع ابنُ الفرات فى الدفعة الثالثة فرجع إلى الدار القديمة ، ثم بَطَل الجلوسُ فيها بعده .

وحدث أبو عيسى أخو أبى صخرة قال : كان أبو علىٍّ الخاقانىُّ يتَّهمنى بمودَّة أبى الحسين بن أبى البغل . فلما استُدْعِى وَقَرُبَ من بغداد خرجتُ إليه وتلقيته ، وثقل

---

(١) فى الأصل واجلس . وحبسهم : منعهم من الدخول .

(٢) فى الأصل : عن .

ذاك على أبى علىّ ، وأرجف الناسُ به ، وبأنه أقيم بُلْغَةً إلى أن يرد أبو الحسن .
وكان أبو الحسن أخو أبى الحسين قد تقلّد مناظرة أبى الحسن بن الفرات وأسبابه فى دار السلطان ، وإثارةَ ودائعهم ، بعنايةِ أُمِّ موسى وقيامِها بأمره ، سَعَتْ أُمُّ موسى وابْن الحوارى فى تقليد أبى الحسين ابن أبى البغل . وقد كان ظهر من اختلال نظر الخاقانىِّ وسوء تدبيره ووقوف الأمرِ على يده ما دعا إلى صَرْفه قبل تَطَاوُلِ المدَّة .
وعرف الخاقانىُّ ما يَجْرى الخوضُ فيه ، فتوصل إلى فَسْخِه بحيلةٍ عملها ، وذاك أنه قال لأبى القاسم ابنه : ادْعُ دَعوةً أجْمَعْ فيها أصحابَ الدواوين وَوُجوهَ القواد وإخوتَك وكُتّابنَا ، فإن لذّةَ الوزارةِ فى ظُهور الرئاسةِ ، وإلا فما الفرق بين العملِ والعطلة ؟ فقال: السمع والطاعة . وعيَّن له فى ذلك على يَوْم سبت [1] لأنه لا موكب فيه ، ودعا الجماعة فلما حصلوا عند أبى القاسم ابنِه ــ وقد كتم رَأْيَه فيما هو مُدَبِّرُه عنه وعن كل أحد ــ مضى وَقْتَ العصرِ من ذلك اليومِ إلى دار الخلافة وقال لنصرٍ الحاجبِ : استأذِنْ لى على أمير المؤمنين لأُجَارِيَه مُهِمًّا لا يَحْتَمِلُ تَأَخُّرَ وقوفه عليه ، فذكر نصر ذلك للمقتدر بالله ، فقلق وخاف من حدوث حادث عظيم ، فأوصله . فلما دخل إليه ودنا منه قال : ها هنا مُهِمٌّ لا يجوز أن يَحْضره أحدٌ ، فانصرف نصرٌ الحاجب وسائرُ من فى المجلس حتى بقيا خَالِيَيْن ، ثم قال له الخاقانىُّ : قد رفعتَنى يا أمير المؤمنين بعد ذِلّة وأغنيتنى بعد قِلّة ، وما قَصَّرْتُ فى خدمتك ، ولا قعدت عن مُمْكِنٍ فى تَمْشِيَةِ أمور دولتك ، وفيما بان من اجتهادى أَخذِى من أموال ابن الفرات ما مبلغه ألفا ألف دينار وكَسْرٌ سوى الأمتعةِ الجليلة . وما أدفع أنى لَسْتُ كَهُو فى [2] الكفاية لطول عطلتى ودُرْبَتِه ، واعتزالى وَتَصرُّفه ، ولكننى مأمون على أيامك ، ومُعْتَقِدٌ لإمامتك

---

(١) أى على أن يكون يوم سبت .

(١) أى أنى لا أنى أنى لست مثله فى الكفاية وذلك لطول عطلتى.

وهؤلاء الرافضة كلُّهُمْ أعداؤُك ، ورأيهم مع الطالبيين لامعك ولا مع آبائك . وقد وَفَّر الله عليك من ارتفاعِ ضياع ابن الفرات ما قدره ألفُ ألفِ دينار فى السنة ، وليس يبلغُ أَثَرُ تقصيرى فى تدبيرى ـ على ما يُقَال لك ـ هذَا القَدْرَ ، فكيف وليس الأمرُ على ما يُدَّعى ؟! وما استعنتُ إلا بالكُفاةِ الذين كانوا يعملون مع عبيد الله بن سليمان والقاسِمِ ابنِه ، وابن الفرات بعدهما ، والأمور منتظمة بهم ، وقد أمِنْت بذلك عَدُوّا يَسعى على أصول الدولة . وَلَعَمْرى إن ولدى وحاشيتى قد مَدُّوا أيديهم إلى قبول هدايا العُمَّال ومَرافِقهم لأنهم كانوا فقراء ، وَعقِيبَ مِحْنةٍ طويلةٍ وعُطْلَةٍ مُتَّصلة ، لكننا ما أخذنا حَبَّةً واحدة من الأصول ، وقد غَنِينَا الآنَ بماحصل لنا وَبَلَّ أحْوالنا ، وسأحلف آنِفاً على استئناف الأمانة ، واستعمال النزاهة ، وأَضبط أولادى وأصحابى عن أخذ درهم واحد . وابنُ أبى البغل أعظمُ عداوةً لمولانا من ابن الفرات ، لأنه رجل مُلْحِد ، يُبْطِل الإسلام والنبوة ، ويلهو بالقرآن ، وَيدَّعِى الخطَأَ فيه ، وقد أخرج عُيوبَه وصنَّف فيه كتابا ، فكيف يُوثق بمَن هذه حاله على الخدمة وقد ضَافره جماعةٌ مِنْ عُمَّالى على أمْرِه ، وتربصوا بما قِبَلَهُمَ من الأموال تَوَقُّعاً لِأيامه . وقد بلغنى اليومَ أنه قال لِثِقاته : إن أمير المؤمنين قد أنفذ إليه على يَدِ فَرَجَ النصرانيةِ صاحبةِ أُمِّ موسى خاتَمَه ، وجعله على ثقة من تقليده فى يوم الموكب الأدنى فإن كان ذلك حقًّا فقد حضرتُ دار أمير المؤمنين بعد أن جمعتُ عند ابنى جميعَ أولادى وأقاربى وكُتَّابى وأصحابى ، ولم أُطْلِعْهم على أمْرى ، فإن أراد مولانا وهَمَّ بالقبضِ عليهم فنحن فى يده ، فيأْمُرُ بإنفاذ من يتسلَّمُ الجماعة بعد أن تُحْرَس نفوسُنا بكَوْننا عنده . فقد يجوز أن نُسْتَخدم فى كتابة السيدة والأمراء ولا نَخْرُج عن الجملة . وأن يُفْضِلْ[١] مولانا بإتمام صنيعته ، وتَمْكينى من هذا المُلْحِد ابن أبى البغل الذى

---

(١) أفضل عليه : أناله من فضله وأحسن إليه .

أبعده الوزراء قبلى لِشَرِّه ، وطردوه من الحضرة لِقُبْح فعله ، وكانوا أعْرفَ به منى أَثرْتُ من جِهتِه وَجِهَةِ أخيه مالًا كثيراً ، إذ كان أخوه قد اقْتَطَع من مال ابن الفرات الذى تولَّى إثارته صَدْراً كبيراً .

وبَكى وَرَقَّق المقتدر بالله ، وأطمعه ، فرَقَّ له ورحمه ، وتوقف عن أمر ابن أبى البغل ، وقال للخاقانىّ : ما أردت صَرْفك ، ولو كنتُ أردتهُ لَزُلْتُ عنه الآن مع سماعى ما سمعتهُ منك ، وقد أطلقت يدك فى ابن أبى البغل وأخيه ، فاقْبِضْ عليهما وأَبْعِدْهما . فقال : يا أمير المؤمنين كانت أمُّ موسى سَعَتْ لى فى هذا الأمر ، وقد تغيَّرت عَلَىَّ ، وَعَدلتْ عنى إلى السعى لابن أبى البغل والقيامِ بأمره ، وأخاف أن يفْسُدَ قلبُ السيدة فتَثْنِيك عن هذا الرأى فأَهْلِكَ أنا .

فعاهَده ألَّا يُطْلع السيدةَ ولا غيرَها على ما جرى بينهما إلى أن يتم القبْضُ عليه. فقال له الخاقانى : فيُظْهِر أميرُ المؤمنين أنى حضرت لأجل كذا وكذا ، لحديثٍ عَلِمَه من أمور الأطراف .

وخرج الخاقانى فجلس فى دار الحجبة،وكتب بخَطِّه إلى أبى الحسن بن أبى البغل: إن أمير المؤمنين قد طلب منى عَمَلًا لما صَحَّ من أموال ابن الفرات وأسبابه فَحَضِّرْهُ الساعة ، فإنى مقيم فى الدار أنتظرك .

فما بَعُد أن وافى ابن أبى البغل ، فقال له الخاقانى : قد جَرَى بينى وبين أمير المؤمنين فى أمر أخيك ما لو توَلَّيْتَه لما زِدْتَ علىَّ فيه ، وقرَّرْتُ معه تقليدَه أُصولَ دواوين السواد والمشرق والمغرب ، ليكون هو على الأصول ، وأبو بكر محمد ابن علىٍّ المادرائىّ على الأَزِمَّة ، وأتشاغَلُ أنا بالخدمة ، وتزولُ هذه الأراجيفُ الواقعة ، ونكون يداً واحدة فى إثارة الأموال وتسديد الأحوال .

فشكره ابن أبى البغل على ذلك ، وظنَّ أنه شىء قرَّره الخليفةُ وأَمَرَ بهِ ليجعله

طَرَفاً إلى ما اعتقده ، وسبباً لِسُكون الخاقانىّ وألّا يَسْتَوْحِشَ من الأقوال التى تقال فى الإرجاف به ، وأنّ الخاقانى ادَّعى من ذاك ما ادَّعاه لنفسه تجمُّلًا وتمنُّناً عليه بما لا صُنع له فيه . وأمره الخاقانى بمكاتبة أخيه بأن يَسبقه إلى داره لِيُوَقِّع له بما رسَمَه أمير المؤمنين ويتسلَّمَ الدواوين . وكتب ابن أبى البغل إلى أخيه بالصورة وبما حَسِبَهُ فيها وقَدَّره . فبادرَ دار الخاقانى وتأخَّر الخاقانىُّ فى دار الخلافة إلى وقت صلاة المغرب ، ثم انصرف ليلا ، فساعةَ رأى ابن أبى البغل حاصِلا وقد صَعِد أخوه معه قبض عليهما ، وأنزلهما فى زورق مُطبق ، ووكَّل بهما ثِقاته وحدَرَهما إلى واسط لينفيهما منها إلى حيث يتقرَّرُ رأْيُهُ عليه . وعرفت السيدة وأمُّ موسى ما جرى ، فقامت القيامةُ عليهما ، وخاطبتا المقتدر بالله فيه فقال . أنا أمرت به ، ولا يجوز فَسْخه مع وقوعه ، فكانتْ غايةُ ما عندهما أن سألاه مراسلةَ الخاقانى بِألَّا يُصادِرَهما وأن يقلِّدَهما بعضَ الأعمال لِيُنفَذَ إليهما . ووجَّهت أمُّ موسى بأخيها وابن الحوارى إليه ، فما بَرِحا حتى قلَّد أبا الحسين أصبهانَ وأبا الحسن الصِّلح والمبارك وكتب بإطلاقهما وإنفاذهما إلى أعمالهما .

وحدث أبو بكر الزهرىُّ الأصبهانى الكاتب قال : لما تقلد القاسمُ بن محمد الكرخىُّ أصبهان ، وقبضَ على أبى الحسين بن أبى البغل ، أقام فى حبسه إلى أن تقلد الأهواز وحَمَله معه ، ومات القاسمُ وتقلَّد أبو عبد الله ابنُه موضعه . وكتب أبو الحسين بن أبى البغل من الحبس إلى أم موسى القهرمانة بالشُّرُوع له فى الوزارة ، و بَذَلَ البُذول الكثيرة،فقامت أمُّ موسى بأمره وقرَّرَته مع المقتدر بالله والسيدةِ ، وكتبتْ إليه بذلك ، و بأنّ الخليفة قد أمرَ بمكاتبتك بالإصعادليستوزِرك. فلما قرأ كتابَهما لم يَنْتَظِرْ ورود كتاب السلطان ، وخرج من الحُجرة التى كان معتقلا فيها ، فقال له الموكلون به : إلى أين ؟ فانتَهَرهم وشتَمهم ، وأظهر الكتاب ،

ورأى بَغلًا مُسْرَجاً لأبى عبد الله بن القاسم ، فركبه يريد الدار التى فيها رِجَالُه وغلمانُه . وعرف أبو عبد الله خبرَه ، فخرج حافياً حتى لحقه وقد وضع رِجْله فى الرِّكَاب ، فقال له : عرَّفَ الله الوزير البركة ، وخار له فيه .

فقبل ذلك منه ، ثم قال أبو عبد الله : ماوَرَدَ علىّ الكتابُ بشىء من هذا . أفأكتبُ إلى بغداد بما فعله الوزير من خروجه عن محبسه ، وركوبِهِ من غير أمرٍ وَردَ فى بابه ، واحتجاجِهِ بكتاب القهرمانة ؟ فقال له : اكْتُبْ ماشئت .

فوافى إلى داره واستأجر سُفُناً ، وسار من يومه عن الأهواز يريد الحضرة . وكتب أبو عبدالله إلى الوزير الخاقانىّ بالصورة ، فركب إلى المقتدر بالله ، ودخل إليه وحلّ سيفَه ومنطقَته بين يديه ، وقبّل الأرض وبكى ، وأذكره بخدمته وحُرْمته ، وحقوق أسلافه على أسلافه ، بعد أن عرفه حال ابنِ أبى البغل ، وما أظهره بالأهواز وما فعله ، و بذل له أن يقوم بكثير مما بذله ابنُ أبى البغل ، واستحيا المقتدر بالله ، ورَقّ لقوله و بكائه ، وغاظَتْه عَجَلَةُ أبى الحسين بن أبى البغل ، ومبادرتُه إلى الاصعاد قبل ورودِ أمره عليه بذلك ، فأمره بِرَدِّه من الطريق وتَرْكِ الفُسْحَةِ له فى الورود . وعرفتْ أمُّ موسى ما جرى ، فقامت عليها القيامةُ منه ، وراجعت الخليفةَ ، وأذكرته بما قرّرته معه ، فامتنع عليها من استيزاره ، وأجابها إلى تعويضه من ذلك ، و إخراجِه من النكبة ، وَرَدِّه إلى أصبهان ، وكتب له بتقليد هذه الناحية ، ورسم له الرجوع من حيث يلقاه الكتابُ فيه ، وألّا يُتَمِّمَ إلى الحضرة . فاتفق أن وصل الكتابُ إليه وقد حصل بِجَرْجَرَايا ، فعاد مغموماً وتوجه إلى أصبهان .

قال أبو بكر الزهرىّ : ولما وردها ، نزل بظاهرها فى بستان يسمى مابان ، وخرج الناس لاستقباله ، ودخلتُ إليه ، وجلست عنده . فلما خلا قال أَعْطِنى ذلك التقويمَ ،

وأومأ إلى تقويم فى زاويةِ المجلس ، فجئته به . فكتب على ظهره بيتين لنفسه وأنشدنيهما ، فسمعتهما منه وهما :

ولى هِمَّةٌ تعلو السَّماَ كَيْنِ رفعــةً   وتسمو إلى الأمر الذى هو أَشْرَفُ
وجَدِّى عَثُورٌ كُلَّمَا رُمْتُ نهضــةً   تقَاعَد بى يغتــالنى ليس يُنْصِفُ

وله فى هذا المعنى لما انتقض أمره فى الوزارة :

أملٌ كان كضوء الا   شمسِ فى بُعْدِ المكانِ
فإذا صار على قُرْ   بٍ بِلَمْسٍ وَعِيَانِ
استردَّته يدُ الدَّهْــــرِ   فعُدْنا فى الأَمَانِى

ولأبى سعيدٍ عبدِ الرحمن بن أحمد الأصبهانىِّ الكاتبِ إلى أبى الحسين ابن أبى البغل فى هذا المعنى من قصيدة أوَّلها يقول فيها :

نَضَا شَيْبُه مِنْ جِـدَّةِ اللهْوِ ما نَضَا   وعوَّضَه ثَوْبَ النُّهَى فتعوَّضَا
أقول وقد شِمْتُ البُرُوق فلم أَجِـدْ   كبَرْقٍ بَدَا مِن أصبهــانَ فَأَوْمضا
سقى الرائحُ الغادِى بلاداً رَفَضْتُهـاَ   ولم تَكُ لولا أنْ نَبَتْ بِى لِتُرْفَضَا
وهل هِيَ إلَّا مَوْطِنٌ لى مُحَبَّبُ   إلىَّ أعادَتْه الخطوبُ مُبَغَّضاَ
ولمَّا تولَّاها الأغرُّ مُحمَّــــدٌ   حدا ذِكْرُه شوقى إليـه فأَوْمَضا
كأَنِّى بذاك الصُّقْعِ قد حَلَّهُ أبو الـ   حسين فجادَتْه يَدَاهُ فرَوَّضا (١)
فأُلبِس فيه الأَمْنَ مَنْ كان خائفا   وحُكِّمَ فى الإثْراءِ مَنْ كانَ مُنْفِضاً (٢)
وأصلح مُلْتَاثاً هناك بعزْمِه   وقَوَّمَ مُعْوَجًّا وذَلَّلَ رَيِّضًا (٣)

(١) جادته : أمطرت عليه . وروضها : صيرها كالروضة .
(٢) المنفض : الذى فنى زاده وهلكت أمواله .
(٣) الملتاث : الذى اختلطت عليه الأمور والتبست ، والمبطىء . والريض : الذى لم يحكم تدبيره . والدابة أول ما تراض .

وجازى بإحسان مُسيئا ومُحسِنا   وكل امرئ يقضى الذى حيث أقرضا

وفيها يذكر الوزارة :

ووالله ما أدرى أرأيكَ تَنْتَضِى   أم القدرَ الماضى إذا الخطبُ أجهضا (١)

ومُعْرِضَةٍ عن خاطبيها تبرَّجَتْ   إليك على قَصْدٍ فألْفَتْكَ مُعْرِضَا

رأت مُنكَراً فى الرأى أن رأبَ الثأى   سواك امرؤٌ أو أن يُمِرَّ فَيَنْقُضا (٢)

فجاءتك تخطو العِزَّ مِمَّنْ تعرَّضوا   لها ، وهى لا تألوك منها تعرُّضَا

تجوبُ إليك البرَّ والبحر والورَى   يَحُثُّونها لمَّا رأوك لها رِضاَ (٣)

فحاطك عنها اللهُ عِلماً بأنها   مَدَى غايةٍ إمَّا انتهى فقد انقضى

وردَّك صونا للمكارم والعُلَى   إلى مَنْهَجٍ لا نبتغِى عنه مَدْحَضاَ (٤)

وليس بمغبوطٍ أخو الرتبة التى   إذا زلَّ عنها قِيسَ شِبْرٍ فقد قَضَى (٥)

ولو كُنْتَ قد حُمِّلتَ أعباء ثِقْلِها   لحُمِّلْتَ وِزْرًا يَتْرُكُ الظَّهرَ مُنْقَضَا (٦)

أعيذك والرَّاجُون طرًّا مِنَ التى   تكونُ بها للنائبات مُعرَّضَا

وهنئت أغبابَ الزمان بثابت   من العز والسلطان لَنْ يَتَقوَّضَا (٧)

فإنك لم تُحْبَسْ لسوء ولم تُضَمْ   ولم تُلفَ فى تلك المقامات مُدْحَضا (٨)

وما كان يُدعى ذلك المجلسُ الذى   تبوَّأْته إلَّا عَرِيناً ومَرْبِضَا (٩)

---

(١) أجهض هنا معناها أزلق .

(٢) يقال فلان يرأب الثأى: أى يصلح الفساد . والثأى: هو الفتق وآثار الجرح . ويمر: يشد الفتل.

(٣) رضا : مرضى عنه .

(٤) المدحض هنا : المبحث من قولهم دحض عنه بحث .

(٥) قيس : مقدار . وقضى : هلك .

(٦) منقض : مثقل .

(٧) أغباب: جمع غب وهو بمعنى بعد والعاقبة، أى هنئت عقب كل زمن أو فى عاقبة كل وقت .

(٨) مدحضا : مزالا عن مكانك أو مبطلا كالحجة الباطلة .

(٩) يريد بالمربض هنا من ربوض الأسد لا أى حيوان .

وما كُنْتَ إلّا السيفَ يُرْهَب مُغْمَداً ... وإن كان محصورا وَيَقْطَع مُنتَضى [(١)]

محمدُ يا حِلفَ النَّدا يابن أحمـــدٍ ... نِدَاءَ امْرِىءٍ أضحى إليك مُفوّضا

أترضى بِبُعْدى عن ذَرَاكَ فمَا أرى ... وَراءكَ لى عَيْشاً وإن كان مُرْتَضى [(٢)]

فداؤكَ نفسى كَمْ يَدٍ بعـــدها يَدٌ ... جَبرْتَ بها عَظْمى وكان مُهَيَّضاَ [(٣)]

أيَادٍ نَمى طُولًا وعَرْضا غِرَاسُها ... تَحُقُّ لشكرى أن يَطُولَ ويَعْرُضا

وله إليه فى هذا المعنى من قصيدة :

أرادوا له ما لم يُرِدْه لنفسه ... لِـكى يُدْرِكوا عِزًّا وفَضْلَ ثَرَاءِ

وأفضلُ من نَيْلِ الوزارة لامْرِىءٍ ... بَقَاءٌ يُرِيه مَصْرَعِ الْوُزراءِ

ولا سِيَّما من كان مُسْتَوْجباً لها ... وإنْ عاقه عنها اعْتِلَالُ قَضَاءِ [(٤)]

ومن قد رَأَيْنَـــا بالخلافة فاقَةً ... إلى مِثله من راشدى الخلفاءِ

ومن هو معلومٌ بأنَّ وفاءه ... بهـــا لو يَلِيها فوق كلِّ وَفاءِ

أُرِيدُ له طولَ البقاء وقَلَّمـــا ... رأيتُ وزيراً نال طولَ بقاءِ

وذكر أبو الحسن ثابت بن سنان قال . لما ظهر من الاختلال فى أيام الخاقانىّ ما ظهر ، كتب أبو محمد الحسن بن روح إلى المقتدر بالله رُقْعة يضمن فيهـا الخاقانىّ وأسبابه بما يعجِّل منه خمسمائة ألف دينار ويقول :

أنا أقتصر على الوزارة ، وتـكون الدواوين إلى على بن عيسى ، فتمشى الأمور، وتستقيم الأعمال .

وسلم الرقعـةَ إلى أم موسى القهرمانة لتوصلها ، وتُحْرِز الأمر فى مضمونهـا .

(١) منتضى : مسلول . (٢) ذراك : فناؤك ورحابك .
(٣) مهيض : مكسور .
(٤) اعتلال القضاء : ضعف القدر وتعلله .

فسلّمتها أمُّ موسى إلى الخاقانى ، فأنفذ إلى منزل ابن روح وكبسه ، وقبض عليه وحبسه ، وصرفه عن ديوان ضياع الخاصة .

وحكى أبو عبد الله أحمد بن محمد الكاتب قال : قلت للوزير أبى علىٍّ محمد ابن عبيد الله الخاقانى فى كلام جرى : العادةُ طبيعةٌ ثابتة .

فقال لى : يا أبا عبد الله ، هذا تصحيفٌ ، إنما هو : العادةُ طبيعةٌ ثانية .

وذكر أبو علىٍّ عبدُ الرحمن بن عيسى أن أبا علىٍّ كان لَيِّنَ العريكة ، قليلَ البصيرة ، لا يَدْفَع عن شىء يُخاطَبُ فيه ، ولا يتَصَوَّرُ عواقبَ الأمور فيما يكون منه فانبسَطتِ العامَّةُ عليه فَضْلًا عن الخاصة ، ولُقِّبَ بِدَقّ صدرَه ، وَوَقَّع بكلِّ سؤال وإنفاذٍ لكلِّ مُحَال .

قال عبد الرحمن : فحدثنى سبكٌ المفلحىُّ أن أحد القوادِ الأصاغرِ سأل أبا علىٍّ الخاقانىَّ أمْراً فقال : اكْتُبْ رُقعةً حتى أُوقِّع لك فيها . فأحضر بياضاً وقال : يُوَقِّع الوزيرُ فى آخره بالإجابة إلى المسؤول لِأَكْتُبَ العَرْضَ بعد ذلك . فوقَّع له بذلك .

وحكى عبد الرحمن أيضاً : أن نصر بن الفتح كاتبَ مؤنس الخادم تأخَّر عن أبى علىٍّ الخاقانى ، وجاءه ، فسأله عن سبب تأخره ، فاعتذر إليه بِعِلَّةِ بِنْتٍ له عزيزةٍ عليه . فاتفق أن انصرف من عنده ، وعُرِض عليه صَكٌّ عليه لبعض الوجوه بمال أُطْلِق له ، فوقع إليه : أَطْلِق أكرمك اللهُ ذلك وَعرِّفْنِى خبر الصَّبِيَّةِ إن شاء الله .

وذكر عبد الرحمن عن سبك المفلحىِّ : أنه سأله إثبات راجلٍ معه بأربعةِ دنانيرَ فى المشاهرة . فقال : أربعةُ دنانير ! وكررها ، وما زال يَحْسِبها حتى

صارَتْ ثمـانيةً وأربعين ديناراً فى السنة . ثم وقّع بإجراء ثمـانيةٍ وأربعين فى المشاهرة .

وحدث أبو الفرج الثَّلَمِىُّ الـكاتبُ قال : حدثنى أبوالعباس ابن النفاط قال: حدثنى أبو عبد الله بن أبى العلاء الـكاتب قال : كُنْتُ بحضرة الخاقانىّ وقد عُرِض عليه كِتَابٌ كُتِب من الديوان إلى عامل النيل بحمل غَلَّةٍ كانت حاصلة قِبَلَه وأنكر عليـه تأخيرها ، فوقع إليـه فى الـكتاب : احْمِلِ الغَلَّة ، وأَزِحِ العِلَّة ، ولا تَجْلِسْ مُتَوَدِّعاً فى الـكِلَّة (١) . قال : ثم التفت إلىّ وقال : يا أباعبد الله ، فى النِّيل بَقٌّ يحتاج إلى كِلَلٍ ؟ فقلت : إى واللهِ وأىُّ بَقٍّ ومن أجله يَلْزَم النـاسُ الـكِلَلَ نهـاراً وليـلًا . قال : فَسُرَّ وقال : نَحْمَـدُ اللهَ على حسن التوفيق . ونفعنى ذلك عنده .

ووقَّع فى كتابٍ إلى بعض العمال ـ وكان مُستزِيداً له ـ : الزم ـ وفقك اللهُ ـ المنهاج ، واحْمِـل ما أمـكن من الدَّجاج ، إن شاء الله . قال : فَحَمَلَ العـاملُ دجاجاً كثيراً على سبيل الهَـدِيَّة . فقال : هذا دجاج وَفَّرَتْهُ بَرَكَةُ السَّجْعِ . وتقـدَّم بأن يُباع ويُورد ثمنُـه فى الحساب ، فأُورد منسوباً إلى ثمن دجاج السجع .

قال : وسأله رجلٌ كِتَابَ شفاعةٍ إلى أمموسى القهرمانة ، فـكتبله ، وَعَنْوَنه: لأبى موسى . قال : وكان لها أخٌ يجلس فيلقاه الناسُ وأصحابُ الحوائج ليأخُذَ رقاعهم وقصصهم إليها. فلما دَفَع إليه ذلك المستشفِعُ الـكتابَ نظر إلىعنوانه وضحك وقالله: احْمِلْه إلىصاحبه . قال : وأين منزله ؟ قال : فى مقابرِ الخيزران . قال : أحمله إلى أهل

---

(١) الـكلة : الستر الرفيق وهو أشبه بما يسمى « الناموسية » .

القبور ؟ قال : فإذا كان ذلك إلى أهل القبور، تحمله إلى سكان الدُّور ؟ وأخذَ الكتابَ منه وشاع خبرُه .

ومن أحاديث الخاقانى المشهورة أنّ أبا الحسن علىّ بن عيسى جلس معه يوماً فى طيّارِه ، وأراد الخاقانى أن يُحَيِّيه بتفَّاحة كانت فى يده ، وهم أن يَبْصُق فى الماء ، فبصق فى وجه على بن عيسى ، ورمى بالتفاحة إلى الماء . وقال : إنَّا لله ، غَلِطْنا . فقال : علىّ بن عيسى : إنَّا لله نُلِطْنا [١] .

ومن أحاديثه أيضاً أنه مر فى طَيَّارِه مُنصرفاً من دار السلطان عند صلاة المغرب، فرأى مَلَّاحين يُصَلُّون فى مسجد على دجلة بمشرعة القصب ، فَقدَّم وصَعِد وصلَّى معهم وكان صائماً . فأنفذَت إليه بدعةُ الكبيرةُ ماء مثلوجاً لِيُفْطِر عليه ، فَرَدَّه وشرِبَ ماءً حارًّا من دجلة .

وقيل : إنه كان يدخل إليه الرجلُ الذى قد عرفه طويلًا فيسلِّم عليه و يسأل عنه ، فيقول أو يقال له : هـذا فلان ، أو إنه فلان . ثم يلقاه بعـد يوم فتـكون حاله معه مثل الحال الأولى [٢] .

وحدث أبو الحسين على بن هشام قال : سمعت أبى وأبا إسحاق وإبراهيم بن عيسى بن داود بن الجراح وأبا القاسم سليمان بن الحسن يحدثون ، قالوا [٣] : لما تقلَّد أبو الحسن علىُّ بن عيسى الوزارة صارِفاً للخاقانىِّ عنها ، وجد [٤] فى أيدى القواد والحاشية والرعية توقيعاتٍ كثيرة بخطِّه وخطِّ عبد الله وعبد الواحد ابنيه ، ومحمد وأحمد ابنى سعيد حاجبه ، وبنان بن بنان ويحيى بن إبراهيم المالـكى وعلىّ بن عيسى الزندانى ، كُتَّابِه ، فى فَكٍّ وإثباتٍ وتقريرٍ وإيجاب ومظالمَ وتسويغاتٍ وإقطاعات

---

(١) أصبنا بالثلط وهو البراز .
(٢) فى الأصل : الأولة .
(٣) فى الأصل : قال .
(٤) انظر ابن الأثير حوادث سنة ٣٠٠

ومُقَاطعات مِمّا مِثله يأتى على ارتفاع المملكة [1] . وقد كان الخاقانى أذِن لهذه الجماعة فى التوقيع عنه بِكُلِّ ما رأوه ، وكانوا على فاقة وضَغْطَةٍ وخُروجٍ من نكبة وعُطلة ، وغَرضُهم الارتفاقُ وأَخْذُ ما لاح ، وأغْلَظ الأمْرُ وكَثُرَ الحرَجُ . وتأمّل علىُّ بنُ عيسى هذه التوقيعات ، فأسقطها ، وكان منها ما ثبت فى الدواوين وما لم يثبُتْ،وعَمِل على إعلام المقتدر بالله ما على المُلْك و بيتِ المال من الوَهَن والنقْصِ بإمضائها واستئذانِه فى رَدِّها و إبطالها .

قال هشام : وكنت متحققا به إذ ذاك فقلت : لا تفعل فإن الخليفة على ما تعرفه من التدبُّر بآراء النساء ، والقَبُول من الحاشية ، وأكثر هذه التوقيعاتِ لهم وللمتعلّقين عليهم ، وللملتجئين إليهم ، فاعْدِل إلى أن تنظر ما قد أُنْشِئ الكِتَابُ به من ديوان الدار إلى أصحاب الدار فَتُمْضيه ، وما كان بخلاف ذلك أبطلته ، فإنك تُمْضى القليلَ وتُبطِل الكثير ، وتأمَن عداوةَ الناس ، ومتى استأذنْتَ الخليفةَ لم تأمَنْ أن يأْمُرك بإمضاء الكل فتقعَ فى الطويل العريض .

فلم يقبل ، ومضى فطالع المقتدرَ بالله بالصورة ، واستأمره فى إسقاط التوقيعات ، وقد كان الحواشى سَبَقوا إليه بالشكوى ، فقال له : ارْجِع إلى الخاقانىِّ وابنِه فما عَرَّفاك أنه بتوقيعهما أمضيْتَه ، وما كان بتوقيع أصحابهما رددْتَه فأمر علىُّ بن عيسى أصحابَ الدواوين بجمع الرِّقاع ، فجمعت فى أيام ، وأنفذها إلى الخاقانى وابنه مع إبراهيم بن أيوب كاتبِ حضرته وابنِ الماسح ليَعْرِضاها عليهما ، و يسألاهما عنها . فلما دَخَلا على الخاقانى وابنه وجدا الخاقانى قائما يصلّى صلاةَ الضُّحى ـ وكان يُطيلها ـ وابنَه عنده جالساً فعدلا إليه ، وأدّيا الرسالة ، وأعطياه الرقاعَ على حُكم ما كان عليه من الاستبداد بالأمور فى خلافته لأبيه . فأخذ يتأمّلها و يميزها ، ويُفرِد الأقلّ

(١) يعنى أن هذا كله يستغرق إيرادات المملكة

ويَطرح الأكثر، ولحظه أبوه، فخفف الصلاة ثم صاح عليه وقال له: أفسَدْتَ أمرى فى نظرى، وتريد أن تفسده فى حبسى! وأقبل على الرسولين وقال لهما: ما أحسنتما الفعل. فإنكما أُنفِذتما إلىَّ فعدلتما إلى ولدى عنى، وإنما كان خليفتى. فقاما إليه وعرّفاه ماحضرا فيه. وأقرآه الرقاع. فجعل يتأمّل التوقيعات خاصّة، حتى إذا استوفى النظر فيها قال لهما: قُولا للوزير — أيده الله — هذه التوقيعات صحيحة، وما وُقِّع بها إلّا بإذنى، فإنه ما كان أحدٌ من كتابى يُقدِم على أن يُوَقِّع عنى بما لا أعلمه ولا أرسمه، والذى فعلتُه هو ما رأيتُه صَلَاحاً لنفسى وخدمةً للخليفة — أطال الله بقاءه — فى استمالة قلوب حاشيته ورعيته، واستخلاصِ نِيَّتِهم فى موالاته وطاعته، والأمرُ الآن إليك فافعل ما تراه.

قال: فقاما وعادا إلى على بن عيسى، وأعادا عليه قوله: فقامت قيامَتُه منه، واضطُرَّ إلى إمضاء الأكثر، وإسقاط من استضعف صاحِبه واستلان جانبه، ولم تكن له جِهَةٌ تشفع فى بابه. وعرف الحاشيةُ ذلك، وشكروا الخاقانىَّ وتعصبوا له، وقاموا بأمره مع المقتدر بالله حتى قُرِّرَتْ مصادرته وأطلق بعد أربعة أشهر.

وقال الخاقانى (١) لابنه بعد انصراف ابنِ أيوب وابنِ الماسح: أردتَ يابنىَّ أن تُبَغِّضَنا إلى الناس بغير فائدة، ويكون أبو الحسن علىُّ بنُ عيسى قد لَقَطَ الشَّوْكَ بأيدينا! نحن قد صُرِفْنا، لم لا نَتَحَبَّبُ إلى الخاصة والعامَّة بإمضاء ما زَوَّرُوه علينا؟ فإنْ أمضاه كان الحمدُ لنا والثقلُ عليه، وإن أبطله كان الحمدُ لنا والذَّمُّ عليه.

وقد كان الخاقانى مُتَخَلِّفاً عامِّيًّا إلا أنه كان خبيثا داهيا، ولم يكن له إلا هذه الأفعالُ الثلاثةُ: فى أمر ابن الفرات، وأمر ابن أبى البغل، وتَلافى الحاشيةِ بعد النكبة.

وقد حُفِظ من سقطاته وحكاياته ما كان أعداؤه يُشَنِّعون عليه به. وقد أوردنا ما سمعناه وتأدى إلينا منه.

(١) ابن الأثير حوادث سنة ٣٠٠

علي بن عيسى بن داود بن الجراح

أبو الحسن على بن عيسى بن داود بن الجراح [1].

وأبو الحسن من أهل ديرقُنَّى ، ومولده يوم الجمعة لثمان خلون من جمادى الأولى سنة خمس وأربعين ومائتين، والطالع العقرب بد والرأس فيه ح د والقمر فى القوس ط لح والمُشترِى راجع فى الدلو كا ، يد ، والذنب فى الثور ح د ، والشمس فى الأسد يو ح ، وزُحل فيه بط لا ، وعُطارد فى السنبلة ا يه ، والزهرة فيـه كط والمريخ فى الميزان دلح .

وكتب فى الدواوين ، وتقلد كثيراً منها رئاسة . وقد مضى من ذكره فى أخبار أبى الحسن بن الفرات ما لا حاجة بنا فيه إلى الإعادة . ولما أشار مؤنس باستدعائه من مكة ، وتقليده الوزارة ، وأنفذ يلبق لاستقدامه إلى الحضرة ، ورد فى اليوم العاشر من المحرم سنة إحـدى وثلاثمائة . ووصل إلى حضرة المقتدر بالله ، وخاطبه بما أراد خِطابه به ، وقلَّده وزارته وتدبير أمره . وخرج أبو الحسن ومؤنسٌ معه ـ وأبو علىٍّ الخاقانىُّ جالسٌ فى المجلس الذى كان يجلس فيه قبلَ الوصول إلى الخليفة ـ وقال للحجاب وخواصّ الغلمان : اتبعوا الوزيرَ وامشُوا بين يديه . فارتاع أبو علىٍّ وقال : من الوزير ؟ فقال له مؤنس : أبو الحسن على بن عيسى . فقال أبو على : اللهَ اللهَ يا أبا الحسن فى دمى ، فإننى ما أردت الدخول فى هذا الأمر ، و إنما أُجبرت عليه . فأجابه جوابا سكّنه فيـه ، ونُقل إلى الاعتقال فى الموضع الذى أُعِدَّ له . ومضى أبو الحسن علىّ بن عيسى إلى داره ، والناسُ فى موكبه ، وبكرَ إلى الدار

---

(1) المنتظم ٦/٣٥١ـ٣٥٥ ومعجم الأدباء والفخرى ٢٣٦ وصلة عريب ٢٢ .

من غَدٍ وخُلعت عليه الخلع السلطانية ، وركب إلى الدار المعروفة بسليمان بن وهب ، فجلس فيها ، وركبت إليه الأمراء والقواد فى النواحى ، وكتب إليهم بإقرارهم فى مواضعهم من ولاياتهم وأعمالهم ، وحثّهم على استخراج الأموال وحَمْلها . وسُلِّم إليه أبو على الخاقانىُّ وولداه ، وأبو الهيثم بنُ ثوابة ، وطالبهم مطالبةً رفيقه . وسئل فى أمر عبد الواحد بن أبي علىٍّ ، فأطلقه بعد مُديدة فى ليلة الخميس لتسعٍ خلون من جمادى الآخرة ، ثم أطلق أبا القاسم أخاه ليلةَ الجمعة مُستَهَلَّ شوال ، وحملَ أبا الهيثم بنَ ثوابة إلى الكوفة ، وسلَّمه إلى إسحاق بن عمران صاحبِ المعونة ، فكان عنده إلى أن تُوُفِّىَ يوم الأحد لليلة بقيَتْ من ذى الحجة . وأجرى المقتدرُ بالله لأبى الحسن علىِّ بن عيسى خمسة آلاف دينار فى كل شهر ، وارتجع الضِّياع العباسية التى كانت جُعِلَتْ لابن الفرات وأبى علىّ الخاقانىِّ ، ورتب أبو الحسن علىُّ بن عيسى الأمور والدواوين على ما رأى فيه الصلاحَ والسّدادَ ، وكان رَجُلًا عاقلا مُتديِّناً مُتصوِّنا ظَلِفاً (١) مُتعفِّفاً ، عارفا بالأعمال حافظا للأموال ، كثيرَ الوقار والجِدِّ بعيداً من التَّبَذُّل والهزل ، على شُحٍّ غالبٍ فى طباعه ، وتجهُّمٍ ظاهر فى أخلاقه . وما كان يُخِلُّ بصلاة الجماعة والجمعة فى كل يوم جمعة ، ولا يدع المناوبة فى ذلك بين المساجدِ الجامعة ، حتى قيل : إنه كان يستعمل الوضوء فى أيام الجمعات التى يكون فيها محبوسا ، ويستوفى طهوره ، ويلبس ثيابه ، ويقوم ليخرج من موضعه ، فيردّه الموكَّلون به ويمنعونه ، فيرفع رأسه إلى السماء ويقول : اللهم اشْهَدْ .

وعَمَد فى نظره إلى تخفيف المُؤَن ، وحَذْفِ الكُلَفِ ، ونَقْصِ الخَرْجِ ، والمضايَقة فى الجارى والرِّزق . وردَّ كثيرا مما وقَّع به أبو على الخاقانىُّ من الإثبات والزيادات ، فأوحش بذلك خواصَّ المقتدر بالله وعاداهم ، وكثرت به السعايةُ عليه والوقيعةُ فيه

(١) ظلفا : تكف نفسه عن الأمور .

واستثقل أكثرُ الناس موضِعَه ، وضاقت صدورُهم بنظره ، ووَقَعَ الشروعُ فى إفسادِ أمره ، وتغييرِ رأىِ المقتدر بالله فيه ، ورَدِّ ابنِ الفرات . وعرف [١] أبو الحسن علىُّ بن عيسى ما يجرى فى ذلك ، فبدأ بالاستعفاء والخِطَابِ عليه ، ومواصلةِ القول فيه . وتُحُدِّث فى دار المقتدر بالله بأن ابنَ الفرات شديدُ العلة ، واتَّفق أن مات هارونُ الشارِى الذى كان محبوسا فى دار السلطان ، وكان [٢] التدبيرُ فى أمر الشُّرَاةِ أن يُكتَم موت مَنْ يؤخذ من أئمتهم ، لأنهم لا يَرَوْنَ إقامةَ غيرِه وهو حَىٌّ ، فأُظْهِر أنه ابنُ الفرات وكُفِّن وأُخرجت جنازتُه على أنها جنازةُ ابن الفرات . فصلى عليه علىُّ بن عيسى ، وانصرف مُوجَعاً إلى داره وقال لخواصه : اليوم ماتت الكتابة .

ومضت [٣] أيّامٌ ووقف على بن عيسى على أنه حىٌّ وقد تمّ السعىُ له مع المقتدر بالله ، فعجب ابن عيسى وقال : ما يَنبغى لأحد أن يُحَدَّث بكل ما يَسمع ، ويُصَدِّقَ بجميع ما يُخْبَر .

فلما طالب الجندُ عند أخذ الحسين بن حمدان بما طالبوا به من الزيادة ، واستعملوا ما استعملوه من الشغبِ وخَرْقِ الهيبة ، وبلغ لهم فى ذلك ما بلغ من الإرادة وكثرت النفقات ، وتضاعفت الاستحقاقات ، ولحق الشَّوب [٤] غلاَّتِ سنةِ أربعٍ وثلاثمائة ، تأمّل علىُّ بن عيسى الأمرَ وخاف أن يُطالَب بما لا يكون له وَجْهٌ ، وأن يَحْدُثَ من الفساد مالا يقوم له به عُذر . فوقف أملاكه ، وأعتق عبيدَه ، وشرع

---

(١) تجارب الأمم ٥/٣٩ .

(٢) تجارب الأمم ٥/٤٠ .

(٣) تجارب الأمم ٥/٤٠ .

(٤) الشوب هنا : الخيانة والغش .

فى الاستعفاء ، وراسل فى ذلك المقتدرَ بالله ، فدفعه عنه دَفْعاً وعدَه فيه بالمعونة على تَمْشِية الأمور .

وكان فيما وَقع إلينا من رقاعِهِ فى ذلك رقعةٌ إلى السيدة نُسْخَتُها :

بسم الله الرحمن الرحيم . أطال الله بقاء السيدة وأدام عِزّها وتأييدها ، وكِلاءَتها[1] وحراستها ، وأسبغ نِعَمه عليها ، وزاد فى إحسانه إليها ، ومواهبه الجميلة ، وآلائه الجزيلة ، وأقسامه الهنيئة ــ وفوائده السَّنِيَّة عندها ، و بلَّغها فى سيدنا أمير المؤمنين ــ أطال اللهُ بقاءه وأدام له العِزَّ والتمكين ، والنصر والتأييد ــ غاية محبَّتِها وأفضلَ أُمْنِيَّتِها ، ووصل أيام سرورها بعافيته ، واغتباطَها برؤيته ، ووقاها فيه وفى نفسها وفى الأمراء ــ أستودعهم اللهَ وأستوهبه إياهم ــ كلَّ سوء محذورٍ ومخوف ، بِمَنِّه ورأفته . وصلت الرقعة ــ أعز الله السيدة ــ وعرفْتُ ما تضمَّنَتْ . فأما الفتنة التى كانت ملتحمةً مع أعظم الأعداء مَضَرَّةً ، وأقرَبهم محلَّةً ، وأشدّهم عَلَى المطالبةِ جُرْأَةً ، فقد تكلَّفْتُ الإنفاق عليها ، وقمت بتدبيرها ، حتى بلَّغ اللهُ أميرَ المؤمنين والسيدةَ فى جميعها المحبَّةَ ، وانتظمتْ فى صدور الأعداء شرقاً وغرباً الهيبة ، وما أنفقت مع ذلك من بيت مال الخاصة بعد الذى رددتُه إليه نِصْفَ عُشْرِ ما أنفقه محمد ابن عبيد الله الخاقانى وابنُ الفرات قَبْلَه ، وأنا عامل بعون الله على رَدِّ ذلك عن آخره . ومتى لم ينفق المعتضدُ بالله فى أسفاره على مائدة أعدائه من بيت مال الخاصة أضعافَ هذه النفقة ؟ ! وقد أنفق المكتفى بالله ــ وكان من النظر فى القليل اليسير وعلى ما عُرِف به ــ من بيت مال الخاصة جملةً بعد جملة ، مع قِلَّة النفقات فى أيام المعتضد بالله . وما أقول قولًا يُدْفَع ، لأن الدواوين تَشْهد به وحُسبانات بيوت الأموال تَدُلُّ عليه ، ومؤنس خازن بيت مال الخاصة منذ أيام المعتضد بالله وإلى هذه

(١) كلاءتها : رعايتها وحفظها .

الغايةِ يَعْلمه ، و إن سُئل عنه صدق . هذا مع رِفْقى بالرعية ، وعمارتى النواحىَ المختلَّة ، و إزالتى عنها كلَّ ظلم ومؤونة ، حتى صارت أيام أمـير المؤمنين ــ أطال الله بقاءه ــ منذ خدمتُه أيامَ الخير ، وفيها الآثار الموصوفة ، وامتلأت قُلُوبها هيبةً بعد أن كانت تَثب على الرؤساء ، وتَرْمى بالحجارة على ماقيل لى عند اجتيازهم فى دجلة . وأما الاستحقاقاتُ المتأخرة فلستُ أعرفها ، و بباب أمير المؤمنين الـكثير من الغلمـان والحاشية والفرسان والرجالة ، وما أحسب صِنفاً من هذه الأصناف يَقْدِر أن يقول : إنه قبض فى وقت من الأوقات قَبْضًا متصلًا ، وليس يقول أحدٌ منهم إنه دُفِـع عن استحقاق ولا تَأَخَّر له شىء من رِزقه ونُزُلِه . وكذلك الفرسان والعساكر الخارجة مع مؤنس وغيره مستوفية ، وأكثر من بالحضرة هذه سبيلهم به . وقد حضروا منذ مدة بباب العامة ، وطالبوا ، فأدخلتُ طائفةً منهم وَنُوظِرَتْ ، فلم تـكن لهم حُجَّةٌ فى الاستحقاقات ، و إنما التمسوا الزيادة والنظرَ والصِّلَة ، وهذا خارج عن الواجب ، ولو مُنع بعضهم فلم يُعْطَ شيئاً لـكان ذلك واجباً صالحاً . ومتى كان الجند يُوَفَّوْن حتى لا يكونَ لهم شىء متأخر ؟ ما كان هذا فى زمنٍ من الأزمان وما تركت أن قُلْتُ لسيدنا أميرِ المؤمنين ــ أعزه الله ــ فى ذلك مايجب أن أقوله ، وخاطبتُ أمّ موسى مرّةً بعد مرة فيه ، وأما ما قيل للسيدة ــ أعزها الله ــ فى استعفائى فلم أستعف نَصًّا ، ولو حُمِّلْتُ الرماد على رأسى لما تكرّهتُ ذلك ولا تأبَّيتُه ، و إنى لَأُلْزِم نفسى الصبْرَ على كلِّ نائبةٍ فى خدمة سيدنا أمير المؤمنين ــ أيده الله ــ وأرى ذلك دِيانة ، ولـكنى ــ أعز الله السيدة ــ أضْجَر كما يضجر الناس إذا خوطب بما لايُحِب ، وأنا أبلغ جهدى فى النصيحة و تأدية الأمانة ، فإن كان ذلك واقعاً مَوقِعَه فهو الذى أَقصد ، و إن كان يُظَنُّ بى غيرُما أنا عليـه فهى المصيبة . وقد يُحْرَم الإنسانُ ثمرةَ اجتهـاده ، ويَقَعُ مايفعلُه على خلاف مذهبه واعتماده ، وما يَسَعُنى ولا يحِلُّ لى أن أؤخر الصـدق

فى جميع الأحوال ، قاضياً بذاك حقَّ الله عزَّ وجل ، وحقَّ سيدنا أمـير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ وحقَّ السيدة ـ أعزها الله ـ وأسأل الله أوَّلًا وآخراً أن يُصْلِح لهما أمورهما ظاهراً و باطناً ، صغيرَها وكبيرَها ، ويَكْفِيَهما المُهِمَّ ويُسَهِّل الصَّلَاح بهما وعلى أيديهما بِمَنِّه وقُدْرته وجُوده وكرمه.

وقرب عيـد الأضحى واحتيج إلى ماجرت العادة بإطلاقه للحرم والحاشية ، فجاءته[1] أم موسى القهرمانة فى آخر ذى القعدة سنة أربع وثلاثمائة مخاطبة على ذلك ، ومقرِّرة للأمر فيه ، وكان محتجباً، فلم يقدم سلامة حاجبه إلى الاستئذان لها ، واعتذر إليها عذراً لطيفاً ، وصرفها صرفاً جميلًا ، فغضبت وانصرفت . وأعلم على بن عيسى خبرها فى حضورها وانصرافها فأنفذ إليها واستعذرها فلم تعذر، وصارت إلى المقتدر بالله وإلى السيدة وأغرتهما به ، وتكذبت عندهما عليه ، وأدى ذلك إلى القبض عليه فى غداة يوم الاثنين الثامن من ذى الحجة سنة أربع وثلاثمائة عند ركوبه إلى دار السلطان، واعتقالِه عند زيدان، فكانت مدة وزارته ثلاث سنين وعشرة أشهر وثمانية وعشرين يوماً .

وكان مما فعله فى وزارته هذه أن أسقط المَـكْسَ[2] بمـكة ، والتـكملة بفارس وسوق بحر بالأهواز وحِصن مهدى ، ونهر السدرة ، وكان يُعْتَرض فى هذه المواضع على ما يُجَهَّزُ إلى البحر ويرد منه ، وتؤخذ الضرائبُ المُسْرِفة عنه ، وأزال جباية الجهور بديار ربيعة . وأشار على المقتدر بالله بوقف[3] المستغلات بمدينـة السلام ـ وغَلَّتُها نحوُ ثلاثةَ عشرَ ألفَ دينارٍ ـ والضياع الموروثة بالسواد الجارية فى ديوان

---

(١) تجارب الامم ٥/٤٠ .

(٢) المـكس : ما يؤخذ من الباعة من نقود على ما يبيعونه « ضريبة » أو عند ما يدخلون بضائعهم إلى المدن « جرك » .

(٣) أى يجعلها موقوفة عليها .

الخاصة — وارتفاعُها نيِّفٌ وثمانون ألف دينار — على الحرمين والثغور، فقَبِل رأيَه وأشهد بذلك القُضاة والشهود على نفسه، ونصبَ عليٌّ بن عيسى لهذه الوقوفِ ديوانا سمّاه ديوانَ البرِّ، وردّه[1] إلى أبى شجاع ابن أخت أبى أيوب

ولما كان بمكّة وجد الماء ضيقاً على أهلها، وأصحابُ السلطان يُسخِّرون جمالَ الناس وحَميرَهم لنقله من جدّة إليهما، فابتاع عددا كثيرا من الجمال والحمير ووقفها على حَمْل الماء، وأقام لها العُلُوفَة الراتبة، ومنع من السخرة وحظَرها، وحفر بئرا عظيمة فى الحنّاطين، فخرجت عذبةً شَرُوبا[2] وسماها الجرّاحيّة. وابتاع عينا غزيرة بألف دينار، وفتحها ووسّعها حتى كَثُر ماؤها، واتسع الماء بمكة، ووصل الرِّفْقُ به إلى أهل الضَّعْفِ والمسكنة.

وكان فيما أُقْطِعَه عليٌّ بن عيسى من إقطاع الوزارة أربعةُ أحجارِ أَرْحاء بالعباسية تُعْرف بالعباسية، وتُعرف باليُوسفية، قيمتها عشرةُ آلاف دينار. فتظلَّم مجاوروها من أخذها الماء وقصوره عنهم، وإضرار ذلك بزروعهم ونقصِه من ارتفاع ضِياعِهم، وتأذّى أهل الشَفَة بهذه الحال أيضاً، فأمر بهدمها ونقضها وعَمَلِ مسجدٍ فى موضعها، وتوفَّر الماء على أهل الضياع والشَّفَةِ.

وحدث أبو على عبدُ الرحمن بن عيسى قال: لما ابتاع أخى أبو الحسن عليٌّ بن عيسى من تركة نازوك ووالدة القاسم بن عبيد الله الثُّلُثَ من حصتها فى قصر القاسم فى سنة اثنتين وتسعين ومائتين، وأضاف إليه حصصا ابتاعها الزوجاتُ وبعضُ الأولاد الأصاغر، وعمل ذلك داره المعروفة بباب البستان، وكانت مسناة[3] القصر

(١) أى جعل الإشراف فيه لأبى شجاع.
(٢) الماء المشروب الصالح للشرب.
(٣) المسناة هنا: المشرعة أو المجرى والقناة.

القديمةُ بعيدةً من دجلة فأخرج أحمد بن بدر عَمُّ السيدةِ أُمِّ المقتدر بالله مسناةً لداره المجاورة له إلى الماء ، وفعل عبيد الله بن القاسم مثل ذلك من الجانب الآخر ، وبقيت دار أخى مستورة بينهما ، فخاطبه أبو إسحاق إبراهيم أخونا فى ذلك ، وأعلمه ما فى إخراج المسناة — حتى توازنهما — من الزيادة فى قيمة العقار ، وكانت الذراع على دجلة فى المواضع الرذلة على ذلك العهد تباع بدينار عَيْنا . فقال له : قَدِّر لها ولما يُبْنَى عليها ما يُحْتَاج إليه من النفقـة . فقدّر لذلك مائة ألف درهم ، وصَوَّر البناء ، وأَحْضره الصورةَ والتقدير . فأقام أبو إسحاق يَحُثّه على إطلاق المال والابتداء بالعمل ، والوزيرُ يَعِدُه ويَدْفعه ، حتى إذا اجتمع فى خزانته ما جعله لذلك من ارتفاع ضيعته ، تقدَّم إلى خازنه بإحضاره ودعا بعبدالوهاب بن أحمد بن ماشاء الله ، فأعطاه إياه ، وأمره بصرفه فى ضُعفاء آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى فقراء المسلمين ومساكينهم بعد أن أثبتهم فى ديوانه ، ففعل ، وأخرج جميع المال وفرقه عليهم . وحضر أبو إسحاق ، فذكَّره بالعَمَل والأمرِ بتقديمه قبل زيادة دجلة ، فضحك إليه وقال لابن ماشاء الله : حَدِّثه يا أبا القاسم بحديث العقار الذى ابتعنا ، وتجاوُزِه فى النفع هذا البناء الذى لا يزيد اللهُ مَنْ حاوله إلا إثمـا وبُعدا . فحدثه ، فحار أبو إسحاق ، وما أمـكنه الجواب ، وعلم أنه كان من وَعْده على غرور . وبقى ماء داره محبوسا ، وسُمِّىَ الفضاء بين المسناتين السِّتينيَّ .

وكان أبو إسحاق إبراهيم بنُ هـلال جَدّى ابتاع دارَ عبيد الله بن القاسم من أبى الحسن بن أبى عمرو الشرابى حاجبِ الخـلافة بخمسة آلاف دينـار ، وكانت مسناتُها طاعنـةً فى دجلة لا يُفارقها المـاء فى سائر أوقات السنة .

ذكر خلافة أبى الحسن على بن عيسى لحامد بن العباس

وتفرّدِه بالأمور من بعد ذلك [١]

قد أوردنا فى أخبار حامد عنــد وزارته ما جرى أمر أبى الحسن بن الفرات معه[٢] و بعده ، وما انتهى ذلك إليه من القبضِ عليه[٣] واعتقاله عنــد زيدان القهرمانة . وراسله المقتدر بالله بأن يَصْدُق عن أمواله ، فكتب رُقعة يذكر فيها أنه لا يقدر على أكثر من ثلاثة آلاف دينار . واتفق من ورود القرامطة[٤] إلى البصرة ، ودخولهم إليها واستيلائهم عليها ونقلهم ما وجـدوه فيها ثم انصرافهم بعــد أيام عنها ، ما دعا إلى إخراج نُبَيّ بن نفيس لقتالهم ودفْعهم ، ووصل وقد عادوا إلى بلدهم . فكتب إلى ابن الفرات بذلك ، و بأنه أسَرَ قوماً منهم ، وحكى عنهم أنهم قالوا : إن علىّ بن عيسى كاتبهم بالمسير إلى هناك ، وأنفذ إليهم فى عدة أوقات هدايا من سِلاحٍ وآلات . فلما وافى[٥] هؤلاء الأسراء ، وعرضَ ابن الفرات على المقتدر بالله كتابَ نُبَيّ بن نفيس فذَكرهم وذكر ما حــدّثوا به عن علىّ ابن عيسى ، أمر بالجمع بينه و بين القوم لِيواجهوه بما قالوا فيه ، فأُخْرِج وجُمِع بينه و بينهم بحضرة ابن الفرات . فقال علىٌّ بن عيسى : من كانت صُورَتُهُ صورتى فى سَخطِ السلطان وانحرافِ الوزير عنه لُقّى بالحق والباطل . ثم عدل ابن الفرات إلى خطابه فى أمر الأعمال فقال له : قد كان علىُّ بن أحمد بن بسطام أخــذ خطوط

---

(١) راجع تجارب الأمم ٥/٥٨ وما بعدها والفخرى ٢٢٧ وابن الأثير حوادث ٣٠٦ .
(٢) معه : أى مع على بن عيسى .
(٣) أى من القبض على على بن عيسى راجع تجارب الأمم ٥/١٠٤ .
(٤) كان قائدهم أبا طاهر سليمان بن الحسن الجنابى انظر تجارب الأمم ٥/١٠٤ .
(٥) تجارب الأمم ٥ .

المادرائيَّيْنِ فى وزارتى الثانية بألفِ ألفٍ وثلاثمائة ألف دينار صُلْحًا عن خراج ضِيَاعهما بمصر والشام ، وما أخذاه من المرافق عنـــد تقلُّدِهما الأعمال فى أيامك الأولى . وبقى عليهما من المصادرة التى واقفهما أبو على الخاقانىُّ عليها ، وأدَّيا فى أيامى نحو خمسمائة ألف دينار ، وكانا على أداء تتِمَّةِ المال ، حتى صَرَفتَ ابن بسطام ـ ساعة وَليتَ ـ عن الدواوين ، وقلَّدْتَ هذين العاملين الخائنين المجاهِرَين بأخذ أموال السلطان واقتطاعها [(١)] ، وكتبت عن أمير المؤمنين بإسقاط مَالِ الصُّلح عنهما ، وذكرتَ أنه أَمَرَ بذلك ، وقد سألتُه فأنكر دَعْواك عليه ما ادَّعيته . فقال علىُّ ابن عيسى : كنتُ فى الوقت كاتباً لحامد ، وخليفةً له على الأعمال ، ومتصرِّفا على أمْرِه فى كبيرِ الأُمور وصغيرِها ، وهو ذَكر لى عن أمير المؤمنين أنه أَمَر بإسقاط هـــذا المال ، ووقَّع بذلك توقيعاً كَتبتُ فى آخره بامتثاله كما يفعلُ خليفةُ الوزير فيما يأمر به صاحبهُ . فقال له ابن الفرات : أنت كنت تعارض حامداً فى كل أحواله، وتُخاصمه فى اليسير [(٢)] ممَّا يَخْرُجُ عليــه من مالِ ضمانه ، حتى تحدث الناس بكما ، وعَجِبوا لما يجرى بينكما ، فَلِمَ تركت أن تستأذِنَ السلطان فى مثل هذا المال الجليل ؟ فقال : كنت فى أول الأمر كاتباً لحامد مدَّة سبعةِ أشهر حتى بان لأمير المؤمنين ما رأى معه التَّعْوِيل علىَّ فى تدبير الأمور ، وكان ما جرى من أمر المادرائيَّيْنِ فى صَدْرِ أيام حامد . فقال له ابن الفرات : فلمَّا اعتمدَ عليك أميرُ المؤمنين أَلَّا [(٣)] صدقْته عن غَلطِ حامدٍ فيما غَلِطَ به وفرَّط فيه ؟ فقال : إنمـا تركت ذلك

---

(١) فى الأصل : واقتطاعهما والتصويب من تجارب الأمم ٥/١٠٦ ففيه : المجاهرين باقتطاع مال السلطان .

(٢) فى الأصل : السير والتصويب من تجارب الأمم ٥/١٠٦ .

(٣) أَلَّا معناها : هَلَّا .

لأننى أخـذت خطَّ الحسين بن أحمد بحضرة أمير المؤمنين بألفِ ألفِ دينار عن مصر والشام خالِصًا لِلْحَملِ [1] ، بعـد النفقات ومال الجند فى تلك الأعمال ، وكان ذلك غاية ما قوَّرْتُ عليـه . فقال ابن الفرات : أنت يا أبا الحسن تعمل [أعمال] [2] الدواوين منذ نشأت وقد وَليتَ ديوانَ المغرب سنينَ كثيرة ، وقد تقلَّدت الوزارة ، فهل رأيت من يَدَع مالًا واجبا يُؤَدَّى مُعجَّلا ويأخـذُ العِوَض عنـه ضمانًا مُؤَجَّلًا لا يُدرَى ما يجرى فيـه ؟ وهبك على ما ذكرت من أنك رأيت ذلك صوابا و [هو] [3] خطأ ، فهل استوفيت مال الضمان من هذا الضامن بخمس [4] سنين دبرت فيهـا المملـكة ؟ . فقال : قد كان حمل من مال السنة الأولى صَدْرًا ثم حـدث من تَغَلُّبِ العلوىِّ [5] بإفريقية على أكثر تلك النواحى مادعا إلى خروج مؤنس المظفَّر وانصرافِ المـال فى نفقاته وأعْطِيَاتِ الجند ، وانكسر الباقى لأجل هذه الحادثة . فقال ابنُ الفرات : انهزم هذا العلوىّ منذ سنتين ، فهل أدى مالهمَا [6] كاملًا ؟ . فقال علىُّ بن عيسى فى جواب ذلك قولًا استوفاه لنفسه ، وأخذ ابنُ الفرات خطَّه بالحجَّةِ عليه وله بأنه قد رَضِىَ بحكم أمير المؤمنين . ثم قال له ابنُ الفرات فى آخر قوله : قد أمر أمير المؤمنين بأن تُطَالَب بالأموال التى اقتطعْتَها وجمعتَها ، وينبغى أن نُعْطِيَهَا عَفْواً وتصون نفسك عن

---

(١) يريد : للحمل إلى بيت المال . كما فى تجارب الأمم ١٠٥/٢ .

(٢) زيادة من تجارب الأمم .

(٣) زيادة يحتاج إليها الـكلام . وفى تجارب الأمم : وهبك أغصبت كما ذكرت ورأيت ذلك صوابا فى التدبير فهل استوفيت . . . .

(٤) أى : فى خمس سنين . وفى تجارب الأمم : فى مدة خمس سنين .

(٥) يريد به : المهدى عبيد الله .

(٦) فى الأصل : مالها . وفى تجارب الأمم ووجب على هذا الضامن مال سنتين كاملتين بعد هزيمة العلوى فهل استخرجت من هذا الضامن ألفى ألف دينار ؟

المكروه . فقال : لست من ذوى الأموال ، ومالى قُدْرَةٌ على أكثرَ من ثلاثةِ آلاف دينار . فقال له ابنُ الفرات : تقول هـذا وقد وُجِدَ لك عند عيسى الناقدِ سبعةَ عشرَ ألف دينار وأُخذَ خطُّه بها وديعةً كانت لك عنده ؟ فقال . هذا رجل قلَّدْتُه مال ضِيَاع البرِّ والجهْبَذَة ، وعنده أموال حاصِلَة ، فإمَّا أن يكون المال منها أو تكونَ قد أخذْتَ مالَه ونسبْتَه إلىّ وأكرهته على أن كتب خطَّه بذلك . فقال له ابنُ الفرات قد أسقطتَ من أرزاق أولاد القرابةِ والحُرَم والحواشى والخدم والفُرْسان الذين كنتُ أُوَفِّيهم أرزاقهم فى أيامى الأولى والثانية مدَّة خمس سنين دَبَّرْتَ فيها المملكة ، وأخذْتَ من ارتفاعِ ضِياع المِلْكِ والإقطاَع بعدما أُفرِد منها للأمراء ما يكون مبلغُهُ ـ مع ما كنتُ أحمله إلى أمير المؤمنين فى وزارتى الثانية ـ وهو فى كلِّ شهرٍ خمسةٌ وأربعون ألف دينار للمدة المذكورة ـ الجملةَ الكبيرةَ ، فإما أن تكون قد احتجنْتَ [1] ذلك لنفسك أو أضَعْتَه [2] لتفريطك . فقال له علىُّ بنُ عيسى : ما استغلَلْتُهُ من الضِّياع ووفَّرْتُه من أرزاق من يَسْتَغْنِى عنه تمَّمْتُ به عجزاً أُدْخِل فى الخرج حتى اعتدلتِ الحالُ ، ولم أمدُدْ يدى إلى بيت مال الخاصَّة . وأما خمسةٌ وأربعون ألف دينار التى كنتَ تحملها من المرافق فإننى لم أرَ ما رأيتَه أنت قطّ من المرافق للعمَّال ، بل حَظَرْتُها عليهم عِلْماً بأنها طريقٌ إلى ضَيَاعِ الحقوقِ وخرابِ البلادوظُلْمِ الرعية،وأنت كنت تُوْصِى الحواشِىَ بإخراب بيت المال ، وتحُوِّل مافى بيت مال الخاصة إلى بيت مال العامّة ، ومن الدليل على ذلك أنى كنت أتولى ضِيَاع ديوان الخاصَّة ، فلما تقلَّدْتَ الوزارة بعد العباس بن الحسن انصرفتُ عنه فتركتُ فى بيت مال الخاصَّة سبعةَ عشرَ ألف ألف دينار حاصلةً ، فلما قلَّدنى أميرُ المؤمنين

---

(١) احتجن المال . ضمه إلى نفسه واحتواه .

(٢) فى الأصل : وضعته والتصويب من تجارب الأمم ٥/١٠٨ .

وزارته فى سنة إحدى وثلاثمائة لم أجد من ذلك المال شيئاً كبيراً . فقال له ابن الفرات: اكتب خطَّكَ بأنّكَ خلَّفْتَ فى بيت مال الخاصَّةِ سبعةَ عشرَ ألف ألفِ دينار . فبدأ يكتب ثم وقف وقال : حتى أرجِع إلى الحساب وأعرف المبلغ على تحقيق . فقال له ابنُ الفرات . ما الأمر على ما وقع لك ، فإن المعتضد بالله تُوُفِّيَ وفى بيت مال الخاصَّةِ عشرة آلافِ ألفِ دينار ، وتوفى المكتفى بالله وفى بيت مال الخاصة أربعةَ عشرَ ألف ألفِ دينار . أطلق العباس بن الحسن منها فى البيعة لأمير المؤمنين ثلاثةَ آلافِ ألفِ دينار . ووجدتُ أعمالَ فارِسَ وكَرْمَانَ خارجةً عن يد السلطان منذ أيام المعتضد لايحمل منها المتغلِّبُون عليها إلا النَّزْرَ اليسير ، فَصَدَقْتُ أمير المؤمنين عن صورتها وضَمِنْتُ له فتْحَها ففتَحتها . وقد كانت لى أموالٌ جمعتها فى خِدْمة أمير المؤمنين أنا وأخى وأسلافى مع أسلافه ، وضِيَاعٌ وافِرَةُ الارتفاع ، فلما رأى أمير المؤمنين أخْذَها كان أحقَّ بها ، فَصَحَّ لى فى بيوت الأموال فى دفعتين أربعة آلاف ألفِ دينار .

ثم أخذ ابنُ الفرات فى مطالبته بالمال ، فأقام على أنه لا مال عنده ، وأعيد إلى مَحْبِسِه .

وكانت له بعد ذلك مناظرات ، منها ما حدَّث به أبو محمد عبد الله بن علىٍّ المعروفُ بذكويه كاتب نصر القشورى الحاجب ، وأبو الطَّيِّب محمدُ بن أحمد الكلوذانى كاتب بنى الفرات قالا : حضر أبو الحسن بنُ الفرات فى وزارته الثالثة فى يوم الخميس لخمس ليال بقين من جُمَادى الآخِرة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة فى أيام المقتدر بالله ، وجمعَ القوَّادَ والقضاةَ والكُتَّابَ ، فأُحْضِر أبو الحسن علىٌّ بن عيسى من مَحْبِسه وجمع بينه وبين ابنِ فلحة [(١)] رسولِه ـ كان ـ إلى القرامطة فى وزارته

(١) الكلمة غير واضحة النقط فى الأصل .

الأولى حتى واجهه بأنه أنفذه إلى القرامطة مبتدئاً ، وكاتبوه يلتمسون منه المَسَاحِيَ والطَّلْقَ[1] وغير ذلك ، فحُمِل جميعُه إليهم ، وأخرج أبو الحسن بنُ الفرات نسخةَ كتاب أنشأه ابنُ ثوابةَ عن عليٍّ بن عيسى إلى القرامطة جواباً عن كتاب وَرَدَ منهم إليه وفيه إصلاحات بخطِّه ، ولم يقل فيها : إنكم خارجون عن مِلّة الإسلام لمخالفتكم الإجماع وعصيانكم على الإمام . بل قال : ولكنكم خارجون عن جملة أهل الرشاد والسداد . وداخلون مع أهل العِناد والفساد .

وقال ابن الفرات لعليٍّ بن عيسى مُوَبِّخاً ومُهَجِّناً : تقول ـ ويحك ـ للقرامطة الذين قد أجمع الناس أنهم أهل ردةوضلالة قولًا تُلْحِقُهم فيه بأهل المِلّة وهم لايُصَلُّون ولا يصومون ولا يَدِينون بما يَدِين به المسلمون، وتُنْفِذ إليهم الطلق الذى إذا طُلِي به البَدَنُ أو غيره لم تعمل النّارُ فيه ؟ قال : إنما اعتمدت بذاك المصلحةَ ، وأن أستعيدهم إلى الطاعة بالرِّفق والاستمالة . فقال ابنُ الفرات لأبى عمر القاضى : ما عندك فى هذا يا أبا عمر ؟ فتوقَّف عن جوابه ، وأقبل عَلَى على بن عيسى وقال له : قد أقررْتَ ياهذا بما لو أقرَّ إمَامٌ به لسقطت طاعته وتعطَّلت إمامتُه . قال : فنظر عليٌّ بن عيسى إليه نظر مُنْكِرٍ لقوله ، لعلمه بأن المقتدر بالله بحيث يَسْمع ما يَجْرِى ولا يُرَى . وطالب ابنُ الفرات أبا عمر بأن يكتب خطَّه بشىء من هذا المعنى ، فلم يفعل وقال : قد غَلِطَ عليُّ بنُ عيسى غَلطا كبيرا فأما جواب هذا القول فما عندى . فأخذ خطَّه بما سمعه من إقراره فى أن الكتابَ كتابُه ، وأن الإصلاح فى النسخة بخطِّه .

ثم أقبل ابنُ الفرات على أبى جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول القاضى فقال : ما عندك يا أبا جعفر فى ذلك ؟ فقال : إنْ أَذِن الوزير أن أقول ما عندى على بيان قُلْتُه . قال : افْعَلْ . قال : صح عندى أن هذا الرجل ـ وأومأ إلى على بن عيسى ـ

(١) الطلق : ماتعمل الآن منه بدرة « التلك » وكذلك الجير النقى .

استخلاص بكتابين كتبهما إلى القرامطة فى وزارته الأولى ابتداءً وجواباً ثلاثة آلاف رَجُلٍ من المسلمين كانوا مُستعبَدِين معهم ومُسترقِّين بالاستحلال منهم ، حتى رجعوا إلى أوطانهم وأولادهم ونِعَمِهم وأموالهم . فإذا كتب الإنسانُ مثل هذه الكتب على وجه الصَّلاح والمغالطة للعدو لم يجب عليه حكم . قال : فما عندك فيما أقرَّ به من أن القرامطة مُسلمون ؟ قال : إذا لم يثبُت عنده كُفرهم، وكاتبوه بذكر الله والصلاة على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وانتسبوا إلى الإسلام ، وكانوا إنما يُنَازِعون فى الإمامة ، لم يُطْلق عليهم بالكفر . قال له : فما عندك بالطَّلق الذى إذا طُلِيتْ به الأبدان لم تعمل النارُ فيها يُحمَل إلى أعداء الإمام — ورفع صوته بذلك على أبى جعفر كالمنْكِر لما جرى من قوله — فقال أبو جعفرٍ لعلىٍّ بن عيسى : أنفذت الطَّلْقَ الذى هذه صورته إلى القرامطة ؟ قال : لا . فقال ابن الفرات : رسولك وثِقَتُك ابن فلحة . . [1] يُقِرُّ عليك بذلك . فدهش علىٌّ بن عيسى وأمسك . فقال ابن الفرات لأبى جعفر بن البهلول : احفظ اعترافه بأنَّ ابن فلحة رسوله وثقته ، وقد أقرَّ عليه بما أنكره . فقال . أيها الوزير ، ليس هذا إقراراً إنما هو دعوى . قال : فهو ثقته بإنفاذه إياه . قال : إنما وثَّقَه فى حمل كتاب ، ولا يُقبل قوله عليه فى غيره . فقال ابن الفرات : أنت يا أبا جعفر وكيله لا حاكم . قال : ما أنا وكيل لكننى أقول الحقَّ كما قلته فى أمر الوزير — أيده الله — لما أراد حامد فى وزارته الحيلةَ عليه بما هو أعظم من هذا . فعَدل ابن الفرات إلى أن قال لعلىٍّ بن عيسى : يا قرْمَطىّ فقال : أنا أيها الوزير قرمطى ؟ أنا قرمطى ؟ — وكرَّرها تعريضاً به — . قال : نعم ، وكان عندى أنك عَدُوٌّ لأمير المؤمنين وبنى العباس خاصَّةً — أعز الله سلطانَهُم — وإذا أنت عدُوٌّ للمسلمين كافَّةً . فأمسك علىٌّ بن عيسى خوفاً

---

(١) نقط الكلمة غير واضحة فى الأصل .

على نفسه . وأخذ نصرٌ [1] الحاجب والمحسن بن أبى الحسن بن الفرات بيده وأقاماه بعد أن استأذنا الوزير فى الخلوة به ، فأذِن ، فجلسا معه على انفراد .

قال أبو الطيّب فى حديثه : فقمتُ معهما ، وسمعت ما جرى بينهما و بينه وكان أن قالا له : إن رجعتَ إلى موضعك من مَحْبِسك ولم تُقَرِّر أمْرَك فى صُلْحك خِفْنَا عليك من استحلال السلطان دَمَك بعد ما سَمِعه عنك . ولم يزالا به إلى أن استجاب إلى ثلاثمائة ألف دينار يُعَجِّل منها الثلثَ فى ثلاثين يوماً ، ويؤدى الباقى على رَسْمِ المصادرات ، وكتب خطَّه بذلك ، وعادا إلى ابن الفرات وعرّفاه ما جرى فأمضاه . واستَدْعى علىَّ بنَ عيسى وجعل يواقِفُه على شرائط الخطّ ، وكان إذا امتنع الوزيرُ من شيء غمز أبو الحسن علىُّ بنُ عيسى يَدَه وقال : يتفضَّلُ الوزير . فيستحى ابن الفرات ويُطْرِق ثم يفعل — وإنما كان علىُّ بنُ عيسى يفعل ذلك إذكاراً بعهد كان بينهما فى أيام العباس بن الحسن ومعاقدةٍ فى أن يتعاضدا ويَحْرُس كلٌّ واحد منهما صاحبَه ، ولا يسعى على نِعْمَتِه ولا نَفْسِه — حتى إذا انتهى القولُ إلى حَقِّ بيت المال فى ضِيَاعِ علىِّ بن عيسى قال علىُّ بنُ عيسى : وعما كَثَّر به العمالُ عليه من حَقِّ بيت المال فى ضِياعه،ووجُوبه مُدَّةً ، وذَكَرُوه فى تَحيُّفِه السلطانَ فى ذلك ! فقال له ابنُ الفرات : كُلُّ شىء أحتمله وأفعله إلا أن تُعَرِّضنى لما يَقْدَح فى صناعتى ، ويَطْرُق عيباً علىَّ فى خدمة سلطانى ، أرأيتك إن كتب العُمَّال بأنه يجب عليك من هذه الجهَة ثلاثمائة ألفِ دينار ألستُ أكون قد أخذتُ خطَّك بحق بيت المال فى مِلكك لا مصادرةً عن تصرُّفك ؟ وقد تَرَدَّدْتَ فى الوزارة والأعمال الجليلةِ مذ عشر سنين ؛ ولكن خُذ مبلغاً فى استثنائك بما يُسْتَثنى به لنفسك . فقال : عشرون ألف دينار . فأجابه إلى ذلك ، وكتب علَى أنه : متى أوجب العمالُ عليه

(١) تجارب الأمم ٤/١٠٩ .

بالعدل والإنصاف والموافقة التى لا يعترضها تحيُّف من حقٍّ بيت المال فى سائر ضِياعه ووقُوفه منذ وقت مِلْكِه لهـا و إلى هذا الوقت ما يكون مبلَغُه من ألف دينار إلى عشرين ألف دينار فقد دخل ذلك فى مال المصادرة ، و إن زاد على هذا المبلغ كانت الزيادةُ خارجةً عن الجملة ، ولازمةً له بعدها .

ولما تقرَّرَتِ النسخةُ وابتدأ علىُّ بنُ عيسى يُحَرِّرها بخطِّه كتب فى التعجيل : بعد ثلاثين يوماً . فقال له ابنُ الفرات : ارْفُق بنا يا أبا الحسن ماصَغُرْنا وكَبِرْتَ ، أفأدَعُك تسعةً وعشرين يوماً لا أُطالبك ولا تُؤَدِّى شيئاً ؟ ولكن اكتب : أُصَحِّحُه أوَّلًا أوَّلًا فى مدة ثلاثين يوماً . فقال علىُّ بنُ عيسى : على شرطٍ من أن يكون ابتدائى بالأداء إذا خرجتُ من دار أمير المؤمنين إلى موضع يأمنُ الوزير — أيَّده الله — فيه على نفسى — يُومِئُ ألَّا يُسَلَّمَ إلى المحَسِّن أو من جرى مجراه فى إشفاقه وخوفه إياه — فتقرر الأمرُ على ذلك وأنْفِذَ الخطّ إلى المقتدر بالله فأمضاه ، وَرُدَّ أبو الحسن علىُّ ابن عيسى إلى محبسه .

وقالت زيدان القهرمانة والسيدةُ للمقتدر بالله : إن سُلِّم علىُّ بن عيسى إلى ابن الفرات سلَّمه إلى ابنه المحسن ، ولم يُؤْمَنْ عليه منه ، وهو رجل دَيِّنٌ وقد خدمك وخدم أباك ، وليس يُفزَع اليوم إلا منه ، فلا تُسَلِّمْه إليهم . وقدَّرتا بذلك أن تُبْطِلا المال الذى قرَّره علىُّ بن عيسى على نفسه . فقال — وقد كان وقَرَ فى صدره ما سَمِعَه من حديثه مع القرامطة وتَشَعَّثَ به رَأْيُهُ فيه — : إن أدّى المال فى دارى لم أُسَلِّمه ، و إن تقاعد وألَطَّ [1] مكَّنْتُ المحَسِّن فى دارى وغير دارى منه وسلَّمْتُه إليه .

وأخذَ المحسِّنُ فى الإغراء بعلىِّ بن عيسى ، فاستدعاه إليه فى دار الخلافة أيَّاماً

---

(١) ألط : منع من الحق .

من غير حضور الوزير أبيه ، وطالبه وجدّ به ، فأحال عليُّ بنُ عيسى على خطّه وماشُرِطَ فيه له وعليه . فقال له المحسن : هذا تقاعد ، وتريد ألّا تؤدّيَ في دار أمير المؤمنين ولا تُسَلَّمَ إلىّ ، وهذا أمر لايتم . فإذا أديت بحيث أنت، وإلاأخذتك إلىّ. فقال عليٌّ بن عيسى : هذا نَقْضٌ لما تقرّرَ . واستدعى أحمد بن محمد بن جانى ، وكان يتولى ضيعته ، وإبراهيمَ بنَ أيوبَ النصرانىَّ ، وكان يكتب بحضرته ، فلما حضر أمرهما ببيع داره التى فى سويقة أبى الورد المعروفةِ بدليل النّصرانى ، وعقارٍ له يجاورها فلم يَرُجْ من ثمن ذلك إلّا ألفا دينار وكسْرٌ . واستعفى إبراهيم من العود فأُعْفِيَ وواصل ابن جانى . وأراد المحسنُ أن يُوحِشه ليقف أمرُ علىٍّ بن عيسى فقال له : أنت كنتَ كاتبه على ضياعه ، ورسولَه إلى أصحاب ودائعه ، ولا بد من أن تَصْدق عما تعرفه من أموره ، وأوقع به مكروهاً غليظاً أغمى عليه فيه ، وقيل : إنه تلف ، ثم أفاق وتراجع ، وجزع المحسن من ذلك فأطلقه ، إلّا أنه استتر ، ووقفَ أمْرُ علىٍّ ابن عيسى. وواصل المحسن القول فى بابه عند المقتدر بالله ، ونسبَه إلى التقاعد فى فعله ، وحضر الوزيرُ والمحسن فى يوم الاثنين الثالث عشرَ من رجب بحضرة المقتدر بالله ، فجدد المحسن القول فى أمر علىٍّ بن عيسى وسكت الوزير ، وأقبل المقتدر بالله عليه وقال له : أنت رجلٌ خَيِّرٌ[1] ، وتريد أن تتفضل عَلَى عَلِيّ بن عيسى ليقول الناس : رعى حقَّه وعرف له حُرمة ما كان بينه وبينه ، وراعى ذمام الصناعة فيه . ويضيع مالى فى الوسَط ، وما أَصبر على ذاك . وهذا رجل قَرْمطى ، ودمه وماله حلالان ، وإذا وهبتُ له مالَه فلا أقل من أن يُسْتَوْفَى مالى منه . ثم قال للمحسن : اخرج أنت واجلس فى الدار ، واستدْعِ بعلىٍّ بن عيسى ، وأَرهِبْه ، فإن أقرّ بودائعه وخرج مما قرّره على نفسه وإلا قيِّده ، فإن أذعن وإلا ألبسه مع القيد جُبَّة صوف ، فإن أقام

(١) الخير من معانيها الكثير الخير .

على أمره أوقِـع المكروه به فى جسمه بمحضر من القواد جزاء له على ما فارق الطاعة .

فخرج المحسن وجلس معه نصر القشورى الحاجب ونازوك والقواد ، وأُحضر علىُّ بن عيسى ، فبدأه المحسن بالرفق ، ثم نقله إلى الأغلظ فلم يستجب إلى أداء شىء فى دار الخلافة ، وقال : ما يمكننى الاحتيالُ وتصحيحُ المال إلا بحيث أن أكون فى موضع آمن فيه على نفسى ، ويمكن أن يجيئنى من أُريده من كُتَّابى وأصحابى بحسب ماتقرر من شرائط خطى .

فتقدم المحسن إلى نازوك بإحضار قَيْدٍ فيه عشرون رطلاً وجبَّةٍ صوف مدهونة بماء الأكارع ، فأحضرهما ، وجىءَ بحدَّاد ، وأمِر بتقييده . فلما بدأ بذلك نهض نصر القشورىُّ منصرفاً . فقال له المحسن : ما بمثل هذا عاملتنى يا أبا القاسم لما أنفذ هذا عامِلَه ابنَ حماد حتى قيدنى بحضرتك ، وأمر علىَّ المكروه بمشاهدتك . فقال له نصر : والله ياسيدى ماندرى كيف نصنع إذا غضب مولانا على وزرائه وكتابه وأمر فيهم بأمر ، إن حضرْنا عادَونا إذا عادوا إلى الخدمة وسعوا فى قبيحنا ، وإن امتنعنا من الحضور عادانا من إليه الأمر ، فدلُّونا على ما نتخلص به منكم .

وتركه ومضى إلى حجرته المرسومة بالحجبة فى دار الخلافة . وجُعِلَ القيدُ فى رجل علىِّ بن عيسى وضربه الحدَّادُ بالمطرقة ليسمّره ، فأخطأ وأصاب كعبه ، فقال علىُّ بن عيسى : يا هذا، أىُّ عداوة بينى و بينك حتى فعلت ما فعلت ؟ فقال له : كيف لا أعاديك وقد أسقطت من رزقى ديناراً ؟ فوثب نازوك ليمضى . فقال له المحسن: أنت صاحبُ الشرطة وهذا أمر يلزمك القيام به ، فإذا تركته وانصرفت لم يكن لجلوسى معنى ، وإذا كنتم على هذه الحال من محبَّة علىِّ بن عيسى ومراقبته ، وقد سمعتم من أمير المؤمنين لى فيه ماسمعتموه ، فألّا واجهتمونى بالامتناع من الحضور

أَوَّلًا ؟ فقال له نازوك[1] : ما أستحسن أن أحضر مكروه رجل قَبَّلْتُ يده عشر سنين ، وله عنـدى من الأيادى والفضل ، ومع ذاك فهو شيخ يتديَّن و يصوم الدهر . فاغتاظ المحسن وقال للقواد الباقين : إن جلستم و إلَّا قمت ، فلست صاحب شرطة ، فقعدوا . وأخذ ياقوت وصالح من بينهم يستعطفانه لعلىّ بن عيسى ، وسألاه ألَّا يُلبسه الجبة الصوف ولا يُجرى عليـه مكروها . فقال : لا أفعل إلَّا أن يكتب خطه بأداء ثلاثين ألف دينار فى عشرين يوما ، إذ لا أقلّ من ذلك ، فقال علىٌّ ابن عيسى : لا أكتب بما لا أفى به ولو قطعت يدى . فألبسوه الجبة حينئذ ، وقال له : لم يبق إلا المكروه فإن استجبت و إلَّا امتثلتُ أمرَ أمير المؤمنين فى إيقاعه بك ، وكنتَ أنت الذى تُوقعه بنفسك.فقال : إذا كتبتُ بما لا أتمكَّن منه وقع المكروه بِحُجَّةٍ ، وإن وقع بى الآن كنت مظلوما . فدعا المحسن بعشرة غلمان كان قد واقفهم على أن يُشَدِّدوا المكروه به ، وأمرهم بصَفْعِه ، فصفعه كلٌّ واحدٍ صفعةً عظيمة ، فصاح فى ثلاث : أوه . وقال فى البـاقى : أستغفر الله من ذنب مَكَّن مثلك من مثلى . وكان مفلح قد قام ودخل إلى حضرة المقتدر بالله قبل ما جرى عَلَى عَلِيٍّ بن عيسى وكان قريبًا من الموضع . فلما سمع المقتدرُ قوله واستغفاره باللفظ الذى وصله به رق له ورحمه وقال : ما أَشُكُّ فى أن علىّ بن عيسى خير عنـد الله من المحسن ، وقد وقع السَّرَفُ فيما عومل به وَبَلغ منه . فاخْرُجْ وحُلْ بين المحسن ومكروهه . وردّه إلى محبسه .

وقامت القيامةُ على السيدةِ وزيدانَ بما جرى وقالتا : إنما صُنَّا ابن الفرات ومنعنا أعداءه منـه لِمَا كان يصون الوزراء و يعرف حقوقهم ، والآن فقد بسط هذا المجنون ابنه لما يخالف العادة و يُورث القباحة والشناعة .

---

(١) انظر تجارب الأمم ٥/١١٠ .

وانصرف المحسن إلى أبيه وعرّفه ما جرى ، وقد كان أخّر طعامه انتظارا لحضوره . فلما وقف من الصورة على ما أخبره به قلق من ذلك قلقا شديداً وقال[١] : كان يجب يابنى ألّا تفعل ما فعلته وتقبل ما أمرت به كلّه ، وأنت حدَثٌ لم تجرب الأمور ، ومغرور لم تتدرّب ، وقد أفسدتَ أمرَ علىّ بن عيسى علينا . ووالله لا سُلِّم بعد هذا إلينا .

ووجّه من وقته إلى هشام بن عبد الله فاستحضره ، وأعلمه ما كان من المحسن وجنايتــه فى أمرِ علىٍّ بن عيسى ، وقال له : ستعظِم زيدانُ على الخليفةِ والسيدةِ ما جرى ، وتجعلُ ذلك طريقاً إلى نزع جُبَّته وفكِّ قيده ، وألّا يُسَلَّم إلينا ، فما الرأى عندك ؟ قال : أن تــكتبَ[٢] الساعة إلى الخليفة رقعــة بخطِّك لا بخطِّ كاتبٍ من كتّابك ، وتَذْكُرَ له ما انصرف به إليك أبو أحمد من خبرِ علىٍّ بن عيسى ، وأن ذلك أقلقك وأزعجك ، وشَقَّ عليك وبَلغ منك ، حتى دعاك إلى ترك الأكل ، وتنْسُب المحسن إلى الحداثة وركوب الخطأ فيما فعَله ، وتُقرِّظ علىَّ بن عيسى ، وتستعطف رأيَه له ، وتَذْكُره ما سلف من حقوقه وحُرُماتِهِ ، وتسأله الصفح عنه ، والتجاوز عما أنــكره منه ، وترْغَب إليه فى فكِّ قيدِه ونزْعِ الجُبَّة عنه . لتُوهمه بذلك إنــكارك للقصة ، ويشيع أن تَنْحيةَ قيده وجبَّتِه بشفاعتك ، وتَمُنّ عَلَى علىٍّ بن عيسى بما صدَر عنك . فأمّا متى لم تَفْعل هــذا فُعِل بغير مرادنا ، وخَسِرْنا الحمدَ والمِنَّة ، وحصلنا على القباحة والشناعة .

فقال ابن الفرات : صدقت وأصبتَ الرأى . وكتب الرقعة وأنفذها مع صافى الخادم ، وكان يحمل رِقَاعه إلى المقتدر بالله ، فأخذها مفلح منه ، وأوصلها ، وعاد الجواب

---

(١) انظر تجارب الأمم ٥/١١٠ (٢) انظر تجارب الأمم ٥/١١١ .

من وقته بخط نعمةَ الـكاتبة ، يتضمن شُـكْر المحسن على ما كان منه ، وذمّ[1] علىٍّ ابن عيسى ، واستصغارَ ما جرى عليه ، وأن المحسنَ لو لم يمتثل ما أُمِر به فيه لأفسد حاله عنده ، وأنه مع ذلك قد شفَّع أبا الحسن بن الفرات فى علىّ بن عيسى ،ووهبه له وأمر بنزع الجبة والقيد عنه .

ومضت عشرةُ أيام ، وأُنفذ علىٌّ بن عيسى إلى ابن الفرات ، وقيل له : قد حُمِل إليك لتطالبه بالمال المقرَّرِ عليه.وكان الباطِنُ أن زيدان قالت لابن الفرات: لولا ما استعمله المحسنُ ابنك بعلىٍّ بن عيسى لَسُلِّمَ إليك إقامةً لجاهك لئلا يَظْهَرَ مِن منعك عنه ما تَضْعُفُ به يدك . وأشارت عليــه بنقله إلى دار شفيع اللؤلؤى من وقته ، وأن يُظْهر اختيارَ علىٍّ بن عيسى لذلك وسؤالَهُ إياه . ووعدها ابنُ الفرات بالعمل على رأيها . وأُحضر علىٌّ بن عيسى دارَ ابن الفرات وهو فى دار حُرمه ، فجلس فى رواق بقرب من مجلس ابن الفرات ، ومعه فائقٌ وَجْهُ القَصْعَةِ وفلفل ، وكانا يشهدان عند القضاة . ولما رأى كُتَّابُ ابن الفرات علىَّ بن عيسى قاموا إليه ، وسلموا عليه ، وأُذِّن بصلاة العصر ، فقام علىٌّ بن عيسى وصلَّى بقوم اجتمعوا خلفه ، ودخل هشام إلى ابن الفرات وقال له : أُهَنِّىء الوزير أيده الله . فقال : بأى شىء ؟ قال : تقلَّد علىٌّ بن عيسى الصلاة فى دارك ، وَنَمس[2] على الخدم والعامة بذلك . فقال ابن الفرات : ما أراد إلَّا التفاؤُلَ بأن يقيم حَقًّا فى هذه الدار ويأمر وينهى .

ثم خرج ابنُ الفرات من دار حرمه إلى مجلسه ، وقام إليــه فائق وفلفل وأوصلا رقعــة المقتدر بالله إليــه بإنفاذه علىَّ بن عيسى ليؤدِّىَ ما قُرِّر عليه وكان فيها : إن عليًّا وإن كان قد أخطأ وأذنب فله خدمة وحرمة ، وأريد أن تُرَاعِيَه

---

(١) تجارب الأمم ٥/١١١ .
(٢) نمس تنميساً : لبس عليهم الأمر لبسا .

فى مطعمه ومشربه ، وتتفقَّده أجملَ تَفَقُّد وأحوطَه ، فقد ضَمِن الإسراع إلى أداء المال .

فلما قرأ ابنُ الفرات الرقعة استدعى عليَّ بن عيسى ، وقرَّبه حتى صارَتْ ركبتُه مع مَرْفَع الدواة ، واجتمع الناس ينظرون ، ووافى المحسن ، فقام عليُّ بن عيسى ، وقد كان الأمراء والقواد وسائرُ الطبقات يقومون للمحسن فى مجلس أبيه ، فلم يُنكِر ابنُ الفرات قيامَ عليٍّ بن عيسى لابنه . وأعاد ابنُ الفرات قراءة الرقعة الواردةِ ، ودفعها إلى المحسن حتى وقَف عليها وردَّها بعد ذلك إلى أبيه . فأقبل ابنُ الفرات على الخادمين وقال : ما أقبح ماوُصِّيتُ به من تَفَقُّد أبى الحسن فى مطعمه ومشربه ، فإن كان ذلك لتقصيرٍ يُظَنُّ بى فيا هذه سبيلهُ فما أبعدنى عن مثله ، وإن كان لكناية عن أمرٍ آخرَ فأرجو ألَّا أكونَ فى منزلة من يستجيزه أو يُطْلِقه . وقد سُلِّم حامدٌ إلىَّ مع تناهيه فى العداوة لى واستعمال القبيح معى فعاملته بالجميل الذى عُرِف ، ومعلومٌ فَرْقُ ما بينه و بين أبى الحسن عندى .

وقد كان ابنُ الفرات قطع لحامد لما سُلِّم إليه ثياباً بعشرة آلاف درهم ، وأصلح له فُرُشاً وثيرة ، وأجلسه فى دار كبيرة ، وأخدمه عدَّة غلمان وخدم ، وكان يُبخِّره فى كل يوم دفعات ، ويُقدِّم إليه أحسنَ وأوسع طعام ، فاستخرج بذلك منه ألفَ ألفٍ وثلاثمائة ألف دينار لا يَعْلَمُ بها أحدٌ غير حامد ، كان منها أربعمائة ألفٍ وكسرٌ من آبارٍ بواسط ومائةُ ألفِ دينارٍ وكسرٌ من ودائع . وإنما جرى عليه المكروهُ من المحسن بغير إيثار ابن الفرات ، ولأن المقتدر بالله أقام على أنه لا بُدَّ من تسليمه إلى المحسن ، فإنه ضمنه منه بعد ما أخذه أبوه منه بخمسمائة ألفِ دينار . وخرج من المكروه إلى حَدٍّ عَلِمَ به أن الغرضَ نفسُه لا مالُه فأقام على التَّبَلُّج [1] ولم يؤد على يَدِ المحسن درهما واحدا . وجرى عليه بواسط ما أدى إلى هلاكه ، وقيل:

(١) التبلج : الإعياء والعجز وإظهار أنه لاشىء عنده .

إنه طلب في الطريق ما يأكله فأتوه ببيض مسموم فأكله [١] ، ولم يَزَل يقوم [٢] حتى مات في دار البزوفري .

وكان قول ابن الفرات ماقاله قبلَ تسليم حامدٍ إلى المحسن .

ونرجع إلى استتمام حديث على بن عيسى . وقال له ابن الفرات : والله لقد استأذنني حامد في الفصد عندي لوجع لحقه في ضرسه فخفت أن يجتمع عليه الفصد وعلوُّ السِّنِّ فيضعف و يتلف ، فلم آذن له ومنعته . مالنا ولهذا [٣] إذا كنا نخاف على النفوس ؟ فوالله لا أقام هـذا الرجل في داري . وَقِّعْ ياأبا عبد الله — وأومأ إلى زنجي — إلى شفيع الكبير — يعني اللؤلؤي — بالحضور ، فَوَقَّعَ إليه . وقد كان شفيع عرف الخبر من دار السلطان فلما جاءه التوقيع أنفذ قيصرا خادمه فأجاب بالاعتذار وقال : قد أنفذْتُ ثقتي وهو يقوم مقامي ، فما يراد مني ؟ فرد إليه الوزير : بأن لا بُدَّ من حضورك . وحضر ، فسلَّم إليه عليَّ بن عيسى ، ووصَّاه بحفظه ليُؤدِّيَ المالَ المقرَّر عليه عنده .

وقبـل ذلك أعطى [٤] عليُّ بن عيسى ابنَ الفرات تَذْكِرَةً له كان أولها : الكتاب إلى العمال بالإفراج عن وقوفي .

فلما قرأ ذلك دعا بساكنٍ صاحبِ دواته وقال : هاتِ الكتبَ التي كُتِبَتْ أمسِ من ديوان المقبوضات وأمرْتُك بحفظها . فأحضرها ، و إذا هي بالإفراج لعليِّ ابن عيسى عن وُقوفه وقال [٥] : قد فعلتُ ذلك قبل أن تسأله ، وعملتُ فيه ضدَّ

---

(١) انظر المنتظم ٦ / ١٨٤ وتجارب الأمم ٥/ ١٠٤ وابن الأثير حوادث سنة ٣١١ .
(٢) أي فلم يزل يتوجع وهو من قولهم مثلا قام به ظهره أي أوجعه ويراد بقوله يقوم . إفراط الإسهال ، وفي ابن الأثير : فأصابه إسهال فلما وصل إلى واسط أفرط القيام به .
(٣) في الأصل : ولما لنا هذا .
(٤) في الأصل : وقبل ذلك ما أعطى .
(٥) انظر تجارب الأمم ٥/ ١١١ .

ما عاملتنى به ، لأن أميرَ المؤمنين ـ أيده الله ـ أمركَ فى نكبتى بالإفراج عن بعض وقوفى فرجعتَ ودافعتَ ، حتى إذا مالم تجد مَدْفَعًا استخرجْتَ مافيها وردَدْتها فارغة وأنا قد أطلقتُها لك بغلاَّتها وأموالها ، وما استحللت إطلاق أيدى العمال فى وقوف . فشكره علىُّ بن عيسى وقال : أيها الوزير فَنِيَ الحديثُ إلا هذا . ودخل المحسنُ فى القول فى الزيادة من [1] توبيخ على بن عيسى فى فعله، فقال له قولا لاطفه فيه وفى عرضه : أنا والله أستحليك[2] فغلظت هذه اللفظةُ على المحسن وغاظته . فأجابه المحسن جوابا حَشَمه [3] فسكَّته أبوه . ثم أقبل عَلَى عَلِيّ بن عيسى فقال له : أبو أحمد [4] كاتبُ أميرِ المؤمنين وصنيعتُه ـ وَوَصَفَ موضعه منه ، وتفويضَه إليه ـ فاعتذر علىُّ ابن عيسى من كلمته أشد اعتذار ، ورجع أبو الحسن إلى قراءة التذكرة .

وكان الباب الثانى منها : الإفراج عن دُورى وعقارى ببغداد . فقال له ابن الفرات أما دورك وولدك فما عُرِض لهم . وأما عقارك فأنا أُطْلِقُه . ووقَّع بذلك .

وكان الباب الثالث : كُتُب أمان لأولادى وأسبابى . فقال له ابن الفرات : أما أولادك فلا عُلْقَة [5] عليهم ، لأنك ما صَرَّفْتَهم فى أيامك ولا قلدتهم شيئاً من أعمالك ، ولكنى أستظهر لك ولهم بالأمان، وأما أسبابك فَسَمِّ مَنْ تريد ممن لاتَبِعةَ عليه . فَأَسْمَى جماعةً . وكتب الأمانَ لهم ولأولاده .

---

(١) فى تجارب الأمم ٥/١١١ وكان المحسن حاضرا فأطنب فى توبيخه وتقريعه على هذا الباب فأجابه بمثل ما أجاب به والده وزيادة وقال فى عرض كلامه : أنا أستجليك .

(٢) أستحليك : أجدك حلوا .

(٣) حشمه : آذاه وأغضبه بتسميه ما يكره . وحشمه أيضاً : أخجله .

(٤) يعنى بذلك المحسن ابنه . ويعنى : أتقول هذا الكلام فى المحسن وهو كاتب أمير المؤمنين وصنيعته ؟ ثم أخذ يصف موضع المحسن من الخليفة ومنزلته . هذا وفى تجارب الأمم : فقامت على المحسن القيامة من هذه الكلمة وغلظت على أبيه أيضاً فأجابه المحسن بجواب فيه غلظة ... أبو أحمد... وأخذ يصف محله . . .

(٥) العلقة : التعلق ، ويقال : لم يبق عنده علقة أى شىء.

وكان الباب الرابع : إطلاق غلّة إنْ كانتْ بقيتْ فى ضياعى . قال ابن الفرات : هذا لا يجوز لأننى لا أطلق الضياع ولا الغلة إلّا بعد أن تؤدِّىَ مالَ التعجيل ، ولكنى أكتب إلى العمال بأن يُحَصِّلوا مَوجودَ الارتفاع لِيُحْسَبَ ذلك من مال التعجيل ، فهو أعود .

وكان الباب الخامس : إطلاق ضياعى بديار ربيعة والموصل والشام . فقال ابن الفرات : أما ما كان بديار ربيعة والموصل فأنا أطلقه بعد أن تؤدِّىَ ثلاثين ألف دينار، وأما ما بالشام فهو مُخْتَلِطٌ ولا أعرف ارتفاعه ، ولكن عَرِّفْنى مبلغه لأقفه عنك ، فإننى أثق فيه بقولك . فقال : هو فى هذه السنة ناقص العمارة ومقداره مائة ألف درهم، فقال : أنا أقف هذا القدر عنك .

والباب السادس : إطلاق ضيعتى بالسود إذا أدَّيتُ ثلاثين ألف دينار . فامتنع أبو الحسن من ذلك ، وَوَقَّع فى الأبواب الأُول بما ذكرناه .

وعرض فائق وفلفل عليه رِقاعا فى حوائجَ لهما ، فشُغل بهما وبمن جرى مجراهما من أرباب المطالب . وأقبل المحسن عَلَى عَلِىِّ بن عيسى وقال له : ألستَ زعمتَ أن حامد بن العباس أسقط عن المادرائيين ألْفَىْ ألفٍ ومائتى ألفِ دينار مصابرة ، وكَتَبَ لهم مؤامرةً بذلك إلى الخليفة ، وأخَذ توقيع الخلافة فيها ؟ وأنت وإن كنت إذ ذاك من قِبَلِه فقد جَحَد حامدٌ هذا القولَ منك . فقال له علىٌّ بن عيسى : يجحد وهو الناظر الآمر ! فقال له : فألّا عارضْتَه ومنعته ؟ لأن الخليفة أقامك للاستظهار عليه . فقال : ما كنت فى الوقت إلّا مِن قِبله ، فلما ضمن اعتمد الخليفةُ علىّ فى استيفاء ما استوفيتُه ، ومع هذا فصِناعتك تَرْتفع عن أن تُلْزِمنى فى مثل ذلك دَرَكاً لو كنتُ فعلتُه متعمِّداً ، فإن المالَ يَلْزَم مَنْ هو عليه .

وعلا صوتاهما بالقول ، فأقبل ابن الفرات عليهما وقال : فى أى شىء أنتما ؟ فعرفه المحسن الصورة . فقال ابن الفرات : المادرأئى وابن أخيه واردان ، و إذا وَرَدا كان الخطابُ معهما والمناظرةُ لهما ، وقد أسقطتَ المصادرة عن أبى الحسن كُلَّ تبعة ، وكفاكَ ماعاملتَه به فأَمْسِكْ عنه . فقال المحسن : هو شيخى ، وقد علم اللهُ أننى ما آثرْتُ ماجَرى . فقال له على بن عيسى : كذلك الظَّنُّ بك ياسيدى .

ثم رجع ابنُ الفرات إلى قراءة مابقى من التذكرة التى لعلىّ بن عيسى ، فإذا فيها : يُؤْذن للكتاب وأصحاب الدواوين الولاة والعطلين والقواد وكتابهم فى الاجتماع معى ولا يمْنع واحد منهم عنى . فقال ابنُ الفرات : أما أصحاب الدواوين الولاة فلا يجسرون على لقائك فزعاً منى إلّا رجلا واحداً هوجار الموضع الذى أنت فيه ـ يعنى ابنَ الصريفينىِّ صاحبَ الجيش لأن داره كانت مجاورة لدار شفيع اللؤلؤى التى فى مشرعة القصب على دجلة ، وانتقلت من بعدُ إلى أبى بكر محمد بن بدر الحمامى ـ وسيصير إليك سرًّا . وأما القواد فعليك فى مجيئهم إليك شناعة . فقال : إنما أريدهم لابتياع ضياعى ، ومنهم داود بن حمدان ، وهو يرغب فيما بديار ربيعة منها ، ولاشناعة فى مثل ذلك . فقال : بلى . وربما صار منه حديث ، وكُتَّابهم يجيئونك ، وفيهم كفاية . وَوَقَّع بهذا .

وتبع هذا البابَ من التذكرة : كتابٌ يكون فى يدى بما تقررت عليه مصادرتى ، وأنه مُزيلٌ لكلِّ تبعة وتأوّل عنى وعن كُتَّابى وأسبابى . فضحك ابنُ الفرات وقال : ما أطرف هذا بين أن تَضِجّ وتتظلم وتقولَ : إنه لايجب عَلَى مِثلك مصادرة ، ثم تحتاطَ لنفسك فى التَّبعة بأن تتنجَّز بها كِتَابا . فقال : إى لعمرى ماهى واجبة علىّ ، ولا ارتزقتُ فى مدَّة خمس سنين إلّا مثلَ مالِ التعجيل وهو مائةُ ألفٍ ، ولكن إذا وقعتِ المصادرةُ فلى ولأسبابى فى هذا الكتاب حُجَّةٌ فى نفوسنا وأملاكنا .

فأقبل ابنُ الفرات على المحسن ابنه وقال له : أنت تتولى لأمير المؤمنين ديوان المصادَرِين ، فاكتب له بما يريد . فقال أُوَقِّعُ بأن يُكْتَبَ له ذلك . قال : لا ، بل تكتبه بخطك . قال : فكيف أدعو له ؟ قال : بالدعاء التام . فكتب له المحسن بخطه عن نفسه كتابا بالمصادرة ، ودعا له فى صدره ، ثلاثة أسطر ، وترجمه بالدعاء التامّ ، وكتب : من المحسن بن أبى الحسن . كما يكتب إلى الناس كُلِّهم ، ودفع الكتاب إلى أبى غانم سعيد بن محمد المعروف بابن الشاشى خليفتِهِ على ديوان المصادرين .

وبينما ابن الفرات يحادث علىّ بن عيسى خرج أبو على الحسنُ بن أبى الحسن ابن الفرات ، من دولة[1] ، وسنه إذ ذاك بضعَ عشرة سنين. فقام إليه علىُّ بن عيسى ، فأكبر ذاك أبو الحسن بن الفرات وقال : يا أبا الحسن ـ أعزك الله ـ هذا وَلدُك . فقال علىُّ بن عيسى : قد خدمتُ السيِّدَ الماضىَ أبا العباس[2] ـ رحمه الله ـ وخدمت الوزيرَ أيده الله ، وأرجو أن أعيش حتى أخدم هـذا السيد أعزه الله . فشكره ابن الفرات على قوله ، وأخذ قرطاساً ووقَّع فيه إلى هارون بن عمران بأن يحتسب عليـه من مال ضيعته بألفى دينار يحملها إلى أبى الحسن علىّ بن عيسى ـ من غير دعاء ـ[3] معونة له على مصادرته. فقال علىُّ بن عيسى : ما أحب التثقيل على الوزير ـ أيده الله ـ ولـكن لا أَرُدُّ تفضله مع الحاجة إليه . وأخذ المحسن الدواة وكتب له بألف دينار . وتقـدّم ابن الفرات إلى هارون بن عمران بأن يكتب له قبضاً بهذه الثلاثة الآلاف الدينار من مال مصادرته ، ونهض علىُّ بن عيسى بعـد أن قبَّل يدَ

---

(١) دولة : هى أمه والخبر فى تجارب الأمم ٥/١١٢ .

(٢) يعنى بذلك أحمد بن محمد بن الفرات أخا أبى الحسن على بن محمد بن الفرات .

(٣) يعنى أنه لم يكتب دعاء بجوار اسم على بن عيسى كأن يقول : أعزه الله ، مثلا .

أبى الحسن بن الفرات ، وضمّه ابن الفرات إليه ، وأكبّ علىٌّ بن عيسى على رأس المحسن فتطاول له تطاولًا كالقيام ، وقام معه كلٌّ من كان بحضرة ابن الفرات إلا وجوهَ أصحاب الدواوين ، ومشى بين يديه الحُجّاب والحواشي ، ومضى إلى دار شفيع .
ولم يَبْعُد أن قام ابن الفرات لصلاة المغرب ، فلما صلَّى دعا بهشام وابن جبير وابن فرجويه وقال : رأيتم مثل رُجْلة [(١)] على بن عيسى وتطأمنه [(٢)] للنكبة واستعانته عليها بالاستعطاف والتذلل ؛ وهذه طريقة لا أحسنها ، لأن كبدى فى المحن كأكباد الإبل ، لا جَرَمَ أنها تزداد وتتضاعف .

ثم دعا بالعباس الفرغانى حاجبه وقال له : حَدِّثهم . فقال : نعم ، لمَّا نزل علىٌّ ابن عيسى إلى طيَّار شفيع اللؤلؤى أجلسه فى صدره وجلس بين يديه . فقال ابن الفرات : هـذا غيرُ منكر لأنَّا ما عاملناه بقبيح فيتصنَّعَ لنا شفيع بإذلاله ، وهو مع ذلك شيخ قد رأسَ عليهم ، وكان مُعظَّماً فى أيام عبيد الله بن سليمان وله أُبُوَّتُهُ وصناعته .

وأقام علىٌّ بنُ عيسى فى دار شفيع إلى أن أدَّى ثلاثمائة ألف دينار المصادرة ، وأُطْلقت ضياعُه . ثم أُبعد إلى مكة ، وأطلق له ابن الفرات عشرة آلاف درهم [(٣)] نفقة سلَّمها إليه ، وأعطى فى أجر الجمّالين ونفقاتِ المُوَكَّلين ثمانيةَ آلاف درهم . فلما حصلَ بمكة أُعيد قبض الضياع وأمر بإخراجه إلى صنعاء . وإنَّما تمَّ ذلك عليه بعد خروج مؤنس إلى الرقة كالمبعد .

وذُكِر أن على [(٤)] بن عيسى لم يقبل لأحد من الكتاب فى نكبته هذه معونة

---

(١) الرجلة : من معانيها الرجولية .
(٢) تطأمنه : انخفاضه وانحناؤه .
(٣) فى تجارب الأمم ٥/١١٣ سبعة آلاف درهم.
(٤) تجارب الأمم ٥/١١٢ .

مع بذلهم ذلك له ، إلا ابن فرجويه فإنه حمل إليه ألف دينار . وحمل إليه الفضل والحسن [١] ابنا ابن القرات ألف دينار . وكان أبو الهيجاء بن حمدان أنفذ إليه عشرة آلاف دينار فردها وقال له : لو كنتَ متقلداً فارس لقبلتها ، وأعلم أنها تُجْحِف بما لك ، وما أُحِبُّ ثَلْمَكَ [٢] . فحلف أبو الهيجاء أنها لا ترجع إلى مِلْكه ففَرَّقَتْ على الطالبيِّين والضُّعفاء . وحمل إليه هارون بن غريب جُمْلةً قَبِلَها . و بذل له شفيعٌ ألفي دينار فامتنع منها وقال له : لا أجمع عليك مؤونتي ومعونتي .

ولأبي الميمون سالم بن عبد الله في عليِّ بن عيسى لما أُخرج إلى مكة :

سُيِّرَت الشمسُ بالنَّحْسِ فأطلعتْ سعداً على الأنس
فأبعد الله الذى سـيِّرَت فى الأرض أقصى مطلع الشمْسِ
مضى ذميماً خاسئاً خاسراً مصاحباً بالتعس والنُّكس
لَّمـا غـدا أهـلوه فى مأتم أصبحَتِ الأُمَّة فى عُرسِ
فلا كَلَاه الله من ذاهب ولا رعاه الله من جِبْسِ [٣]
أطلع فى أيامه كلهـــا على البرايا كوكب النحس
وضَيَّقَ الدنيـــا على أهلها كأنهـا العـالم فى حَبْسِ
يُضَيِّع الأموال من عُجْبِـــه وينْظُر السَّاقط من فَلْس [٤]
أهلـكه اللهُ ولا رَدَّه فَهُلْـكُه أطْيَبُ للنفْسِ
ما يُؤْمَنُ الشَّرُّ ولا يَنْقَضِى حَتَّى يُوَارَى النَّذْلُ فى رَمْسِ

* * *

---

(١) فى تجارب الأمم : الفضل والحسين فإنه قبل من كل واحد منهما خمسمائة دينار .
(٢) ثلمك : إحداث خلل بك .
(٣) لا كلاه : لا حفظه . والجبس : الجبان واللئيم .
(٤) الفلس : قطعة من النقود نحاسية صغيرة القيمة .

وزارة أبى الحسن على
ابن عيسى الثانية [1]

لما قبض على أبى الحسن علىّ بن عيسى بعد نظره مع حامد بن العباس جرى أمره مع أبى الحسن بن الفرات وابنه المحسن على ما ذكرناه . ثم أخرجاه إلى مكة ، ومنها إلى اليمن ، فكان هناك إلى أن قُبِض عليهما . ووزر أبو القاسم الخاقانى ، فسأل مؤنسٌ الخاقانىَّ أن يأذن لعلىّ بن عيسى فى الرجوع إلى مكة ، ففعل ، ثم سأل مؤنسٌ المقتدرَ بالله من بعدُ تقليدَه الإشراف على مصر والشام ، فأمر الخاقانىَّ بذلك ، وكتب إلى على بن عيسى به ، وأجرى له ألفى دينار فى كل شهر . وكان عاملَ مصر يومئذ أبو أحمد الحسنُ بنُ محمد الكرخى وعاملَ الشام محمدُ بنُ الحسن ابن عبد الوهاب . وتقلد أبو العباس الخصيبى الوزارة [2] فأقره على ذلك . وفسد أمر الخصيبى ، فأشار مؤنسٌ على المقتدر بالله باستقدام على بن عيسى وردِّ الأمور إليه والتعويل فيها عليه . ونُدِب سلامةُ الطولونىُّ للنفوذ إلى دمشق فى طريق البرِّيَّة وإحضار على بن عيسى منها ، ونفذ فى يوم السبت ثالث‌عشرذى القعدة ، واستقر [3] الأمر فى مراعاة الأعمال إلى حين وصوله على أن استدعى المقتدرُ بالله عبيدَ الله بن محمد الكلوذانى فى يوم الخميس الحادى عشر من ذى القعدة ، وعرّفه تقليدَه أبا الحسن على بن عيسى الوزارةَ ، وأمره بالنيابة عنه إلى حين وروده ، فانصرف أبو القاسم إلى دار الوزارة بالمخرّم فى طيَّارِ الخصيبى المقبوض عنه ، وجلس ونظر فى الأعمال ،

---

(١) صلة عريب ٦٦ ـ ٦٧ والمنتظم ٦/٢٠٢ وتجارب الأمم ٥/١٤٩ وابن الأثير حوادث ٣١٤ .

(٢) تولى الخصيبى الوزارة بعد الخاقانى سنة ٣١٣ .

(٣) صلة عريب ٦٦ والمنتظم ٦/٢٠٢ وتجارب الأمم ٥/١٤٩ .

وقرأ الكتب الواردة ، ووقّع فى الكتب الصادرة ، وكتب إلى عمال الخراج والمعاون وعُرّاض الجيوش وأصحاب الأخبار والبُرد والقضاة بما رُدَّ إلى على بن عيسى ورُسم له من خلافته ، وأمر ونهى وعزل وَوَلّى . وظهر فى هذا اليوم أبو علىّ بنُ مقلة وأبو الفتح الفضل بن جعفر ، وجاءا إلى أبى القاسم وسلّما عليه ، وحضر هشام بن عبد الله ونظر فيما كان ينظر فيه للخصيبى . ولم يزل الكلوذانىُّ يدبر الأمور حتى مشّى كثيرا واستخرج صَدْراً كبيرا .

وسار على بن عيسى من دمشق إلى جسر منبج ثم انحدر فى الفرات إلى بغداد ، وخرج[1] الناس لتلقيه فى سلخ المحرم وأول صفر من سنة خمس عشرة وثلاثمائة ، فمنهم من لقيه بالرحبة ثم بِهيت ثم بالأنبار . وورد إلى الحضرة فى يوم الثلاثاء خامس صفر ، و بدأ بالمقتدر بالله ، فوصل إليه بعد العشاء[2] الآخرة ، ومعه مؤنس المُظَفَّر ، فخاطبه خطاباً جميلًا وانصرف إلى منزله ، فحمل إليه المقتدر بالله من الثياب الفاخرة والفرش الجليل والمال ماقيل : إن ثمنه وقدْرَه نحوُ عشرين ألف دينار ، وأمره بالاستعانة بذلك على إصلاح أمره و إقامة تجمُّلِه ، وخلع عليه خِلع الوزارة فى يوم الخميس لسبع ليال خلون من صفر ، وسار معه مؤنس المظفر إلى أن بلغ إلى داره بسوق الثلاثاء ، ثم حلف عليه علىٌّ بن عيسى فتأخَّر عنه ، وسار بين يديه هارون بن غريب وشفيعٌ ومفلحٌ ونسيمٌ وياقوت ونازوكُ وجميعُ القواد والغلمان إلى داره بباب البستان. وقَدِم بقدُوم علىٍّ بن عيسى أخوه عبد الرحمن ـ وقد كان خرج إليه عند تقلُّدِ الخصيبىِّ الوزارة من غير أن يلقاه ، وسليمانُ بن الحسن . ـ وقد ذكرنا حاله فيما تقلّد من أعمال الشام فى وزارة الخصيبى ـ وعبيد الله بنُ عبد الله بن الحارث ، وأبو زنبور الحسين بن أحمد المادرائى . و بلغ هشامَ بن عبد الله أنه قد ذُكر عند أبى الحسن علىٍّ بن عيسى

---

(١) المنتظم ٦/٢٠٥

(٢) فى الأصل عشاء .

بما أفسد رأيه فيه ، وذُكر بما كان كاشفه فيه فى أيام ابن الفرات الأخيرة ، وماعامل به إبراهيمَ وعبد الله أخويه من القبيح قولًا وفعلًا ، فاستوحش وأشفق واقتصر على أن وقَفَ لعليٍّ بن عيسى فى الطريق ، وترجَّلَ له ، وعاد إلى منزله ولم يَجْسُر على حضور داره . وكان يتقلَّد مع ديوان المصادرين كتابةَ أحمد بنِ بدرِ العَمِّ ، فلما تأخر عن عليٍّ بن عيسى وقَّع إليه : لم أرك — مدَّ اللهُ فى عمرك — أحضرتنى عَمَلًا للمصادرات التى تتقلَّدُ ديوانها ، ولا أنفذتَ إلىّ كتاباً بالمطالبة بشىء من مالِهاَ ، ولا أخرجت إلىّ ماتَعْلَمَ شدَّةَ الحاجة إليه من أحوال ضمانات الضمناء التى ضمنوها ، و بلغنى أنك متشاغلٌ عن هـذه الأعمال بغيرها ، فينبغى — أكرمك الله — أن تُخْرِجَ إلىَّ سائر ما قِبَلَك ، وتَجْرِىَ على عادتك فى خِدمتى وملازمةِ حضرتى إن شاء الله .

فأجابه هشام : بأنه حضر الدار للخدمة فوجد الوزير قدقام من مجلسه ، وعزم على الرَّواح وملازمة الخدمة التى يتشرف بها وأنه إنما أخَّر إخراج ما على المصادرات لعِلمه بمذهب الوزير فى البحوث عن الظلم .

وعَمِلَ على المشافهة بما عنده ليُخْرِج من المصادرات ماهو واجبٌ مما لم يَجْرِ فيه تحريف ولا حيف . فوقع إليه : أَخْرِجْ ما عندك كائناً ما كان ، وبَيِّن وجُوهَه وأسبابَه لأَتَقَدَّم فيه بمـا يوفق الله إن شاء الله .

وحضر هشام مجلسه ، فقال له : ليس من مذهبى أن أذكر إساءة أحد ، ولـمَّا خلَّصنى اللهُ تعالى من صنعاء وَعُدْتُ إلى مكة عاهدْتُه سبحانه على تَرْكِ مقابلةِ كلِّ مَنْ سعى علىَّ فى ولايتى ونَكبتى ، وَوَكَلْتُ جميعَهم إلى الله . ولك خدمةٌ قديمةٌ تُوجِبُ لك حقًّا ، وعليك أضعافه ، فإذا لم تَرْعَ مايَلْزَمُكَ لم أَدَعْ رِعَايةَ مايلزمنى . ثم قال له : أموال الصدقات بفارس وكرمان معقودة على أبى عيسى أحمد بن بدر العم ،

وقد حلَّ منها ثلاثمائة ألف درهم ، والضرورة قائدة إلى مطالبته بأداء ذلك فى بيت مال العامَّة لِأُسَبِّبَ له عِوَضَه على المسمعيِّ من مال ضَمَانَة الضِّياع [(1)] والخراجِ بفارس ، وأريد أن تكتب لى خطَّك بعشرة آلاف دينار من ذلك . فكتب له بمائة ألف درهم ، ووقع لأهل الصدقات بالعوض منها على المسمعيِّ ، ثم ذكر له هشام أن عَلَى إسحاقَ بن إسماعيلَ من مال ضمانة النهروانات ، وعَلَى نصير بن علىٍّ من مال ضمانةِ طريق خراسان ومَوَاتِ جلولا ، وعَلَى محمد بن الحسن الكرخيِّ الملقَّبِ بالجَرْوِ من مال ضمانة نهر بوق والزاب الأسفل ، وعَلَى ابن عرفة خليفةِ محمد بن القاسم الكرخيِّ من مال الأعمال التى يتولاها صاحِبهُ ، وعَلَى محمدٍ وجعفرٍ ابْنَىْ جَعْفرٍ الكرخيِّ من مال مصادرتهما ، وعَلَى محمد بن الحسن كاتبِ المسمعى من مال ضمانة أعمال فارس وكرمان ، وعَلَى خليفتِه ابن رستم من مال أصبهان ، أموالًا كثيرة ، وأنهم لم يؤدُّوا منذ وقع اسمُه على الوزارة إلَّا شيئًا يسيرًا . وأنه قد أحضر خُطوطَهم بأعيانها، وعملًا بأصول ما عليهم وما أدَّوه ، و بقى خطوط المصادَرين بما تقرَّرَتْ عليه أمورُهم ، وعَمَلًا مُفَصَّلًا بما بقى منها على كل واحدٍ منهم . وقال : سبيل ذلك كُلِّه أن يُسْتَوْفَى . فأمره علىُّ بن عيسى بتسليم الخطوط إلى صاحب دواته بثبْت ، وتَسَلَّمَ هو العَمَلَيْنِ بيده ، وقرأهما ، وتقدم إلى أبى القاسم الكلوذانىِّ بالاجتماع مع هشام على المطالبة بالمال والجِدِّ فى ذلك حتى يَصِحّ فى ثلاثة أيام .

وأخرج علىُّ بن عيسى جميعَ الأعمال إلى أبى القاسم الكلوذانى ، ولزم أصحاب الدواوين مجلسَه فى دار علىِّ بن عيسى حتى ظنَّ أنه خليفتُه على الدواوين كلِّها . فلما أخرجَ الكلوذانىُّ كلَّ ما عنده إلى علىِّ بن عيسى وتشاغل بما أمره به من مطالبة الضمناء والمصادَرِين قال له علىُّ بن عيسى : إليك أَجَلَّ الدواوين ، و إن ارتسمتَ

(١) فى الأصل : ضمانة والضياع .

بخلافتى اختلَّ ما إليك منها ، وليس يقوم أحدٌ مقامك فى ذلك ، فينبغى أن تَتَوَفَّر على ذلك فَسُرَّ الكلوذانىُّ بهذا القول لأنه خاف أن يَرُدَّ ديوانَ السَّوَاد إلى عبد الرحمن أخيه على ما كان فعلَه فى وزارة حامد ، ويحْصُلَ هو على خلافةٍ لا يُوَفِّيه علىُّ بنُ عيسى حُكمَها ، لأن من مذهبه أن يَنْظُر فى الأعمال بنفسه ليلا ونهاراً . وعَوَّل على عبد الرحمن أخيه وسليمان بن الحسن فى عمل من الأعمال للضمناء والعُمَّال مما يُخْرِجه إليهما أصحابُ الدواوين ، وفى مُكاتَبة عُمَّال الخراج والضياع والمعاون فى نواحى المغرب عنه ، والنظر فى سائر أعمال المغرب كما ينظر صاحبُ الديوان ، فتحقَّقَا به ولازما مجلِسَه ، وتجدَّد إشفاقُ هشام واستيحاشُه ، وذاك أنه بلغه حضور أولاد إبراهيم بن عيسى عند عَمِّهم علىٍّ بن عيسى فلما رآهم دمعتْ عينه وقال : ترك أبوهم العمل معى فى وزارة حامد طلباً للسلامة فلم ينفعه ذاك وأفقره ابنُ الفرات ثم سلَّمه إلى من قتله . فقال له من كان بحضرته : الذى جرى عليه من هشام ــ مَكْرُوهاً وشتْماً له ولآل الجَرَّاح كُلِّهم ــ أعْظَمُ من القتل .

وخفف هشام الحضور فى دار على بن عيسى ، وكان يُنْفذ إليه الأعمال من غير أن يلقاه . وزاد ما يتأدَّى إليه من ذِكر أصحابِ علىٍّ بن عيسى له وتَضْرِيَتِهِمْ [١] إياه عليه ، فاستتر وستر حُرَمه ، ولم يَعْرِض له علىُّ بن عيسى ، ووقع إليه بعد أيام من استتاره توقيعاً جميلا فأجاب عنه بأنه قد كان واثقاً بتفضل الوزير عليه وصفحِه عنه .

وعَمِل على ملازمة الخدمة إلى أن أكثر أعداؤه من الإغراء به والوقيعةِ فيه ، فأقام فى منزله واثقاً بِنِيَّتِه وَمُعَوِّلًا على عَفْوه ورأفته . فوقع إليه : ماصرفتك أكرمك [٢]

---

(١) تضريتهم يراد بها هنا تسليطهم من قولهم ضرى الوحش جعله ضاريا .

(٢) فى الأصل ماصدقتك .

الله فإن أحببتَ الحضور والخدمة و إلا فالله لك بالرشد . فلم يسكن وأقام على الاستتار.

ونظر عليٌّ بن عيسى فى الجارى والأرزاق ، فَنَزَّلَ[(١)] أصحاب الدواوين من الثلثين إلى النصف ، وجعل لأبى القاسم الكلوذانى من خمسمائة دينار كان يقبضها فى كلّ شهر عن ديوان السواد خمسةَ آلاف درهم ، وقرّرَ لأبى الفتح الفضل بن جعفر عن ديوان المشرق مائة دينار فى كل شهر ، ولأبى على بن مقلة عن ديوان الخاصة والمستحدثة مائة دينار . وكان حامدٌ أجرى له ثلاثة آلاف درهم فى كلّ شهر برسم مشيخة الكُتَّاب ، وكان يقبضها إلى أن نكبه ابنُ الفرات . وأسقطَ أرزاق كلٍّ من كان يقبض برسم الدواوين من الكتاب وأولاد الكتاب الذين يحضرون ولا يَعْملون ، وغلمانِ وأسبابِ وأصحابِ الدواوين ، واقتصر بالغلمان على جارى عشرة أشهر فى السنة . و بأصحاب البُرد والمنفقين على ثمانية أشهر . وحذف من كان جاريا بالفرسان والرَّجّالة برسم النوبة من الكُتَّاب والتجار ومن لا يحمل السلاح ، وأرزاقَ الأولاد الذين فى المهود ، وجميع أرزاق الخدم والحشم والجلساء والندماء والمُغَنِّين وأصحاب العنايات وأرباب الشفاعات .

ثم إن على[(٢)] بن عيسى رأى من اختلال النواحى فى وزارة أبى القاسم ابن الخاقانى وأبى العباس الخصيبى ونُقصان الارتفاع ، وتضاعف النفقات ، وما زيَّده الرَّجّالة عند ورود القرمطى وهو مائتان وأربعون ألف دينار فى السنة ، ما استعظم الصورة فيه ، وعلم أن الأمور لا تستقيم معه ، وتبيَّن انحرافَ نصرٍ الحاجبِ عنه لميل مؤنسٍ المظفرِ إليه وقيامه بأمره . فاستعفى المقتدرَ بالله من النظر استعفاءً دفعه عنه وقال له : أنت عندى بمنزلة المعتضد بالله ، ولا بد من أن تصبر وتحتمل . فترك مُدَيْدَةً ثم عاوَد وواصل

---

(١) فى الأصل فترك .

(٢) ابن الأثير حوادث : ٣١٦ . وتجارب الأمم ٥/١٨٤ والمنتظم ٦/٢١٦ .

وشاور المقتدرُ بالله مؤنساً فيمن يُقلِّده ، وقال له : قد أُسْمِيَ لى الفضلُ بنُ جعفر فلم أُرِدْه ، وابنُ مقلة فما عندك فيه . قال : هو حدث خَامل ، والوزارة تحتاج إلى شيخ له ذِكر وفيه فَضْل . فقال له : محمدُ بنُ خلف النيرمانىّ وقد بَذَل تحصيلَ ألفِ ألفِ دينار من مال النواحى فى مدة أربعة أشهر . قال : هذا رجل متهوِّر ولا يُحسن أن يَكتب اسمه . وأشار بمداراة علىّ بن عيسى . وخاطب مؤنسٌ علىَّ بن عيسى ، فقال : لو كنتَ مقيماً بالحضرة لعمِلْت وعوَّلت على معاونتك ومعاضدتك ، فأما وأنت خارج إلى الرَّقة فلا يتمُّ لى أمر . و بلغ أبا علىّ بنَ مقلة ذلك ، فجدَّ فى السعى عَلَى علىِّ ابن عيسى . وشاور المقتدرُ بالله نصراً الحاجب فى الثلاثة الذين هم الفضلُ بن جعفر وابنُ مقلة ومحمد بن خلف النيرمانى ، فقال : أما الفضل فما يُدْفَع عن مَحَلٍّ وصناعة ، ولكنك قتلتَ عمَّه بالأمس ، و بنو الفرات كلُّهم يَدِينون بالرَّفْض ، و يميلون إلى القرمطىِّ ، وابنُ مقلة فلا هيبةَ له . وأشار بمحمد بن خلف ، فلم يتقبَّله المقتدرُ بالله ، لأن مؤنساً وهارونَ بن غريب نَفَّراه منه . وعرف ابنُ مقلة طعنَ نصرٍ الحاجب عليه ، فواصل مداراتَه واستصلاحَه ، وواقف أبا عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارىَّ على ملاقاةِ أبى محمد دلويه كاتبِ نصرٍ واستعانَتِه على إصلاح صاحبه . وأشار مؤنسٌ بأبى زنبور المادرانى ، فكرهه نصرٌ وانقاد لأبى على بن مقلة والمشورة به ، وقال : يُقَلَّد فإن استقلَّ بما نُدِب إليه و إلا صُرِف واستُبدل به . فاضطرَّ المقتدرُ إلى أن استوزره . وحصلت له وسيلة أخرى قوَّت أمره ، وذاك أن[1] المقتدر بالله كان شديد التَّطَلُّع إلى معرفة أخبار أبى طاهر القرمطىِّ ، ولم يكن يَقِفُ عليها إلّا من جهة الحسن ابن إسماعيل الإسكافى عاملِ الأنبار وما يكتبه منها إلى علىِّ بن عيسى فى كل أيامه[2] ،

---

(١) تجارب الأمم : ٥/١٨٥ والمنتظم ٦/٢١٦ .

(٢) فى الأصل : فى كل أيام .

فأنفذ أبو عليّ بن مقلة طيوراً إلى الأنبار ، وعوّل على قوم من أهلها فى مكاتبته بأخبار القرمطىّ على الساعات . فكان يرد من ذاك ما يُنْفِذه لوقته إلى نصر الحاجب ، ويَعْرِضه نصرٌ على المقتدر بالله ويجعله طريقاً إلى تقريظه وإطرائه حتى قال له : إذا كانت هذه مراعاته لأمورك يا أمير المؤمنين ولا تَعَلُّقَ له بخدمتك فكيف يكون إذا اصطنعتَه واستكفيته ؟

فلما كان[1] وقت الظهر من يوم الثلاثاء ثالثَ عشرَ ربيع الأول من سنة ستَّ عشرَةَ وثلاثمائة أنفذ المقتدر بالله هارون بن غريب إلى علىّ بن عيسى للقبض عليه ، فصار إلى داره ، ومعه أبو جعفر بن شيرزاد وهو متعطل إذ ذاك ، فلما قرب هارون منها قدَّم أبا جعفر أمامه إليه ، وعرّفه ما أُنفذ فيه حياءً من لقائه به ، وعرّفه أبو جعفر الحال ، فقال : أنا جالس أتوقَّعُه . ولبس عمامة وطيلساناً وخُفًّا ، وأخذ فى كُمِّه مُصحفاً ومِقْراضاً . ووافى هارونُ فدخل إليه ، وسأله صيانةَ حُرَمه وولده ، ففعل ، ومنَع من التعرّض لشىء من الدار . ولم يجد فى مجلسه ولا داره أحداً من كُتَّابه وأسبابه ، وبَصُر بأبى علىّ عبد الرحمن فى بيتٍ من الدار مُطَّلِعاً فى شُبَّاكٍ ، فهجم عليه وأخذه ، وحملهما إلى دار السلطان ، وسلَّم علىَّ بن عيسى إلى زيدان القهرمانة ، واعْتقل عبد الرحمن عند نصر الحاجب ، فكانت مدَّةُ وزارة على بن عيسى هذه سنةً وأربعة أشهر ويومين .

وادَّعى نصر[2] الحاجب ــ بسوء رأيه فى أبى الحسن على بن عيسى ــ أنه وجد رجلًا يُعْرف بالجوهرِىّ ، وأقرّ بأنه رسولٌ للقرمطى وسفيرٌ بينه وبين علىّ بن عيسى ، وحكى عنه أن علىّ بن عيسى كان يُكاتب القرمطىّ على يده ، وجمع بينه وبين

(١) تجارب الأمم ٥/١٨٥ .
(٢) تجارب الأمم ٥/١٨٦ .

علىّ بن عيسى حتى واجهه بذلك . فقال علىُّ بن عيسى : كذب علىٌّ و بَهَتَنى ، وماخلق الله لما قاله أصلًا ولا فرعاً ،وعاوَن أبو علىّ بن مقلة نصراً الحاجب إلى أن كاد المكروه يتمّ عَلَى عَلِىّ بن عيسى ، وهَمَّ المقتدر بالله بأن يضرب به بالسوط على باب العامّة بحضرة الفقهاء والقضاة وأصحاب الدواوين . فتوصَّلت السيدةُ إلى كشف ما ادُّعِىَ عليه ، حتى وقفَتْ على بطلانه ، وقررت ذاك فى نفس المقتدر بالله ، فزال ما كان اعْتقده فيه .

وتقلَّبت بعلىّ بن عيسى من بعدُ أمورٌ قد ذكرناها فيما أوردناه من أخباره المنثورة وأخبار الوزراء .

وَرُدّ إليه [١] فى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ـ فى خلافة المتقى لله وإمارة بَجْكم [٢] ، ونَظَرِ أبى عبد الله الكوفى [٣] ـ النَّظَرُ فى المظالم ، فجلس لذلك ونَظَر فى خصوماتٍ بين عوامٍّ ، ورَدَّ مايتعَلّق بعاملٍ وصاحب ديوانٍ وجندىٍّ إلى أبى عبد الله الكوفى ، و بالحُكْم إلى الحكام .

فلما انهزم [٤] أبو عبد الله البَرِيدى من كورتكين [٥] وتكينك ، وخلَتِ الوزارةُ من نَاظِرٍ فيها ومُرَسَّمٍ بها ، استدْعى المتقى لله أبا الحسن على بن عيسى وأبا على عبد الرحمن أخاه وأمرهما بالنظر ، وكان أبو على عبدُ الرحمن يُدَبِّر الأعمال وعلىٌّ بن

---

(١) انظر تجارب الأمم ٦/ ١٨ .

(٢) انظر ترجمته فى المنتظم ٦/ ٣٢٠ وقتل سنة ٣٢٩ وقد كان أمير الجيش وكان يلقب أمير الأمراء قبل ملك بنى بويه وانظر ابن الأثير حوادث السنوات ٣٢٦ـ٣٢٩ .

(٣) كان كاتباً لبجكم وكان إليه التدبير أكثر من الوزراء انظر ابن الأثير حوادث ٣٢٩ .

(٤) انظر ابن الأثير حوادث ٣٢٩ وتجارب الأمم ٦/ ١٧ـ١٨ وانظر ابتداء حال البريدى وضبط اسمه والاختلاف فيه فى ابن الأثير حوادث ٣١٦ .

(٥) فى تجارب الأمم كورنكيج ٦/ ١٧ أما فى ابن الأثير فكالأصل .

عيسى يصل إلى حضرة المتقى لله ، وجرى الأمر على ذلك تسعة أيام ثم تقلّد أبو إسحاق القراريطى [١] الوزارة ، ولازما منزلها .

وتُوفِّى أبو الحسن علىُّ بن عيسى فى يوم الجمعة لليلة خلت من ذى الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة عن تسع وثمانين سنة وستة أشهر ، لأن مولده كان فى جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين ومائتين .

أخبار أبى الحسن المنثورة

حدث أبو على عبدُ الرحمن بن عيسى قال : كان محمد بن جعفر العبرتائى من عمال أبى الحسن بن الفرات وخواصه ، وكان يُعَامِل أخى أبا الحسن علىَّ بن عيسى فيما ضَمِنه من طَسَاسيج طريقِ خُراسان الجاريةِ فى الخاصَّة ، فاستوفى عليه استيفاء تشدَّد فيه ، واجتهد فى إصلاحِ نيَّته وقَبول مبرّته بكل ما يَجتهد مثلُه مع مثلِه ، وأخى يَمْتنع ويقول : ياهذا الرجل إنما بيننا أمرُ هذا الضمانِ فإنْ وفَّيتَ به وخرجتَ منه فأنت أَجَلّ الناسِ عندى وأقربُهم منى ، وإن أقمتَ على أمرك فى المغاورة [٢] والمدافعة فأنت أبعدُهم من قلبى وأشقاهم بى .

فحضر عنده فى بعض الأيام وكان يوم ثلاثاء ، وأخى خالٍ من العمل ؛ وجرى ذِكْرُ البلدان وما خُصَّ به كلُّ واحدٍ منها من الطُّرَف والألوان ، فقيل : لمصرَ دُهْنُ البَلَسان [٣] وللبصرة النخلُ والبساتينُ ، ولكسكر زَكَاءُ الأرضِ وجودةُ الغَلَّات

---

(١) هو محمد بن أحمد الإسكافى وانظر وزارته فى تجارب الأمم ١٨/٦ .
(٢) المغاورة : الإغارة .
(٣) البلسا : شجر له زهر أبيض صغير بهيئة العناقيد يستخرج منه دهن عطر الرائحة .

وللكوفة القُسوب[1] وللأهواز القَنْدُ[2]، ولُنستر الديباجُ والفاكهةُ، ولجنْديسابُور الدستنبو[3] ولنهاوند الكُمَّثرى والزعفران، ولِقَطْرَبل الشراب. وذكر محمدابن جعفر «كلواذى» ووصف أُتْرُجَّها وتجاوُزَه فى القدِّ والكبر مافى «السُوسِ» منه، فقال أخى على مَجَازِ القول: أحب أن أراه. وتقوَّض المجلس.

فلما كان وقت المغرب حضر بابَ أخى رسولٌ لمحمد بن جعفر. قال عبد الرحمن فحدَّثنى ماهر الخادم — وكان عاقلا مُحَصِّلا — قال: جاءنى البوَّابُ فقال: بالباب من يَطلُبك. فخرجت فإذا صاحب العبرتائى قد حضر، ومعه قَمَاطر ما رأيتُ أدقَّ ولا أحسنَ منها، وفيها أُتْرُجٌّ قد أنفذَه، ومعه رُقعةٌ إلى مولاى، ورقعةٌ إلىَّ يسألنى إيصالَ القماطر وَوَضعَها بين يَدَىْ مولاى، وإذا معه خمسون ديناراً لى على التوصُّل إلى القبول. فدعَوْت بالغلمان وأشالوها[4] إلى حضرته، وأوصلتُ رُقعتَه فقرأها وقال: افتح. ففتحنا بعض القماطر، وأخرجنا منها أُتْرُجًّا مثل المَسَاور[5] اللطيفة لم يُرَ مثلُها حُسْناً وَنُبْلًا وَكُبْراً. فقال بعض الخدم: فيها شىء أثقل من شىء. فقال: تأمَّلوها. فتأملناها، وإذا فيها عشرُ أُترُجَّات مُقوَّرَةٌ مَخِيطةٌ، فسللنا الخيوطَ وإذا فى كل أُترجَّة ديباجٌ فيه ألفُ دينار. والجميع عشرة آلاف دينار، فتقدَّم بردِّها كما كانت، ودعا بالرسول وأمر بتسليمها إليه بحضرته، فتسلَّمها وقال له: قل له: لم يَذْهَبْ علىَّ ما أردتَه بهذا الفعل، وأنت عارفٌ بمذهبى وستعرِفُ خَبَرَك. قال ماهر: فبادَرْتُ مع الرسول حتى خرج ورددت عليه الخمسين الدينار. فقال: أنت قد فعلتَ ما يجب عليك فَلِمَ تَرُدُّ

(١) القسوب: نوع من التمر يابس يتفتت فى الفم.
(٢) القند: عسل قصب السكر إذا جمد.
(٣) الدستنبو: عطر.
(٤) أشالوها: رفعوها.
(٥) المساور: جمع مسور ومسورة: متكأ من جلد.

الدنانير وهى يسيرةٌ فى جَنْب استحقاقات . فقلت : ما أَجْسَرُ على قَبول شىء مع ما جرى. و بَـكَّرَ أخى إلى الديوان ، وابتدأ بالنظر فى أمور الأعمال التى فى ضمان محمد ابن جعفر ، وأخرج إليه ما ألزمه فيه عند المناظرة نحْوَ خمسين ألف دينار .

وحدث أبو محمد الحسن بن محمد الصِّلْحى قال : حـدثنى أبو الحسن بن ظفر الـكَرْخى بمصر قال : كنت أكتب لأبى على الحسينِ بن أحمد المادرائى . ووافى أبو الحسن علىُّ بن عيسى من مكة فى أيام وزارة أبى القاسم عبـد الله بن محمد ابن خاقان للإشراف على مصر والشام ، فدخل إلى مصر وتحته حِمارٌ وعليه طَيْلَسان . وكان المتولى للمعونة تـكين ، فتلقّاه وترجّل له ، وعظُمتْ هيبتُه فى النفوس جدًّا . وجلس ونظر . ثم ركب فى بعض الأيام متفرِّجاً وعاد ، فحين دخل من باب الدِّهْلِيز ونحن مجتمعون فى داره لانتظاره صاح : اللصوص . ففزعنا كلُّنا خوفا من أن يكون قد وقف لنا على خيانة . فلما استقر فى مجلسه قال : يا معاشر الناس اجتَزْتُ الساعةَ على جِسْر قارون — وهو بَزَنْد من البَزَنْدات ، وتسمى البزندات بمصر جسوراً — فقدّرت النفقة عليـه عشرةَ دنانيرَ ووجدت العمّال يحتسبون عنـه على السلطان ستين ألف دينار فى كلِّ سنة . وكرر ذلك وأكثر التعجُّبَ منه والقولَ فيه ، وكان أبو علىٍّ حاضراً ، فلم يجبه عن كلامه ، فقال : الشأْنُ أننى أقول ما أقوله فلا تجيبنى عنـه يا أبا على ! فنهض وانصرف . واغتاظ أبو الحسن علىُّ ابن عيسى من ذلك ، وأطبق دواتَه وقال : لعن الله أمرَ السلطان إذا انتهى إلى هـذا الحدِّ . وقام ودخل ، وانصرف الناسُ ، ومضيت إلى أبى علىٍّ قَلِقاً بما شاهدتُه وسمعتُه ، ووجدته قد أنفذ خادماً إلى علىِّ بن عيسى يستأذنه فى حضوره عنده على خَلْوة . فأَذِن له ، ومضى وأطال ، فجلست أنتظره . فلما عاد سألته عما جرى

(١) فى الأصل : عبد الله بن محمد . وهو تحريف .

فقال : دخلت إليه وقلت له : لم أترك جوابك سُوء أدب عليك ، ولا استهانةً بقولك ، وإنما كرهتُ أن أعترفَ بحضرة الناس فألزِم نفسى مالا يَلْزَمُها، أو أُجيبك بما حضرتُ الآن لِذِكره فيكون مَا عليك فيه أكثَرَ مما علىّ فيه ، فامتنعتُ إكراما لك وصيانة . ثم قلت له : كم جارِىّ ؟ . فقال : ثلاثةُ آلاف دينار فى الشهر. فقلت : يمكننى وأنا عامل مصر أن أكون بغير كُتَّاب ولا عمال ولا كُرَاعٍ ولا جِمَال ولا إعطاء ولا إفضال ؟ . قال : لا . قلت : أفلا تعلم أن لى حُرَما وأولاداً وأقارب وأهلا أحتاج لهم إلى مؤونة ؟ . قال : بلى . قلت : فَأَخْلُو من أن يَرِدَ علىَّ زوارٌ بكُتُبك وكتب أمثالك من الرؤساء فتقتضى المروءةُ أن أَبَرَّهم وأَصِلهم ؟ . قال : بلى لعَمْرى . قلت : فهذا الجبَّار الذى أجاوره وفائقٌ خادمه له ثمانون مرْقَداً وهو متسلِّط على الأمرِ كله يمكننى أن أُقيمه على الطاعة وأمنعَه إدخال اليد فى الضِّياع إلا بمؤونة أتكلَّفها له وأولادِه وخدمه وكُتَّابه حتى يستقيم ما بينى وبينه ؟ . قال : هـذا مالا بُدَّ منه . قلت : فالخليفةُ والسيدة والخالة والقهرمانة ومؤنسٌ ونصرٌ الحاجب وكُتَّابهم وأسبابهم يجوز أن لا أهادِيَهم فى كل سنة ؟ . قال : هذا رسم لا يمكن الإخلالُ به . قلت : فالوزراء إذا تقلد الواحد منهم هل يدخُلُ داره شىء قبل ما يَحْمِلُه خليفتى إليه ؟ وإذا نُكِب فهل يُؤَدِّى من مال مُصادرته شيئا قبل ما يَسْتَدعيه منِّى ؟ وهـذا أنت ـ أيَّدَكَ الله ـ وأنت أعفُّ الوزراء ومن لا يُعرف له نظير ـ ألم أحمل إليك فى وقت كذا وكذا وفى وقت كذا وكذا ؟ وأُجْرِ على عيالك فى مدة كذا وكذا ؟! فقال : أنا والله شاكر لذاك . فقلتُ : ما ذكرت هذا اعتداداً عليك ، وإنما ذكرته لتعلم أنه يلزمنى لغيرك مثلُه وأكثرُ منه . وهذا حقُّ بيت المال فى ضِيَاعك بمصرَ والشامِ ـ وهو بضعةَ عشرَ ألف دينارٍ فى السنة ـ أدَّيْتَ منها درهما واحداً ؟ . فقال : ما أدرى ، فقلتُ : هذا مال عظيم ولست أبرحُ أو أَعْلَمَ أنه

قد حُصِّل لك ، أو كان أصحابك خانوك فيه حتى أرتجعه منهم للسلطان ؟فأعاد الشكر.
فقلت : يا سيدى فمصادرتى فى كل وقت تزيد على ألف ألف دينار هل[1] من الثلاثة
الآلاف الدينار الجارِى تكون ؟ . فقال : دع هذا يا أبا علىّ فإن كبار الرجال
يُغْضِى لهم السلطانُ عن كثير الأموال .

وما سمعناه بعد ذلك أعاد فى شىء من أمور أعمالنا قولا .

وحدث أبو محمد الحسن الصلحىُّ قال : حدثنى بعض أصحابنا قال : قال لى
أبو القاسم الخاقانى فى وزارته : أشرتُ على المقتدِر بالله بتقليد أبى الحسن علىِّ
ابن عيسى الإشراف على مصرَ والشام ، فرأيته مُتَكَرِّهاً لذاك ثم قال : افعل
ما ترى . فأقبلت أصفه بالموالاة والثِّقة لِأعرف ما عنده فى أمره على حقيقةٍ ، فقال :
هو كما تَصِف ولكن أحْفَظَنى[2] عليه أن سُمْتُهُ تَقَلُّدَ وزارتى فى أيام حامدِ
ابن العباس فامتنع ، وثَقُل علىّ امتناعه ، وشاورته فيمن يراه لهذا الأمر فقال :
أبو عمر محمد بن يوسف القاضى . فعلمت أنه غشّنى ولم ينصح لى . فقلت : وما لمحمد
ابن يوسف يا أمير المؤمنين ؟ فقال : لَعَمْرِى إنه عالم ثقةٌ إلا أننى لو فعلت ذاك
لافْتَضَحْتُ عند ملوك الإسلام والكفر ، لأنى كنت بين أمرين إما أن تُتَصَوَّرَ
مملكتى بأنها خاليةٌ من كاتب يصلح للوزارة فيصغر الأمر فى نفوسهم ، أو أننى
عدلت عن الوزراء إلى أصحاب الطيالس ، فأُنسب إلى سوء الاختيار .

وحدث القاضى أبو على المُحَسِّن بن علىٍّ التَّنوخى قال : حدثنى أبو طاهر
المحسن بن محمد بن الحسن الجوهرى المعروف بالمقنعى أحد الشهود قال : حدّثنى
أبو القاسم عيسى بن على بن عيسى أنه كان يرتفع لأبيه من ضِيَاعه فى كل سنة
عند الاعتزال والعُطْلة بعد ما يتصرّف فى النفقة ثلاثون ألف دينار . ويرتفع من ضِيَاع

---

(١) فى الأصل : هم . (٢) أحفظنى : أغضبنى .

أبى الحسن على بن محمد بن الفرات إذا قُبضت عنه ألفُ ألفِ دينار ، وإذا وَزَر ورُدَّت عليه أُضعفت .

قال القاضى : واتفق أن حضر هذا الحديث منه أبو الحسن أحمد بن يوسف ابن الأزرق الأنبارى فقال : حدثنى جماعة من أصحاب أبى الحسن علىِّ بن عيسى أن جميع ما كان يرتفع له فى السنة نَيِّفٌ وثمانون ألف دينار يخرج منها فى أبواب البرِّ وسُبلِ الخير وتفقُّدِ الطالبيِّين والعباسيين والأنصارِ وأولاد المهاجرين ومصالح الحرَمَين نَيِّفٌ وأربعون ألف دينار ، ويبقى الباقى لنفقاته . وأنه كان يسمع الكتاب يقولون فى ضِيَاع أبى الحسن بن الفرات: إنها ترتفع فى وزارته بألفِ ألفِ دينار وعند القبض عليه ودُخول يدِ العمال فيها بثمانمائة ألف دينار وأقل وأكثر .

وحكى أبو[1] الحسن ثابتُ بن سنانٍ قال : قال لى أبو الحسن علىُّ بن عيسى يوما ، وهو متعطِّل فى أيام الراضى بالله فى عُرْض حديث كان يجارينيه بعد إقرائى العملَ الذى عَمِله فى سنة ستٍّ وثلاثمائة لارتفاع الدنيا ونفقاتها : قال لى ابنُ الفرات يوما وقد أُخْرِجتُ إليه من دار السلطان بعد صَرْفه إيَّاى : أبطلْتَ الرُّسُوم وهدمْت الارتفاع . فقلت : أىَّ رسم أبطلتُ وارتفاع هدمْتُ ، قال : المَكْسُ[2] بمكة فقلت له : قد أزلْتُ هذه وأشياء كثيرةً ، منها ومنها ـ وعددت الأبواب التى رَفَعْتها وكان مالُ ذلك فى السنةِ خَمْسمائةِ ألفِ دينار فلم أستكثرها مع ما حَطَطْتُه عن أمير المؤمنين من الأوزار بها ، وغَسَلْتُه من الأدران عن دولته فيها . ولكن انظُر مع ماحططتُ وأبطَلْتُ إلى ارتفاعى وارتفاعِك ونفقاتى ونفقاتِك .

---

(١) تجارب الأمم ٥/٢٩ .

(٢) المكس : أموال تؤخذ من الباعة أو عن أشياء معينة عند بيعها أو إدخالها المدن « الضريبة والجمرك » .

قلت : فبأيٍّ شيء أجاب . قال : خرج الخادم ففرّق بيننا قبل أن يجيب .

وحدث أبو عُمر أحمدُ بنُ محمدِ بن الحسين البصريُّ قال : لما تُوُفِّي القاضي أبو الحسين بن أبي عُمر ركب أبو الحسن عليُّ بن عيسى إلى أبي نَصْرٍ وأبي محمدٍ ابنَيْهِ يُعَزِّيهما به . فلما نهض منصرفا قال : مصيبةٌ وجَبَ أَجْرُها خَيْرٌ من نعمة لا يُؤَدَّى شُكْرُها .

وحدث [1] أبو الحسن أحمد بن يوسف بن الأزرق الأنبارى قال : كان أبو عيسى أخو أبي صخرة جاراً لنا ببغداد ، وكان عظيمَ الحال ، كثيرَ المال ، كاملَ الجاه ، معدوداً في شيوخ الكتاب ، وقد تقلَّد كِبَار الأعمالِ ، وخَلَفَ إسماعيلَ ابنَ بُلْبل على الوزارة فلما وَزَرَ أبو عليٍّ محمدُ بن عبيدِ الله الخاقاني قلَّده دِيوانَ السَّواد ، ثم صُرِفَ أبو عليّ وَوَرَدَ أبو الحسن عليُّ بن عيسى من مكة وزيرا . فلم يره أهلًا لهذا الديوان لنقصان صناعته ، وكان يَغُضُّ منه إذا حضر في مجلسه ، ولا يُوَفِّيه ما يقتضيه عَمَلُه ، وإذا أراد عملا أو خراجا أو حسابا استدعاه من كُتَّابه وواقفهم وخاطبهم عليه بمشهدٍ منه فلا يَتْرُك له هذا الفعلُ جاهاً . ثم إن عرض عَمَلٌ يَعْلَم أنَّ كتابةَ أبي عيسى لا تنهض به وقوّته لا يُعَبِّر عن غرضه فيه خاطَبه عليه على رُؤُوس الأشهاد لِيَتَبَيَّن له نقصُه وعَجْزُه ، فطال ذلك على أبي عيسى وزادَ احتمالُه له فجلس عنده يوما إلى أن تقوّض مجلسُه ولم يبقَ فيه غيرُه وغيرُ إبراهيم بن عيسى أخي أبي الحسن ، فقال له أبو الحسن أَلَكَ حاجةٌ ؟ قال : نعم ، إذا خلا مجلس الوزير ذَكَرْتُها .

فَأُخْبِرْتُ عن إبراهيم أنه قال : فلما سمعتُ قوله نهضْتُ وانصرفتُ وعُدْتُ من غد إلى مجلس أخي فوجدت أبا عيسى مُتَصَدِّراً فيه بِأَمْرٍ ونَهْيٍ وتبسُّطٍ وعملٍ ، وخطابُ الوزير معه دون الكُتَّاب ، وقد انتقل من الثرى إلى الثريَّا ، فدعتني نفسي

(١) نشوار المحاضرة ١/٢٤ — ٢٧ .

إلى مسألة الوزير عن أمره حتى إذا خلا قال : تقول يا بُنَيَّ شيئاً ؟ . قلت : أسأل عن فُضُول . قال : إن كان فضولا فلا تَسَلْ عنه . قلت : لابُدَّ . قال : فقل . قلت : خلا بك أبو عيسى أمسِ لِمَا لم أعرِفْه . ثم رأيتُك اليوم مُقبِلًا عليه ومُعامِلًا له بضدِّ ما كنتُ تُعامله به ، فما سبب ذلك ؟ قال : نعم ، إنه خاطبنى خطاباً عظُم فى نفسى به ، وعلمتُ صدقَهُ فيه فرجعتُ له . قال : وقد خلا بى ، أنا — أيَّد الله الوزير — رجلٌ من شيوخ الكُتَّاب ، أعرف قَدْر صناعتى فى الكتابة ، وإننى فى جملة المتأخرين عن الغاية ، وما يخفى علىَّ سُوء رأىِ الوزير فىَّ واعتمادُه الغضَّ منى ، وطَلَبُ فضيحتى بالرجوع إلى الكتاب فى أمور ديوانى وقَصْدِى بمُعْضِلات الأمور إبانةً لعجزى وقُصُورى . ويجب أن يعلم — أيده اللهُ — أن باطن حالى ومالى أوفَرُ من ظاهرها على كثرته وَوُفُورِه ، وما أتصرَّف طلباً لفائدة ، ولا حاجةً إلى مكسب ، وإنما أريد قيام الجاه ونفُوذَ الأمر ، وقد عشت طول مامضى من عمرى مَسْتورا فى أمرى مُقَدَّما عند السلطان على كثيرٍ من نُظَرائى ، وخَلَفْتُ إسماعيل بن بلبل على الوزارة ، وتقلَّدْتُ كِبار الأعمال واحدا بعد آخر ، وسلَّمْتُ على الوزراء وسلَّموا علىّ ، وقد تمكَّن فى النفوس من موضعى ومنزلتى مالا يخرج منها ، ولا يمكن أحداً إزالتُه عنها . وأنا بين أمور ممَّا لحقتنى الغضاضة به ، إما أَنْ تَوَصَّلْتُ إلى إزالته بما يَثْقُل على الوزير فيزداد سوء رأيه ؛ أو استعفَيْتُ ولزِمْتُ منزلى فلم أَكُنْ خامِلًا ؛ وجعلت نفسى حينئذ بحيثُ أختاره من الكَوْنِ فى أولياء الوزير أو أعدائه ، أوْ عاد إلى الأولى به ووفَّانى حقوق ما قلَّدَنيه . فقلتُ له : ليس ترى بَعْد ذلك يا أبا عيسى شيئاً تُنكره ، وسأَرْجع فى معاملتك إلى أفضل ما تُؤْثره . وَبكر إلىَّ ليمتَحِن وعدى ويختَبِرَ ما عندى ، فكان ما رأيتَ .

وحدث القاضى أبو على التنوخى عن أبيه وأبى الحسين بن عياش قالا : كان

أبو الحسن عليُّ بن عيسى يجعل فى كلِّ باب من ورائه مِسْوَرَةً ويُسْبل عليها سِتراً طويلا يُغطِّيها ، فإذا جلس فى أُخْرَيَات النهار مجلساً حافلاً ألصق بها ظهره من وراء السِّتر لئلا يشاهد مُستنداً ، تمسُّكاً بالوقار .

وقيل : إنه ما رُئى قطُّ متبذِّلًا فى مجلسه ، ولا مُتَخَفِّفًا فى مَلبسه ، ولا فارق الدرّاعةَ(١) [إلا] والقميصُ من دونها ، والمُبطَّنةُ من دُونه و [لا] الخفَّ فى أكثر أوقاته إلَّا إذا أَوَى إلى فراشه أو قعد مع حُرَمه .

وقد فعل أبو الحسن عليُّ بن عيسى مع أبى علىّ بن مقلة مُشْبهاً بما فعله مع أبى عيسى أخى أبى صخرة ، وذلك أنه بلغه عَمَلُ المقتدر بالله على صرفه بأبى علىٍّ — وكان متقلِّدا له إذ ذاك على عدّة دواوين — فاستدعاه وطالبه بأعمالٍ يعملها له ، فوعده بها . وحضر مجلسَه بعد أيامٍ فاعتمد الغضَّ منه بأن قال له على ملإٍ من الناس : كنتُ التمستُ منك أعمالا فأخَّرْتَها ، فإن كنت عاجزاً عنها وغير ناهضٍ بها فاصْدُق عن نفسك . فقال أبو علىٍّ : قد أحضرتُها وهاهى . ووضعها بين يديه وأخذ يقرؤها ويواقفه على غَلَطٍ بعد غلط فيها ، ويُقْبِلُ على مشايخ الكتاب فيُعَجِّبُهم من ضعف صناعته وقلَّة بصيرته ، وحتى قال له فى بعض القول : هذه حِيَاكة لا كِتابة . وضرب على عملٍ ، بعد عملٍ ورسم فى تضاعيفه ما يجب أن يُبْنَى عليه نَظمُه وترتيبه ، والكُتَّاب الحاضرون يُثْنون عليه بحُسْن الكفاية ، وَيَغْمِزُون عَلَى أبى علىّ بِضَعفِ المعرفة . ثم رمى بها إليه وقال له : قُمْ فاعْمَلها على هذا المثال وَحَرِّرْها وجئنى بها ، فقام يجرُّ رجليه . فلما ولَّى قال أبو الحسن : إن أمراً عجزَ عنه ابن الفرات ونحن فيه مرتبكون ، وَيدَّعى هذا القيامَ به لأمرٌ عجيب ، فما مضى على هذا المجلس أربعةُ أو خمسةُ أيامٍ حتى قُبِض على أبى الحسن علىِّ بن عيسى

---

(١) الدراعة : جبة مشقوقة المقدم .

وسُلِّمَ إلى أبى علىّ بن مقـلة . فأراد الغضَّ من علىٍّ بن عيسى بأمْرٍ يُظْهِرُه وشىء يقدح فيه به ، فلم يستطع ذلك ، ولا قَدر على أكثرَ مِنْ تلقِّيه بالقبيح ، ومعاملته بالمكروه الفظيع .

فحدَّث أبو أحمد الفضل بنُ عبد الرحمن بنِ جعفر قال : كنت بحضرة أبى علىّ ابنِ مقلة فى وزارته ، وقد دخل إليه علىُّ بنُ عيسى ، فجلس بين يديه . وكان أبو عبد الله الموسوىُّ العلوىُّ وأبو علىٍّ الحسنُ بنُ هارون حاضِرَيْن ، فقال أبو علىّ بنُ مقلة للحسن بن هارون : اكتب رُقْعَةً عن أبى عبد الله يَشْكو فيها إخْلال ضيعته وقُصورَ مُراده منها وفائدَته . ومثّل له إيجابَ مَظْلمة و إطلاق معونة . فكتبها الحسن وعرضها فوقّع على ظهرها بإخراج الحال ، وأنفذ التوقيع إلى الكاتب . فأخرج ماصدَّق فيه دَعوى أبى عبد الله ، ووقع أبو علىٍّ تحت ذلك بأن يُطْلق له عشرون كُرًّا حِنْطة وعشرون كُرًّا شعيرا معونةً ، ويُحْتَسب له بكذا مَنْسوباً إلى المظلَمة . فاستحسن الحاضرون فِعْله وما تكرّم به على رَجُلٍ عَلَوِىٍّ ، وأخذ أبو الحسن علىُّ بنُ عيسى يشكره . فقال له مجيبا . فلِمَ لَمْ تفعل مثلَ هذا يا أبا الحسن فى وزارتك ؟ فنهض أبو الحسن وقال : أستودع الله الوزيرَ . وانصرف .

وقيل : إن أبا عُمَر دخل إلى أبى الحسن علىٍّ بن عيسى يوماً وعليه قميصٌ دَبيقِىٌّ شُقَيْرِىٌّ [1] مُرْتَفِعُ الثمن [2] جدًّا ، فأراد أبو الحسن أن يُخجله فقال له : بكم اشتريْتَ أيها القاضى شِقَّة هذا القميص ؟ قال : بمائة دينار . فقال أبو الحسن : ولكنه اشْتُرِيَتْ لى شِقَّةُ هذه الدُّرَّاعةِ والقميص الذى تحتها بعشرين دينارا . فقال له أبو عمر

---

(١) الشقيرى نسبة إلى شقير كان يتولى البريد وبعض الضياع انظر اليعقوبى ٢/٦١٥ .
(٢) فى الأصل : الثوب .

مسرعاً : الوزير ـ أعزه الله ـ يُجَمِّلُ الثياب فلا يحتاج إلى المبالغة فيها ، ويخدمه الخواص الذين يعلمون أنّه يَدَعُ الكثير عن قُدْرَةٍ ، ونحن نتجمّل بالثياب ونُغالى فيها ، ونلاقى العوامّ الذين يساسون بما يَرُوق عيونَهم من جَلَالتها ، وتُقَام الهيبةُ بما يَكْبُرُ فى صدورهم من فخامتها . فكأنما أَلْقَمَ أبا الحسن حَجَراً فما ، أعاد عليه قولًا ولا ردَّ جواباً .

وحدَّث القاضى أبو على التنوخى قال : حدثنى أبو بكر محمد بن عبد الرحمن ابن قريعة قال : حدثنى مُكرم بن بكر بن عمر أبو يحيى بن مُكرم القاضى قال[1] : كنت أختص بأبى الحسن علىّ بن عيسى وربّما شاورنى فى أموره . فدخلتُ له يوماً فرأيتهُ مَهموماً فقدَّرت أنه بلغه عن المقتدر بالله ما يَشْغَل قلبه . فاقتضى تَقَسُّمه فقلت : أرى الوزير ـ أيده الله ـ مفكّراً ، فهل حدث شىء ؟ ـ وأومأت إلى جهة الخليفة ـ . فقال : ليس ما أنا مغموم به من ذلك الجنس ، بل لِمَا هو أعظم فى نفسى منه . فقلت : إن جاز أن يُعَرِّفَنيه الوزير فليفعل ، فلعلَّه يجدُ عندى فيه رأياً أو قولًا . قال : نعم . كتب إلىّ عامِلُنا بالثَّغر بأن أسارى المسلمين كانوا فى بلد الروم على حالِ رَفَاهَة وصيانة إلى أن وَلِيَ مُلْكَ الروم آنفاً حَدَثانِ منهم ، فعَسَفا وعاقباهم وأجاعاهم وأعرياهم ، وطالباهم بالتنصُّر ، وأنهم فى بلاء وجَهْد ، وهذا أمرٌ لا حيلة فيه ، ولا مَقدِرَةَ على دفع ما أظلَّ هؤلاء المساكين ، ولو ساعدنى الخليفةُ على إنفاقِ الأموال وتجهيزِ الجيوش إلى هؤلاء الكفّار لفعلتُ فى ذلك غاية ما أوجبه اللهُ علينا من بَذْل الوُسْع والإمكان . فقلت : عندى أيها الوزيرُ رأىٌ فى هذا الأمرِ ربما نَفَع وكان أسهَلَ مما تَحْسِب وتُقَدِّر . قال : قل يامُبارك . قلت : بأنطاكية عظيمٌ للنَّصارى يُدْعى البُطْرُك

---

(١) القصة فى المنتظم ٦/٣٥٢ .

وبِبَيْتِ المقدس آخر يقال لها القاثليق (١) ، وأمْرُهَا يَنْفُذْ على ملك الروم ، لأن أمورهم لا تَتِمُّ إلا بهما ، والطاعة لا تلزَمُ جمهورَ رَعِيَّتِهم إلا بقولهما ، وربما حَرَما الواحد منهم فيُحْرَم عندهم . والرَّجلان فى ذِمَّتِنا وتحت سلطاننا ، فيأمر الوزير بمكاتبة عامِلَىْ البلدين بإحضارهما وإعلامهما مايجرى على الأسارى فى بلد الروم وأنه مما لم تجْرِ به عادةٌ ، ومتى لم يُزَلْ ذلك عنهم وتُسْتَأْنَفْ حُسْنُ المعاملة معهم طُولِباً بجريرة ما يُفعَل هناك ، وسُلِكَ فى معاملة النصارى مثلُ ذلك ، وننظر ما يكون الجواب .

فاستدْعى فى الحال كاتباً وأملى عليه كتاباً فى هذا المعنى وكِيدةً (٢) ، وأنفذها وقال لى : سَرَّيت عنى قليلًا (٣) ، وخفَّفْتَ عن قلبى شُغلا .

فلما كان بعد شهرين وأيامٍ — وقدأُنسيتُ الحديثَ — جاءنى فُرَانِقٌ (٤) من بابه يستدعينى . فركبت وأنا متشوِّقٌ إلى معرفة مايُريدنى له ، فدخلت وهو مسرور ، ووجهه مُسْفِر ، فحين رآنى قال لى : أحسن اللهُ جزاءك عن نفسك ودينك وعنّى . فقلت : ما الخبر ؟ قال : كان رأْيك فى أمرِ الأسارى ببلد الروم أصوبَ رأى وأصحَّه ، وهذا رسول العامل — وأومأ إلى رجل بحضرته — قد ورد لِذِكْر ماجرى فى بابهم - وقال له علىُّ بن عيسى : عَرِّفْنا الصورة . فقال الرجل : أنفذنى العامِل مع رسول البطرك والقاثليق الذى أنفذاه إلى قُسطنطينية ، وكتبا على يده إلى مَلِكى الروم : بأنكما قد فعلتما بأسارى المسلمين عندكما ماهو مُحَرَّم عليكما ومخالفٌ لوصية المسيح عليه السلام فى أمثالهم ، وأمرِه فيمن جرَى مَجْراهم . فإما زُلْتُما عن هذه

---

(١) فى هامش المطبوع : فى حاشية : الجاثليق .

(٢) وكيدة صفة للكتاب على إرادة معنى الرسالة .

(٣) قد تكون محرفة عن « ثقلا » .

(٤) الفرانق يريد به الرسول .

الطريقة وعَدَلْتُما عنها إلى ما تقتضيه السُّنَّةُ المأثورة وأحسنْتما إلى من فى أيديكما ، وتركتماهم على أديانهم ، ولم تُكْرِهاهم على خلاف آرائهم ، وإلا لعنَّاكما وتبرَّأْنا منكما وحَرَمْناكما .

فلما وصلنا إلى القسطنطينيــة أُوصِل رسُولُ البطرك والقاثليق إلى المَلِكين وحُجِبْتُ وخَلَوْا به ووقفا على ماورد معه ، وتركانا أيّاما ثم أحضرانى إليهما ، فسلمت عليهما وقال لى تُرجمانُهما : الملكان يقولان : الذى أُدِّىَ إلى ملك العَرب من فعلنا بأسارى المسلمين كَذِبٌ وشناعة ، وقد أَذِنَّا فى دخولك دارَ البلاط لتشاهدَهم وتسمع شكرَهم وتعلم استحالة ما ذُكِر لكم فى أمرهم . وحملت إلى دار البلاط فرأيتهم كأنهم خارجون من القبور ، وقائمون إلى النشور ، ووجوهُهم دالَّة على ما كانوا فيه من الضُّرِّ والعذاب ، إلا أنهم فى حالِ صِيانةٍ مُسْتَأْنَفةٍ ، ورفاهَةٍ مُستَجدَّة ، وتأمَّلت ثيابهم فكانت جُدُدًا كُلُّها ، فتبيَّنْتُ أننى أُخِّرت ذلك التأخير حتى غُيِّرَ أمرُهم وجُدِّد زِيُّهم ، وقالوا لى : نحن شاكرون للمِلكَيْنِ ـ فعل اللهُ لهما [1] وصنع ـ مع إيمائهم إلىّ بأن حالهم كانت على ما تَأَدَّى إلينا ، وإنما خُفِّف عنهم وأُحسن إليهم بعد حصولى هناك . وقالوا لى فى عُرْض قولهم : كيف عُرِفَتْ صُورتنا ؟ ومن تَنَبَّه على مُراعاتنا حتى أنفذك من أجلنا ؟ فقلت : وَلِىَ الوزارةَ الوزيرُ أبو الحسن علىُّ ابنُ عيسى وبلغه خبرُكم ، فأنفذ وفعل كذا وكذا . فضجُّوا بالدعاء له ، وسمعت امرأة منهم تقول : قَرِّ ياعلىُّ بن عيسى ، لانَسِىَ اللهُ لك هذا الفعل . قال أبو يحيى بنُ مكرم : فلما سمع الوزير ذلك بكى بكاء شديدا ، ثم سجد لله تعالى شاكرا وحامدا ، وبرَّ الرسولَ وصرَفه . وقلت لعلىِّ بن عيسى : أَسْمعُك أيها الوزير تتبرّم بالوزارة فى خَلَواتك ، وترغب فى الانصراف عنها تحرُّجا [2] من آثامها ، فلو كُنْتَ معتزِلًا

---

(١) فى الأصل . بهما .

(٢) فى الأصل تحريا .

لها ومُتَخَلِّياً منها هل كنت تقدر على مثل هذه الحال الجامعة لجمال الدنيا وثواب الآخرة وطيب السمعة وحسن العاقبة ؟

وحدث القاضي أبو عليّ قال : حدثني الفضلُ بن أحمد الحَيَّاني قال : قال لي أبو بكر الشافعي صاحبُ أبي الحسن عليٍّ بن عيسى : كان المحسِّنُ بنُ عليٍّ ابن محمد بن الفرات قَبَضَ عليّ في نكبة أبي الحسن عليٍّ بن عيسى ، وصادرني وأوقع بي مكروها ، وجعل التَّأَوُّلَ على اختلاطي بأبي الحسن وصُحبتي إياه . فلما أُخْرِجْنا من المِحْنة ، وعاد أبو الحسن إلى الوزارة ، طلبت الانتفاع بأمورٍ أُخاطَبُ فيها ، وأُخْلِفُ بعضَ المصادرة منها ، فتصدَّيْت لأخذ الرِّقاع بالحوائج ، وعرضِها على أبي الحسن . فاتَّفق أن عرضتُ عليه في بعض الأيَّام شيئاً استكْثَرَه وضجر عليَّ به، فقلت : أيها الوزير إذا كان حظُّنا من أعدائك في أيام نكبتك الصَّفْع ، ومنك في أيام ولَايتِك المنع، فمتى ــ ليت شعري ــ يكون النفع ؟ فضحك ووقع لي في جميع الرِّقاع ، وما استثقل شيئاً رفعْتُه إليه بعد ذلك .

وحدث القاضي أبو علي قال : حدَّثني أبو السريّ عمر بن محمد القاريء قال : حدثني أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى قال : قال لي أبي: عرض عليَّ أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد العزيز الهاشميُّ في بعض أيام وزارتي رقعةً التمس فيها مُحالا ، وقَبَّل يدي ، وتَرَكْتُها من يدي مفكرا فيما أفعله مما أُبلُغُ به غرضَه ولا يَلْحَقُني عيبٌ فيه . وعَرَض لي رأيٌ في الركوب ، فنهضت ، فلما رأى ذلك قبض على يدي وقال : أنا نَفِيٌّ من العباس إن تركْتُ الوزيرَ يركب إلا بعد أن يُوَقِّعَ في رُقعتي أو يُقَبِّلَ يدي كما قبَّلْتُ يدَه . فوقَّعْت له قائما بما أراد ، وعجبت من سوء أدبه وشدَّة وقاحته .

قال القاضي أبو علي : وشاهدت أنا أبا بكر محمد بن الحسن بن عبد العزيز هذا

فى سنة خمسين وثلاثمائة ، وقد تقلّبت به الأيام و بأهلِ بيته ، وهو بحضرة أبى محمد المهلبى ، وقد كان العَيَّارون ثاروا بمدينة السلام وأوقعوا فتنا عظيمة ، أصلها أنْ عَرْبَدَ رجلٌ عباسى على رجل عَلَوِى فى خنــدق طاهر وهما على نبيذ ، فقُتِل العلوى ، ونفر أهله واستغاثوا لأجله ، ودخل العامة بين الفريقين ، وشَرِفَت [1] القصةُ إلى ما احتيج معــه إلى إقامة الديلم فى الأرباع وترتيبهم فى كثير من الأصقاع ، وحتى أغلق العباسيون باب المسجد الجامع بالمدينة ، ومنعوا من صلاة الجمعة ، وزادوا فى إشعال النائرة . ودبر أبو محمد الأمر بأن قبض على جماعة من وجوه العباسيين وكثير من المستورين والعيَّارين ، وأدخل فيهم عدّة قُضاة وشهود وصلحاء عباسيين، وكان منهم أبو بكر بن عبــد العزيز . ثم جلس لهم وأحضرهم وناظرهم ، وسَامهم أن يُسَمُّوا له العيارين وحَملةَ السكاكين ليقتصر على أخذهم ، ويفرج عن الباقين ، وأن يضمَنَ أهلُ الصلاح منهم أهلَ الريبة ، ويأخذُوا على أيديهم أخذاً يحسم به موادَّ الفتنة . فأخذ القاضى أبو الحسن محمد بن صلح الهاشمى يقول قولًا سديدا لطيفا فى دفع ذلك واستعطاف أبى محمد المهلبى وترقيقه ، والرفق به وتسكينه ، واعترض أبو بكر بن عبدالعزيز الخطابَ، وقال قولًا فيه بعض الجفاء والغلظة.فقال له أبو محمد: « يا ماص كذا وكذا ، ما تدع جَهلك وتبسُّطك ، ولا تُخْرِج هــذه الخيوط من رأسك ، كأنى لا أعرفك قديماً وحديثا وأعرف حُمقَك وَحُمْق أبيك وتدرُّعك [2] فى مجالس الوزراء وإيثارك أن تقول : قال الوزير وقات . ولعلك تُقَدِّر أن المقتدر بالله على السرير ، وأننى أحد وزرائه ، ليس ذاك كذلك ، السلطانُ اليومَ الأميرُ مُعِزُّ الدولة [3] الذى يرى سفك دمك قُرْبَةً إلى الله تعالى وينزلك منزلة

---

(١) شرفت : ارتفعت .
(٢) التدرع : الدخول فى الشىء .
(٣) هو معز الدولة بن أبى شجاع بويه بن فنا خسرو البويهى : انظر ابتداء دولة البويهيين فى ابن الأثير حوادث ٣٢١

السكك بن عامان برحله فحز برحله وحس حاصروں فقال القاضى : فلقد رأيت فلسوه كاںت على رأسه وقد ستعصت ثم قال . طفقو عنه بورق و نعود إلى عمان . فقبلت الجماعه بدءه وسلّته الصحح عنه ، ورسله نطيع لله — رحمة الله عليه — فى أمره مراسلات ترددت إلى أن تركه وألزمه بيته . وأخذ خطوط العباسيين بجميع ما كان سامهم إياه وامتنعو منه ، وقبض من بعد على جماعة كثيرة من أحداث العباسيين وأهل العيارة والدّعارة منهم ومن العامه ، وجعلهم فى زوارق فى مطبقة مستمرة ، وأنفذهم إلى بيرود وتصنّى ، وحبسهم هناك فى دور تجرى مَجْرى القلاع والمطامير ، فكانوا فيها ، ومات كثير منهم . ثم أُطلقت بقيّتهم بعد وفاة أبى محمد المهلبى بسنين ، وزالت الفتن فى تلك الأيام

وحدث القاضى أبو على قال : حدثنى أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن عيَّاش القاضى قال : كانت عادة أبى الحسن بن الفرات فى كلامه أن يقول للإنسان : بارك الله عليك ومن عادة أبى الحسن علىّ بن عيسى أن يقول : « والك » أو « واك » فكان الناس يقولون : لو لم يكن من الفرق بين الرجلين إلّا حسنُ اللقاء وصرْف (1) ما بين القولين .

وحكى أبو محمد الصلحى قال : لما صرف الراضى بالله أبا علىٍّ عبد الرحمن (2) ابن عيسى عن وزارته ونكبه ونكب أبا الحسن على بن عيسى وصادر أبا الحسن على ألف ألف درهم (3) وعبد الرحمن على ثلاثة آلاف دينار — وكان ذلك طريقا — وحصل أبو الحسن مُعتقلا فى دار الخلافة ، وخاف أبو الحسن أن يكون فى نفس

---

(1) لعلها : وظرف

(2) كانت وزارته للراضى فى سنة ٣٢٤ وقبض عليه فى سنة ٣٢٤ أيضاً

(3) فى ابن الأثير حوادث سنه ٣٢٤ أنه صادر أبا الحسن على بن عيسى على مائة ألف دينار وصادر عبد الرحمن سبعين ألف دينار

الراضى بالله عليه ما يريد معه قتله ، فراسلنى يقول : هـذا أبو محمد ـ وكان إذ ذاك كاتب أبى بكر بن رائق ـ يسألنى خطابَ الراضى بالله عن صاحبى فى نقله إلى دار وزيره إلى أن يؤدّى ما قُرِّر عليـه أمره . قال : فجئت إلى الراضى بالله وقلت له : يا أمير المؤمنين ، على بن عيسى خادِمُك وخادم آبائك ، ومن قد عرفت محلّه من الصناعة ، وموقعه من جمال المملكة ، ومن حاله وأمره كذا وكذا . فقال : هو كذلك ، ولكن له عندى ذنوب . وأخذ يعدد ذنوب عبد الرحمن : فقلت له : يا مولانا ، وأىُّ دَرَكٍ يلزمه فيما قصَّر فيـه أخوه ؟ قال : سبحان الله ، وهل دبَّر عبد الرحمن إلا برأيه وأمضى شيئاً أو وَقَفه إلَّا عن أمره أو أمرى إياه بِأَلَّا يَحلّ ولا يعقد إلَّا بموافقته ؟ وأقبلت أعتذر له وأجعل بإزاء كل ذنب حجة . قال : دع ذا ، ما خاطبنى قَطُّ إلا قال « واكَ » فهل يُتَلَقَّى الخلفاء بمثل ذاك ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن هذا طبعٌ له قد أُلِفَ منه وحُفِظ عليه،وعِيب به فى أيام خدمته للمقتدر بالله ـ رحمة الله عليه ـ وما استطاع أن يفارقه مع شَبَهٍ [(١)] عليه وتعوُّده إياه . فقال : اعْمَل على أنه خُلُق ، أما كان يمكنه أن يُغَيِّره مع ما وصفْتَه من فضله وعقله ، أو يتحفَّظ معى خاصَّة فيـه مع قلَّة اجتماعى معه ومخاطبتى إياه ؟ وما يفعل ما يفعله إلا عن تهاون وقلَّة مبالاة . فقبلت الأرض مراراً بين يديه وقلت : اللهَ اللهَ أنْ يتصوَّرَ مولانا ذلك فيه ، وإنمـا هو عن سوء توفيق ، والعفوُ من أمير المؤمنين مطلوب . ولم أزل إلى أن أمر بنقله إلى دار وزيره، وَنُقِل وَصحَّحَ ما أُخذ به خطُّه ، وَصرف إلى منزله .

وحدث القاضى أبو على قال : حدثنى جماعة من أهل الحضرة أن [(٢)] رجلا

---

(١) فى الأصل نشبه . وشبه : نحوه .
(٢) الفرج بعد الشدة ١/١٥٤ والمنتظم ٦/٣٥٤ .

عطارا مشهورا بالستر والصيانة رَكِبه دَيْنٌ ، فقام عن دُكَّانه ولزم منزله ، وأقبل على الصلاة والدعاء عِدَّة ليال ، فبينما هو قد صلى ذات ليلة ودعا، رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منامه وهو يقول له : امض إلى على بن عيسى الوزير ، فقد أمرته بأن يدفع إليك أربعمائة دينار تُصْلِح حالك بها . قال العطار : وكان علىَّ ستمائة دينار دَيْناً ، وأصبحت فقلت : قد قال النبى صلى الله عليه وسلم: «من رآنى فى المنام فقد رآنى فإن الشيطان لا يتمثل بى» فلِمَ لا أمضى إلى الوزير وأعرف ما عنده ؟ قال : فمضيت ، فلما وقفت على بابه مُنِعْت الوصولَ وجلستُ إلى أن ضاق صدرى ، وهممتُ بالانصراف ، فأنا على ذاك إذ خرج الشافعىُّ صاحبُه وكان يعرفنى معرفةً قريبة[(١)] فقمت إليه وعرَّفته خبرى فقال : ياهذا إن الوزير يطلبك منذ السحر، و إلى الآن قد سأل عنك كلَّ واحد ، والرسل مبثوثة فى الْبَآسِك ، فكنْ بمكانك. قال : ودخل ، فما كان بأسرع من أن دُعِىَ بى، فدخلت إلى الوزير أبى الحسن ، فقال لى : ما اسمك؟ قلت : فلان بن فلان العطار . قال : من أهل الكرخ ؟ قلت : نعم ، قال : أحسن الله ياهذا جزاءك فى قَصْدك إياى ، فوالله ما تهنَّأْتُ عيشا منذ البارحة ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى فى منامى : أَعْط فلانَ بن فلانٍ العطّارَ بالكرخ أربعمائة دينار يُصْلِح بها شأنه . فكنت اليوم منذ الغداة و إلى هذه الغاية أسأل عنك ، وما عرفنيك[(٢)] أحد. ياغلام هاتِ ألف دينار . فجىء به عيناً ، فقال : خذ منه أربعمائة دينار امتثالا لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم والسِّتُّمائة الباقية هديّةٌ منى إليك . فقلت : أيها الوزير ما أحب أن أزداد شيئاً على عطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنى أرجو البركة فيه . فبكى وقال : ما أحسن هذا اليقين ، خُذْ ما بَدَا لك. فأخذت

(١) فى الفرج بعد الشدة : ضعيفة .

(٢) فى الفرج بعد الشدة : وما عرفك :

أربعمائة دينار وانصرفت، وقصصت قصتى على صديق لى، وأريته الدنانير وكلفته أن يحضر غرمائى عندى، ويتوسط ما بينهم وبينى. ففعل، وسألوا له تأخيرى بما لهم ثلاث سنين، فقلت: لا بل يأخذون منى الثلث وينظروننى بالباقى. ففرقت عليهم مائتى دينار وفتحت دكانى وأدرته بالمائتين الباقية معى، فما حال الحول إلا وقد بلغ مالى ألف دينار، فوفيت غرمائى ما بقى لهم، وما زالت حالى تنمو ومالى يزيد ولله الحمد.

وكان الحنابلة بنوا مسجداً، وجعلوه طريقاً إلى الشناعة والفتنة، فتظلم إلى أبى الحسن على بن عيسى من أمره، فوقَّع على ظهر القِصَّة: أحقُّ بناء بهَدْم، وتَعْفِيَة رسْم، بناء أُسِّسَ على غير تقوى من الله. فليُلْحَقْ بقواعده إن شاء الله.

وكان أبو الحسن بن نيداد يتقلد كُورَ الأهواز، فترتفع بأرْزٍ من ارتفاع الناحية، فوقعت فيه النار واحترق، وكتب إلى على بن عيسى كتاباً أقام فيه عذره، وسجع فى كتابه سجعاً زاد فيه، فوقع على بن عيسى على ظهر الكتاب: أنت يا أبا الحسن تَكْتُب فتُجيد، والاسم الحَميد خير من الكلام السديد، ضَيَّعْتَ علينا أرْزاً حصَّلْتَهُ، وعَوَّلْت بنا على كلام ألَّفته، وخطاب سجعته، أوْجَبَ صَرْفَك عما توليته، والسلام.

فقال أبو الحسن بن نيداد: ماصرفنى غير السجع. وكتب إليه.

وصل كتاب سيدنا الوزير — أطال الله بقاءه — مشتملاً على وَصْفٍ وصرف. فأما الوصف فهو منه — أدام الله تأييده — مع محلّه من الصناعة نهايةُ الفخر والسعادة. وأما الصَّرْف عن الاعتذار، بما جرى به المقدار، فما جَزاء مَن اعتذر مِنْ حَالٍ لادَرَك عليه فيها أنْ يُصْرَف عن ولايةٍ لا جنايَةَ منه عليها، والاعتذارُ بلفظ الصواب، أولى من الاحتجاج بسوء الخطاب

فوقَّع علىّ بن عيسى عن جوابه : قدأدَّته البلاغةُ إلى الإرادة ، فَلْيُكْتَبْ بإقراره على العمل ، و إسعافه بالأمل ، إن شاء الله .

وورد الحضرةَ قوم من أهل ديار ربيعة يتظامون من حَيْفٍ لحقهم فى معاملاتهم ، فكتب على أيديهم إلى الحسن بن محمد بن عينونة العامل هناك كتاباً نسخته .

بسم الله الرحمن الرحيم . فى عِلْمك ـ أكرمك الله ـ بما أمر الله به من العدل والإحسان ، ونهى عنه من الجور والعُدْوان ، وعاقب به الظالمين فى سالف الأزمان ، غِنًى لك عن التنبيه والتوقيف ، والوعظ والتخويف : وفيما رسمتُه لك مشافهة ومكاتبة فى إنكار الظلم و إزالته ، و إظهار العدل و إفاضته ، كفايةٌ وبَلَاغ . وقد ورد الحضرة ـ أكرمك الله ـ جماعةٌ من وجوه التُنَّاء والمُزارعين بديار ربيعةَ مُتَظلّمين مما عُوملوا به فى سِنِى إحدى واثنتين وثلاثَ عشرةَ وثلاثمائة ، من إكراههم على تضمُّن غَلَّاتِ بيادرهم بالحَزْرِ والتقدير و إلزامهم حقَّ الأعشار فى ضِياعهم على التربيع ، واستخراج الخراج منهم على أوفر عِبْرَة[1] قبل إدراك غلاتهم وثمارهم ، و إكراه وجُوههم وتُجّارهم على ابتياع الغلاتِ السلطانية بأسعارٍ مُسْرِفَة مُجحفة . فأقلقنى ما أفاضوا فيه من الشكوى ، وآلمنى ما انتهى إلىَّ وَصْفُه من عظيم البلوى ، ووجدته ـ مع قبيح ذِكْره وعظيمِ وِزْره ـ عائدا بخراب الضِّياع ، ونقصانِ الارتفاع . فينبغى ـ أكرمك الله ـ أن تُجْرِىَ سائرَ رعيتك على المعاملات القديمة ، وتحملهم على الرُّسوم السليمة ، حتى يعودوا إلى أفضل حالٍ عهدوها ، وأجملِ سيرة حَمِدوها ، وتُزيل السُّنَن الجائرة وتُبْطِلها ، وتَقطع أسبابها وتَحْسِمها ، وتكتب إلىَّ بما يكون منك فى ذلك فإننى على اهتمام به ، ومراعاة له ، إن شاء الله .

---

(١) العبرة من معانيها الأصل الذى ترد إليه النظائر ويراد هنا على أوفر ما يكون المحصول .

وكتب إلى عبد الله بن على الجوْجَرانى عامل الصلح والمبارك .

وصل كتابك ـ أكرمك الله ـ جواباً عن الكُتُبِ النافذة إليك فيما تظلّم منك فيه جماعة من الرعيّة ، وواصلوه من الشَّكيَّة ، بما دلّتَ عليه من بُطلان أقوالهم ، وشدّةِ أطماعهم ، وحكيت من وجوبه عليهم بالُحجج الواضحة ، والشواهد اللائحة ، وفهمتُه . فأمّا ما وصفتَه من استعمالك الحقّ فى قولك وفعلك ، وحلك وعقدك ، فانظُرْ أىّ دعوى ادعيتها لنفسك ، وماذا تحتجّ به غداً عند ربك . واعلم أن أقبح الناس فى الدنيا ذِكْراً ، وأعظمهم عند الله وِزراً ، مَنْ وَصَفَ عَدْلًا وأتى جَوْراً ، وأحْسَنَ قَوْلًا وأساء فِعْلًا . وأما ماذكرت أن هؤلاء المتظلّمين أوقعوا فيه المُغَابنة ، وابتاعوه من أراضى المزارعات مصابرة ، فارتجعتَه منهم لتبيعه بالثمن الوافر ، والنَّقْد الحاضر ، فقد عدلتَ فى أمرهم عن طريق الحكم ، إلى أشنع جهات الظُّلم . ولو بانتْ دعواك وظهرتْ ، وقامت البيِّنةُ عليها ووضحت ، لما جاز أن تَمْنعهم عما مَلَكوه ، ولا تحولَ بينهم وبين ماابتاعوه ، إلا بعد أن يختاروا فَسْخ البيع ويَرْضَوه ، ويُؤْثروه ولا يَأْبَوْه ، وتردّ عليهم من الثمن ما وزنوه ، وتدفع إليهم معه ما أنفقوه . فَسَلِّمْ إليهم ـ عافاك الله ـ مِلْكَهم ، وَوَفِّهم حقَّهم ، واقنع فيما بينك وبينهم بنَظَرِ محمد بن محمد ابن حمدون ووساطته ، ولا تعدل عن قبول رأيه ومَشورته . وأمّا ما أنفذته من العمل لبقاياسنة ثمانٍ وثلاثمائة وماقبلهاو بيّنت أنمعظمه على الطائفة المتظلّمة منك ، فقد وقفتُ عليه ، وأَحوال هذه البقايا مُختلف ، والُحكم فيها واضح منكشف ، وسبيل ما كان منها على الجهابذة والبلدية ، وسُكّان المستغلات السلطانية ، أن تستخرجه فى أسرع الأوقات ، وتستوفيه على تَصرُّف الحالات . وما نَقّاهُ المُحمّلون وأصحاب المناثر [1]

---

(١) لعله يعنى بأصحاب المناثر هم الذين يجمعون ما تساقط وتناثر من المحاصيل بعد نقل الأجران أو ما حولها وما شابه ذلك .

عن نَفَائض قُنَاب [١] الحاصل ، ووصفوا أن تصحيحه واجب على أرباب البيادر ، فسبيلُك أن تُجريه مجرى أسلاف البذور التى تستنظفها ، مع التوثُّق منها بعد شهور. وما بقى من الأسماء المجهولة ــ ولا أشكُّ أنه من خراج نخل وخضر فى أَقْرِحة [٢] معروفة ــ فيجب أن تطالب مُزارعى تلك الأقرحة حتى يُصَحِّحُوه ، أو يكشفوا حاله ويوضحوه ، فاعمل فى ذلك بما رسمتُه ، ولا تتجاوز ماحدَّدْتُه ، إن شاء الله . وأمّاما ذكرتَ أن ابن المشرف الذارع أشار عليك بإيقاع المساحة عليه من حَرِيم الأنهار ، المحفوف بالنخل والأشجار ، لتطالب بابتياعه ، مَنْ تَجِدُه قد فاز بارتفاعه ، فقد غَشَّك هذا الذَّارِع فى مشورته ، ودلّك على سوء سَرِيرته . وجميع نواحى واسط ــ أصلحك الله ــ من السواد المفتتح عَنْوَة ، وليس يملكه السلطان ــ أعزه الله ــ فيباع ، لأنه فَيْءٌ للمسلمين يقوم مقام الوَقْف على جميعهم ، وإنما تَبَايُع أهليه فيه يَجْرِى مَجْرى السُّكْنى لِأجل ما أَدَّوْه ويُؤَدُّونه من الخراج وهو الكِرَاء ، ومن غَرَس فى هذا الحريم نخلا أو شجرا ، أو زرعه غَلّةً أو خضراً ، فقد نفع سلطانه ــ أعزّه اللهُ ــ وانتفع ، وثمَّر ماله بما صَنَع . فاحذر أن يَخْطُرَ هذا الباب ببالك ، أو يَجرىَ ذِكْرُه على لسانك ، وارْجِع عمَّا يَعْزُب عنك فَهْمُه ويُشْكِل عليك حُكْمه إلى الفقهاء ، لِتَسْلَمَ من سِمَةِ المسبَّة ، وتأمن سُوءَ المَغَبَّة ، إن شاء الله .

وحدث أبو الحسن علىُّ بن هشام قال [٣] : أقرأنى أبو عبد الله أحمدُ بن محمد الحليمىُّ كتاباً بخطّ أبى الحسن علىِّ بنِ عيسى ذَكر أنّه كتبه إليه فى وزارته الأخيرة وهو يتقلّدُ طَسَاسِيجَ طريقِ خُراسانَ ، يحثُّه فيه على حَمْل المال وكانت نُسْخَتُه :

---

(١) النفائض جمع نفاضه وهى ماتساقط من الورق والثمر . والقناب : الورق المجتمع الذى فيه السنبل .

(٢) الأقرحة جمع قراح وهى الأرض .

(٣) نشوار المحاضرة ٨/١٠ .

قد كنتَ ـ أكرمك اللهُ ـ عندى بعيدا من التقصير ، غنيّاعن التنبيه والتبصير راغبا فيما خَصَّك بالجمالِ ، وقدّمك على نُظَرائك من العمّال ، واتصلتْ بك ثقتى ، وانصرفتْ نحوك عِنايتى ، ووردتُ الجميل منَ العمل إليك ، واعتمدتَ فى المُهِمّ عليك . ثم وَضَح عندى من أثرك ، وصحّ عندى من خَبَرك ، ما اقتضى استزادتك ، وَرَدِفَهُ ما استدعى استبطاءك ولائمتَك ، وأنت تعرف صورةَ الحال ، وتَطَلُّعى ـ مع شدة الضرورة ـ إلى ورود المال . وكان يجب أن تبعثك العناية ، على الجِدّ فى الجِبايَة ، حتى تَرِدَ حُمُولُك ، ويتوصّلَ ما نتوقّعُ ورودَه من جهتك . ونَشَدْتُك [١] بالله لَمَّا [٢] تجَنَّبْتَ مذاهبَ الإغفـال والإهمال ، وقرنْتَ الجواب على كتابى هذا بِمالٍ تَميزُه من سائر جهاته وتحصِّله ، وتبادر به وتَحمِله ، فإنّ العين إليه ممدودة ، والساعات لوروده معدودة ، والعذر فى تأخُّرِه ضَيِّق ، وأنا عليك من سُوء العـاقبة مشفق ، والسـلام .

وحدث أبو الحسين علىُّ بن هشام قال [٣] : سمعت أبا عبد الله الباقطانى يقول : لما غلب السِّجْزِيَّةُ [٤] على فارسَ ، جَلَا قومٌ من أرباب الخراج عنها لسوء المعاملة ، فَفُضَّ [٥] خراجُهم على الباقين ، وكَمُل بذلك قانون فارسَ القديم ، ولم تزل هـذه التـكملةُ تُسْتوفى على زيادةٍ تارةً ، ونقصانٍ أُخرى . وافتتح أبو الحسن ابن الفرات فارسَ فى وزارته الأولى سنة ثمانٍ وتسعين ومائتين على يدِ وَصيفٍ [٦] كامَه ، ومحمد

---

(١) نشده الله ونشده بالله : سأله وأقسم عليه به .

(٢) لما معناها إلا : قال ابن برى : وقد حكى سيبويه نشدتك الله لما فعلت بمعنى إلا فعلت .

(٣) نشوار المحاضرة ٦٨/٨ .

(٤) السجزية نسبة إلى سجز وهو اسم لسجستان . ويريد المؤلف بذلك بنى الصفار وانظر ابتداء أمرهم فى ابن الأثير حوادث سنة ٢٥٣ .

(٥) يقال فض الشىء على القوم : فرقه وقسمه .

(٦) انظر الطبرى حوادث ٢٩٨ وابن الأثير حوادث ٢٩٧ .

ابن جعفر العَبَرْتاوى[1] فَأَجْرَى الأمر على رَسْمِه، وفعل مثلَ ذلك محمد بن عبيد الله الخاقانى وعلىُّ بن عيسى فى صدر وزارته الأولى . فلما مضى منها مُدَيْدَةٌ ، وَرَدَ عبدُ الرحمن بن جعفر الشِّيرازى إلى الحضْرة ، فتكلَّم عَلَى محمدِ بنِ أحمدَ بن أبى البغل ، وقَدَح فيه ، وكان يتقلَّد فارس إذ ذاك ، وخَطَبَ العمل ، و بذل توفيرَ جُملةٍ من المال ، فعقد علىُّ بن عيسى الضمانَ عليه ، وصَرَفَ ابنَ أبى البَغْل وقلَّده أصْبَهان ثم أَخَّر عبدُ الرحمن بن جعفرٍ المالَ واحتجَّ بتظلُّمِ أهلِ فارسَ من التَّكملة المذكورة ، وامتناعِهم من أَدائها ، فكتب علىُّ بن عيسى إلى أبى المنذر النعمانِ بنِ عبد الله — وهو يتقلَّدُ كُوَرَ الأهواز — بالاستخلاف على عمله ، والنفوذِ إلى فارسَ ، ومطالبةِ عبدِ الرحمن بما حَلَّ عليه من المال ، والنظرِ فى أَمْرِ التكملة التى وقعت الظُّلاَمَةُ منها ، وشَرْحِ أمرها وحَلِّ ضمانِ عبدِ الرحمن ، وعَقْدِ البلدِ على أحمدَ بن محمد بن رُسْتم، وكتب إلى ابن رستم بأن يصير من أصبهان إلى فارسَ ، لِيعْقد [له][2] عليه .

فلما وصل النُّعمان إلى هناك وجد قِطْعةً من التَّكملة على عبد الرحمن . وقد رام أن يَكْسِرَها ، فعَسَفه[3] وباع شيئا من أملاكه حتى استوفى ما عليه ، واستخرج مالَ التكملة من الناس ، وكتب إلى علىٍّ بن عيسى بأنَّ العمال يَستضعِفون قوما من أرباب الخراج فيُلْزِمونهم من التكملة أكثرَ مما يَلْزَمهم ويَرْهَبُونَ آخرين فيُحَمِّلُونهم أقل مما يَخصُّهم . وقال هو وابن رستم : و إن من طرائف ما يجرى بفارسَ مطالبةَ الناس بهذه التكملة وهى ظُلْمٌ لا شكَّ فيه ولا شبهة ، ومما سنه الخوارجُ جَوْراً

---

(١) فى الأصل عبر تاى . ولكن النسبة إلى عبرتا : عبرتاوى أوعبرتى ، وفى ابن الأثير حوادث ٢٩٧ الفريابى .

(٢) يقال عقد له الرئاسة فى قومه : جعلها له . وعقد له على الجيش رأسه عليه .

(٣) عسفه : ظلمه .

ومجازَفَةً[1]. وإن هناك مما قد أُغضِيَ عنه لأربابه، والمطالبةُ به أَوْلَى وأحقّ، وهو خَرَاجُ الشَّجَرِ، لأَن فارسَ افتُتِحَت عَنْوَة، وهى فى أيدى المزارعين على سبيل الإجارة، ولا حُجَّة لهم فى دفعهم إلَّا دعواهم أن المهدى أسقطه عنهم.

وعرف أهلُ بلادِ فارس ما يجرى من الخوْضِ فى هـذا الأمر، فورد قومٌ من أَجْلَادهم إلى حضرة علىّ بن عيسى، ودخلوا عليه فى يوم جلوسهِ للمظالم وقالوا: نُمْنَعُ غَلَّاتنا وتُعْتَاق فى الـكناديج[2] حتى تهلِكَ وتصيرَ هكذا ـ وطرحوا من أكامهم حِنْطَةً محترقة ـ ونطالَب بتكملة ما أوجبه الله علينا فتـدعونا الضرورة إلى بيعِ نفوسنا وشعورِ نسائنا وأدائهـا حتى تُطْلق الْغلّة وهى على هـذه الصورة ـ ثم رموا من أكامهم تيناً يابساً وخوخاً مُقَدَّداً وَلَوْزاً وفُستقا و بنـدقا وغُبَيْرَاء وَنبقا وعُنَّابا ـ وقالوا: وهذا كله بلا خراج لقوم آخرين، والبلد فُتِحَ عنوة فإمَّا تساوينا فى العدل أو الجوْر.

فأنهى علىٌّ بن عيسى ذلك إلى المقتدر بالله، وجمع القضاةَ والفقهاء ومشايخَ الـكُتَّاب والعمالِ وجِلَّةَ القوَّاد فى دار الوزارة بالمخرِّم ـ وقد جعلها ديوانا ـ وتناظر الفريقان من أرباب الشجر ـ وقد ورد منهم قوم ـ وأرباب التكملة. فقال أربابُ الشجر: هذه أملاكٌ قد أنفقْنا عليها أموالنا حتى نَبَتَت الغروسُ فيها، وحصل لنا بعضُ الاستغلال منها، ومتى أُلْزِمَتِ الخراجَ بَطَلَتْ قيمتها، وقد كان المهدىُّ أزال المطالبةَ ورَسْمَ الخراج عنها. وقال المطالبون بالتكملة ما شَـكَوْا به حالهم فيها، واستمرارَ الظلم عليهم بها.

ورُجع إلى الفقهاء فى ذلك فأفْتَوْا بوجوب الخراج و بطلان التكملةِ. وقال

---

(١) يراد بالمجازفة: بدون قانون ولا تبصر ولا تقدير صحيح.

(٢) الـكناديج: أوعية من الطين لخزن الغلال = صوامع.

الـكُتّابُ : إن كان المهدىُّ شرط شرطاً لمصلحةٍ رآها فى الحال ثم زالت سَقَطَ الشرطُ ورجَعَ الحكمُ إلى الأصل. وقال لهم علىُّ بن عيسى : أليس احتجاجُكُمْ بأنَّ المهدى إمامٌ رَأَى رَأْياً فيه صلاح ففعله ؟ قالوا : بلى . قال : فإن أمير المؤمنين الإمامَ قد رأى أن من الأحوط للمسلمين إلزامَ الشَّجَرِ الخراج وإزالةَ التَّكملة . فقام الزَّجَّاج وَوَكِيعٌ القاضى فَدَعَوَا له وأثنيا عليه . وقال وكيع : لقد فعل الوزير فى هـذه القصة كفعل أبى بكرٍ الصديق رضى الله عنه فى مطالبته أهْلَ الرِّدَّة بالزكاة .

وأنهى علىُّ بن عيسى والقضاة ما جرى المقتدر بالله فى يوم الموكب ، واستأذنه فى كَتْبِ الكتاب بإسقاط التكملةِ عاجلًا إلى أن يتقرر أمرُ الشجر. فأمره بكتب ذلك فى الحال بحضرته ، وأُحضرت له دواةٌ — وكان رَسمُ الوزراء إذا أرادوا كتب كتاب بحضرة الخليفة أنْ تُحْضَرَ لهم دواة لطيفةٌ بسلسلةٍ فيُمسكها الوزير بيده اليسرى ، ويكتبَ بيده اليمنى — وبدأ علىُّ بن عيسى يكتب بغير نُسْخة ، فلما رآه المقتدر بالله وقد شَقَّ ذلك عليه أمَرَ بإحضار دَواتِه وأن يقفَ بعضُ الخدم معه فيُمسكها إلى أن يَفْرُغ من كتابته . وكان أوّلَ وزير أُكْرِم بهذا ، ثم صار رَسْمًا للوزراء بعده فكانت نسخةُ ما كتبه على بن عيسى :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله جعفرٍ الإمام المقتدرِ بالله أميرِ المؤمنين إلى النعمان بن عبد الله، سلامٌ عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمد إليك اللهَ الذى لا إله إلا هو ، ويسأله أن يُصَلِّىَ على محمدٍ عبدِه ورسولِه صلى الله عليه وسلم .

أمّا بعد فإن أفضلَ الأعمال قدْراً ، وأجملَها ذِكْرا ، وأكملها أجْرا ، وأذْخرها ذُخْرا ، ما كان لِلتُّقى جامعا ، وللهدى تابعاً ، وللورى نافعاً ، وللبلوى دافعاً ، وقد جعل

اللهُ أميرَ المؤمنين فيما استرعاه من أمور المسلمين مُؤْثِراً ما يُرضيه ، مثابرا على ما يُزْلِف [1] عنده ويُحْظِيه ، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله ، عليه يتوكل ، وبه يستعين . وقد عُرِفَتْ حالُ السِّجْزِيَّة والخُرَّمِيَّة الذين تغلَّبوا على كُوَر فارسَ وكَرْمَان ، واستعملوا الجَوْرَ والعُدوان ، وأظهروا العتوَّ والطُّغيان ، وانتهكوا المحارم ، وارتكبوا العظائم ، حتى أنفذ أميرُ المؤمنين جيوشَه إليهم ، وتورَّد بها عليهم ، فأزالهم وأبادهم ، وشتَّتهم وأبارهم [2] بعد حروبٍ تواصلتْ ، ووقائع تتابعتْ ، أحلَّ اللهُ بهم فيها سَطْوتَه ، وعجل لهم نِقْمته ، وجعلهم عِبرة للمعتَبِرين ، وعِظَةً للمستمعين . « وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ » [3] ولمَّا مَحَقَ اللهُ أمْرَ هؤلاء الكُفَّار ، وفرَّق عَدَد أوْبَاشهم الفجَّار ، وجَدَ أميرُ المؤمنين أفظَعَ ما اخترعوه ، وأشنع ما ابتَدعوه ، فى مُدَّتِهم التى طال أمَدُها ، وعظم ضَررُها ، تَكمِلةً اجْتَبَوْها بِكُورِ فارسَ فى سِنِي غَوَايَتِهم لمَّا طالبوا أهلها بالخراج على أوْفر عِبْرَتِهم [4] من غير اقتصار فيه على الموجودين ، حتى فَضُّوا [5] عليهم خراج ما خَرِب من ضِيَاع المفقودين ، فأنكر أميرُ المؤمنين ما استَقرَّ من هذا الرسم الذميم ، وأكْبَرَ ما استمرَّ به الظلمُ العظيم ، ورأى صِيانةَ دولتِهِ عن قبيح مَعَرَّته ، وحراسةَ رعيتِهِ من عظيم مَضَرَّته ، مع كَثْرته ووفور جملته . فارْفَعْ عن الرعيَّة هذه التَّكملةَ رفعاً مشهورا ، فقد جعل الله من سَنَّها مدحوراً . ونادِ فى المساجد الجامعة بإزالتها وإبطالِ جبايتها . لِيَذِيعَ ذلك فى الجمهور ، ويتمكَّن السكونُ إليه فى الصدور ، ويَحْمَدَ اللهَ الكافَّةُ على ما أتاحه اللهُ لها من تعطُّفِ أمير المؤمنين ورِعايته ، وجميل حِياطته

(١) أزلفه : قربه . (٢) أبارهم : أهلكهم .

(٣) الآية ١٠٢ من سورة هود .

(٤) العبرة من معانيها : الأصل الذى ترد إليه النظائر .

(٥) فضوا : قسموا وفرقوا .

وعِنَايته ، وأَجِبْ بما يكون منك فى ذلك ، فإن أمير المؤمنين يتوكَّفه [١] ويراعيه ويتشوّفه إن شاء الله . والسلام عليك ورحمة الله. وكتب علىٌّ بن عيسى يومَ الخميس النِّصْفَ من رجب سنة ثلاث وثلاثمائة .

وقد كان علىٌّ بنُ عيسى نظر فى سنةِ اثنتين وثلاثمائةٍ الخراجيَّةِ لأهل هذه التكملة بألفِ ألفِ درهم [٢] قبل أن يستقرَّ على أرباب الشجر الخراجُ . ثم تقرّر على أن يُقارَبَ أهلُه فيه ويُلزَموا طُسوقاً مخفَّفة عنه ، وفعل النعمان فى ذلك فِعْلًا وُفِّق به ، وكان ما ارْتفع منه قريباً من مال التكملة . وكتب علىٌّ بنُ عيسى فى أمر الشَّجَر بما نُسختُه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله جعفرٍ الإمام المقتدر بالله أمير المؤمنين إلى أحمدَ بنِ محمد بنِ رُستم ، سلامٌ عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمَد إليك الله الذى لا إله إلّا هو ، ويسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد فإن الله بعظيم آلائه ، وقديم نَعْمائه ، وجميلِ بلائه ، وجزيل عَطائه ، جعل أموال الفَيْءِ للدِّين قِواما ، وللحقّ نظاما ، وللعزّ تماما ، فأوجب للأئمة جِبايتها وحرّمَ عليهم إضاعتها ، إذ كان ما يُجتبى منها عائداً بصلاح العباد ، وحراسة البلاد ، وحماية البريّة ، وحِياطة الحوْزة والرعيّة ، ولذلك يُعْمِلُ أمير المؤمنين فِكْره ورويّته ، ويَسْتَفْرِغ وُسْعَه وطاقته فى حراستها وحياطتها ، وقَبْضِ كلِّ يدٍ عن تحيُّفها وتَنَقُّصها ، والله ولِىُّ معونته بمَنِّه ورحمته . ولما فتح اللهُ كُوَرَ فارسَ على المسلمين ، وأزال عنها أيدى المتغلّبين ، وجد أميرُ المؤمنين أهلَها قد احتالوا فى إسقاط خراج

(١) يتوكف الخبر : ينتظر ظهوره . ويتوكف الأثر : يتتبعه .
(٢) فى نشوار المحاضرة ٨/٧٤ بعشرة آلاف درهم .

الشجر بأسْرِه ، مع كثرته وجَلَالة قَدْره ، فأمر بإشخاص وجوههم[١] إلى حضرته ، واتصلت المناظرة لهم بمشهد من قُضاته وخاصَّتِه ، إلى أن اعترفوا به مذعنين ، والتزموه طائعين ، وضمنوا أداء ما أوجبه الله فيه من حقوقه على ماتقرَّر من وَضَائِعه[٢] وطسوقه فطالب بخراج الشَّجَر ، فى سائر الكُوَر ، على استقبال سَنَةِ ثلاث وثلاثمائة. فاسْتَخْرِجْهُ واسْتَوْفِ جميعه واستنظفه[٣] واكتُبْ بما يرتفع[٤] من مساحته ويُتَحَصَّلُ من مبلغ جِبايته ، مُتَحَرِّيًا للحق ، متوخِّيًا للرفْق إن شاء الله . والسلام عليك ورحمة الله . وكتب علىٌّ بن عيسى يوم الاثنين لعشرٍ ليالٍ خَلَوْنَ من شعبانَ سنةَ ثلاثٍ وثلاثمائة .

وحدث أبو الحسن أحمد بن محمد بن سمعون الجَرْجَرَائىُّ قال : كنت أَخلُف أبا ياسرٍ الجَرْجَرَائِىَّ على النَّهْرَوَانات ، فَمَسَحْنا على[٥] الناس مايجرى على الطسق من غَلَّاتهم فإذا أحد الثُّنَّاء[٦] . قد أصعد إلى دار الوزير أبى الحسن علىّ بن عيسى — ونحن لانعلم — فتظلّم من أننا زدنا عليه فى مساحة قَرَاحٍ[٧] له . فلم نشعر إلا وقد جاءنا ابن البذَّال العامل ، وهو من وجوه العمال ، ومعه فَوْجٌ من مُسَّاحِ بادُوريا ، فُرْسانٌ ورَجَّالَةٌ ، فلم نَشُكَّ أنه صارِفٌ لنا . فقال لى صاحبى : أحب أن تتلقَّاه وتعرف الخبر . فتلقَّيته فوجدته مُنفَذًا لاعتبار مساحة القَرَاح الذى للرجل ، وعدت إلى صاحبى

---

(١) وجوه القوم : سادتهم .
(٢) الوضائع : جمع وضيعة ومن معانيها : مايأخذه السلطان من الخراج والعشور .
(٣) استنظف الخراج : استوفاه وأخذه كله .
(٤) يرتفع مطاوع رفع التى هى من قولهم رفع القوم الزرع : حملوه بعد الحصاد إلى البيدر فارتفع هو أى حمل بعد حصاده .
(٥) مسح الأرض : قاسها وقسمها .
(٦) الثناء : جمع تانئ وهو المقيم بالمكان .
(٧) القراح : الأرض لاماء فيها ولا شجر .

بذلك ، فقال لى : ماتَدْرى كيف جرى أمْرُ مساحتـه ؟ قلت : لا . قال : فاخرج حتى تُواقِفَ وتجتهـد . قال : فخرجت ومعى مُسَّاحُ البلد الذين مَسَحْنَا بهم ، وواقفنا واستقصينا ، وما زِلْتُ أَلْطُف حتى استقرّت مساحةُ القَرَاح على أَحَدٍ وعشرين جريباً وقفيزٍ[1] وكنَّا مسحناه اثنين وعشرين جريباً . واحتججتُ بأن المساحةَ وقعتْ أَوَّلًا والغَلَّةُ قائمةٌ فيه ، ومُسِحَ الآنَ بعد حصادها ، وليس بمُنْكرٍ أن يكون بين المساحة على الحالتين هـذا القـدرُ . وانصرف القومُ وطالعوا علىَّ بن عيسى بالصورة ، فوردت علينا كُتُبه بالصَّواعِقِ فى الإنكار والتَّوعُّد وقال : والله لئن عادتْ ظُلامةٌ أو تُحَيِّفَ أحـدٌ من الرعيـة فى معاملة أو مساحة لأُقابلنَّ على ذلك أشدَّ مقابلة . فتحرَّزْنا وتحفَّظْنا وحرسْنَا الناسَ ونفوسَنَا ، وزاد الارتفاعُ فى السنةِ الآتيـةِ ثلاثةً فى كلِّ عشرةٍ لأنَّ العدلَ شاع ، والحيْفَ زال ، فتوفَّرت العِمَارة .

وحدَّث أبو محمـد ثابتُ بنُ أحمد بن المشرف كاتبُ بَادُوريا قال : كان أهل بادوريا معروفين بالجَـلَد ، وكانت لهم مظالمُ وُقُوفٍ . ومظالمُ رُسومٍ ، ومظالِمُ تُدْعى مَظَالِمَ القِرْطَاس . فتقلَّد عليهم ابنُ أبى السلاسل[2] العامِلُ وفى قلبه أحقاد ، فأراد الاستقصاء عليهم والتَّشَفِّىَ منهم . وأخرج ما عليهم من البقايا ، وأضاف إليها ماردَّه من هذه المظالم ، وحبسهم وطالبهم فامتنعوا عليه ، وصبروا على الحبس ، فقيَّدهم واحتملوا القيد ، ولم يَجْسُرْ على أن يُوقِعَ بهم مكروهاً خوفاً من علىِّ بنِ عيسى . فأملى فى بعض الأيام على كاتبه بحضرتهم رقعةً إلى على بن عيسى يُغْرِيه فيهـا بهم كلَّ إغراء ويقول : هؤلاء قومٌ يُدِلُّون بالجَلَد ، وعليهم أموالٌ قد أَلَطُّوا[3] بها وصبروا

---

(١) القفيز : ١٤٤ ذراعاً وهو ربع جريب .
(٢) فى تجارب الأمم ٥/١٥٧ ابن السلاسل وبهامشه نقلا عن تاريخ ميافارقين، إن والى ميافارقين من قبل المقتدر هو ابن أبى السلاسل .
(٣) ألطو بها : منعوها .

على الحبس والقيد ، ومتى لم تُطْلق اليدَ فى تقويمهم واستخراج المال منهم كَسَرُوه ، وتأسّى بهم أهْلُ السَّواد فبَطَل الارتفاعُ ، والوزير ـ أيّده الله ـ أعلى عيناً فيما يراه من الإذن فى معاملتهم بما يضطرهم إلى الخروج من الحق . قال : فجزِع القومُ وخافوا أن يعود الجوابُ بإطلاق يده فيهم فيَبلُغَ منهم مبلغاً يَهْلِكون به ، وهمُّوا بالانقياد له إلى ما يريده . ثم صبروا ، فورد الجوابُ على ظَهْر الرُّقعة بخطّ علىّ ابنِ عيسى : الخراجُ ـ عافاك اللهُ ـ دينٌ لا يَجِب فيه غيرُ الملازمةِ فلا تتعدَّ ذلك إلى غيره .

ففرَّج اللهعنهم ، وأُمْضِيَتْ رُسومُهم ، ولم يُؤَدُّوا إلاالبقايا الصحيحة ، وزاد ارتفاعُ بادوريا فى السنة الثانية اثنين فى كل عشرة .

وحدَّث أبو محمد[1] عبدُ الله بن أحمدَ بنِ دَاسة قال : حدثنى أبو سهل بنُ زيادٍ القطَّانُ قال : كان أبو الحسن علىُّ بنُ عيسى يدخل إلى حجرة زوجتِه والدةِ أبى القاسم ابنِه فى كلِّ أسبوع . فلما نشأ أبو القاسم وتَرجَّل جاء إلى حجرة أُمِّه فى يوم نوبتها من أبيه فأقفلها عليها ، وأخذ المفتاح وانصرف ، ووافى علىُّ بنُ عيسى على رَسْمِه ، فلمارأى البابَ مُقفلا سأل عن ذلك فقيل : فعله أبو القاسم ابنُك . فاستحيا وعَرفَ غَرَضه ، فلم يدخل من بَعْدُ إلى أُمِّه إلا لعيادة أو حالٍ ظاهرة .

وحدَّث أبو القاسم عيسى بنُ علىٍّ بن عيسى قال : حدثنى أبى قال : لما حبسنى المقتدر بالله كنتُ مُكْرَماً فى مَحْبِسى ، فدخلت إلىّ القَهْرمانةُ بعدثمانيةَ عشرَ شهراً من القبض علىّ وقالت : يريدالخليفةُ أن يجيئَك فتأهَّبْ لذلك . فما مضت ساعةٌ حتى دخل إلىَّ مُؤْنِسٌ القشورىُّ وابنُ الحوارِىّ وقالا لى : أراد أميرُ المؤمنين أن يجيئك

(١) ذكر ميخائيل عواد أنها وردت فى نشوار المحاضرة ٢/٥٢ .

فاستحيا منك . قال : فقمت وقبّلْتُ الأرض ودعوتُ له ثم قالا : ويقول لك لولا علمُنا بزهدك فى الوزارة لما عَدَلْنَا بها عنك ، ولكننا نُشاورك فيمن نُقَلِّده ، اذْكُرْ هنا النَّاظِرَ فى الأمور ، فقلت : الوزارة محتاجة إلى رجل كاتب كافٍ مُمْشٍ للأمور عارفٍ بسياسة الجند ، وقد قلَّ الناسُ الذين هذه حالُهم ، وما أعرف من أذكره اقتضاباً من غير رَوِيّةٍ ، ولكن أَنْظِرُونى حتى أُراجع فكرى وأقولَ ما عندى . فقالا : قُلْ على كلِّ حال . فقلت لهما : بالحضْرَةِ رَجُلان وعلى البُعْد رَجُلان . فأما الحاضران فأبو عيسى أحمد بن محمد بن خالد أخو أبى صَخرة وأبو عبدالله حمد بن محمد القُنَّائى . وأمَّا الغائبان وهما أَوْفَقُ وأصلح فأبو على الحسينُ بنُ أحمد المعروف بأبى زُنْبور وأبو بكر محمد بن على المادرائِيَّان ، فإنهما قد دبَّرَا أُمور بنى طُولون فى المال والرِّجال ، ولهما فى الكتابة قَدَمٌ ، وبالتدبير دُرْبة ، فاستَدْعُوا أَحدَهما . قالا : هما بمصر ، والمسافة بعيدة ، ونريد ما هو أقرب . فقلت : إمَّا أبو عيسى أو حمد ، قالا : فما تقول فى حامد بن العباس . قلت : هو عامل يصلح لِعمارة وحفظِ ارتفاعٍ ، وما الوزارة من عمله ولا سياسةُ المُلك والرجالِ وتدبيرُ الأمور مما يعرفه . قالا له : فاعلم أن أمير المؤمنين قد قلَّده وخلَع عليه ، ونَظَر مُذ ثلاثة أيام . قلت : فما معنى المشاورة بعد الإمضاء ؟ فقالا : لأنه قد تَلَوَّح لنا عَجْزُ حامد وكِدْنا نفتَضِح به ، ولم يُؤْثِر الخليفةُ صَرْفه فى إثْر تَقْليده فيقبحُ ذلك فى السياسة ، ونريد أن نَشُدَّه بمن يقوم بهذا الأمر ويسدِّدُه ليبقى عليه اسمُ الوزارة ، وقد رأى أن يَنْدُبَك لذلك فتكون كاتِبَه وخليفتَه ظاهراً وأنت الوزيرُ باطناً والتدبير إليك ، والمعاملة بين أمير المؤمنين وبينك . قال : فاسترحتُ إلى الإجابة لِتَطاول حبسى وخرجت ونَظَرْتُ وكان ما كان .

وحدث أبو علىٍّ التنوخى قال : حَدثنى أبو الحسن أحمد بن يوسف بن الأزرق

قال : حدثنى أبو يعقوب أخى قال : حدثنى أبو بكر بن مقاتل ونحن بمصر قال : ابتعتُ من السلطان قديماً ، وأنا تاجرٌ ، غَلّةً على إكْراهٍ و بقِىَ علىّ من ثمنها عشرون ألف دينار ، وأحضرنى أبو الحسن على بن عيسى وطالبنى بذلك ، فلم يكن لى وِجْهَةٌ ، وعدلت إلى جَحْده وتَرْك الاعتراف به . وقال لى اعمَلْ حسابا بأصْلِ ما ابتعته وما أدّيته ليبين الباقى بعده . ودافعتُ فاعتقلنى فى الديوان ، وأمرنى بعمل الحساب فيه . فأخذت أعلِّلُ وأُطاول إشفاقاً من أن تتحقق البقيّة فأحْصُلَ تحت المطالبة بغير عذر ولا حُجّة ، ثم أرهقنى ودعانى إلى حضرته ، فدخلت ومعى كيسُ حسابى لِأُرِيَه ما ارتفع منه ، وأسأله إنظارى بإتمامه واستكماله . وفتحتُ الـكيس بين يديه ، وكنت أستطيب خُبْزَ البيت ولا آكل غيره ، ويُحْمَلُ إلىّ من منزلى فى كل يومين أو ثلاثةٍ ما أُريد منه ، و بحُسْن الاتفاق تركت فى الـكيس منه رغيفين استظهاراً لئلا يتأخّرَ عنى ما يُحْمل إلىّ ، و بينما أُقلِّب الحسابَ وقعتْ عينُ الوزير أبى الحسن على الرغيفين ، فلما رآهما قال لى : اضْمُمْ إليك حسابك ، مِراراً . فضمَمْتُه وشدَدْتُه وقال لى : قم إلى بيتك . فانصرفت ولم يُطالبنى بعدَ ذلك بشىء ، ولا تَنَبَّه مَنْ نظر بَعْدُ عَلَى أمرى ، فانـكسر المال والله ، وكان سببُه الرغيفين لأن علىَّ بن عيسى لما رآهما وقد كنت أشـكو الخسارة والفقر حَمَلَنى على أنَّ حَمْلِى للرغيفين مع الحساب لضعْفِ حالٍ وشِدَّة فَاقة .

وحدث أبو القاسم عيسى بن علىٍّ قال : حدثنى أبى قال : لما استهَلَّ ذو الحجة من سنةِ أربعٍ وثلاثمائة ، وقد قارَبْتُ استيفاء السنة الرابعـة من وزارتى الأولى للمقتدر بالله ، بلغنى ما قد عَمِل عليه من صرفى ، فدخلت إليه وخلوت به وقلت : يا أمير المؤمنين قد أظلّ العيد — عرّفك اللهُ بركته — ووجب أن ننظر فى أمر خواصِّك وجُندك ، فمن كان له رِزْقٌ متأخِّر ، واستحقاقٌ حاضر ، أطلقناه له ليصرفه

فى نفقة عيده . فقال : نعم . قلت : نراسل السادةَ ـ وأشرتُ إلى السيدةِ والخالةِ والأمراءِ والحرم ـ ونستعلم منهم الصورة فيما يتعلق بهم . ففعل وقالوا : قد راجت أموالُنا وما بَقِىَ لنا ما نُطالب به أو نَقتضيه . قال : فقلت : إن خدَم الدار وحواشِيَها وأصحابَ الجرَايات والمرتَزِقة والغلمان الُحجرِيَّة والرجَّالة المصَافِيَّة ، وأصحاب مؤنس وأصحابَ الُحجَّاب وأصحاب الشّرطة جارون هـذا المجرى فى الاستيفاء ، وقد أزحت عِلَلَهم فيما استحقُّوه منذ نظرتُ ومُكرَّر إلى هذه الغاية ، ولم يبق علينا شىء لأحد إلا ما كان لبعض رِجَال القوَّاد التفاريق ، وقد تقدمت بإخراج الحال فيه فكان مائةً وثلاثين ألف دينار ، وحملت إلى مجلس العطاء اليومَ منه مائة ألفِ دينار وقدَّرت أن الثلاثين ألفاً ستتوفَّر مِنْ جارى مَنْ مات أو غاب أو أُسْقِط ، وفُضُولِ الأوزان والرُّسوم التى كان يُرْتفق بها قبل هذا الوقت . وإنما أردت فى إعلام أمير المؤمنين من ذلك ما أعلمته ليتحقق استقامةَ أَمْرِه وأمرِ أهل دَوْلته . قال : فأظهر السرور بما أخبرته به وشكرنى على ما فعلته فيه وقلت : يا أمير المؤمنين إن ابن الفُرات نظر لك قبلى أربع سنين فأنفق ارتفاع الدنيا ومالَ المصادرات ، وكذا وكذا ألف دينار من بيت مال الخاصَّة ـ لم يُسَمِّ أبو القاسم عيسى [بن] على ما ذَكَر مَبلَغَه[1] ـ ثم نظر لك بعده محمد بن عبيد الله الخاقانى ، فأخرج من بيت مال الخاصة ألفَ ألفِ دينار زائدة على ما أخرجه ابنُ الفرات بعد الذى أنفقه من الارتفاع والمصادرة ، وقد وَفَّيتُ الناس أموالهم كما رأيتَ وما مَسَسْتُ من بيت مال الخاصة دِرهما واحداً ، وإنْ تركتَنى حتى أُدبِّرَ أمورك فى هذه السنة المقبلةِ ولم تُغيِّرْ لى أمراً قمتُ بجميع الخَرْج ، وحملت إلى بيت مال الخاصة ألف ألف دينار أُوَفِّرها . فقال : معاذ اللهِ أن أَعتقِدَ لك صَرْفاً أو اعتاضَ عنك أحداً ، وأنت . . وأنت . . وجعل يُقرِّظنى ويصفنى ويحمَدُنى ويشكُرنى . فانصرفت من بين يديه وعندى أننى

---

(١) فى الأصل : لم يقم أبو القاسم عيسى على ما ذكر مبلغه .

قد كُفيتُ الصَّرْفَ فما مضى على هذا المجلس سبعةُ أيَّام حتى قُبِض عليّ فى اليوم الثامن وكان يَوْمَ التَّرْوِيَةِ ، وَنَــكَبنى .

وحدث أبو على عبد الرحمن بن عيسى قال: سمعت الوزير أبا الحسن أخى يقول: قلَّ ما ظفر أحد ببغى [فلم يبْطَر] [١] ، وقلَّ من حرص على النساء فلم يَفْتَضِح ، وقلَّ من أكثر من الطعام فلم يَتَّخم ؛ وقلَّ من ابْتُلِىَ بوزراء السّوء فلم يقع فى المهالك. وهذه الكلمة عمدةُ القول [٢] :

وحدث عبد الرحمن قال : كان أبو بكر بن مقاتل يتولَّى كيل ما يرد من الشعير لِلْقَضِيم واستيفاءه ، فيبقى عليــه من أسافل الزَّواريق من الرَّطْبِ والْعفَنِ ما يُباع بثمنٍ بَخْسٍ ، ويُورد الْحسبانات على الأوقات . فاتفق أن حضر الناظِرُ فى أمور الجوارح والطُّيور يلتمس إطلاق عُلُوفة البطّ فى البِرَك والزُّبَيْدِية — وَقَدْرُ ذلك ثلاثون قَفيزاً شعيراً فى كلّ شهر — فأحضر أخى أبو الحسن علىّ بن عيسى ابنَ مُقاتل وناظَرَه على أمر الشعير الرَّطْبِ والمبلول وما يحصل من ثمنه ، وموقعه من ثمن الشَّيْلَمِ ، والتفاوتِ بينهما ، إلى أن عرف التوفير بين إطلاق الشعير الجيِّد والشعير الرَّطْب ، ثم تقدَّم بإقامة العُلُوفة من الرَّطب . فخرج ابن مقاتل متعجِّبا من دِقَّة نَظَرِ أبى الحسن فيما نظر فيه حتى وفَّر ما وفَّره منه بعد طول المحاورة وذَهاب شَطْرٍ من الزمان فى المناظرة ، وعرَّج ابن مقاتل إلى أحمد بن يحيى بن حانى كاتبِ الوزير أبى الحسن علىٍّ خاصَّةً فقال له : كم يَرْتَزِقُ الوزير فى الشهر ؟ قال : سبعةَ آلاف دينار . فقال : قِسْطُ اليوم فيهــا مائتان وثلاثون ديناراً ، وقِسْطُ الساعةِ نحوُ عشرين ديناراً ، وقد نظر الوزير فى أكثرَ من ساعة توفيراً لا يبلغ ما استحقَّه من الرزق . وأخرج القولَ

---

(١) زيادة من كليلة ودمنة ص ٤٢ ، ٨٠ طبعة ١٩٠٥ .

(٢) فى هامش إحدى النسخ : هذه بعينها فى كتاب كليلة ودمنة على النسق وصورة اللفظ .

مَخْرَج التنادُر ، وسمع صاحِبُ الخبر ذلك ، فكتب به إلى الوزير ، ودعاه من وَقته ، فلما وقف بين يديه قال له : أَعِدْ قولك فى معنى الرِّزق . فاضطرب وتحيَّر ، فقال له : أَعِدْ ويلٌ لك . فقال : إنما كان قولى على وجه التعجُّب من نظر الوزير الدقيق فى الأمر القليل : فقال : لا تتعجب من ذلك فإن لكل أمرٍ حَظًّا من النظر والتفقُّد ، ولو لم نتفقد الصغير لأضعنا الكبيرَ ، وهذه أمانة لا بُدَّ من أدائها فى قليل الأمور وكثيرها . وكما أنَّا نَظَرْنا فى هذا الدقيق ساعة فكذلك ننظر فى الجليل ساعةً نظراً يؤدى إلى استخلاصِ البلدِ العظيم ، وتحصيل المال الجسيم وإعادة الشاذِّ إلى الطاعة ، ونأتى من التَّوفير بما يُضَعِّفُ على أرزاقنا للسنين الكثيرةِ . وإذا علم معاملونا أنَّا نراعى أمورهم هذه المراعاة لزموا الأمانة وخافوا الخيانة . اخْرُجْ وَدَعِ الفُضُول . فخرج وعمامتُه فى يَدِه .

وحدث عبد الرحمن بن عيسى قال : حدثنى أحد الخدم الخاصَّة قال : حضر أبو الحسن علىٌّ بن عيسى دارَ السلطان فى يوم شديد البَرْد ، وليس بيوم موكب ، وعرف المقتدر بالله خَبرَه ، فجلس له فى بعض الصُّحون على كرسىٍّ ورأسُه مكشوفٌ . فخاطبه فى معنى ما حضر له ، فلما فَرَغ قال له : يا أمير المؤمنين تَبْرُز فى مثل هذه الغداة الباردة ، وتجلس فى هذا الصحن الواسع ، ورأسُك بغير غِطاء ، والناسُ فى مثلها يجلسون فى المواضع الكَنينة ، ويستعملون من الدثار ما يستعملونه ، وأَحسبك تُسرف فى أَخْذ الأشربة الحارَّة ، والأطعمةِ الكثيرةِ المِسْكِ . فقال المقتدر بالله : لا والله ما أفعل ولا آكلُ طعاماً فيه مِسْك ولا يُطْرَح لى فى شىء إلا يسيرٌ يكون فى الخشكنانج ، وربَّما أكلتُ فى الأيَّام واحدة منه . فقال له الوزير : فإنى أطلق يا أمير المؤمنين فى كلِّ شهرٍ فى جملة نفقاتِ المطبخ لثمن المِسك نَحْوَ ثلاثمائة دينار . وانقضى كلامُهما ، ونهض المقتدرُ بالله وخرج الوزير . فلما صار فى الصَّحْن وقف

المقتدر بالله وأمر برده ، فعاد وقال له : أظنـك تنصرف الساعة وتفتتِـحُ نظرك بإحضار المتولِّى لأمر المطبخ وتواقِفُه على ما جرى بيننا فى معنى المِسك وتُسْقطه . قال : كذلك هُو يا أمير المؤمنين . فضحك وقال : أُحب أَنْ لا تفعل ذلك ، فلعل هذه الدنانير تَنْصَرِف فى أقواتِ ونفقـاتِ قَوْم ، ولا أُريد قَطْعَهـا عنهم . قال : السمع والطاعة .

وحدَّث عبد الرحمن قال : كان أحمدُ بن محمد بن الْمُعَلَّى الـكاتبُ يتولَّى للوزير أبى الحَسَن علىِّ بنِ عيسى زِمام النفقات ، فقال له فى بعض الأيام : يا أبا الحُسَيْن قدْ نقص الليلُ ثلاثَ ساعاتٍ هى رُبْعُه فَانْقُصِ الفرّاشين من الزيتِ والشمع رُبْعَ الإقامة . فقال له : هذا ـ أعز اللهُ الوزيرَ ـ استقصاء ماعَرَفوه ، واستيفاء ماعَهِدوه . فقـال : أليس إذا احتاجوا إلى زيادة طلبوها وَزِيدُوا ؟ قال : بلى . قال : وكذلك إذا وقع نُقْصان فَلْيُوفِّروه .

وحدث عبـدُ الرحمن قال تأخر الوزير أبو الحسن فى دار السلطان تأخُّراً طال ـ وقد كان الخبر وَرَدَ بتَوَرُّدِ الْمَغْرِبِىِّ [١] مِصْرَ ، و بلوغِه الجيزةَ ، وهى فى جانبها الغربى ، وأَخْذِه الفيُّومَ والإسكندرية ، ووقع الانزعاج من ذلك وضاقت به الصدور وأُعْمِـل الفـكرُ والنظرُ فى تدبيره ـ ثُمَّ وَافَى وقد تجاوزت صـلاةُ الظُّهر فى يوم صائف . فقلنا له : ماسبب هذا التأخُّر ؟ فقد اعتوَرَتْنَا الظُّنونُ فيه . فقال : نعم ، كنا والله فى أعجوبة لم يُسْمع بمثلها . قلنا : ماهى؟ قال : كنت مع مُؤْنس ومانِس وغريبِ الخالِ ونَصْرِ الحاجبِ وشفيعٍ وغـيرِهم من الخاصَّة ، نتجارى ماورد من أمر مصر ، ونُجيل الرأىَ فيما يُدَبَّرُ به مع ما يُعَبَّرُ مِنْ رأىِ الخليفة فى السفر ، إذ خرجت أمُّ موسى

---

(١) يقصد به داعية الفاطميين .

القهرمانة فجلست على مِسْوَرةٍ[1]، واستدعت من خادِمها مِنْديلَ حوائجها، فابتدأت تَعْرِض رقعــة لبعض الحشم فى زيادة دينار فى نُزُله[2]، ولبعض الخدم فى زيادة يسيرة فى رزقه، وأنا والجماعة نتميَّزُ غيظا من قَطْعِهاَ إيانا عن مثل هذا الأمر العظيم الحديث بمثل هذه الصغائر المُضِرَّةِ بالمال. ثم رَمَيتُ بالرُّقعة، وعطفت على القوم ومُشاورتهم، فقالت: هكذا يُفعَل بحوائج السادة؟ فقلت: يا هــذه، نحن فى حِراسة الأرواح وحِفظِ أُصول المُلك، وقد شغلْتِنا عنه بما لا فائدة فيه. فقالت: وما هذا الشغل كلُّه؟ قلت: مصر قد أشرفت على الذهاب والخروج عن يد السلطان وغلب المَغربىُّ منها على مواضع الارتفاع، وإن تمَّ — ونعوذ بالله من ذاك — ما نخافُ فقــد مضى المغربُ كلُّه، ثمَّ لا قَرارَ على البِساط بعده. فقالت: بَظْرُ أمِّ مصر، ومتى كانت فى يد السلطان حتى يَغْتَمَّ عليها إذا أُخِــذت؟ فورَدَ علىَّ من قولها ما أدهشنى. فقلنا له: فما كان الجوابُ عن هذا الجهل؟ قال: قلت لها: بمثل هذا أدبرَ أمْرُ الدنيا. ونهضتُ مُغْضَباً، وتفرَّق القومُ، وقد شاهدوا وسمعوا عجباً.

وحدث عبدُ الرحمن قال: حدثنى محمدُ بن يحيى الصولى الشِّطْرنجى قال: لما مضت مدَّةٌ من وزارة الوزير أبى الحسن علىِّ بن عيسى وانتقلَ الحوَاشى وخدَمُ الدار عما أَلفوه مع أبى الحسن بن الفرات وأبى علىٍّ الخاقانى من بَسْطِهم وبُلوغِ أغراضهم وزياداتهم فى أنزالهم وأرزاقهم إلى ما رأوه فى أيام أبى الحسن من الضبط وتجعُّدِ الــكفِّ [و] اليد، ووضْع الأمور مواضِعَها وحفظ الأموالِ عما يتخرَّمُهاَ[3] ويتحَيَّفُها[4]، ثقل على الجماعة أمْرُه واتَّفقَ أن دخل فى بعض الأيام إلى دار السلطان فَحُذِف فى بعض الممرَّات برُقْعة وقعَتْ فى صدْرِه، ولم يدر مَنْ رماه بها،

(١) المسورة متــكأ من جلد.
(٢) النزل من معانيه العطاء.
(٣) يتخرمها: يهلــكها.
(٤) يتحيفها: ينتقصها ويأخذ من جوانبها.

فأخذها ، ودخل إلى المقتدر بالله ، وخرج فجلس فى دار الوزارة وقرأها ، فإذا فيها أبياتٌ قد هُجِىَ فيها واستبْعِدَ موته ومُدَّته ، ، فقلبها وكتب على ظهرها :

لى مُدَّة لا بُدَّ أَبْلُغها   معلومةٌ فإذا انقضَتْ مُتُّ

لو ساوَرَتْنى[1] الأُسْد ضَارِيةً   لَغَلَبْتُهـا مالمْ يجِى الْوَقْتُ

ثم قال لبعض خدمه : ارْمِ بهذه الرقعةِ فى المَمَرِّ الذى رُمينا بها فيه ، ففعل.

وحدث أبو الحسن علىُّ بن يحيى بن سليمانَ البَصرىُّ الكاتبُ قال : كان أبو الحسن علىُّ بن عيسى أيامَ تدبيره الأمورَ فى وزارة حامدِ بن العباس قد عَمِلَ عَمَلًا بِالفَضْل فى ضِيَاع أبى الحسين بن أبى البَغْل ، وسلَّمه إلى حامدٍ ليناظره عليه بمـا شاء من الأمر ، فناظره حامدٌ واعتَقَله ووكَّلَ به ، وعرفت أُمُّ موسى القهرمانةُ خَبَرَه ، فطالعت المقتدرَ بالله ، وخرج أَمْرُه بالإفراج عنه . فلما عَلِمَ علىُّ بن عيسى بما جَرى كتب إلى ابن أبى البغل رُقعةً يَذْكُر فيها اغتمامه لما لحِقَه ، وسروره بما ظهر من حُسْنِ رأى السلطان فيه ، فأجابه فى تَضَاعيفها :

الصَّعْوُ[2] يَصْفِرُ آمِناًوَمِنَاجْلِهِ   حُبِس الهَزَارُ لِأَنَّه يَتَرَنَّمُ

لو كنتُ أجهل ماعلمتُ لسرَّنى   جهلى كما قد ساءنى ما أعلمُ

لم أَستفد أدبى لدولةِ ظالمى   لَـكِنَّه يَجْنى علىَّ وَيَظْلِمُ

ذَنبى إليه على رَكَاكةِ فَهْمِهِ   أَنِّى لأَعلم أنه لا يَعْلَمُ

وحدَّث أبو الحسن علىُّ بن عيسى قال : كان عُبيدُ الله بنُ سليمان والقاسمُ ابنهُ بَعْدَه يُنْـكِران على عُمَّالِهِا الاستتارَ عنهماويقولان : إنما يقع الاستتار مع الإشفاق

---

(١) ساوره : واثبه أو وثب عليه .

(٢) الصعو : صغار العصافير ، واحده صعوة . والصعو : طائر أصغر من العصفور وجمعه صعاء وأصعاء .

من الظلم ، فأما مع الإنصاف فى المعاملة واعتمادِ الحق فى المحاسبة فهو طَمعٌ فى السلطان وإرادةٌ لـكَسْرِ ماله . فاتفق أن صَرَف القاسمُ عاملًا من عُمّال الأهواز فاستتر ، فَغَلُظ عليه ذلك ، وقال لى وللجماعة : أَذْكُوا [1] العيون عليه حتى تُثِيرُوه ، وَجِدُّوا فى طلبه حتى تُحْضِروه . وقال على بن عيسى : فبَكَّرْتُ يوماً بُكوراً أقضى فيه حقًّا وأعودُ إلى دار القاسم [2] بن عُبيدِ الله . فإذا العاملُ قد خرج من موضعٍ يريد موضعاً ، فرآه غلمانى فأمسكوه وجاءونى به . فقلت له : تستتر عن الوزير وعَنّا والإنصاف مبذول لك ؟ فقال : إذا كان الأمرُ على هـذا ظَهَرْتُ وجئتك . فتذمَّمْتُ [3] من أن أحمله فى الحال بالإكراه إلى دار القاسم فتلحَقَنى فى هذا الفعل قَبَاحة . فقلت له : لا تتأخَّرْ فإننى من وراء معاونتك وتَمْشِيَةِ أمرِك . وأمرتُ بتركه وتخليَة سبيلِه ، ومضيت إلى مقصدى وعدت إلى دار [4] القاسم ودخلت إلى مجلسه ، فلم أجد عنده من البشاشة والإكرام ما كنتُ أعهده . ثم سلَّم إلىَّ فَصْلًا من رُقعة صاحبِ خَبَرٍ وقد ذكر فيه حالى مع الرجل ، وقال لى : كان عندى أنك عَوْنٌ لى وللسلطان على استيفاء حقوقه وإصلاح أُموره ، ولم أعلم أنك على خِلاف ذلك . فأشفقت من أن أجيبه جواباً رُبّما ردَّ علىَّ عنه ما يقدح فى الجاه ويُسْتَمَعُ على مَلَإٍ من الناس . فقلت : إذا خلا الوزير عرَّفته ما عندى فى ذلك . وأمسك ، وبقيت حيران لا أعلم بأىّ عذر أعتذر ، وعدلت إلى أن سألتُ الله كِفايتى وتخليصى ، وكنت إذا رأيت المجلس قد خَفَّ أحسست بتقطُّع أعضائى . فأنا فى ذلك إذ تقدَّم إلىَّ صاحب دواتى وأعطانى رُقْعةً من وكيلى فى دارى ، وقد وَقَّعَ عليها اسْمَه ،

---

(١) أذكوا العيون عليه : أرسلوا عليه الجواسيس .

(٢) فى الأصل أبى القاسم بن عبيد الله .

(٣) تذمم : استنكف واستحيا .

(٤) فى الأصل : أبى القاسم .

و بعده : مُهِمّ . فظننت أن القاسم بنزقه وغيظه قد أنفذ إلى دارى قوما ووكّلَ بهم . فأسرعت إلى فضها وعقلى زائلٌ ، وروعى زائد ، فإذا فيهـا : صار إلى بابنا نسوةٌ وطلبن من يكلّمهنّ ، وخرجت إليهن ، فدخلنَ الدّهليزَ وكشفَتْ إحـداهنّ عن وجهها فإذا هو فلانٌ العامِلُ فنَحّى إزاره وخُفّه ،وفعل غلامٌ كان معه مثل فعْله، وجلسا فى الدار ، وانصرف من كان معهما من النساء ، وأمرنى بأن أطالِعَك بخبره وأقولَ لك عنه : قد سلّمْتُ نفسى إليك جزاءً لفعلك اليوم ، وثقةً بوعدك وأخذِك بيدى ومعاونتى على أمرى ، فافعل ما تراه .

فحين قرأتُها عادت نفسى واشتدّ سرورى ، وتَقَوّض المجلس ، وقال لى القاسم : هات ما عندك فى جواب قولى لك . قلت : نعم ، ما الأمر على ما وقع لك فى بابى ، بل عندى من المعاونةِ والمعاضدة والخدمة والطاعة وبَذْلِ القُدْرة والاستطاعة واطّراحِ الدّيانةِ والأمانةِ فى كلّ ما يُخفّف عنك ، ويقرّب منك ، أكثر ممـا يجب لمثلك على مثلى ، ولـكنك أيّها الوزير تستقْصِرُ الفعل ، وتريد زيادة على ما فى الْوُسْع ، وإن كان هذا العامل يُنْصف فى موافَقَتِه ومحاسبته أحضرتُه الساعةَ . فأسفرَ وجهُه وقال : أنْـكَرْتُ أن يكون منك إلا ما تقتضيه الثقةُ بك ، والآن فقـد رَدَدْتُ أَمْرَه إليك ورضيتُ بحكمك فيه ، فرُحْ به عَشِيًّا إلى حضرتى واعْمَل من ديوانك عملًا لما يجب عليه . وقال لـكُتّاب الدواوين جميعاً أن يعملوا مثل ذلك .

وانصرفت إلى دارى ، وقلت للرجل كلّ ما سكَنَتْ به نفسُه ، وأزلت معه إشفاقَه ، وجعلته على ثقـة من تـكَفُّلى بأمره ، وأمرته بأن يروح معى . فلبس أحسنَ لباسٍ وتطيّب أكثرَ طيبٍ وجاء معى ، فقلت له : قد أسْرَفْتَ فى لباسك وطِيبك . فقال لى : حالى على جُمْلتها، وما أَلْزمْتُ ما شَعّثَها ، ولأن يرى الوزيرمنى مروءة بَسْتَدِل بها على كثرة كُلَفى وَمُؤَنى أَوْلَى من غير ذلك .

ودخلنا إلى القاسم بن عبيد الله معاً فأراد الرجلُ أن يُقبِّل يده فمنعه وضمه إليه حتى قبَّل كتفه ، وأحضر كُتَّاب الدواوين فقال لهم : نَاظِرُوه . فكان يُنَاظَرُ على عَمَلٍ بعد عملٍ ويبطلُ باباً ويُصِحُّ باباً ، وكلَّما صَحَّ شيء أُخِذَ به خَطُّه وأرَّجه أحد الكُتَّاب إلى أن وجبت صلاة المغرب وصلينا ، ثم أقبل على الكاتب وقال له : كم جملة ما أَرَّجْتَه مما كتب به خطَّه ؟ قال : ستةٌ وثلاثون ألف دينار وَنيفٌ . قال : وأى شىء بقى من الأعمال ؟ قيل له : عملُ الديوان الفلانى والديوان الفلانى . فقال لى : يا أبا الحسن أنت الحَكَمُ فى أمره ، فقل ما عندك نَقْبَلَه . ولا أقلَّ من إتمام المبلغ خمسين ألف دينار . فقلت : أيها الوزير ، إذا رَجعتَ إلى حكمى فآثار الرجل جميلة وطريقته مستقيمة ، ومن حكمى فيه أنْ لا يُلْزم شيئاً . فاغتاظ غيظاً بان فى وجهه وإن لم يَبْدُ فى قوله وقال : ماذا قلت ؟ قلت : يُرَدُّ إلى عمله ، فإنه رفع من الارتفاع ما لم يَرْفعهُ غيرُه . فأطرق ثم رفع رأسه وقال : يُرَدُّ عليه خطه ويُكتبُ بإعادته إلى عمله . فقال الكاتب : كيف أدعو له ؟ قال : لا تدْعُ . وقال للرجل : والله لئن عاوَدْتَ ما أنكره منك لأعاملَنَّك بما عامل اللهُ به فرعون فإنه جعله نَكَالَ الآخِرَةِ والأولى . وكُتِبت الكتُبُ ، وأراد تَوْدِيعه ، فبسط رجله إليه حتَّى قبَّلها . وقيل للقاسم : قد فعَلْتَ أيُّها الوزير فى أمره مالم تفعله البرامكةُ مع مثله . قال : وجدْتُ كلَّ ما عامَلْتُه به واقعاً مَوْقِعَه مع تسليمه نفسه وأمْرَه إلىَّ .

وحدث أبوعبد الله أحمَدُ بنُ علىِّ بن المختار الأَنماطىُّ — وكان قد خدم أبا الحسن علىَّ ابنَ عيسى واختَصَّ به — قال[1] : كنتُ بين يدَىِ الوزير أنا وأخوه وأولادُه

---

(١) القصة فى تجارب الأمم ٦/١٤ وفى معجم الأدباء ترجمة على بن عيسى .

وخَواصُّه ، وجرى حديثُ البريدى[1] فى إصعاده إلى الحضرة وما هو عليه من الإقدام على أَخْذِ الأموال واستباحَةِ الأحوال وأن الناس على إشفاق منه ، وعَمَلٍ على الهرب من بين يديه ، وأشارت الجماعة عليـه بأنْ يَخْرُج هو وحرَمُه وأولادُه وأصحابُه عن بغداد ، فمـا أصغى إلى ذلك . ثم أكثروا عليه إكثاراً نَبَوْه عن رأيه ، فأطلق لى مائتى دينارٍ لأستأجر له بها زواريق يُصْعِدُ فيها هو وعياله إلى ناصر الدولة أبى محمد ابن حمدان . وانصرفت من عنده بعد المغرب ، وباكرنى رسوله يستدعينى ، فبادرت إليه ، وسألنى عما عَمِلْتُه فقلت : ضاق الوقت البارحةَ عما أَردْته وباكَرَنى رَسُولُكَ فحضرتُ معـه . فقال لى : فكَّرت فيما أشرتُم به فوجدتُه خارجاً عن الرأى ، ومُفْسِداً للدين ، لأن الأمر مُقـدَّر ، والإنسانُ مُدَبَّر ، ولايجب لمخلوق أن يهرُبَ من مخلوق . هَاتِ الدنانير . فأعطيته إياها ، فأمر بأن يُتَصدَّق بهـا ، وأقام . فلمـا قرب البريدىُّ[2] انحدر إليـه متلقِّيـاً فأكرمه ، وعَرَفَ مَوْضعه ، ووفَّاه حقَّه ، ومنعه من أن يخرج عن طَيَّـارِه ، وانتقل هو إليه ، وخاطبه بمـا وفَّاهُ الجميـلَ والبِرَّ فيه .

وكان أهلُ الكوفة تظلَّموا إلى أبى الحسن على بن عيسى فى أيام القاهر بالله وقد خرج إلى واسطَ مُدَبِّراً لهـا ولأعمال سَقْىِ الفرات فى أمر ثِمارهم ، وحكَوْا أن أحمـد بنَ محمَّد بن بشَّار وَكَّلَ بهـا وسامهم حَمْلهـا إلى البَنَادِرة ، وأجرى أثمانهـا فى خراجهم لِيُبْقِيَ عليهم عَجْزاً يطالبهم به ، وجرت بينه وبينهم مناظراتٌ ومخاطباتٌ آلتْ إلى أن كتب إلى ابن بَشَّار بأن يُقاسمهم على الثمرَة كما يقاسمهم على الغَـلَّة .

(١) فى الأصل ابن البريدى والتصويب من تجارب الأمم .
(٢) فى الأصل ابن البريدى .

وحدث أبو عمرو الشرابىُّ قال : لما صُرِف أبو الحسن علىُّ بنُ عيسى بأبى علىٍّ محمدِ بنِ علىٍّ بنِ مُقْلة دخلت إليه فى[1] مَحْبِسِه فحادثته وسكَّنْتُ منه ، وسألته عما يُريده من الأشربةِ والأَسْوِقة والطعامِ لأتقدَّمَ بحَمْلِه ، فوجدته طيِّبَ النَّفْس حَسَنَ اليقين وقال لى : الآن تمَّ لى دِينى وتفرَّغت لصلاتى وأداء مفترضاتى ، وقد كنت أُحِبُّ العَزْلَ وتَرْكَ هذا الأمرِ ، ولكننى احتسبْتُ قيامى به قيامَ المجاهدِ فى سبيل الله . فمن تقلَّدَ الوزارة ؟ قلت : ابنُ مُقْلة . قال : حَدَثٌ يُحِبُّ الرِّئاسة ويُرَاعى يَوْمَه دون غَدِه ، ياأبا عمرو ، أليس تدبيرُ الخلافةِ إلى قومٍ مَبْلَغُ عُقولهم أنَّهم يظُنُّون أنّ ابنَ مقلةَ يَنْهَضُ بما أعجزُ أنا عنه ، ويَسْتَقِلُّ بما أتفادى منه؟ إنَّا لِلهِ وَإنَّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ . ذهبت واللهِ الدنيا وضاعت الأمور . فقلت : ماقَدَرُوا ذلك ولا تَوَهَّموه ، ولكنهم أرادوا من يأخُذُ أموال الناس ويعطيهم إياها ويُطْلِقهم فيما منعْتَهم منه . فقال : الله المستعان .

وحدث عبدُ الرحمن بن عيسى قال : حدثنى هارن الكاتب بن إبراهيم الكاتب قال : لما أحسّ القاسم بن عبيد الله بحضور مَنِيَّتِه جعل يُوصى أبا الحسن علىَّ بنَ عيسى بوَلَدِه ، وأبو الحسن يذكِّره بالتوبة والإقلاع ، فما فارقه حتى تاب توبة جرَّدها وصحَّح فيها العزيمة . ثم دعا بالعباس بنِ الحسن فى غداةِ يوم الثلاثاء لخمسٍ خلون من ذى القعدة سنةَ إحدى وتسعين ومائتين قبل أن قَضَى نَحْبَه بثلاثِ ساعاتٍ فأملى عليه رُقعة إلى المكتفى بالله ، كان ماحفظناه من ألفاظها ومعانيها :

كتبتُ هذه الرقعةَ — أطال الله بقاء سيدى أميرِ المؤمنين — بإملائى وأنا فى آخر يوم من أيام الدنيا ، وأوّلِ يوم من أيام الآخرة . وقد حضر من الأمر مامضى عليه

(١) فى الأصل : إليه إلى محبسه .

الأوَّلُون ، و يصير إليه الآخِرُون ، والحمد لله الذى لَمَّـا قَضَى علىَّ الموتَ جعله فى دَوْلةِ أمير المؤمنين ــ أيده الله ــ وجعلنى ماضياً على أحكام طاعته ودَارِجاً على أفضــلِ مادَرَج عليه أحدٌ من أهل ولايته ــ وتممَّ الـكلام وشكر الإنعام ثم قال ــ : ولم أَطِبْ نفساً مع ما آلت إليــه الحالُ بأن أُمسك من النُّصْح لمولانا حيًّا كنتُ أم ميتاً ولابدَّ أن يقوم لخدمته من يَصْلُح لهــا ، و يجرى مَجْراى فى حِراستها والذَّبِّ عنهــا والنهوض بأعبائهــا . وهذا خادمُ أمــير المؤمنين وكاتِبُه علىُّ بنُ عيسى بن داود ابن الجرَّاح أحــدُ الـكتَّاب المتقدمين ومن قد خدم آباؤه الخلفاء المــاضين وكانوا مُرْصِنين[1] محمودين ، وقد عرف مولانا مذهَبَه فى أمانته ومُناصحته، وتَأَدَّتْ إليــه أخبارُه فى سَدَاده وَكِفايتــه . وخادِمُه العباسُ بنُ الحسن كاتبُ حَضْرتى ، وكان مُلازماً لى وقد تَقَيَّل[2] أخلاقى فى الخِدْمة ، وعرف مذهبى فى المدافعــة عن الدولة وسلك مذهبى فى المبالغة والطاعة . وعلى أيِّهما اعْتَمَدَ، ولأَيِّهمــا آثَرَ وقَدَّمَ، رَجَوْتُ ألاَّ يَعْدَم عنده شيئاً مما كان عليه خادِمُه فى المناصحة .

وتَمَّمَ القَوْلَ وختمه بالوصاة بِوَلَدِه ووالدته وأَسْبَابه والإحسانِ إليهم ومكافأتِه بما يستحِقُّه فيهم .

قال عبد الرحمن : فحدثنى أبو الحسن أخى قال : لمَّا فَرَغ القاسم من إملاء هذه الرقعة دفعها إلىّ وقال : سألتك بحق ما بيننا إلّا بادرْت وأوصلتها من يَدِك ، واجتهدت فى التعجُّل بما يجرى ، فإننى أخاف إنْ تأَخَّرْت أن لا تَلْحَقنى ، وأكْبرُ أملى فيما بَقِى من مُدَّتى أن أعرف ما يستقر عليه الحال من بعــدى . قال أخى : فاستعفيته فلم يُعْفِنى ، ولم يكن فيه فضلٌ لمعاودتى ، وعجبت من شِدَّة نفسه ، وزيادة

---

(١) المرصنين : المحكمين .
(٢) تقيل : أشبه .

حرصه على أمور الدنيا مع حضورِ أجله . فمضيتُ ومعى العباس إلى دار السلطان وجلسنا على انتظارِ إذنه ، ثم أَذِنَ لنا فدخلنا . فلما حصلنا فى وَسَط دهليز الصحن السبعينيِّ استدار العباس فصار فى وجهى وقال لى : والله لئن ألقيت هذا الأمر إلىَّ ونزلت عنــه لى لأكونن فيه من قِبَلِك ومتصرِّفًا على أمرِك . فعجبت من قوله وقلت : ستعلم ما يجرى ، وأرجو توفيق الله تبارك وتعالى.ووصلنا إلى الخليفة وأوصلتُ الرُّقعة . فلما قرأها سأل عن خبره ، فعرَّفته أنه فى آخر رَمَقِه وما نقدِّر أننا نَلْحَقُه فَدَمَعت عيناه ثم التفت إلىَّ وجعل يُخاطبنى مخاطبة من قد رَدَّ الأمر إلىَّ واعتمد فيه علىَّ . وقال لى فى عُرْض قوله : أنت يا علىُّ فى نفسى مذ كُنتَ بالرَّقَّة ، وأنا أعرف أخبارك وأشاهد آثارك،وقد آل الأمر الآن إليك ووقع اختيارى عليك ، فتتجرَّدُ فى القيام به و إزالة الخلل عنه ، وتفعل وتصنع . قلت : أنا يا أمير المؤمنين رجل ضَيِّقُ العَطَن وفىَّ استقصاء وشِدة لا يصلحان لِمُتَوَلِّى هــذا الأمر وشُغلى بما أَخْدُم فيــه طويلٌ عريض ، و إن نُقِلْتُ إلى ما هو أكثر منــه بَعِلْتُ[1] وَوَقَفْتُ . فراجَعَنى القول وراجعتُه فى الاستعفاء وقلت : وهــذا العباسُ أعرَفُ بما كان القاسم عليــه من طُرُق الخدمة ، و إن عَوَّل عليه كُنَّا أعوانه وأعضاده . قال : فَتَضْمنُ لى القيامَ بالشَّدِّ منه حتى يستقيم ما يُنَاطُ به ؟ قلت : أفعل وأَبْذُل عَمَّنْ يلينى من الـكُتَّاب مثلَ ذلك . فدعا بالدَّواة وكتب الجواب بالتوجُّع والدُّعاء وقال : فإنْ ــ أعوذُ بالله ــ بُليتُ فيك بما لا أَقْدِر على دفعه فلن أعدل عن اختيارك ورد الأمر إلى من أشرت به . فأما الوَلد والُحْرَمُ فأولادى وحُرَمى ، والله يصونهم ببقائك و يدفع لنا عن حَوْبائك[2] .

---

(١) بعل : تحير فلم يدر ما يصنع .
(٢) عن حوبائك : عن نفسك .

وخُتِمَتِ الرقعةُ وتقدَّم بتسليمها إلىَّ ، فأخذتها وَقَبَّلْنا الأرض وعُدنا . فحين بلغنا دَرَجة بابِ الخاصَّة من دار القاسم سمعنا الواعِيَة[1] فنزل من أعلمنا أنه قَضَى فى الوقْتِ عند وصولنا إلى الباب ، قال عبد الرحمن : وكان حَديثُ أبى الحسن أخى لنا بذلك وإسحاقُ بن حُنَين المُتَطَبِّبُ فى مجلسه فقال : أُحَدِّثُكَ ياسيدى حديثه فى هذه الحال ، وذلك أنه دعانى ، وقد حضر اليأس ، ولم يَبْقَ إلَّا تردُّدُ النَّفَس . فقال لى : يا إسحاق جُسَّ النَّبْض وانْظُر هل بَقِىَ مِنَ الذَّماَء[2] ما يفى بانتظارِ جوَابِ الخليفة ؟ فَجَسَسْتُهُ وكان قد سقط ، فقلت : الحالُ صالحةٌ . فقال : أُعيذكَ بالله ، لا والله ما أحْسَبُنى ألحقُ ذلكَ . ثم قال : انْظُروا الطَّيَّارَ هل أقبل ؟ وتنفس مرّة أو مرتين وقَضَى ، وما زال أخى يعجب من أمره ــ قال أخى : فلما عرفْنا وفاته عُدْنا إلى دار السلطان ، فوجدنا الخليفةَ قد خلا ، وعرَّفْنا خَفِيفاً السمرقندىَّ الحاجبَ الصُّورةَ حتى أنهاها ، وتقدم إلينا بالبُكُورِ فى غدٍ ، وانصرفنا إلى دار القاسم وأقمنا إلى أن جُهِّزَ وَوُورِىَ وَعَزَّينا والدَته وَوَلده .

وشاع أمرُ العباس ، وتقرَّرت الوزارة له واعتمادُ المكتفى بالله عليه ، وحضر الكُتَّاب من غدٍ دار السلطان ، وهم : العباسُ بنَ الحسن وعلىُّ بن عيسى ومحمدُ ابن داودَ بن الجراح وعلىُّ بن محمد بن الفرات ، ومحمدُ بن عبدون وهو أكبرُهم سنًّا ؛ لأنه وُلِد فى سنة سِتٍّ وثلاثين ومائتين ، وابن الفرات فى سنةِ إحدى وأربعين ومائتين ، ومحمد بن داود فى سنة ثلاثٍ وأربعين ومائتين وعلىُّ بنُ عيسى فى سنة خَمْسٍ وأربعين ومائتين والعباس فى سنة خمسين ومائتين . ووصل العباس وعلىُّ ابن عيسى إلى الخليفة دون غيرهما ، فأمضى أمر العباس ، ووصَّى علىَّ بن عيسى بالضَّبط والاحتياط ، وأُدْخِل الناس بعد ذلك على طبقاتهم فعزَّوْا الخليفة ، وسمعوا

---

(١) الواعية : الصراخ .

(٢) الذماء : بقية الروح .

قوله فى ردِّه وزارتَه إلى العباس ، وإقرارِه أصحاب الدواوين على دواوينهم .
وانصرفت الجماعة مع الوزير إلى منزله ، وكان له غرفةٌ فى حريم البستان الزاهر المجاورِ لدار القاسم على دِجْلة سكنها عند خدمَتِه القاسمَ فى التوقيع بين يديه . وعجب الناسُ من تقلُّدِ العباس عَجَباً طال ، ولم تزل به الحالُ إلى أن مَلك الأمورَ ، وأسرف فى التجبُّرِ والاستكبار ، فأرداه ذاك وأورده شرَّ موْرِد ونسأل الله حُسن العاقبة .

وحدث عبد الرحمن قال : حدثنى الوزير أبو الحسن أخى قال [1] : كنت بمكة ، فاتفق يومٌ شديدُ الحرِّ ـ وحرُّ تِهَامَةَ إذا اشتد ضُرِب به المثلُ ـ قال : فصلَّيْتُ الظهر جماعةً فى المسجد الحرام ، وطُفْتُ وسعَيْتُ وركَعت عند المقَام ، ثم انصرفت وقد مسَّنى من الحرِّ ما زاد علىّ فيه الأمر ، فتمنَّيتُ فى الوقت شَرْبة سَوِيق بثلج ، وأُولِعَتْ نفسى بالفكر فيهما ، فزجرتها وقلت : ثَلْجٌ فى تِهَامة ! وحمدت الله تعالى على نعمة العافية ، فما لبثْتُ واللهِ أن ظهرَ فى السماء قَزَعٌ [2] من غيم ، ثم اجتمع وانتظم وجاء ببرق ورعد مُتَّصِلٍ ، ثُمَّ بمطرٍ وَبْلٍ [3] ، ثم ببَرَدٍ فى غاية الكبَرِ . فجمع الغلمانُ منه ما مَلَئُوا به حُبًّا [4] من حِبَابِ الماء . وكان هذا بعد صلاة العصر ، فما كان فَطُورى إلَّا على سوِيقٍ وسكَّرٍ وَثلجٍ وماء مائع ، وبقينا على ذلك ثلاثة أيام ولله الحمد .

تم الكتاب
بحمد الله وعونه
وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه
وسلم

---

(١) القصة فى المنتظم ٦/٣٠١ ونسب القول لأبى سهل بن زياد القطان صاحب على بن عيسى
(٢) القزع : قطع من السحاب رقاق كأنها ظل إذا مرت من تحت السحابة الكبيرة .
(٣) الوبل : المطر الشديد الضخم القطر (٤) الحب : الجرة الضخمة .

نصوص ليست فى النسخة

على بن عيسى

ولعلها أيضاً من أخبار أبى جعفر الصيمرى

« نقله هـ . ف آمد روز عن تكملة تاريخ الطبرى للهمذانى

الموجودة بباريس تحت رقم ١٤٦٩ وأثبته فى دراسته لكتاب الوزراء »

حكى هلال بن المحسّن : قال أبو على بن محفوظ : لما ورد معزُّ الدولة[١] وأبو جعفر الصيمرى معه إلى بغداد ، أراد أبو الحسن على بن عيسى الركوبَ إليه وقضاء حقّه . واتفق أنه نزل من[٢] داره ليجلس فى سميريّة ـ وأبو جعفر محتاج[٣] فى طيّاره ـ وأنا وأخى أبو الحسن طازاد بن عيسى معه فقال لنا : من هـذا ؟ فقلنا : الوزير أبو الحسن على بن عيسى . فقال لأبى الحسن طازاد[٤] : قدِّم بنا إليه فاسأله أن ينزل معنا فى الطيار . فقدمنا منه ، وسلمنا عليه ، فقال له أبو الحسن طازاد : إلى أين توجّه سيدنا ؟ فقال : أشار فتياننا بلقاء الأمير الوارد وقضاء حقه ، فعملت على ذلك . فقال له : فينتقل سيدنا إلى الطيار فإنه أَوْلى . فامتنع ، ولم يزل يراجعه ، وكان معه ابنه أبو نصر[٥] فخاطبه حتى فعل ، وسهَّل عليه ذلك ونزل .

وقام له أبو جعفر الصيمرى عن موضعه ، وقد وصّانا أَلَّا نعرّفه إياه . وكان أبو نصر عرَفَه وأراد أن يُشْعِر أباه فلم نَدَعْه طاعةً لأبى جعفر .

---

(١) معز الدولة هو أبو الحسين أحمد بن بويه أبى شجاع بن فنا خسرو استولى على بغداد سنة ٣٣٤ وتوفى سنة ٣٥٦ .

(٢) فى النسخة : نزل إلى .

(٣) كذا هى فى النسخة ولعلها محرفة عن : مرتاح

(٤) فى النسخة لأبى الحسن بن طازاد

(٥) أبو نصر اسمه إبراهيم ، وزر المطيع ، مات سنة ٣٥٠

وسرنا مُصْعِدِين ، ووصلنا إلى معسكر معزّ الدولة بباب الشماسيَّة ، وقدم الطيّار إلى المشرعة ، فقال أبو جعفر لأبى الحسن : تجلس ياسيّدنا بمكانك حتى أصعد إلى الأمير وأعرّفه خبرك وأوذنه بحضورك . فقال له : لك ــ أطال الله بقاءك ــ عند الأمير أُثْرَة وبه أُنْسَة ؟ قال : نعم . وصعد ، فلما صعد قال أبو نصر لأبيه : هذا الأستاذ أبو جعفر الصيمرى . فارتاع وقال له : ألا أعلمتنا ذلك لأُوَفّىَ الرجل حقَّه ؟ قال : منعنى أصحابنا . وأقبل على طازاد فقال له : لا أحسن الله جزاءك ، كذا يفعل الناس ؟ فقال : والله ياسيّدنا ما فعلت ما فعلتُه إلا لأن الأستاذ أمرنى به ، ولم تمكِّنِّى المخالفةُ له . فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون. ووجم وَجْماً شديداً ثم قال : من هٰذان ، أعزهما الله ؟ وأشار إلىّ وإلى أخى . فقال طازاد : ابنا محفوظ . فاستثبتَه وقال : الذى كان يصحب جعفر بن الفرات [1] ؟ قال : نعم . فقال : قد كان جعفر من العمال الظَّلَمَة .

ولما صعد الصيمرى إلى معز الدولة وجده على شراب ، فلم يقل له شيئاً . وعاد إلى علىّ بن عيسى ، فنهض له وأعظمه وقال له : قد جنى علىّ أصحابُنا فى كتمانى موضع الأستاذ ، حتى كان فى تقصيرى فى قضاء حقه ما لم أحتمله ، وأنا أعتذر إليه ــ أدام الله عزه ــ من ذاك . فقال : فعل الله بك يا سيّدنا وصنع ، وأى تقصير جرى ؟ والتفت إلى طازاد فقال : ألم أوصك بترك إعلامه أمرى ؟ فقال : أبو نصر ولدُه أعلمَه ، وقد حصلتُ بين العتب ــ أيها الأستاذ ــ منك ومنه .

وقال له أبو جعفر . الأمير على حال لايجوز لقاء مثلك عليها ، وهو يعتذر من تأخر الاجتماع باعتراض ما اعترض منها ؟ وإذا تكلف سيدنا العود فى غداة غدٍ [2]

(١) لعله يريد به جعفر بن محمد بن الفرات أبا عبد الله الذى قلده عبيد الله بن سليمان أعمال بهرسير والرومقان ... انظر ص ٢٢٥ من هذا الكتاب .

(٢) فى النسخة : عن

لَقِيَه ووفاه من الحق مايجب أن يوفيه إياه . والطيّار يباكر بابه .

وانصرف أبو الحسن ، وعاد أبو جعفر إلى معز الدولة فقال له : وافى علىّ ابن عيسى للقائك[١] وخدمتك ، فاعتذرتُ إليه عنك بأنك على نبيذ ، ولم يجز أن يراك عليه . فقال: مَنْ علىُّ بن عيسى ؟ فقال : وزيرُ المقتدر بالله . فقال : ذلك العظيم ؟ قال : نعم . قال : ماوجب أن تردّه فإنى كنت أقوم إلى مجلس آخر وألقاه فيه[٢] . فقال : ما كان يحسن أن يشم منك رائحة شراب . وفى غدٍ يباكرك . فقال معزّ الدولة : وكيف أعامله ؟ وما الذى أقول له ؟ فقال له الصيمرىّ : تنزعج له بعض الانزعاج وترفع مجلسه وتعطيه مخدّة من مخادّك وتقول له : مازلت مشتاقاً إلى لقائك ، ومتشوّفاً[٣] للاجتماع معك . وأريد أن تشير علىّ فى تدبير الأمور وعمارة البلد بما يكون الصّواب فيه عندك .

وجاء أبو الحسن علىّ بن عيسى من غد ، ودخل على معزّ الدولة ، فوفَّاه من الإجلال والإكرام أكثر مما واقفه عليه أبو جعفر ، وأعطاه مخدّة من دَسْتِه[٤] فقبلها أبو الحسن ، وقال له مايقال لمثله ، فقال له معزّ الدولة : كنا نسمع بك فيعظم عندنا أمرك ، ويكثر فى نفوسنا ذِكْرُك . وقد شاهدت منك الآن ما كنت مُؤْثرا وإليه متطلعاً . والدنيا خراب . والأمور على ماتراه من الانتشار[٥] ، فأشِرْ علىّ بما عندك فى إصلاح ذلك . فقال له أبو الحسن : هذه النّيّة منك أيها الأمير داعية إلى الخير ، ومُسَهِّلة إلى النُّجْح ، وطريق العمارة ، ودُرُورِ المادّةِ ، واستقامةِ أمْرِ الجند والرّعيّة والعَدْلِ . والذى أَهْلَكَ الدنيا ، وأذهب الأموال ، وأخرج الممالك عن يد السلطان

---

(١) فى النسخة : للقاء بك

(٢) فى النسخة : واللقاء فيه

(٣) فى النسخة : ومتشوقاً .

(٤) الدست : صدر المكان الذى هو جالس عليه .

(٥) الانتشار : التفرق .

خلافه . وإنما يتأتّى الصلاح ، ويطّرد الإغراض[1] ؛ بالولاة الموفّقين والأعوان المناصحين[2] وحدثنا عمر بن شبّة قال : حدثنا فلان ، وذكر الإسناد[3] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا أراد الله بوالٍ خيرا قيّض له وزيرَ صِدق ، إن غفل أذْكَرَه ، وإن رفل[4] أيقظه » . وقد وفّق الله للأمير من هذا الأستاذ ــ وأشار لأبي جعفر ــ من تمت فيه أسباب الكفاية ، وبانَتْ فيه شواهد الخالصة ، ويوشك أن يجرِي الخير على يده ، ويتأتّى المرادُ بحُسْن تدبيره . فتراجع أبو جعفر وتوقّف عن تفسير هذا القول لمعز الدولة . وفطن معز الدولة أن توقفه لأمرٍ كره ذِكْرَه . فقال لأبي سهل العارض : انظر مايقول . ففسّره له تفسيراً لم يفهم عنه ، ولا استوفى القولَ فيه . وتلجلج في ذكر رجال الحديث . حتى استفهم معزّ الدولة أسماءهم وقال : هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أبو الحسن : لا ، هؤلاء رجال نقلوا لنا الحديث عنه . ثم عاد أبو جعفر إلى الترجمة بينهما ، وقال أبو الحسن : ومِنْ أَولى مانظر فيه الأمير وقدّمه سَدُّ هذه البُثوق . هي أصل الفساد وخراب السّواد . فقال : وقد نذرتُ لله عند حضوري في هذه الحضرة . ألّا أقدّم شيئاً على ذلك ولو أنفقت[5] فيه جميع ما أملك .

قال : إذن يُحْسِن الله عَوْنَك ، ويذلل لك كلّ[6] صعب . ويُسَهِّل كلّ مراد بين يديك[7] .

فلما انقضى القول بينهما في ذلك قال معزّ الدولة : اذكر حوائجك لأتقدّم فيها

---

(١) الإغراض : الامتلاء

(٢) في النسخة المنصحين .

(٣) في النسخة : الأستاذ

(٤) رفل: خرق .

(٥) في النسخة : نفقت

(٦) في النسخة : على صعب .

(٧) في مروج الذهب في آخر حديثه عن خلافة المكتفي : واستوثق الأمر لأحمد بن بويه الديلمي وشرع في عمارة البلد وسد البثوق .

بما أَقضى بهحقّك . قال : الحاجة الحاضرة هى إلى الله تعالى فى أن يُطيل بقاءك ويُديم عُلاك . ومتى عرضَتْ من بعْدُ حاجةٌ إليك كان المعوّل فيها عليك . قال : لابُدَّ من أن تذكر شيئاً . قال : حراسة منازلى فإنها تشتمل على عَدَدٍ كثير من بنينَ وبناتٍ وعجائزَ وأهلٍ وأقارِبَ وأتباعٍ وأصحابٍ . قال : هذا أقلُّ ما أفعله .

ونهض أبو الحسن . وشيعه أبو جعفر ، ومشى الغلمان بين يديه .

وتُوفِّى أبو الحسن بعد عبور معز الدولة وهزيمته ناصرَ الدولة [١] بيوم . فمضى أبوعمران موسى بن قتادة وكان معه مائتا رجل من الديلم فنزل داره . وركب الصيمرىُّ إليها وقد فُرِغ من تجهيزه وَوُضِع فى تابوته ، فصلّى عليه . وقال لموسى : اخرُجْ من هذه الدار فما يجوز نزولُك فيها . فقال : لا أخرج . فقال : لا أُمَكنك منها . فقال : لا أقبل منك . قال إذا لم تقبل أكرهتك . وتنابذا بالقول تنابذاً تولَّدت منه فتنة ، واجتمع إلى موسى أصحابُه وإلى أبي جعفر آخرون . وعرف معز الدولة ذاك . فبادر لإطفاء النائرة [٢] وقال للصيمرى : ليس هذا وقتَ ذاك . قال : بلى أيها الأمير، وذا [٣] وقته . ومتى افتتحنا أمرنا بسقوط هيبتنا استمرَّ ذلك ، وبَعُدَ تلافيه [٤] ، وازداد الأمر من بعدُ وهناً ، والطمع استحكاما .

فأخذ معزُّ الدَّولة بيد موسى بن قتادة فأخرجه معه . وقال له : يكون نزولك فى الدار التى أنزلها ، ولا تفتتِحْ أمرا بما يَقْبح من انزعاج أولاد هذا الشيخ المشهور ذِكْرُه فى الدنيا وعيالهِ عن منازلهم وأوطانهم .

---

(١) هو الحسن بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان التغلبى مات سنة ٣٥٨ .

(٢) النائرة . العداوة والشحناء والفتنة، مشتقة من النار .

(٣) فى النسخة كذا وقته   (٤) فى النسخة : تلاقيه .

و بقيتْ دُور أبى الحسن عَلَى ولده ، ودورُ أخيه أبى علىّ عبد الرحمن عليـه [1] فى حياته بفعل أبى جعفرٍ مافعله .

على بن عيسى

من أخباره المنثورة

« أورده الأستاذ ميخائيل عواد فى كتابه أقسام ضائعة

نقلا عن كتاب الأذكياء لابن الجوزى ص ٩٠ طبعة قسطاكى الحمصى مصر »

ذكر هلال بن المحسن [فى كتاب الوزراء] أن رجلًا كان يقال له أبو العجب لم يُرَ مثله فى ما كان يعمل من الشعبذة دخل يوماً إلى دار المقتدر بالله ، فرأى خادماً من خواصّه يبكى على بلبلٍ مات له . فقال له : ماعليك أيهـا الأستاذ إذا أحييتُه ؟ فقال : ماتريد . فأخذ البلبل الميت فأدخله كُمّه ، وأدخل رأسه ، وأخرج بعد ساعة بلبلًا حيـا . فماجت الدار ، وعجب الحاضرون ، فاستدعاه علىُّ بنُ عيسى [الوزير] وقال : والله إن لم تصدقنى عن حقيقة الأمر لأضربن عنقك . فقال : إنى شاهدت الخادم يبكى على بلبله ، فطمعت بما آخذه منه ، فمضيت فى الحال إلى السوق ، وابتعت بلبلًا وخبأته فى كُمّى ؛ وعدت إلى الخـادم فقلتُ ماقلت ، وأخذت البلبل الميت ، وأدخلت رأسه فى كمى وأكلتـه ، وأخرجت الحىّ ، فلم يشكّ أنه بلبله ، وهـذا رأس الميت .

(١) فى النسخة : دور أخيه أبى على بن عبد الرحمن « وجعلها » آمدروز : دور « ابن » أخيه أبى على بن عبد الرحمن . هذا وأخو على بن عيسى هو ابو على عبد الرحمن .

على بن عيسى

« وقد يكون من أخبار ابن مقلة ، وهكذا أورده الأستاذ ميخائيل عواد نقلا عن معجم الأدباء (٥/٢٢٤) »

« وحدث أبو الحسين هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابئ فى كتابه كتاب الوزراء قال :

حكى[1] لى أبو الحسن ثابت بن سنان قال : كان أبو الحسن على بن سليمان الأخفش مواصِلَ المقام عند أبى علىّ بن مقلة ويراعيه أبو علىّ ويبرّه ، فشكا إليه فى بعض الأيام الإضاقة ، وسأله أن يكلم أبا الحسن علىّ بن عيسى – وهو يومئذ وزير – فى أمره . وسأله إجراء رزق عليه فى جملة من يرتزق من أمثاله ، فخاطبه أبو علىّ فى ذلك ، وعرّفه اختلال حاله وتعذُّرَ القوتِ عليه فى أكثر أيامه . وسأل أن يجرى عليه رزقاً فى جملة الفقهاء . فانتهره على بن عيسى انتهارا شديدا ، وأجابه جواباً غليظاً ، وكان ذلك فى مجلس حافل ، ومجمع كامل ، فشق على أبى علىٍّ ما عامله به ، وقام من مجلسه وقد اسودت الدنيا فى عينيه ، وصار إلى منزله لائماً لنفسه على سؤال على بن عيسى ماسأله ، وحلف أنه يُجَرِّد فى السعى عليه .

ووقف الأخفش على الصورة واغتمّ ، وانتهت به الحال إلى أن أكل الشلجم النِّئ ، وقيل إنه قبض على قلبه فمات فجاءة . وكان موته فى شعبان سنة ٣١٥ .

« وانظر القصة فى ابن خلكان ترجمة الأخفش على بن سليمان ففيها النص

---

(١) هكذا هو فى معجم الأدباء ترجمة على بن سليمان الأخفش . والصواب حذف كلمة « لى » إذ أن ثابت بن سنان مات قبل أن يكمل الصابئ ستة أعوام . ونقل الصابئ عنه فى كتابه لم يذكر فيه ما يدل على أنه شافهه .

تقريباً نقلا عن أبى الحسن ثابت بن سنان . وانظر أيضاً بغية الوعاة ترجمة الأخفش علىّ »

تكملة

« فى طبعة ه . ف آمدروز بالصفحة ٢٢٣ حذف شعراً ذكر أنه بيتان من باب المجون . والواقع أنه أربعة أبيات، وهذه هى الأبيات، وتوضع فى نسختنا بالصفحة ٢٤٤ بعد السطر ١٦ : وقد أكملتها من نسخة الأزهر الخطية »

وله أيضاً فى الغلابى :

أبا أميّـــة قلْ لى ما بال أيرك نائمْ
وَلِمْ خُصِصْتَ بأيرٍ رخْوٍ ضعيف الدعائمْ
فقال ربى ابتـــلانى فيــه بإحدى العظائمْ
فصرت أحمل أيرا كضعف ريش النعائمْ

فى صفحة ٢٧٩ السطر ١٦ تكون الجملة كما يأتى :
فكانت سعتها ما بين عشرين ذراعاً و إلى ستة عشر ذراعاً .

ترجمة موجزة لما كتبه آمدروز

إن تاريخ الخلفاء العباسيين الذى دونه الطبرى حتى السنين الأولى للقرن الرابع الهجرى قد وَالَى تدوينه مؤرخون بعده ، ولـكن مؤلفاتهم ضاعت تقريباً .

ومؤرخ السنين ٣٦٠ ـ ٤٦١ هو أبوالحسين هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابئ، الذى ألف أيضاً كتاباً عن أهم وزراء العهدين العباسى والبويهى، مابين أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الخامس .

ومخطوط كتاب الوزراء الموجود فى مكتبة الجوتا Gotha رقم ١٧٥٦ جيد جداً . ويرجع نسخه على الأرجح إلى القرن الرابع عشر الميلادى وقد عثر عليه و . ج . سيتسن U. J. Seetzen سنة ١٨٠٩م والصفحة الأولى منه مفقودة ، وليس على المخطوط اسم ولا عليه ما يرمز إلى مؤلفه . ولـكن ا . فون كريمر A. Von. kremer استطاع فى عام ١٨٨٧ فى مقاله القيم عن دخل الخلافة العباسية فى عام ٣٠٦ هجرية أن يثبت أنه كتاب هلال الصابئ .

وتحتوى مجموعة سيفير الموجودة الآن بالمكتبة الأهلية بباريس على مخطوط آخر تحت رقم ٥٩٨١ وقد اطلعت عليه ، ولـكن هذا المخطوط هو نسخة من مخطوط الجوتا، نسخ عنه قبل أن ينقل من القاهرة على الأرجح فى القرن السابع عشر ، وعلى بعض أوراق منه كتبت جملة « وقف المرحوم محمد بك بجامعه » .

لـكن مخطوط باريس به خرم ونقص عن مخطوط الجوتا ، إلا أن الصفحة الأولى

منه موجودة وعليها اسم الكتاب، كما أن آخر الكتاب موجود، و بذلك أمكن استكمال الكلام الناقص فى مخطوط الجوتا .

والمؤلف بجانب مايورده عن طريق الرواية ، كان من كتاب الدولة فى عهده، فاستفاد من الوثائق الرسمية التى وجدها بالدواوين ، وقد اعتمد أيضاً إلى حدّ ما على مؤلفاتٍ لكتّاب سابقين ، مثال ذلك قصة ابنى الفرات و إطلاق سراحهما من السجن وتوليهما المناصب « انظر ص ١٢ ، ١٣ » فهذه القصة منقولة عن كتاب أبى الفضل ابن عبد الحميد ، الذى ذكر فون كريمر فى مقاله أنه هو أبو الفضل محمد بن أحمد ابن عبد الحميد الكاتب، مؤلف كتاب أخبار خلفاء بنى العباس « انظر الفهرست ١٠٩ طبع ليبزج » .

كما أن هلالا الصابى ينقل عن عبيد الله بن أحمد بن أبى طاهر أمراً يختص ببدر المعتضدى « انظر ص ١٩٩ » وعبيد الله هو ابن مؤلف كتاب بغداد ، وقد أكمل كتاب أبيه . فأبوه ألف كتابه إلى آخر أيام المهتدى ، وزاد عبيد الله فيه أخبار المعتمد ، وأخبار المعتضد ، وأخبار المكتفى، وأخبار المقتدر، ولم يتمه « انظر الفهرست ١٤٧ » و ينقل هلال أيضاً شعراً من نظم أحمد بن الفرات المتوفى سنة ٢٩١ هـ « ص ٢٤٤ » وذلك عن السباسى محمد بن داود بن الجراح الذى كان أيضاً مؤلفاً « انظر الفهرست ١٢٨» . و ينقل هلال عن الصولى مرتين « ص ٢٤١ ، ص ٣٨١ » و يروى أيضاً عن ثابت بن سنان وله كتاب فى التاريخ يبدأ من ٢٩٥ إلى ٣٦٠ هـ .

و يروى كثيراً عن القاضى أبى على المحسن بن على التنوخى الذى توجد له الآن بعض المؤلفات . وكثير من الأخبار التى رواها هلال الصابى توجد تقريباً بنصها فى كتاب نشوار المحاضرة و بعضها يوجد فى الفرج بعد الشدة ، وهما للتنوخى . وواضح أننا

تمثلك جزءاً فقط من كتاب الوزراء ، وتدل فقرات من الكتاب على أن المؤلف كتب عن وزراء آخرين مثل حامد بن العباس وعبد الله بن محمد الخاقانى والخصيبى وابن مقلة .

ونهاية المخطوط لاتدل بالتأكيد على أن أخبار على بن عيسى المنثورة قد استوفيت فيه .

والأجزاء الضائعة من كتاب الوزراء والمختصة بوزراء الدولة البويهية لابد أنها كانت ذات أهمية تاريخية كبيرة .

والوزراء المذكورون فى ص ٥ هم المهلبى وابن العميد وابن عباد وفخر الملك . وقد بدأ جد المؤلف أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابى حياته السياسية كاتبا للمهلبى ، وكان مديناً له بترقيه ، كما كان يراسل الصاحب بن عباد ، وكان المؤلف نفسه كاتبا لفخر الملك ، لذلك نأسف لفقدان هذه الأجزاء من الكتاب من أجل الوزيرين الكبيرين ابن العميد والصاحب بن عباد ونرجو أن يعثر على ذلك ، يوما ما .

وتراجم هؤلاء موجودة فى معجم الأدباء لياقوت الحموى . وسيرة ابن عباد موجودة فى مخطوط بأكسفورد . وسيرة ابن العميد موجودة فى مخطوط بمكتبة كوبريلى زادة بالقسطنطينية . وقد حصل الدكتور مرجليوث على نسخة من المخطوط الأول الخاص بابن عباد من جامعة أكسفورد ، وفى نيته أن يطبعه فى وقت قريب ، وقد أبلغنى أن فى هذين الكتابين نصوصاً منقولة عن هلال الصابى .

وهناك نصوص مقتبسة من كتاب الوزراء للصابئ الموجود أمامنا الآن ، ذكرها ابن خلكان ، وياقوت ، والصفدى فى الوافى بالوفيات .

على أن هناك كثيراً من النوادر المذكورة موجود فى الكتب المشتملة على الفترة التى أوردها هلال الصابئ ، من ذلك تكملة الطبرى لعريب ، وتجارب الأمم لابن مسكويه وهو من معاصرى هلال ، وتكملة الطبرى أيضاً لمحمد بن عبد الملك الهمدانى، وهذا بخلاف مؤلفات لكتاب جاءوا بعده .

« انتقل آمدروز بعد ذلك إلى تحليل شخصية الوزراء وشخصية المقتدر ، وعن تدهور الحكم ، ثم شكر من أعانوه بالمراجع » .

الفهـــارس

الآيات والأحاديث

« إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَاءُ » سورة الأنفال ٤٢ وردت فى صفحة ٧ .

« كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ » سورة الفتح ٢٩ وردت فى صفحة ٢١٤ .

« لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ » سورة فاطر ٢٨ وردت فى صفحة ٧ .

« هُوَ ٱلَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ » سورة التوبة ٣٣ وردت فى ص ٥-٦ .

« وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ » الأنعـام ١٦٤ والإسراء ١٥ وفاطر ١٨ والزمر ٧ وردت فى صفحة ٦٧ .

« وَأُولُو ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَابِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ » سورة الأنفال ٧٥ وردت فى ص ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

« وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ » سورة هود ١٠٢ وردت فى صفحة ٣٧٠ .

« يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَىٰ ٱللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيراً » سورة الأحزاب ٤٥ ، ٤٦ وردت فى صفحة ٣ .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ » سورة الحجرات ٦ وردت فى صفحة ١١٥ .

« يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ » سورة النساء ١١ وردت فى صفحة ٢٧٤ .

الأحاديث

«إذا أراد الله بوالٍ خيراً قيّض له وزيرَ صدْقٍ إن غفل أذكره وإن رفل أيقظه» ورد فى ص ٣٩٥ .

« أسرع الذنوب عقوبةً كفران النعمة » ورد فى ص ١٨٩ .

« إن الله قال للعقل ، وقد خلقه ، أَقْبل . فأقبل، وأدبر فأدبر، فلما فعل ذلك قال : وعزتى وجلالى وعظمتى ما خلقت خلقاً أحسن منك ، بك آخـذ وبك أعطى » ورد فى ص ٧ .

« إن النبى صلى الله عليه وسلم قال لبعض أصحابه : هذا ابنك ؟ فقال : نعم. فقال : إنه لا يجنى عليك ولا تجنى عليه » ورد فى ص ٦٧ .

« الإيمان عقدٌ بالقلب ونُطْق باللسان وعمل بالأركان » ورد فى ص ١٩٠ .

« توفى ثابت بن الدحداح فقال النبي صلى الله عليـه وسلم لعاصم بن عدى : أَلَهُ فيـكم نسب ؟ قال : لا . فدفع تركته إلى ابن أخته » ورد فى ص ٢٧٣ .

« الخال وارث من لا وارث له ، يرث ماله ويعْقِل عنه » ورد فى ص ٢٧٢ .

« اللهم فقِّهْه فى الدين وعلّمه التأويل » ورد فى ص ٢٧٥ .

« المسلم لا يرث الكافر والكافر لا يرث المسلم وإنه لا يتوارث أهل الملّتين » ورد فى ص ٢٧٠ .

« من رآنى فى المنام فقد رآنى فإن الشيطان لا يتمثل بى » ورد فى ص ٣٦١ .

« يؤتى بالعبد فيقف بين يدى الله تعالى ، فيأمر به إلى النار . فيقول : يارب ، لم أمرت بى إلى النار ؟ فيقول : لأنك لم تشكر نعمتى . فيقول : يا رب ، أنعمت بكذا فشكرتُ بكذا ، فلا يزال يُحْصى النعم ويعدد الشكر . فيقول الله عز وجل : صدقت عبدى إلّا أنك لم تشكر من أنعمت عليك على يده » ورد فى ص ١٩٠ .

القوافى

(الهمزة)

(الباء)

(التاء)

(الثاء)

فهرس أعلام الأشخاص

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ق)

(ن)

(و)

(ى)

فهرس الأماكن والبلدان

المناصب والأعمال والحرف التي كانت تجرى عليها المرتبات

« ذكر لكل منها رقم على سبيل المثال »

تعريفات لبعض مايرد من اصطلاحات وتعبيرات

« مشروحة من مفاتيح العلوم وصبح الأعشى والمعرب وشفاء الغليل
وكثير من الألفاظ شرحت بالهوامش »

(أرج) : التأريج : النظام يعمل للعقد لعدة أبواب يُحتاج إلى علم جُمَلها .
أوهو إثبات تحت كل اسم من دفعات القبض يكون مصفوفاً ليسهل عقده بالحساب ،
أو هو تفعيل من الأوراج بأن ينقل ما على إنسان و يثبت فيه مايؤديه دفعة بعد أخرى
إلى أن يستوفى ماعليه .

(المؤامرة) : عمل تُجمع فيه الأوامر الخارجة فى مدة أيام الطمع « الأرزاق »
و يوقع السلطان فى آخره بإجازة ذلك .

(بابه) : استعملت الكلمة مراداً بها معنى كلمة « شأنه » أو « أمره »
انظر مثلًا ص١٣ : سأل الخليفة فى بابه و ص٢٣٥ يسأله فى بابه .

- (الجريب) : « مساحة » : ستون ذراعاً طولًا فى مثلها عرضا يكون تكسيرها
« أى مساحتها المربعة » ٣٦٠٠ مكسرة أى مربعة ، وهناك جريب مكيال و يختلف
عياره فى البلدان .

(الجريدة) : دفتر أرزاق الجيش فى الديوان .

(الجهبذ) : الذى يتولى قبض الأموال وصرفها ، سمى بعد ذلك الصيرفى .

(خشكنانج) : دقيق الحنطة إذا عجن بشيرج و بسط وملئ بالسكر واللوز
أو الفستق وماء الورد وجمع وخبز « قطايف » أو « بقلاوة » وأهل الشام
يسمونه المكفن .

(الدَّشت) : صدر البيت واستعمل بمعنى الديوان ومجلس الوزارة والرياسة .

(دُهقان) : من معانيه رئيس القرية ومقدم أهل الزراعة من العجم .

(الرُّستاق) : يعنون به كل موضع فيه مزدرع وقرى ولا يقال ذلك المدن .

(مرافق) : تعبير يراد به مايشبه المصاريف السرية .

(تريشت حاله) : أصلها من راش يريش : جمع المال والأثاث واغتنى .

(تسبيب) : أن يسبب رزق رجل على مال متعذر ليُعين المسبَّبُ له العامِلَ على استخراجه فيجعل وِرْداً للعامل و إخراجاً إلى المرتزق .

(أسبابه) : أسباب الرجل هم المتصلون به .

(سفاتيج) : جمع سفتجة أن يعطى مالا لآخر وللآخر مال فى بلد المعطى فيوفيه إياه هنالك فيستفيد أمن الطريق. وعرف أيضاً بأنه كتاب صاحب المال لوكيله أن يدفع مالا قراضا يأمن به من خطر الطريق .

(سُكُرُّجات) : جمع سُكُرُّجَه قصاع صغار يؤكل فيها وقيل لها أيضاً أسكرجة .

(تسويغات) : أن يسوِّغَ الرجلُ شيئاً من خراجه فى السنة أى يعفى من بعض خراجه .

(شك الورق) : استعمل فى مايشبه الملفات .

(الطبرزين) :وجمعه طبرزينات : فارسى تفسيره فأس السرج لأن فرسان العجم تحمله معها يقاتلون به .

(الطسوج) : الناحية كالقرية ونحوها .

(الطَّشق) : الوظيفة توضع على أصناف الزرع لكل جريب « ضريبة » .

(الطمع) : العطاء جمعه أطماع ، والأطماع سميت الرَّزَقات واحدتها رَزْقة لأنها المرة الواحدة من الرَّزْق .

(العِبرة) : ثبت الصدقات لـكورةٍ كورةٍ ، وعبرة سائر الارتفاعات أن يعتبر مثلًا ارتفاع السنة التي هى أقل ريعا والسنة التي هى أكثر ريعا ويجمعان ويؤخذ نصفهما فتلك العبرة « متوسط » بعد أن تعتبر الأسعار وسائر العوارض الواقعة .

(معناه) : خاطب الخليفة فى معناه : أريد بهذا الاستعمال أنه خاطبه فى شأنه .

(إغلاق الخراج) : الفراغ من جبايته .

(افتتاح الخراج) : البدء فى تحصيله .

(الفرانق) : الحامل للخرائط« رسول »

(الفالج) : هو خمسا الـكُرّ المعدّل . والـكر المعدل ٦٠ قفيزا

(فنجاميّون) : لعل الـكلمة مأخوذة من بنكام ومعناها ما يقـدر به الساعة النجومية ويراد بالفنجاميين الذين يحسبون الساعات . أولعلها نسبة إلىالبنج ويراد بهم أصحاب البنج .

(الفيج) : رسول السلطان على رجليه وجمعه فيوج .

(إقطاعات . قطيعة قطائع) : الإقطاع أن يقطع السلطان رجلا أرضا فتصير له رقبتها وتسمى تلك الأرضون قطائع واحدتها قطيعة .

(القفيز) : « فى المساحة » عُشْر جريب = ٣٦٠ ذراعا مكسرة أى مربعة وهناك قفيز فى المـكيال والميزان = ٢٥ رطلا بغداديا .

(الـكُرّ) : منه كرٌّ هارونى ، وكر أهوازى وكر هاشمى . وهذه الثلاثة ثلث الـكرّ المعدل والـكر المعدل = ٦٠ قفيزا .

(انـكسار المال) : عدم الطمع فى استخراجه لغيبة أهله أو موتهم أو نحو ذلك. وكسر الخراج ونحوه : جعله لا يطمع فى استخراجه .

(التـكسير) : هو « التربيع » يقال الذراع المـكسرة وهى أن يكون مقدار طولهاذراعا وعرضها ذراعا«ويقال هذه الأرض تـكسيرها كذا»أى مساحتهاالمربعة.

(الإلجاء والتلجئة) : أن يجعل الإنسان ماله لبعض ورثته دون بعض كأنه يتصدق به عليه وهو وارثه .

(ماء الهواء) أريد به الماء الطبيعي الذي لم يثلج .

(ماء البصرة) : ماه معناه بلد وماه البصرة يراد به نهاوند أو نهاوند وهمذان وقُم .

(ماه الكوفة) : هو الدينور .

(إيغار) : الإيغار هو الحماية وذلك أن تحمى الضيعة أو القرية فلا يدخلها عامل . ويوضع عليها شيء يؤدى فى السنة لبيت المال فى الحضرة أو فى بعض النواحى .

(المستوفى) : الذى يضبط الديوان وينبه على ما فيه مصلحته من استخراج أمواله .

أقسام ضائعة من كتاب تحفة الأمراء

جمعها الأستاذ ميخائيل عواد

لقد بذل الأستاذ ميخائيل عواد جهداً مشكوراً فى البحث عن النصوص المنقولة من مؤلف الصابى فى الوزراء واستطاع أن يجمع عدة أخبار خاصة ببعض الوزراء .

---

١ ــ عن أبى محمد الحسن بن محمد المهلبى عشرة أخبار .

تسعة منها عن معجم الأدباء ج ١ ، ٣٢٨ ، ٣٤٢ ج ٣ ، ١٨٦ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ج ٥ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٦ .

والعاشر من خطط المقريزى ج ٢ ، ٤٤ وصبح الأعشى ج ١٣ ، ٥٩

٢ ــ عن أبى الفضل محمد بن الحسين بن العميد خمسة أخبار .

اثنان من معجم الأدباء ج ٥ ص ٩ ، ج ٦ ص ٧٣ واثنان من وفيات الأعيان ج ٢ ص ٨٦ وواحد من بدائع البدائه ص ٥٣

٣ ــ عن أبى الفتح بن العميد « على بن محمد بن الحسين » خبران

وهما من معجم الأدباء ج ٥، ٣٥٢، ٣٥٣

٤ ــ عن إسماعيل بن عباد سبعة أخبار :

ستة من معجم الأدباء ج ١ ، ٦٩ و ج ٢ ص ٣١٥ ، ٣٢٢ ، ٣٣٥ ، ٣٣٨ وكذلك ٣٣٨

وواحد من بدائع البدائه ١٩٩

٥ ــ عن فخر الملك أبى غالب محمد بن على بن خلف :

خبر من معجم الأدباء جـ ١ ص ٢٣٥

وخبر آخر فى الاستدراك نقلا عن النجوم الزاهرة جـ ٤ ، ٢٥٧

وخبر ثالث فى الاستدراك أطلعه عليه الأستاذ المحقق الدكتور مصطفى جواد من كتاب معجم الألقاب ٢٦٥

٦ ـ عن أبى القاسم المطهر بن عبد الله خبران :

من معجم الأدباء جـ ١ ص ٣٢٩ ، ٣٣٢

٧ ـ عن ابن مقلة أبى على محمد بن على خبر واحد :

من معجم الأدباء جـ ٥ ، ٢٢٤

٨ ـ عن أبى الريان حامد بن محمد الوزير خبر واحد

من معجم الأدباء جـ ١ ص ٣٣٥

٩ ـ عن أبى طاهر محمد بن بقية خبر واحد :

من معجم الأدباء جـ ١ ، ٣٤٣

١٠ ـ عن أبى العباس أحمد بن محمد بن ثوابة

من معجم الأدباء جـ ٢ ، ٤٠

١١ ـ عن على بن عيسى خبر واحد :

من الأذكياء لابن الجوزى ص ٩٠ طبعة قسطا كى .

١٢ ـ عن الموفق عمدة الملك الحسن بن محمد بن إسماعيل الإسكافى خبر واحد أطلعه عليه الأستاذ المحقق الدكتور مصطفى جواد .

من معجم الألقاب لابن الفوطى ص ١٣٤ نسخة الدكتور مصطفى جواد .

١٣ ـ عن أبى أحمد الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر الشيرازى خبر واحد :

نقله الدكتور مصطفى جواد عن تاريخ ابن النجار .

١٤ ـ عن عميد الأمة أبى الفضل عبد الرحمن بن الحسين الفارسى خبر واحد :

أطلعه عليه الدكتور مصطفى جواد من معجم الألقاب لابن الفوطى .

تصويب

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
١٧	١٠	الحسنى	الحسينى
٣٣	٨	عمه	أخيه
٣٣	١١	وأطعمه	وأطمعه
٣٨	١٦	الجلةَ	الجلةُ
٤٠	١٣	المبارِك	المُبارَكَ
٥٣	٥	من مقامك ، عندى	من مقامك عندى ،
٥٨	٦	وأمرُهما	وأمرَهما
٧٣	١	وللزنجى صاحبَ دواة فيقرأ	ولزنجيٍّ صاحبُ دواة يقرأ « ويلغى الهامش «١»
٨٩	٦	المعتضد	المعتمد
٩٢	١	حطهما	خطهما
٩٢	٢	سأرسيك	سأريك
٩٣	٨	مقامها	مقامهما
٩٥	١١	وتتحيرت	وتحيرت
٩٦	٣	النوشجانى : فيه	النوشجانى فيه :
١٠٠	٤	ابن بسطام	ابن محمد بن بسطام
١١٢	٩	عل نفسك	على نفسك
١٤٠	٧	فاستزاد	فاستزاد
١٥٢	١٥	ابن الأصبغ	ابن أبى الأصبغ
١٥٩	١١	أبو الحسن	أبو الحسين

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
١٦١	٩	ونصفَ	ونصفِ
٢٠١	٧	ابن العباس	أبي العباس
٢٠٢	١٣	أحتج	احتج
٢٠٢	١٦	أرددى	اردد ى
٢٠٤	٤	كاتَبك	كاتِبَك
٢٠٩	١٥	وافرةُ الأموال	وافرةٌ والأموال
٢١٣	٧	عن عبد الله	عن أبي عبد الله
٢٢٤	٨	ترقيعه	توقيعه
٢٢٤	٢٠	قانصرف	فانصرف
٢٢٥	١٤	الوزير	بالوزير
٢٣٠	١٣	وتركهِ وإخراجِ	وتركهِ إخراجَ
٢٤٣	١٦	ذَكَرَ	ذُكِرَ
٢٤٥	٣	فيما أخذ	فيما أخذت
٢٤٩	٢١	ومواقفه	ومواقفته
٢٥١	١١	وأن المعتضد	وإن المعتضد
٢٥٥	٥	بن زنجى	زنجى
٢٥٩	١٠	من أعمالها	من أعمالهم
٢٦١	١٣	التفل	الثفل
٢٦٢	١٢	الواحى	النواحى
٢٧٩	٢	السواد	السوداء
٢٨٠	٢	وحدث محمد	وحدث محدث
٢٨٦	٤	ماء الكوفة	ماه الكوفة

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٢٨٨	٩	أبو الحسن	أبو الحسين. ويصوب أيضاً فى ٢٨٩ س ٣، ٢٩٠ س ١٢، ٢٩١ س ٨
٢٩٦	١٥	، من النكبة	من النكبة ،
٣٠٢	١٤	وإبراهيم	إبراهيم
٣٠٥	١٧	سكته	سكنه
٣٢٧	١٩	التبلج	التبلح
٣٣٠	١٠	السود	السواد
٣٣٤	٨	الأنس	الإنس
٣٣٤	١٤	كأنها	كأنما
٣٣٧	٢	عبدالله	عبيد الله
٣٤٦	١	استحقاقات	استحقاقك
٣٤٦	١	ما أجْسَرُ	ما أجْسُرُ
٣٥٢	١٥	عمل ، بعد عمل	عمل بعد عمل ،
٣٥٥	١٧	فعلتما	فعلتما
٣٦٠	١	فراسلنى يقول: هذا أبو محمد وكان	فراسلنى ـ يقول هذا أبو محمد وكان
٣٦٥	١٦	أبو الحسن	أبو الحسين.

أهم المراجع

ابن الأثير : مطبعة بولاق

تجارب الأمم : طبع مصر ١٩١٤

شفاء الغليل : المطبعة الوهبية ١٢٨٢

صبح الأعشى : دار الكتب

صلة عريب : ليدن سنة ١٨٩٧

الطبرى : بولاق

عيون الأنباء : المطبعة الوهبية ١٨٨٢

الفرج بعد الشدة : طبع مصر ١٣٥٧

الفهرست : ليبزج ١٨٧٢

كشف الظنون : أسماء الكتب فيه مرتبة وأشرت إلى الموضع

معجم الأدباء : مطبعة هندية

معجم البلدان : أسماء البلدان مرتبة وأشرت إلى الموضع

المعرّب : دار الكتب

مفاتيح العلوم : بريل ١٨٩٥

المنتظم : حيدر أباد

نزهة الألبا : طبعة حجر ١٢٩٤

نشوار المحاضرة : « جامع التواريخ ج ٨ طبع دمشق ١٩٣٠

وفيات الأعيان : له عدة طبعات وأشرت إلى صاحب الترجمة.

بعض الطرائف فى الكتاب

فهرس الموضوعات